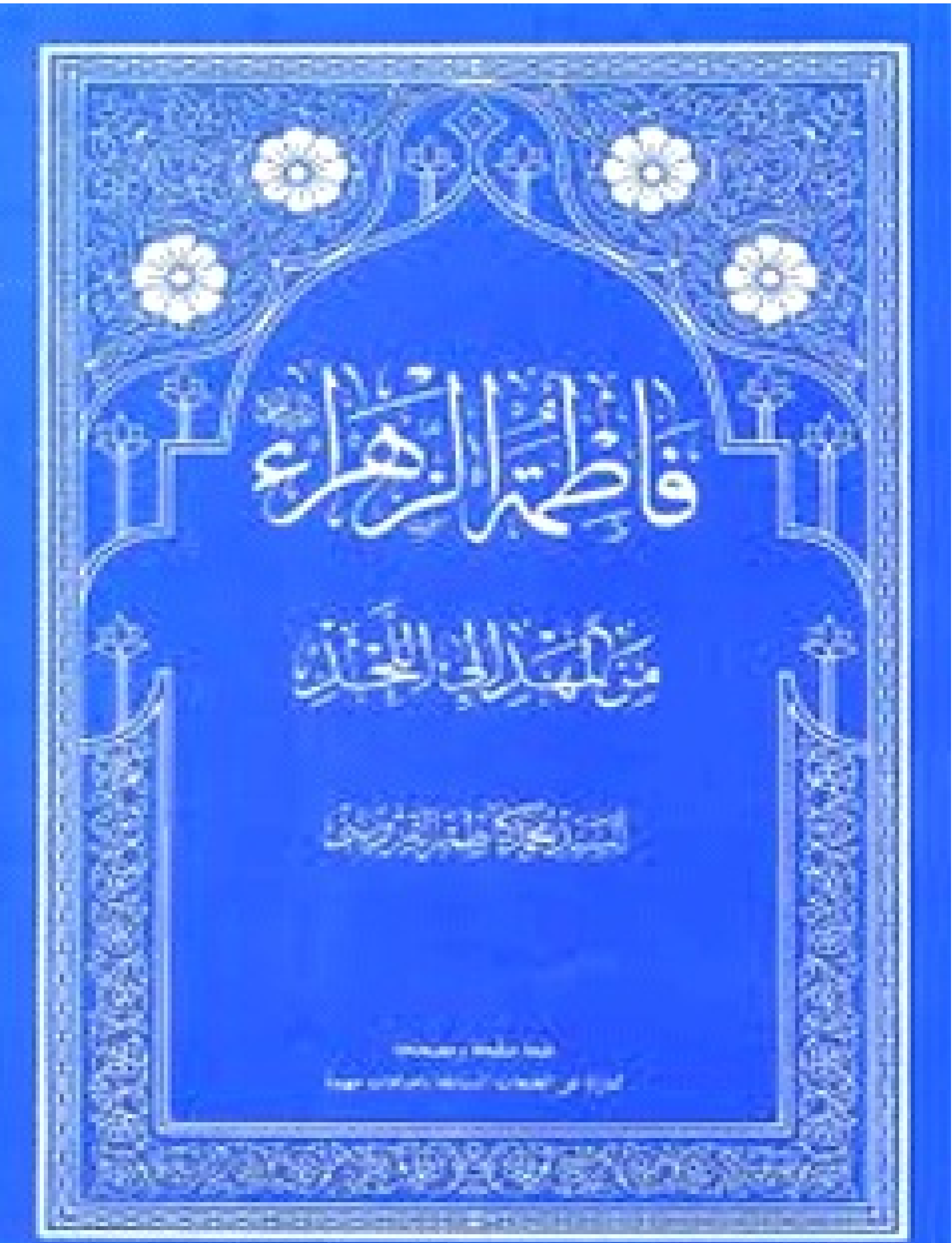

فاطمة الزهراء
من المهد إلى اللحد
السيد محمد كاظم القزويني


بسم الله الرحمن الرحیم

فاطمه الزهراء (سلام الله عليها) من المهد الى اللحد

كاتب:

محمد كاظم قزوينى

نشرت فى الطباعة:

دار الانصار

رقمی الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

فاطمه الزهراء علیه السلام من المهد الی اللحد

اشاره

سرشناسه : قزوینی، محمد کاظم، ۱۳۰۸ - ۱۳۷۳

عنوان و نام پدیدآور : فاطمه الزهراء علیه السلام من المهد الی اللحد/محمدکاظم القزوینی.

مشخصات نشر : قم: دارالانصار، ۱۴۲۷ق، =۲۰۰۶م، =۱۳۸۵.

مشخصات ظاهری : ۵۷۱ص.

شابک : ۹۶۴-۸۹۵۶-۲۱-۹

وضعیت فهرست نویسی : فهرست نویسی توصیفی

یادداشت : عربی

یادداشت : چاپ دوم.

یادداشت : کتابنامه به صورت زیرنویس.

شماره کتابشناسی ملی : ۱۶۵۹۷۷۳

ص: ۱

اشاره

الاهداء

إلى سَيّدنا و مَولانا بقيّه العتْرَه الطَاهِره الإِمَام المهدى المنْتظر «عليه السلام».

إليْه أهدى هذه الصفحات المشرقه المتلألئه بحياه جدّته الصدّيقه الطّاهره، ملكه الإسلام فاطمه الزهراء (صلوات الله عليها).

و أنا واثق أن هذهِ الخِدْمَه الضئيله ستقع منه موقع الرضَا و القَبول بإذن الله تعالى.

العراق كربلاء

محمدكاظم القزوينى

المقدمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً كثيراً كما يرضى، و صلى الله على سيدنا محمد المصطفى و آله الطاهرين سادات الورى.

و بعد: انقضت سنوات و أنا أُحدِّث نفسى أن أقوم بتأليف كتاب يتضمن ما تيسَّر من حياه الصدِّيقه الطاهره فاطمه الزهراء، عليها و على أبيها و بعلها و بنيها الصلاه و السلام.

كنت أشعر بضروره هذا العمل، وكانت رغبتى ملحَّه جداً، وذلك لما كنت أجده من النقص الذى يشبه الفراغ فى المكتبه العربيه والإسلاميه بالنسبه لهذه الشخصيه.

و لا- أقصد- بكلامى هذا- انتقاصَ الكتب و المؤلفات التى دوّنت حول ترجمه سيده نساء العالمين، بل أقصد أن تلك المؤلفات- القديمه منها و الحديثه- لا- تسد الحاجه، و لا تملأ الفراغ الذى يشعر به كل من يريد الإطلاع على حياه السيده الزهراء (عليهاالسلام).

و تلك المؤلفات لا- تفى بالغرض، بل هى دون مقام السيده فاطمه الزهراء و لا تؤدِّى ما تستحقه شخصيه عزيزه رسول الله و أحب الناس إليه،

لأن شخصيه الصدِّيقه الطاهره تستوجب التنويه و الإشاده بها أكثر و أكثر من هذا.

و لا أدَّعى أننى أستطيع النهوض بهذا العب ء الثقيل و استيفاء الغرض، و تحصيل الغايه كما ينبغى، بل أعترف بالعجز و القصور الملازمين لفكرى و لسانى و قلمى.

و هكذا انقضت الأيام و الأعوام، و الهواجس تعاودنى بين فتره و أخرى و هناك العوائق التى تحول دون تحقيق هذه الأمنيه.

و قبل فتره غير بعيده هبَّت علىَّ عاصفه من الحوادث و خيَّمت على حياتى سحائب الهموم، فنذرت لله تعالى:- إن كشف عنى الضر و السوء- أن أبادر إلى تأليف كتابٍ حول حياه الصدِّيقه الطاهره فاطمه الزهراء (عليهاالسلام).

فكشف الله عنى الضر برحمته، فله الحمد و له الشكر. و ها أنا قد شرعت بتحرير هذه السطور و الأوراق، و ما أدرى أين ينتهى بى المطاف، و الله المستعان، و هو خير المستعان، و هو حسبى و نعم الوكيل فى المبدأ و المآل و هو خير موفق و معين.

محمد كاظم القزوينى

۲۶ جمادى الثانيه ۱۳۹۲ ه

كربلا المقدسه- العراق

المدخل

بسم الله الرحمن الرحيم

فاطمه..!

و ما أدراك من فاطمه؟!

شخصيه إنسان تحمل طابع الأنوثه لتكون آيهً على قدره الله البالغه و اقتداره البديع العجيب، فإن الله تعالى خلق محمداً (صلى الله عليه و آله و سلم) ليكون آيه قدرته فى الأنبياء، ثم خلق منه بضعته و ابنته فاطمه الزهراء لتكون علامه و آيه على قدره الله فى إبداع مخلوق أُنثى تكون كتله من الفضائل،و مجموعه من المواهب فلقد أعطى الله تعالى فاطمه الزهراء أوفر حظ من العظمه،و أوفى نصيب من الجلاله بحيث لا يمكن لأيه أنثى أن تبلغ تلك المنزله.

فهى من فصيله أولياء الله الذين اعترفت لهم السماء بالعظمه قبل أن يعرفهم أهل الأرض، و نزلت فى حقهم آيات محكمات فى الذكر الحكيم، تتلى آناء الليل و أطراف النهار منذ نزولها إلى يومنا هذا، و إلى أن تقوم القيامه.

شخصيه كلما ازداد البشر نضجاً و فهماً للحقائق، و اطلاعاً على الأسرار ظهرت عظمه تلك الشخصيه بصوره أوسع، و تجلّت معانيها و مزاياها بصُوَر أوضح.

إنها فاطمه الزهراء، الله يثنى عليها، و يرضى لرضاها و يغضب لغضبها.

و رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) ینوِّه بعظمتها و جلاله قدرها.

و أمیرالمؤمنین (علیه السلام) ینظر إلیها بنظر الإکبار و الإعظام.

و أئمه أهل البیت (علیهم السلام) ینظرون إلیها بنظر التقدیس و الاحترام. سیده، باسمها قامت حکومات، و تاسست عروش و باسمها انهات عروش و تقوضت حکومات.

و بحبها سوف تری الناس یدخلون الجنه افواجا.

و لاجل الانحراف عنها سیق الذین کفروا الی جهنم زمرا.

و اننی اعتقدان الکتاب- بما فیه- یکون عظیم النفع، غزیر الفائده، حلو الحدیث، تستأنس به النفس، و تستعذ به الروح إلی غیر ذلک مما یدرکه القارئ و لا یمکن وصفه.

إذ أن التحدث عن حیاه السیده فاطمه الزهراء یشتمل علی حوادث کلها عِبَر و حِکَم و دروس، یتعرف الإنسان بها علی حیاه أولیاء الله و خاصته، و کیفیه نظرتهم إلی الحیاه، و یطّلع علی جانب من التاریخ الإسلامی المتعلق بحیاه السیده فاطمه الزهراء بالرغم من قصر عمرها، و أنها کانت تعیش فی خدرها، لا یطَّلع أحد علی معاشرتها، و سلوکها فی البیت إلا أسرتها و ذووها.

و بالرغم من أن التاریخ ظلمها، و لم یُعِر لحیاتها و ترجمتها اهتماماً لائقاً بها. فالتحدث عن عبقریه السیده فاطمه الزهراء یعتبر تحدثاً عن المرأه فی الإسلام من حیث حفظ کرامتها، و الاعتراف باحترامها و شخصیتها. و یشمل التحدث نموذجاً من المرأه بصفتها بنتاً فی دار أبیها، و زوجه فی دار بعلها، و أمًّا و مربیّه فی البیت الزوجی.

و لاـ يخلو الكلام- هنا- عن التحدث عن المرأه فى الإسلام بصفتها إنسانه يُسمح لها بالعمل فى الحقل الاجتماعى، و لكن فى إطار محدود بحدود الدين و العفه، و المحافظه على الشرف و الكيان.

و يتَّضح- ضمناً- أن الإسلام لا يحرم المرأه عن العلم و الثقافه و الأدب و المعرفه و لكن مع رعايه الابتعاد عن التبرج و الاستهتار و الاختلاط، و ما شابه ذلك مما يسبّب الويلات على المرأه المسكينه و يدمِّر كيانها.

إننى أعتقد أن ليس من الممكن أن يوجد فى العالم قانون أو نظام أو جهاز يحافظ على حرمه المرأه و كيانها و شرفها أكثر من محافظه الدين الإسلامى لذلك. فالجمعيات و المنظّمات النسائيه فى البلاد الإسلاميه لم تنفع المرأه أبداً بل قد جلبت عليها الشقاء بصوره فظيعه.

و قد قرأت فى بعض الصحف أن إحدى المنظَّمات النسائيه تطالب حكومتها أن تضع قانوناً لمنع تعدد الزوجات!!

إن المنظَّمه تعتبر تعدُّد الزوجات ظلماً و اعتداءً على المرأه. فهى تطالب بإيقاف الرجل عند حدِّه، لئلا يطمع فى أكثر من امرأه.

إن المنظمه جاهله أو متجاهله إنها بعملها هذا تفتح على المرأه أبواب الفساد و الشقاء، و تغلق عليها أبواب السعاده الزوجيه ولذه الأمومه.

فإذا خُيِّرت المرأه بين أن تتزوج برجل متزوج أو تبقى جليسه بيتها حتى يبيض شعرها كأسنانها، و إلى أن يأتيها الموت و هى واحده من اثنتين:

إما أن تقضى معظم حياتها- بما فى ذلك من عنفوان شبابها- بالكبت و الضغط و الحرمان من ملاذ الحياه.

و إما إن تفسح لنفسها المجال، و تطلق لنفسها الحريه الكامله، فتحضر السهرات،و تشترك فى الحفلات و تراقص الرجال و و....

ثم تفتـح عينها فإذا بها مفقوده الشـرف، مسـلوبه العفاف، محطّمه الشخصـيه، ملوثه الساحه، مشوّهه السـمعه، يرغب بها الرجال ما دامت طريّه و شهيّه، فإذا فقدت محاسنها، و ذبلت مفاتنها يمجّها كل أحد و ينبذها كل رجل.

إذا خيّرت المرأه بين عدم الزواج و حياه العزوبه التى تنتهى بها إلى أحد المصيرين المذكورين، و بين أن تتزوج برجل متزوج، و تتمتع بالسـعاده الزوجيه تحت ظـل العـداله الإسـلاميه، فهى محفوظه الشـرف، سـليمه العفـاف، نزيهه السـمعه، طاهره الصـحيفه و الساحه تنتج أطفالاً، و تكوِّن أسره، و تصلح أجزاء المجتمع، أيهما أفضل و أحسن؟؟

هـذان طريقان، لا ثالث لهما، فإن عـدد النساء فى العالم أكثر من عـدد الرجال، و لو اكتفى كل رجل بامرأه واحده لبقيت هناك الملايين من النساء بغير أزواج. ثم هناك رجال لا تكفيهم امرأه واحده، و هناك نساء لا تنسجم غرائزهن مع غرائز أزواجهن من حيث التجـاوب و الرغبه. أضـنف إلى هـذا كله أن المرأه فى معرض العقم و المرض و السـفر إلى غير ذلـك ممـا يطول الكلام بذكره، و لا أقصد فى كتابى هذا التطرق إلى هذه المواضيع و إنما (الكلام يجرُّ الكلام)، و الشى ء بالشى ء يذكر.

أعود- و العود أحمـد- إلى حديثى عن الصدِّيقه فاطمه الزهراء، فلا عليك أن تعلم أن من أعجب الغرائب، و أغرب العجائب أن شخصـيه كشخصـيه فاطمه الزهراء التى هى فى أوج العظمه، و ذروه الشـرف و قمّه الفضـيله- تصـبح هـدفاً للأقلام المسـمومه، و الغارات القاسيه التى شنّها بعض المسلمين و غيرهم.

و يظهر لك هذا بكل وضوح حينما تراجع كتب الأحاديث الزاخره

ص: ١١

بفضائل هـذه الشخصـيه، ترى إلى جانبها أحاديث افتعلتها يـد الـدسّ و العداء، و اختلقتها ألسـنه الشحناء و البغضاء من سماسـره الحـديث الوضّـا عين الكـذّابين، الـذين كـانوا أبواقـاً للسـلطات الماضـيه، ينفثون بمـا يوحى إليهم شـياطينهم من زخرف القول و الكذب و الزور و البهتان، شأن من يشترى مرضاه المخلوق بسخط الخالق.

إنهم كتبوا بأقلام العداء و محابر النفاق تلبيه لمن اشترى منهم دينهم و ضمائرهم، و هم غير مبالين بما فى تزويرهم- هـذا- من حطٍّ مقام صاحب الشريعه النبى الأقدس (صلى الله عليه و آله و سلم) غير مكترثين بما فى كلامهم ذاك من التناقض للأحاديث المتواتره المدوّنه فى صحاحهم فى فضل السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام)

و كـأنهم يعجبهم المس بكرامه الصـدِّيقه فـاطمه الزهراء إجـابه لنـداء ضـمائرهم، و هم يعلمون أنها عتره الرسول، و أحبُّ الناس إليه، و عزيزته و حبيبته و كـأنهم لا يسـتطيعون التصـريح بتـدنيس سـاحه الرسول الأعظم مباشـره فاختـاروا الطريق الملتوى غير المباشر، كل ذلك إشباعاً لرغباتهم الجهنَّميه.

و ما أدرى ما هى الدوافع إلى هذا الهجوم العنيف القاسى على شخصيه فاطمه الزهراء؟

و ما هى أسباب هذا العداء العميق العجيب؟

فاليست ابنه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و قرّه عينه و ثمره فؤاده،و روحه التى بين جنبيه؟!

فهـل كـانت الزهراء خليفه رسول الله (صـلى الله عليه و آله و سـلم) فـدفعتهم الـدوافع للمسّ من كرامتهـا كما أساءوا إلى زوجها العظيم بنفس تلك الدوافع؟

ثم ما هذا التركيز و الإلحاح على محاربه شخصيتها؟

هل لكونها بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟

فلماذا لا نجد هذه الظاهره فى حق سائر بنات النبى؟

أم لأنها زوجه الإمام على (عليه السلام)؟

فقد تزوَّج الإمام أميرالمؤمنين بعدها بأربع نساء، فلماذا لا نجد هذا التهريج و الإرجاف فى حقهن؟

إننى لا أتصور للسيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) ذنباً سوى أنها كانت أحبُّ الناس إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و هى المفضلَّه على بقيه بناته و زوجاته و أنها كانت المدافعه و المحاميه عن حقوق زوجها.

و أنها حضرت فى المسجد، و طالبت بحقوقها المغتصبه و أموالها التى جعلتها الله و رسوله لها و أنها احتجت على رئيس الدوله يومذاكِ (١) .

و أمثالها من الفضائل و الفواضل التى خصّها الله بها دون النساء.

فهل هذه ذنوب تبرّر و تبيح للمسلمين أن يذكروها بما لا يناسب قدسيّتها و نزاهتها؟

و قد كان للمستشرقين الأجانب «من اليهود و النصارى» دور مهم فى هذا المجال فلقد حاولوا المسّ بكرامه مقدّسات الإسلام و المسلمين، فالتقطوا الأ باطيل والأ ساطير سقطات القول و نشروها فى أوساطهم.

و جاء بعض المسلمين و ترجموا تلك الكتب المسمومه و طبعوها و نشروها فى البلاد الإسلاميه، بدون أى تعليق أو تهذيب أو تنقيح، كأن نواياهم تتفق مع المستشرقين حول محتويات تلك الكتب.

و الأفضل أن ننقل- هنا- مثالاً- لما نحن فيه- عن الجزء الثالث من

١- ١. سياتيک التفصيل فى شرح خطبها فى مسجد ابيها الرسول.

كتاب الغدير ص۱۰ للمرحوم شيخنا الأمينى مع رعايه الاختصار: كتب مستشرق نصرانى يسمىّ «إميل در منغم» كتاباً سماه «حياه محمد» و الكتاب كله كذب و زور و ضلال و دسٍّ و دجل، و تهجّم على الإسلام و القرآن و النبى «صلى الله عليه و آله و سلم».

و قد ترجم الكتاب أستاذ فلسطينى يسمى «محمد عادل زعيتر» و لم يعلّق على خرافات الكتاب و أساطيره و أكاذيبه، و هو يزعم أنه يراعى أمانه النقل، و ليت شعرى هل التعليق على الباطل ينافى أمانه النقل؟

و من جمله أباطيل الكتاب و أضاليله قوله:

«كانت فاطمه عابسه، دون رقيه جمالاً، و دون زينب ذكاء، و لم تدار فاطمه حينما أخبرها أبوها من وراء الستر: أن على بن أبى طالب ذكر اسمها، و كانت فاطمه تعدُّ علياً ذميماً محدوداً مع عظيم شجاعته، و ما كان أكثر رغبه فيها من رغبتها مع ذلك.

و كان على غير بهيٍّ الوجه لعينيه الكبيرتين الفاترتين و انخفاض قصبه أنفه، و كبر بطنه و صلعه، و ذلك كله إلى أن علياً كان شجاعاً تقياً صادقاً وفياً مخلصاً صالحاً مع توان و تردُّد!

و كان على غير بهى الوجه لعينيه الكبيرتين الفاترين و انفخاض قصبته انفه،و كبر بطنه، و صلعه، و ذلك كله الى ان عليا كان شجاعا تقيا صاذقا وفيا مخلصا صلحا مع توان و ترددا!

و كان على يحرد بعد كل منافره، و يذهب لينام فى المسجد، و كان حموه يربِّته على كتفه و يعظه و يوفق بينه و بين فاطمه إلى حين.

و مما حدث أن رأى النبى ابنته ذات مره، و هى تبكى من لكم على لها!!

إن محمداً مع امتداحه قدم على فى الإسلام إرضاءً لابنته كان قليل الالتفات إليه، و كان صهرا النبى الأمويان: عثمان الكريم و أبوالعاصى أكثر

مداراه للنبى من على، و كان على يألم من عدم عمل النبى على سعاده ابنته، و من عدّ النبى له غير قوّام بجليل الأعمال.

و النبى و إن كان يفوّض إليه ضرب الرقاب كان يتجنب تسليم قياده إليه...

و أسوأ من ذلـك ما كان يقع عنـد مصاقبه على و فاطمه لعـدَّواتهما أزواج النبى و تنازع الفريقين، فكانت فاطمه تعتب على أبيها متحسره، لأنه كان لا ينحاز إلى بناته...».

إلى غير ذلك من جنايات تاريخيه سوداء سوَّد بها الرجل صحيفه كتابه.

و هنا يجب شيخنا الأمينى (رضوان الله عليه) على مفتريات هذا النصرانى:

«أنا لا ألوم المؤلف- جدع الله مسامعه- و إن جاء بأذنى عناقِ (١) إذ هو من قوم حناق على الإسلام، و هو مع ذلك جرف منهال و سحب منجالِ (٢) ينمُّ كتابه عن عجزه و بجره، و إنما العتب كل العتب على المترجم الجانى على الإسلام و الشرق و العرب- و هو يحسب نفسه منها- نعم، جدب السوء (٣) يلتجئ إلى نجعه سوءِ، و الجنس إلى الجنس يميل.

كـل مـا فى الكتـاب من تلكم الأـقوال المختلفه و النسب المفتعله إن هى الاـ كلم الطائش، تخالف التاريـخ الصـحيح، و تضاد ما أصفقت عليه الأمه الإسلاميه و ما أخبر به نبيها الأقدس؛

هل تناسب تقولاته فى فاطمه مع قول أبيها «صلى الله عليه و آله و سلم

ص: ۱۵

۱- ۲. اى جاء بالكذب و الباطل.

۲- ۳. مثل يضرب يراد انه لا يطمع فى غيره.

۳- ۴. يعنى ان الامور تتشاكل فى الجوده و الرداءه

و سلم»: فاطمه حوراء إنسيه، كلما اشتقت إلى الجنه قبلّتهاِ؟ (۱) .

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): ابنتى فاطمه حوراء آدميهِ؟ (۲) .

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): فاطمه هى الزهراءِ؟ (۳) .

أو قول أم أنس بن مالك؟: كانت فاطمه كالقمر ليله البدر، أو الشمس كفر غماماً، إذا خرج من السحاب، بيضاء مشرّبه حمره، لها شعر أسود، من أشد الناس برسول الله شبهاً، و الله كما قال الشاعر:

بيضاء تسحب من قيام شعرها

و تغيب فيه و هو جثل أسحمِ (۴) .

فكأنها فيه نهار مشرق

و كأنه ليل عليها مظلمِ (۵) .

و لقبها: الزهراء المتسالم عليه يكشف عن جليه الحال. و هل يساعد تلك التحكُّمات فى ذكاء فاطمه و خُلقها قولُ أُم المؤمنين خديجه (رضى الله عنها): كانت فاطمه تُحدِّث فى بطن أُمِّها، و لما وُلدت وقعت حين وقعت على الأرض ساجده، رافعه إصبعهاِ؟! (۶) .

أو يلائمها قول عائشه: ما رأيت أحداً أشبه سمتاً و دلاًّ و هدياً و حديثاً برسول الله فى قيامه وقعوده من فاطمه كانت إذا دخلت على رسول الله قام إليه فقبّلها و رحّب بها، و أخذ بيدها و أجلسها فى مجلسهِ؟! (۷) .

و فى لفظ البيهقى فى «السنن: ۷ ص ۱۰۱: ما رأيت أحداً أشبه كلاماً

۱- ۵. تاريخ الخطيب البغدادى/ ۵ ص ۸۶.

۲- ۶. الضواعق ۹۶ اسعاف الراغبين ص ۱۷۳.

۳- ۷. نزهه المجالس/ ۲ ص ۱۶۱.

۴- ۸. جثل الشعر: كثر و التف و اسود.

۵- ۹. مستدرك الحاكم ۳ ص ۱۶۱.

۶- ۱۰. سيره الملاء، ذخائرالعقبى.

۷- ۱۱. الترمذى، و ابن عبدربه فى العقد الفريد۲ ص ۳.

و حديثاً من فاطمه برسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)... الحديث.

و هـل توافق مخـاريقه فى الإمـام على (صـلوات الله عليه) و عـدم بهـاء وجهه و عـدُّ فـاطمه له دميماً، و كونه عابساً مع ما جاء فى جمـاله البهى: أنه كـان حسن الـوجه كـأنه قمر ليله البـدر، و كـأن عنقه إبريق فضهٍ (۱) ضـحوك السنِ (۲) فـإن تبسّم فعن اللؤلؤ المنظومِ (۳) .

و أين هى من قول أبى الأسود الدؤلى من أبيات له:

إذا استقبلت وجه أبى تراب

رأيت البدر حار الناظرينا (۴) .

نعم،

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله

فالناس أعداء له و خصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها

حسداً و بغضاً: إنه لدميم

أو يخبرك ضـميرك الحرُّ فى على مـا سـلقه الرجـل به من «التوانى و التردد»؟ و على ذلـك المقتحم فى الأهوال و الضارب فى الأوساط و الأعراض فى المغازى و الحروب؟و هو الذى كشف الكُرب عن وجه رسول الله (صـلى الله عليه و آله و سلم) فى كل نازله و كارثه منذ صدع بالدين الحنيف إلى أن بات على فراشه، و فداه بنفسه، إلى أن سكن مقرّه الأخير.

أليس على هو ذلك المجاهـد الوحيد الذى نزل فيه قوله تعالى: «أجعلتم سـقايه الحاج و عماره المسـجد الحرام كمن آمن بالله و اليوم الآخر و جاهد فى سبيل الله»؟

۱- ۱۲. الاستيعاب ۲ ص ۴۶۹.

۲- ۱۳. تهذيب الاسماء و اللغات.

۳- ۱۴. حليه الاولياء ۱ ص ۸۴.

۴- ۱۵. تذكره سبطابن الجوزى ص ۱۰۴.

و قوله تعالی: «و من الناس من یشری نفسه ابتغاء مرضاه الله»؟! (۱) .

فمتی خلی علی عن مقارعه الرجال، و الـذبِّ عن قـدس صاحب الرساله حتی یصـح أن یُعزی إلیه توانٍ أو تردد فی أمر من أمور الدین؟!

غیر أن القول الباطل لا حدَّ له و لا أمد.

و هل یتصور فی أمیرالمؤمنین تلک العِشره السیئه مع حلیلته الطاهره؟!

و النبی یقول له: أشبهتَ خَلقی و خُلقی و أنت من شجرتی التی أنا منهاِ (۲) .

و کیف یراه النبی (صـلی الله علیه و آله و سـلم) أفضـل أمته و أعظمهم حلماً و أحسـنهم خلقاً و یقول: علی خیر أُمُّتی، و أعلمهم علماً، و أفضلهم حلماً؟ (۳) .

و یقول لفاطمه: إنی زوَّجتک أقدم أُمَّتی سلماً، و أکثرهم علماً، و أعظمهم حلماً؟ (۴) .

و یقول لها: زوَّجتک أقدمهم سلماً، و أحسنهم خُلقاً؟ ِ (۵) .

یقول هذه کلها و عشرته تلک کما کانت بمرأی منه و مسمع؟

أفک الدجَّالون.

کان علی (علیه السلام) کما أخبر به النبی الصادق الأمین «صلی الله علیه و آله و سلم».

۱- ۱۶. سوره البقره: ۳. ۲.

۲- ۱۷. تاریخ بغداد للخطیب ج ۱۱ ص ۱۷۱.

۳- ۱۸. الطبری، الخطب ج ۱۱ ص ۱۷۱.

۴- ۱۹. مسند احمدج ۵ ص ۲۶ الریاض النضره ۲ ص ۱۹۴.

۵- ۲۰. الریاض النضره ۲ ص ۱۸۲.

و هل يقبل شعورك ما قذف به الرجل (فضَّ الله فاه) علياً بلكْم فاطمه بضعه المصطفى؟!

و على ذاك المقتص أثر الرسول، و ملأـ مسامعه قوله (صلى الله عليه و آله و سلم) لفاطمه: إن الله يغضب لغضبك و يرضى لرضاكِ (۱) . و قوله (صلى الله عليه و آله و سلم) و هو آخذ بيدها: من عرف هذه فقد عرفها، و من لم يعرفها، فهى بضعه منى، هى قلبى و روحى التى بين جنبيَّ، فمن آذاها فقد آذاني. و من آذانى فقد آذى الله (۲) .

و قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): فاطمه بضعه منى، يريبنى ما رابها، و يؤذينى ما آذاهِا.

و قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): فاطمه بضعه منى، فمن أغضبها فقد أغضبنيِ (۳) .

و قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): فاطمه بضعه منى، يقبضنى ما يقبضها و يبسطنى ما يبسطهاِ (۴) .

---

۱ – ۲۱. مستدرك الصحيحين للحاكم النيسابورى ۳ ص ۱۵۴. التذكره لسبط ابن الجوزى ص ۱۷۵ و ۳۲۰، مقتل الحسين الصواعق ۱۰۵، ميزان الاعتدال للحافظ الذهبى ج ۲ ص ۲۱۹، كنز العمال ۷ ص ۱۱۱ الصوائق ۱۰۵، ميزان العتدال للحافظ الذهبى ج ۲ ص ۷۲ طبقه القاهره،الاصابه لابن حجر العسقلانى ج ۴ ص ۳۶۶ طبعه دار الكتب المصريه و غيرها.

۲– ۲۲. الفصول المهمه لابن الصباغ المالكى ۱۵۰ نزهه المجالس للصفورى الشافعى ۲ ص ۲۲۸ نور الابصار للشبلنجى المصرى ص ۴۵، ارشاد السارى للقسطانى ۶/ ۱۴۴ و غيرها.

۳– ۲۳. صحيح البخارى ج ۵ ص ۲۱ و ۲۹، خصائص النسائى ص ۳۵.

۴– ۲۴. مسند احمد ۴ ص ۱۱۳، مستدرك الصحيحين للحكام ۳/ ۱۵۴ كنز العمال ۱۳/ ۹۶، تاريخ الاسلام للذهبى ۲/ ۹۶.

و هل يقتصر امتداح النبی علیاً بمدح إسلامه؟! حتی يتفلسف فی سرِّه، و يكون ذلک إرضاءً لابنته، علی أن امتداحه بذلک لو كان لتلک المزعمه لكان يقتصر «صلی الله عليه و آله و سلم» علی قوله لفاطمه فی ذلک، و كان يتأتی الغرض به، فلماذا كان يأخذ (صلی الله عليه و آله و سلم) بيد علی فی الملأِ الصحابی تاره و يقول: إن هذا أول من آمن بی، و هذا أول من يصافحنی يوم القيامه؟

و لماذا كان يخاطب أصحابه أخری بقوله: أوَّلكم وارداً علیَّ الحوض أوَّلكم إسلاماً: علی بن أبی طالب؟

و كيف خفی هذا السرُّ المختلق علی الصحابه الحضور و التابعين لهم بإحسان، فطفقوا يمدحونه بهذه الإثاره كما يروی عن سلمان الفارسی، أنس بن مالک، زيد بن أرقم، عبدالله بن عباس، عبد الله بن حجل، هاشم بن عتبه، مالک الأشتر، عبدالله بن هاشم، محمد بن أبی بكر، عمر و بن الحمق، أبوعمر عدی بن حاتم، أبورافع، بريده، جندب بن زهير، أم الخير بنت الحراشِ (۱)
.

و هل القول بقلِّه التفات النبی إلی علی يساعده القرآن الناطق بأنه نفس النبی الطاهر؟! أو جعل مودته أجر رسالته؟!.

أو قوله (صلی الله عليه و آله و سلم) فی حديث الطير المشوی، المروی فی الصحاح و المسانيد: اللهم ائتنی بأحبِّ خلقک إليک ليأكل معی.

أو قوله (صلی الله عليه و آله و سلم) لعائشه: إنّ علياً أحبُّ الرجال إلیَّ، و أكرمهم علیَّ، فاعرفی له حقه، و أكرمی مثواهِ (۲) .

۱- ۲۵. اكثر المصادر التاريخچه.

۲- ۲۶. الرياض النضره ۲ ص ۱۶۱ ذخائرالعقبی ۶۲.

أو قوله (صلى الله عليه و آله و سلم): أحبُّ الناس إليَّ من الرجال عليٍ (۱) .

أو قوله (صلى الله علیه و آله و سلم): علی خیر مَن أترکه بعديِ (۲) .

أو قوله (صلى الله علیه و آله و سلم): خیر رجالکم علی بن أبی طالب، و خیر نسائکم فاطمه بنت محمدِ (۳) .

أو قوله (صلى الله علیه و آله و سلم): علی خیر البشر، فمن أبی فقد کفر؟! (۴) .

أو قوله (صلى الله علیه و آله و سلم): من لم یقل علی خیر الناس فقد کفرِ؟ (۵) .

أو قوله (صلى الله علیه و آله و سلم): فی حدیث الرایه المتفق علیه: لأعطیَّن الرایه غداً رجلاً یحبه الله و رسوله، و یحب الله و رسوله؟

أو قوله (صلى الله علیه و آله و سلم): علی منی بمنزله رأسی من بدنی أو جسديِ؟ (۶) .

أو قوله (صلى الله علیه و آله و سلم): علی منی بمنزلتی من ربیِ (۷) .

أو قوله (صلى الله علیه و آله و سلم): علی أحبَّهم إلیَّ، و أحبَّهم إلی اللهِ (۸) .

۱- ۲۷. و فی لفظ: احب اهلی.

۲- ۲۸. مواقف الایجی ۳ ص ۲۷۶ مجمع الزوائد ۹ ص ۱۱۳.

۳- ۲۹. تاریخ بغدا دللخطیب ۴ ص ۳۹۲.

۴- ۳۰. تاریخ بغداد کنوزالحقایق، هامش الجامع الصغیر، ص ۱۶ کنز العمال ۶ ص ۱۵۹.

۵- ۳۱. تاریخ بغداد ۳ ص ۱۹۲ کنز العمال ۶ ص ۱۵۹.

۶- ۳۲. تاریخ بغداد ۷ ص ۱۲ الصواعق ۷۵، الجامع الصغیر للسیوطی، نورالابصار ۸۰.

۷- ۳۳. السیره الحلبیه ۳ ص ۳۹۱ الریاض النضره ۲ ص ۱۶۳.

۸- ۳۴. تاریخ بغداد ۱ ص ۱۶۰.

أو قوله (صلى الله علیه و آله و سلم) لعلی: أنا منک و أنت منی، أو: أنت منی و أنا منکِ؟ (۱) .

أو قوله (صلى الله علیه و آله و سلم): علی منی و أنا منه، و هو ولی کل مؤمن من بعديِ؟ (۲) .

أو قوله (صلى الله علیه و آله و سلم) فی حدیث البعث بسوره البراءه المجمع علی صحته: لا یذهب بها إلا رجل منی و أنا منهِ؟ (۳) .

أو قوله (صلى الله علیه و آله و سلم): لحمک لحمی، و دمک دمی و الحق معکِ (۴) .

أو قوله (صلى الله علیه و آله و سلم): ما من نبی إلاَّ و له نظیر فی أُمته، و علی نظیريِ؟ (۵) .

أو ما صحّحه الحاکم و أخرجه الطبرانی عن أم سلمه قالت: کان رسول الله إذا أُغضب لم یجترئ أحد أن یکلَّمه غیر عليِ؟ (۶) .

أو قول عائشه: و الله ما رأیت أحداً أحبُّ إلی رسول الله من علی و لا فی الأرض امرأه کانت أحبُّ إلیه من امرأتهِ؟ (۷) .

أو قول بریده و أُبی: أحب الناس إلی رسول الله (صلى الله علیه و آله و سلم) من النساء فاطمه، و من الرجال عليِ؟ (۸) .

۱- ۳۵. مسند احمد ۵ ص ۲۰۴ الخصائص للنسائی ۳۶ و ۵۱.

۲- ۳۶. مسند احمد۵ ص ۳۵۶.

۳- ۳۷. الخصائص للنسائی ۸ و غیره.

۴- ۳۸. المحاسن و المساوی ۱ ص ۳۱ مناقب الخارزمی ۷۶، ۸۳، ۸۷.

۵- ۳۹. الریاض النظره ۲ ص ۱۶۴.

۶- ۴۰. الصوائق ۷۳ تاریخ الخلفاء للسیوطی ۱۱۶.

۷- ۴۱. مستدرک الحاکم ۳ ص ۱۵۴ الخصائص للنسائی ۲۹.

۸- ۴۲. الخصائص للنسائی ۲۹ مستدرک الحاکم ۳ ص ۱۵۵.

أو حديث جميع بن عمير، قال: دخلت مع عمتی علی عائشه فسألت: أی الناس أحب إلی رسول الله؟!

قالت: فاطمه.

فقیل: من الرجال؟

قالت: زوجها، إن کان ما علمت صوَّاماً قوَّاماً (۱) .

و کیف کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) یقدِّم الغیر علی علی فی الالتفات إلیه؟! و هو أول رجل اختاره الله بعده من أهل الأرض لما اطَّلع علیهم، کما أخبر به (صلی الله علیه و آله و سلم) لفاطمه بقوله: إن الله اطلع علی أهل الأرض فاختار منه أباک فبعثه نبیاً، ثم اطلع الثانیه فاختار بعلک فأوحی إلیَّ فأنکحته و اتخذته وصیاً (۲) .

و بقوله (صلی الله علیه و آله و سلم): إن الله اختار من أهل الأرض رجلین أحدهما أبوک و الآخر زوجکِ (۳) .

إلی آخر ما ذکره شیخنا الأمینی «علیه الرحمه» فی سرد الأحادیث الصحیحه فی تزییف أباطیل ذلک الکتاب التائه.

هذا، و التهجُّمات القاسیه ضدَّ آل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) کثیره جداً و سنشیر أیضاً إلی بعضها فی المستقبل بمناسبه المقام إن شاءالله.

و قبل الخوض فی صمیم البحث لا بأس بذکر مقدمه کمدخل فی الموضوع.

۱- ۴۳. جامع الترمذی ص ۲۲۷ و جمع آخر.

۲- ۴۴. الطبرانی، کنزالعمال ۶ ص ۱۵۳، مجمع الزوائد ۹ ص ۱۶۵.

۳- ۴۵. مواقف الایجی ص ۸.

و حيث أن التحدث فى هذا الكتاب إنما هو عن شخصيه فوق المستويات التى عرفها البشر فلابدَّ من تمهيد أمور لعلها تعتبر من «الماورائيات» فالشخصيه المترجمه عبقريه ماورائيه، و سيتَّضح لك صدق هذا القول و صحه هذا الكلام.

ص: ۲۴

قانون الوراثه

من الأمور الثابته قـديماً و حـديثاً أنّ صـفات الأبوين تنتقل إلى الطفل و ترتكز فيه منـذ تكوُّنه فى صـلب أبيه إلى انتقاله إلى بطن أمه، و نشوّه و نُموِّه، و بعد الولاده و النموّ تظهر الصفات تدريجياً. بل و حتى الرضاع له تأثير عجيب فى صفات الطفل المرتضع و فى الحـديث عن الإمـام أميرالمؤمنين (عليه السـلام): «لا تسترضـعوا الحمقاء فإن الرضاع يعـدى» و قـد كتب الكثيرون حول هـذا القانون تفاصيل كثيره.

على ضوء هـذا القانون ينبغى أن أذكر شـيئاً من ترجمه حياه والـدىّ السـيده فاطمه الزهراء (عليهاالسـلام) كى نسـتنتج منها بعض جوانب العظمه التى أحـاطت بالسـيده فـاطمه من ناحيه الوراثه و لكن البحث سـيطول، و ينتقل الكتاب عن موضوعه إلى موضوع آخر، إلاَّ أننا نلخّص الكلام فى هذه الجُمل الموجزه فنقول:

سيد الأنبياء و المرسـلين محمد بن عبدالله (صـلى الله عليه و آله و سـلم) أطهر كائن و أشـرف مخلوق، و أفضل موجود فى العالم كله، لأجله خلق الله الكائنات، و لا يوجـد فى الكون شـرف أو فضـيله أو مكرمه إلاَّ و أوفى نصـيبٍ ممكنٍ منها متوفر فى الرسول العظيم.

هـذه عصـاره الخلاـصه ممـا يمكن أن يقـال فى حق الرسول، و ليس فى هـذا التعبير شـى ء من الغلو و المبـالغه، بـل هو كقولنـا: الشمس مشرقه، و العسل حلو.

هذا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، و قد انحدرت الزهراء

من صلبه.

و أما السیده خدیجه، فکانت امرأه بیضاء، طویله حسناء، شریفه فی قومها، عاقله فی أمورها، لها نصیب وافر من الذکاء، و بصیره فی الأمور، تعتمد علی نفسها و شخصها، تدیر عجله التجاره بفکرها الوقّاد، و تعرف مبادئ الاقتصاد و التصدیر و الاستیراد.

هذا بصفتها إنسان أو بصفتها امرأه.

و أمّا بصفتها زوجه فقد بذلت تلک الآلاف المؤلفه من أموالها لزوجها الرسول یتصرّف فیها حسب رأیه، و کان لأموال خدیجه کل التأثیر فی تقویه الإسلام یومذاک إذ کان الدین الإسلامی فی دور التکوین، و کان بأمس الحاجه إلی المال،فقیّض الله للإسلام أموال خدیجه، و بالفعل تحقق الهدف.

فقال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): «ما نفعنی مالٌ قط مثل ما نفعنی مال خدیجه».

و کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) یفک من مالها الغارم و العانی، و یحمل الکَلَّ، و یعطی فی النائبه و یرفد فقراء أصحابه إذ کان بمکه، و یحمل من أراد منهم الهجره، و کان ینفق منه ما شاء فی حیاتها، ثم ورثها هو و ولُدها بعد مماتهاِ (1) .

و بهذا یتضح کلام الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم): «ما قام و لا استقام الدین إلاّ بسیف علی و مال خدیجه».

و کانت معاشرتها للرسول فی حیاتها الزوجیه تستحق کل تقدیر

۱- ۴۶. الامالی للطوسی ج ۲ ص ۸۲.

و تعظیم، و لهذا کان الرسول إذا ذکرها أو ذُکرت عنده بعد وفاتها ترحَّم علیها، و انکسر قلبه علیها و ربما جرت عبرته علی خده حزناً علیها.

و ذات یوم ذکر رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) خدیجه فقالت عائشه: عجوز کذا و کذا قد أبدلک الله خیراً منها!!

فقال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): ما أبدلنی منها، لقد آمنت بی حین کفر بی الناس، و صدَّقتنی حین کذّبنی الناس، و أشرکتنی فی مالها حین حرمنی الناس، و رزقنی الله ولدها، و حرمنی ولد غیرهِا (۱) .

۱– ۴۷. الاستیعاب.

زواج الرسول الأعظم

تزوّج الرسول العظيم (صلى الله عليه و آله و سلم) بالسيده خديجه الكبرى و هو ابن خمس و عشرين سنه، و هى بنت أربعين سنه، و قيل: سته و عشرين سنهِ (۱) .

و قيل: ثمانيه و عشرين سنهِ (۲) .

و يقال إنها كانت قد تزوّجت قبل الرسول بزوجين متعاقبين، و قيل: بل كانت عذراء يوم تزوجها الرسولِ و لكنه غير مشهور.

لم يكن زواج الرسول بالسيده خديجه يشبه الزواج المتعارف بين الناس بل يعتبر هو الزواج الوحيد من نوعه، إذ لم يكن ذلك القرآن الميمون نتيجه حُبٍ و غرام، بل لم يكن هناك دافع مادِّى أو ما يشبهه من الأغراض التى كثيراً تحدث فى زواج العظماء من جوانب السياسه.

بل لم يكن هناك تناسب بين الرسول و بين السيده خديجه من حيث الحياه الاقتصاديه، فالرسول العظيم كان يعيش تحت كفاله عمِّه الفقير أبى طالب.

و السيده خديجه هى أثرى و أغنى امرأه فى مكه، فهناك بون شاسع فى مستوى المعيشه بين هذا و تلك.

۱- ۴۸. جنات الخلود.

۲- ۴۹. البحار ج ۱۶.

و لكن السيده خديجه كانت قد علمت أو سمعت أن للرسول مستقبلاً متلألئً واسع النطاق، و لعلَّ غلامها (ميسره) هو الذى حدَّثها بما جرى للرسول فى أثناء رحلته إلى الشام قصد التجاره بأموال خديجه، أو بلغها كلام راهب دير بُصرى قرب الشام فى حق الرسول.

فهنا اقترحت السيده خديجه قضيه الزواج، و فاتحت الرسول، و طلبت منه أن يطلب يدها من والدها خويلد أو عمَّها «على قولٍ».

لكن الرسول كان يفضِّل أن يتزوَّج بامرأه فقيره تنسجم حياتها مع حياه، و اعتذر من خديجه، و امتنع من تلبيه طلبها لهذا السبب.

لكن السيده خديجه العاقله اللبيبه الفاضله أجابته بأنها تهب نفسها للنبى، فهل يصعب عليها أن تبذل أموالها له، و تجعلها تحت تصرُّف الرسول؟

و طلبت من الرسول أن يرسل أعمامه إلى أبيها خويلد ليخطبوها.

هنا.. فوجئ أعمام الرسول بهذا النبأ الوحيد من نوعه، و استولت الدهشه على عمات الرسول حينما سمعن منه الخبر.

إنّه لعجيب!!

سيده تملك الآلاف من الأموال، و يعيش العشرات و المئات من العملاء و الأجراء من بركات أموالها و تجارتها القائمه صيفاً و شتاءً، بين اليمن و مكه و بين مكه و الشام.

سيده خطبها الأمراء و الأشراف فرفضتهم.

هكذا سيده كيف تقدم نفسها هبهً لشاب فقير يعيش تحت كفاله عمِّه الفقير أبى طالب؟

فیا تری هل صدقت خدیجه فی تقدیم نفسها للرسول؟

و هل لهذا الخبر نصیب من الحقیقه؟

قامت صفیه بنت عبدالمطلب «عمه النبی» و توجهت إلی دار خدیجه للتحقیق عن الخبر، و إذا بها تجد الترحیب و الاستعداد بجمیع معنی الکلمه.

ص: ۳۰

السیده خدیجه علی أبواب السعاده

رجعت صـفیه إلی أخوتها «أعمام النبی» و أخبرتهم بصدق الخبر، و اسـتولت الفرحه علی أعمام النبی، فرحه ممزوجه بالتعجب و الدهشه و الذهول.

فـإن خـدیجه خطبهـا الأمراء و أشـراف العرب فرفضت و لم توافق، إذ إنها لم ترهم لها أکفاءً، فما الـذی دعاها إلی انتخاب هـذا الزوج الفقیر الذی لا یملک من حطام الدنیا تبراً، و لا من الأرض البسیطه شبراً؟

یا للعجب العجاب!!

قام أعمام النبی و قصدوا دار خدیجه، و خطبوها من أبیها خویلد أو عمِّها، فامتنع ثم وافق بعد ذلک.

ثم لابـدَّ من تقـدیم مبلغ من المال صـداقاً یلیق بمقام خـدیجه، فکیف یمکن تحصـیل هـذا المال؟ و من أین؟ و من الـذی یتبرع بالصداق؟

و إذا بالسیده خدیجه تباغتهم مره أخری، و تدفع إلی الرسول أربعه آلاف دینار هدیه، و تطلب منه أن یجعل ذلک المبلغ صداقاً لها و یقدِّمه إلی أبیها خویلد. و فی روایه: أن أباطالب هو الذی دفع الصداق من ماله.

إن کانت السیده خدیجه تؤمن بالقیَم، و تضحَّی بالماده فی سبیل تحصیل الشرف فإن أباها خویلد لم یکن یحمل هذه الفکره، و کثیراً ما تجد التفاوت الکثیر بین ثقافه الأب و ابنه أو ابنته.

ص: ۳۱

و هذا الاختلاف فی التفکیر موجود بین طبقات الناس، و حتی بین الأخ و أخیه، و الرجل و زوجته، و الأب و ما ولد.

کانت هـذه المبادره نادره عجیبه جـداً، فلم یعهد أحد فی العرب أن المرأه تقدِّم الصداق لزوجها، فلا عجب إذا هاج الحسد بأبی جهل و قال: «یا قوم رأینا الرجال یمهرون النساء، و ما رأینا النساء یمهرون الرجال».

فیجیبه أبوطالب مغضباً: «ما لک؟ یا لکع الرجال! مثل مُحمد یُحمل إلیه و یُعطی، و مثلک یُهدی و لا یُقبل منه»

أو قـال: «إذا کـانوا مثـل ابن أخی هـذا، طلبت الرجـال بـأغلی الأثمـان و أعظم المهر، و إذا کـانوا أمثـالکم لم یزوَّجوا إلاَّـ بالمهر الغالی».

و تمَّ الزواج المبارک المیمون علی أحسن ما یرام، و انتقل الرسول إلی دار السـیده خدیجه، فکانت خدیجه تشـعر أنها فی أسعد أیام حیاتها إذ أنها و صلت إلی أغلی أمانیها و أحلی أحلامها.

و أنجبت السـیده خـدیجه أولاـداً مـاتوا کلهم فی أیـام الصـغر، و أنجبت بنـات أربع: زینب و أم کلثوم و رقیه و فاطمه الزهراء، و کانت فاطمه أصغرهنَّ سناً و أجلَّهنَّ شأْناً و أعظمهنَّ قدراً.

و هناک اختلاف بین المؤرخین و المحدّثین حول البنتین الأولیین، فقیل: إنهما لیسـتا من بنات النبی، و الصحیح أنهما من بناته و صلبه، و سیأتی الکلام حول ذلک فی المستقبل بالمناسبه بإذن اللهِ (1) .

۱- ۵۰. اقتطفنا تفاصیل زواج السیده خدیجه من بحارالانوار ج ۱۶.

کلمه خاطفه حول الماورائیات

اشاره

هـذه هی السـیده خـدیجه الکبری، و هـذا بعض مناقبهـا و فضائلهـا التی تعتبر کل فضـیله منها مثالاً رائعاً للإنسان الکامل، و هـذه السـیده هی التی أنجبت السـیده فاطمه الزهراء، و أرضـعتها اللبن الممزوج بالمواهب و الفضائل. و فاطمه الزهراء سلیله أبوین هذا بعض مـا یتعلق بحیاتهمـا و محاسـنهما، و هـذه نظره خـاطفه أو صوره مصـغّره یمکن لنـا أن ننظر منهـا إلی عبقریه سـیدتنا فاطمه الزهراء و بذلک تظهر لنا زاویه من حیاتها علی ضوء الوراثه.

و هنـاک حقـائق ثـابته لاـ یمکن إنکارها، و قـد صـرحت بـذلک أحادیث شـریفه کثیره متواتره عن الرسول الاقـدس و اهل بیته الطاهرین (علیهم السـلام) لم یکتشفها العلم الحدیث و لم تصل الیها الا کتشافات الحدیثه بالرغم من وصولها الی الذره فمافوقها و الی الکواکب فمادونها.

تلـک الحقـائق لامجـال للالاـت و المجـاهران تعزوهـا و تحیـط بهـا علمـا، و لا طریق لعـدسات التصویر ان تلتقطها و لو بالاشـعه البنفسجیه و ما فوق البنفسجیه.

و تقشل دون ادراکها مقاییس الطبیعه و المنطق، فالحقیقه فوق ادراک الماده و الموازین المنطقیه، فلا تـدرک بالحواس الخمس (الباصره، السامعه، شئت ان تسمیهاب (الماورائیات) فلک ذلک.

ص: ۳۳

و قبـل عرض تلـك الحقائق لابـدّ من تمهيـد مقـدمه موجزه فنقول: إن النطفه التى تنعقـد- فى الرحم و يتكوّن منها الجنين- انما تتكوّن من الدم، و الدم يسـتخلص من الطعام بعد إنهاء عمليات الهضم و النضج و الطبخ فى المختبرات التى يحتويها الجسم، فلا شك أن النطفه المتكونه من الدم المسـتخلص من لحم الخنزير أو الخمر «مثلًا» تختلف عن النطفه المتكونه من الدم المستخلص من لحم الغنم أو ما أشـبه ذلك، لأن نوعيه هذا اللحم تختلف اختلافاً كبيراً عن نوعيه ذاك، فكذلك تختلف منتجات كل واحد منهما.

و للطعـام تـأثير خـاص فى روح الإنسـان و نفسه، فهنـاك أطعمه مفرِّحه للقلب، مهـدئه للأعصـاب، تخفف عن توترهـا، و هناك أطعمه مفعولها عكس ذلك.

و للطعام الحلال و الطاهر تأثير فى نفس الإنسان و روحه، بعكس الطعام النجس كالخمر أو الحرام كالمسروق و المغصوب.

و نفس التأثير يظهر فى النطفه التى تنعقد من الطعام الحلال أو الحرام، أو الطاهر أو النجس، و لو أردنا استعراض الشواهد و إقامه الأدله و البراهين على ذلك لطال بنا الكلام و خرج الكتاب عن أسلوبه و موضوعه المقصود.

و على هذا الغرار فللطعام الذى يأكله الأبوان كل التأثير فى توجيه الطفل و تسـييره نحو الخير و الشـر، إذ من ذلك الطعام تتكون النطفه، ثم تنتقل من صلب رجل إلى رحم زوجته، و تلتصق بجدار الرحم، و تنمو و تكبر حتى تكمل جنيناً تاماً.

فالطعـام من حيث النوعيه و من حيث الحكم الشـرعى كالحلال و الحرام، و الطـاهر له تأثير عجيب مـدهش فى مصـير الطفل، و كيفيه تفكيره فى الأمور و اختيار لحياه الدينيه، و توجيهه نحو الاعتدال

و الاستقامه أو الانحراف و الانجراف.

و كـذلك الحاله النفسـيه الموجوده عنـد الزوجين عند العمليه الجنسـيه لها كل التأثير فى مقدّرات الطفل و حالاته و نفسـياته فى المستقبل.

فالخوف و القلق لهما أسوأ الأثر فى مستقبل الطفل المسكين، و بالعكس الطمأنينه و الهدوء النفسى له أحسن الأثر فى الطفل.

كذلك الرغبه الملحه و الشوق الشديد يؤثر فى جمال الطفل و حسـنه و ذكائه، بينما عدم الرغبه و ضـعف الشـهوه بسبب خلاف ذلك.

و انطلاقـاً من هـاتين النقطتين: نقطه تـأثير الطعـام و نقطه تأثير الحاله النفسـيه ننتقل بالقرّاء إلى طائفه من الأحـاديث المتواتره، فقد ذكر شيخنا المجلسى (قدّس سره) فى الجزء السادس عشر من البحار هذا الحديث الشريف:

اعتزال النبى عن خديجه

... هبط جبرئيل على رسول الله (صـلى الله عليه و آله و سـلم) فناداه يا محمـد! العلى الأعلى يقرأ عليك السـلام، و هو يأمرك أن تعتزل خديجه أربعين صباحاً.

فشقّ ذلك على النبى (صـلى الله عليه و آله و سلم) و كان لها محبّاً و بها وامقاً (محباً) فأقام النبى أربعين يوماً يصوم النهار و يقوم الليـل، حتى إذا كان فى آخر أيامه تلك. بعث إلى خـديجه بعمار بن ياسـر و قال: قل لها: يا خـديجه لا تظنى أن انقطاعى عنك هجره و لا قلى، و لكن ربى أمرنى بذلك لينفّذ أمره، فلا تظنى يا خديجه إلّا خيراً، فإن الله (عز و جل) ليباهى بك كرام ملائكته كل يوم مراراً.

فإذا جنّك الليل فأجيفى (ردّى) الباب، و خذى مضجعك من

فراشک، فإنی فی منزل فاطمه بنت أسد.

فجعلت خدیجه تحزن کل یوم مراراً لفقد رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فلما کان فی کمال الأربعین هبط حبرئیل فقال: یا محمد! العلی الأعلی یقرئک السلام و هو یأمرک أن تتأهب لتحیَّته و تحفته.

طعام الجنه

فقال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): یا جبرئیل و ما تحفه رب العالمین و ما تحیته؟؟

فقال جبرئیل: لا علم لی.

فبینما النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) کذلک إذ هبط میکائیل و معه طبق مغطّی بمندیل سندس أو إستبرق، فوضعه بین یدی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) و أقبل جبرئیل (علیه السلام) و قال: یا محمد یأمرک ربک أن تجعل اللیله إفطارک علی هذا الطعام.

قال علی بن أبی طالب (علیه السلام): کان النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) إذا أراد أن یفطر أمرنی أن أفتح الباب لمن یرد من الأقطار فلما کان فی تلک اللیله أقعدنی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) علی باب المنزل و قال: یا بن أبی طالب إنه طعام محرَّم إلاّ علیَّ.

قال علی (علیه السلام): فجلست علی الباب، و خلی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) بالطعام، و کشف الطبق، فإذا عذق من رطب، و عنقود من عنب، فأکل النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) منه شبعاً و شرب من الماء ریاً، و مدّ یده للغسل، فأفاض الماء علیه حبرئیل، و غسل یده میکائیل و تمندله إسرافیل، و ارتفع فاضل (باقی) الطعام مع الإناء إلی السماء.

ثم قام النبی لیصلی فأقبل علیه جبرئیل و قال: الصلاه محرَّمه علیک

فی وقتک حتی تأتی إلی منزل خدیجه فتواقعها، فإن الله (عز و جل) آلی (حلف) علی نفسه أن یخلق من صلبک هذه اللیله ذریه طیّبه.

فوثب النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) إلی منزل خدیجه؛

قالت خدیجه: و قد کنت قد ألفت الوحده، فکان إذا جنّنی اللیل غطّیت رأسی، و سجفت (أرسلت) ستری و غلّقت بابی، و صلّیت وِ ردی، و أطفأت مصباحی، و آویت إلی فراشی؛ فلما کانت تلک اللیله لم أکن نائمه و لا بالمنتبهه إذ جاء النبی فقرع الباب، فنادیت: من هذا الذی یقرع حلقه لا یقرعها إلا محمد؟

فنادی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) بعذوبه کلامه و حلاوه منطقه: افتحی یا خدیجه فإنی محمد.

قالت خدیجه: فقمت مستبشره بالنبی، و فتحت الباب، و دخل النبی المنزل.

و کان النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) إذا دخل المنزل دعا بالإناء فتطهر للصلاه، ثم یقوم فیصلی رکعتین یوجز فیهما، ثم یأوی إلی فراشه.

فلما کانت تلک اللیله لم یدعُ بالإناء و لم یتأهب للصلاه... بل کان بینی و بینه ما یکون بین المرأه و بعلها، فلا و الذی سمک السماء، و أنبع الماء؛ ما تباعد عنی النبی حتی حسست بثقل فاطمه فی بطنی... الی آخره (۱) .

نستفید من هذا الحدیث أموراً:

۱- إن الله تعالی أمر نبیه أن یعتزل خدیجه، و أن ینقطع عن رؤیتها لفتره حتی یزداد بها شوقاً و رغبه.

۲- اشتغاله بالمزید من العباده للمزید من روحانیه النفس و سمّوها

۱- ۵۱. البحار ج ۱۶/ ۷۸.

و تعاليها بسبب الاتصال بالعالم الأعلى.

۳- إفطاره بالتحفه السماويه الطاهره، السريعه التحول إلى النطفه بسبب لطافتها.

۴- تكوّن النطفه من طعام سماوى لطيف، لا يشبه الأطعمه الماديه.

۵- التوجه إلى دار خديجه فوراً استعداداً لانتقال النطفه مع تلك المقدمات. و قد ذكر هذا الحديث- من علماء العامه- بتغيير يسير كلٌّ من:

۱- الخوارزمى فى مقتل الحسين ص ۶۳- ۶۸.

۲- الذهبى فى الاعتدال ج ۲ ص ۲۶.

۳- تلخيص المستدرک ج ۳ ص ۱۵۶.

۴- العسقلانى فى لسان الميزان ج ۴ ص ۳۶.

ثم هناک أحاديث كثيره بهذا المعنى مع اختلاف يسير فى ألفاظها، و اتفاقها حول النقطه الجوهريه، و هى انعقاد نطفه السيده فاطمه الزهراء من طعام الجنه و نذكر من بعض تلک الأحاديث الجمله المرتبطه بالموضوع رعايةً للاختصار، فنقول:

عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: قال النبى (صلى الله عليه و آله و سلم): لما عُرج بى إلى السماء أخذ بيدى جبرئيل فأدخلنى الجنه فناولنى من رطبها فأكلته، فتحول ذلک نطفه فى صلبى فلما هبطت واقعت خديجه، فحملت بفاطمه، ففاطمه حوراء إنسيَّه، فكلما اشتقت إلى رائحه الجنه شممت رائحه ابنتى فاطمهِ (۱) .

عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن جابر بن عبدالله قال: قيل لرسول

۱- ۵۲. الامالى للصدوق.

الله (صلی الله علیه و آله و سلم): إنک لتلثم فاطمه و تلزمها و تدنیها منک... و تفعل بها ما لا تفعله بأحد من بناتک؟

فقال (صلی الله علیه و آله و سلم): إن جبرئیل أتانی بتفاحه من تفاح الجنه فأکلتها فتحول ماءً فی صلبی ثم واقعت خدیجه فحملت بفاطمه.

و أنا أشم منها رائحه الجنهِ (۱) .

و عن ابن عباس قال: دخلت عائشه علی رسول الله و هو یقبّل فاطمه، فقالت له: أتحبها یا رسول الله؟

قال: أما والله لو علمت حبّی لها لازددت لها حباً، إنه لما عرج بی إلی السماء الرابعه...

إلی أن یقول: فإذا برطب ألین من الزبد، و أطیب من المسک، و أحلی من العسل، فأخذت رطبه فأکلتها فتحولت الرطبه نطفه فی صلبی، فلما أن هبطت إلی الأرض واقعت خدیجه فحملت بفاطمه، ففاطمه حوراء إنسیه، فإذا اشتقتُ إلی الجنه شممتُ رائحه فاطمهِ (۲) .

و قد روی هذا الحدیث بألفاظ مختلفه کلٌّ من:

۱- الخطیب البغدادی فی تاریخه ج ۵ ص ۸۷.

۲- الخوارزمی فی مقتل الحسین ص ۶۳.

۳- الحافظ الذهبی فی مقتل الحسین ص ۶۳.

۴- الزرندی فی (نظم درر السمطین).

۵- العسقلانی فی لسان المیزان ج ۵ ص ۱۶۰.

۶- القندوزی فی ینابیع الموده.

۷- محب الدین الطبری فی ذخائر العقبی ص ۳۴.

۱- ۵۳. علل الشرائع.

۲- ۵۴. البحار ج ۱۶.

و هذه الأحاديث مرويه عن عائشه و ابن عباس و سعيد بن مالک و عمر بن الخطاب. ۸- و روی ذلک الشیخ شُعیب المصری فی (الروض الفـائق) ص ۲۱۴ قـال: «روی بعض الرواه الکرام: أن خـدیجه الکبری (رضـی الله عنهـا) تمنَّت یوماً من الأیام علی سـید الأنام أن تنظر إلی بعض فاکهه دار السلام، فأتی جبرئیل إلی المفضّل علی الکونین من الجنه بتفاحتین و قال: یا محمد یقول لک من جعل لکل شی ء قدراً: کل واحده و أطعم الأخری لخدیجه الکبری، و أغشها، فإنی خالق منکما فاطمه الزهراء. ففعل المختار ما أشار به الأمین و أمر...

إلی أن قال: فکان المختار کلما اشـتاق إلی الجنه و نعیمها قبّل فاطمه و شمَّ طیب نسـیمها، فیقول- حین یسـتنشق نسمتها القدسیه: إن فاطمه حوراء إنسیه».

و هناک روایات متواتره بهذا المضمون، و اکتفینا بما ذکرنا.

بقیت هنا کلمه لا بأس بالإشاره إلیها، و هی أن الأحادیث کما تراها تصـرح بأن السیده خدیجه حملت بفاطمه (علیهاالسلام) بعد المعراج مباشره، و کان المعراج علی ما هو المذکور فی بعض کتب الحدیث فی السنه الثالثه من المبعث، و فی بعضها: فی السنه الثانیه و قیل غیر ذلک.

و سـتأتیک طائفه من الأحادیث من أئمه أهل البیت (علیهم السـلام) تصـرح بولادتها بعد المبعث بخمس سنین، و معنی هذا أنها بقیت فی بطن أمها أکثر من عامین، و هذا غیر صحیح قطعاً، فکیف یمکن الجمع بین القولین؟.

یمکن أن تُحلَّ هذه المشکله بما یلی:

۱- إن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) عُرج به إلی السماء

أكثر من مره كما فی کتاب الکافی (۱) و هذا عندی أحسن الوجوه.

۲- الأخذ بالقول المروی بولادتها فی السنه الثانیه أو الثالثه من المبعث (کما سیأتی) و هذا یتفق مع القول بالمعراج فی تلک السنه نفسها، و خاصه بعد الالتفات إلی اختلاف الأقوال حول الشهر الذی کان فیه المعراج.

الجنین یتکلم مع امه

و من جمله مزایا السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) أنها کانت تکلم أمها خدیجه و هی فی بطنها.

و لم ینفرد علماء الشیعه بذکر هذه الفضیله، بل شارکهم کثیر من علماء العامه و محدثیهم، فقد روی عبدالرحمن الصفوری الشافعی فی (نزهه المجالس) ج ۲ ص ۲۲۷:(قالت أمَّها خدیجه (رضی الله عنها): لما حملتُ بفاطمه کانت حملاً خفیفاً، تکلِّمنی من باطنی.

و روی الدهلوی فی (تجهیز الجیش) عن کتاب (مدح الخلفاء الراشدین): «أنه لما حملت خدیجه بفاطمه کانت تکلمها ما فی بطنها، و کانت تکتمها عن النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فدخل علیها یوماً وجدها تتکلم و لیس معها غیرها، فسألها عمن کانت تخاطبه فقالت: ما فی بطنی، فإنه یتکلم معی.

فقال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): أبشری یا خدیجه، هذه بنت جعلها الله أم أحد عشر من خلفائی یخرجون بعدی و بعد أبیهم».

و ذکر شعیب بن سعد المصری فی «الروض الفائق ص ۲۱۴: فلما سأله الکفار أن یریهم انشقاق القمر، و قد بان لخدیجه حملها بفاطمه

۱- ۵۵. الکافی ج ۱/ ۴۴۲ باب مولد النبی حدیث ۱۳.

و ظهر، قالت خديجه: وا خيبه من كذَّب محمداً و هو خير رسول ربى.

فنادت فاطمه- من بطنها: يا أماه لا تحزنى و لا ترهبى، فإن الله مع أبى. فلما تم حملها و انقضى، وضعت فاطمه فأشرق بنور وجهها الفضاء.

و قد مرّ عليك فى (المقدمه) الحديث المروى عن السيده خديجه حول تكلُّم السيده فاطمه الزهراء و هى فى بطن أمَّها.

من العجب: الاختلاف الواضح فی تاریخ ولادتها، و أنها هل کانت قبل المبعث أو بعده؟ فإنک تجد طائفه کبیره من الأحادیث تصرِّح بولادتها بعد المبعث بخمس سنین أو ثلاث سنین، و تجد کمیه من الأقوال التی تلحّ و ترکز علی میلادها قبل المبعث بخمس سنین، و تجد القول الأول للشیعه مرویاً عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام) و یوافقهم بعض علماء العامه.

و القول الثانی خاص بعلماء العامه و محدّثیهم.

و إلیک بعض تلک الأحادیث حول میلادها بعد المبعث:

۱- الکافی (للکلینی): ولدت بعد النبوه بخمس سنین و بعد الإسراء بثلاث سنین، و قبض النبی و لفاطمه یومئذٍ- ثمانی عشره سنه!... الی آخره.

۲- المناقب (لابن آشوب): ولدت فاطمه بعد النبوه بخمس سنین، و بعد الإسراء بثلاث سنین فی العشرین من جمادی الآخره، و أقامت مع أبیها بمکه ثمانی سنین ثم هاجرت... الی آخره.

۳- و فی (الکافی) عن الإمام الباقر (علیه السلام): ولدت فاطمه بنت محمد بعد مبعث رسول الله بخمس سنین، و توفیت و لها ثمانی عشره سنه و خمسه و سبعون یوماً.

۴- روضه الواعظین: ولدت فاطمه بعد مبعث النبی بخمس سنین... الی آخره.

۵- إقبال الأعمال: قال الشيخ المفيد فی کتاب (حدائق الرياض): يوم العشرين من جمادی الآخره کان مولد السيده فاطمه الزهراء سنه اثنتين من المبعث.

۶- مصباح الکفعمی: ولدت فی العشرين من جمادی الآخره يوم الجمعه سنه اثنتين من المبعث، و قيل سنه خمسٍ من المبعث.

۷- مصباح الکفعمی و الطوسی: فی اليوم العشرين من جمادی الآخره يوم الجمعه سنه اثنتين من المبعث کان مولد فاطمه (عليهاالسلام) فی بعض الروايات، و فی روايه أخری: سنه خمس من المبعث، و العامه تروی أن مولدها قبل المبعث بخمس سنين.

۸- دلائل الإمامه عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: ولدت فاطمه فی جمادی الآخره العشرين منها سنه خمس و أربعين من مولد النبی... إلی آخره (۱).

هذه نبذه من أقوال أئمه أهل البيت (عليهم السلام) و قدماء علماء الشيعه (رحمهم الله) حول ولاده السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) بعد المبعث.

و أما أقوال علماء العامه:

۱- معرفه الصحابی لأبی نعيم: إن فاطمه کانت أصغر بنات رسول الله سنًّا، ولدت و قريش تبنی الکعبه.

۲- مقاتل الطالبيين لأبی الفرج: کان مولد فاطمه قبل النبوه و قريش حينئذ تبنی الکعبه.

۳- ابن الأثير فی (المختار من مناقب الأخيار).

۱- ۵۶. التقطنا هذه الاحاديث من بحارالانوار ج ۴۳.

۴- الطبری فی (ذخائر العقبی).

۵- السیوطی فی (الثغور الباسمه).

هذا و لعل الباحث یجد هذا القول فی أکثر کتب العامه حول مولد الزهراء.

و قد مرت علیک طائفه من الأحادیث المرویه عن کتب العامه حول انعقاد نطفتها من طعام الجنه.

بعد الإطلاع علی هذه الأحادیث و لو بصوره موجزه یتضح لنا أنَّ ولاده السیده الزهراء کانت قبل المبعث، إذ لم یکن قبل المبعث معراج و لا هبوط جبرئیل و لا میکائیل علی النبی بالوحی، و بهذا ینکشف لنا تزویر الأقوال المصرحه بولادتها قبل المبعث بخمس سنین و أن القائلین بذلک لهم غایه تدفعهم، و هدف یدعوهم إلی اختلاق هذا القول، و هو نسف الأحادیث الوارده عن نزول الطعام من السماء و انعقاد نطفه السیده فاطمه من أطعمه الجنه و ثمارها.

و هدف آخر: و هو أنَّهم یحاولون أن یثبتوا أن فاطمه الزهراء کان مزهوداً فیها، و لا یرغب فیها أحد، و لهذا بلغت من العمر ثمانیه عشر سنه (علی زعمهم) و لم یخطبها أحد فی خلال تلک الفتره.

و سیأتی مزید من القول حول هذا الموضوع فی المستقبل فی فصل البحث عن زواجها.وعلی کلٍّ.. فقد روی الطبری فی (ذخائر العقبی) و الصفوری الشافعی فی (نزهه المجالس) و القندوزی فی (ینابیع الموده) عن خدیجه (علیهاالسلام) قالت:... فلما قربت ولادتی أرسلت إلی القوابل من قریش فأبین علیَّ لأجل محمد (صلی الله علیه و آله و سلم).

فبینما أنا کذلک إذ دخل علیَّ أربع نسوه، علیهن من الجمال و النور

مـا لا یوصف، فقالت إحـداهن: أنا أَمکِ حواء. و قالت الأخری: أنا آسـیه. و قالت الأخری: أنا أَم کلثوم (کلثم) أَخت موسـی، و قالت الأُخری: أنا مریم، جئنا لنلی أمرک.

و قد ورودت هذه الروایه بصوره أُخری:

... فلمـا أرادت خـدیجه أن تضع بعثت إلی نساء قریش لیأْتینها فیلین منها ما تلی النساء ممن تلـد، فلم یفعلن، و قلن لا نأْتیک، قد صرت زوجه محمد (صلی الله علیه و آله و سلم).

فبینما هی کذلک إذ دخل علیها أربع نسوه، علیهن من الجمال و النور ما لا یوصف، فقالت لها إحداهن: أنا أُمُّکِ حواء، و قالت الأُخری: أنا آسیه بنت مزاحم، و قالت الأُخری: أنا کلثم أُخت موسی و قالت الأُخری: أنا مریم بنت عمران (أُم عیسی). جئنا لنلی من أمرک ما یلی النساء.

قال: فولدت فاطمه.

فوقعت- حین وقعت- علی الأرض ساجده رافعه إصبعها.

و روی عن المفضل بن عمرقال: قلت لابی عبدالله الصادق (علیه السلام): کیف کانت ولاده فاطمه؟

فقـال نعم.... فلما حملت [خـدیجه] بفاطمه، کانت فاطمه تحـدثها من بطنها و تصبرها، و کانت تکتم ذلک من رسول الله (صـلی الله علیه و آله و سلم) فدخل رسول الله یوما فسمع خدیجه تحدث فاطمه فقال لها: یاخدیجه من تحدثین؟

قالت: الجنین الذی فی بطنی یحدثنی و یونسنی.

قال: یا خدیجه هذا جبرئیل یخبرنی انهاانثی، و انها النسله الطاهره المیمونه،و ان الله تبارک و تعالی سیجعل نسلی منها، و سیجعل من نسلها ائمه و یجعلهم خلفاءه فی ارضه، بعد انقضاء وحیه.

... ثم اشار (علیه السلام) الی نزول النسوه الاربع علی خدیجه لمساعدتها علی امر الولاده...

ثم قال (علیه السلام): فوضعت [خدیجه] فاطمه مطهره، فلما سقطت الی الارض، اشرق منها النور حتی دخل بیوتات مکه....

و دخل عشر من الحورالعین، کل واحده منهن معهاطست من الجنه و ابریق من الجنه،و فی الابریق ماء من الکوثر، و اخرجت خرقتین بیضاوین- اشد بیاضا من اللبن، و اطیب ریحامن المسک و العنبر- فلفتها بواحده و قنعتها بالثانیه.

ثم استنطقتها، فنطقت فاطمه بالشهادتین و قالت: اشهد لا الله الا الله، و ان ابی رسول الله سید الانبیاء، و ان بعلی سید الاوصیاء، و ولدی ساده الاسباط.

ثم سملت [فاطمه] علیهن، و سمت کل واحده منهن باسمها، و اقبلن یضحکن الیها، و تباشرت الحورالعین، و بشراهل السماء بعضهم بعضا بولاده فاطمه.

و حدث فی السماء نور زاهر، لم تره الملائکه قبل ذلک.

و قالت النسوه: خذیها یا خدیجه طاهره مطهره زکیه میمونه، بورک فیها و فی نسلها.

فتناولتها فرحه مستبشره، و القمتها ثدیها فدر علیها (۱) .

و روی ابن عساکر فی التاریخ الکبیر: و کانت خدیجه اذا ولدت ولدا، دفعته لمن یرضعه، فلما ولدت فاطمه لم ترضعها احد غیرها.

و رواه ابن کثیر فی البدایه و النهایه.

۱- ۵۷. بحارالانوار ج ۴۳ ص ۲.

التسمیه

تعتبر تسمیه الطفل المولود أو التسمیه (بصوره عامه) من سنن الله تعالی الأولی و قد سمَّی الله تعالی آدم و حوَّاء یوم خلقهما، و علَّم آدم الأسماء کلها،و قد سار الناس علی هذه السنه أو السیره. فالتسمیه لا بدَّ منها عند البشر المتحضّر، و لعل البشر المتوحش فی الغابات بسبب ابتعادهم عن الحضاره- لا یعرفون التسمیه و لا یسمُّون.

و تختلف أسماء البشر علی مرِّ الأجیال و العصور، و علی اختلاف لغاتها فقد توجد هناک مناسبه بین الاسم و المسمَّی، و قد لا توجد، و قد یکون للإسلام معنی فی قاموس اللغه و قد لا یکون له معنی، بل هو اسم مخترع لا من ماده لغویه.

أما أولیاء الله فإنَّ التسمیه تعتبر عندهم ذات أهمیه کبری، و لا یخلو الأمر عن الحقیقه، أنَّ الإنسان ینادی و یدعی باسمه، فکم هناک فرق بین الاسم الحسن الجیِّد، و بین القبیح السیئ؟!

و کم فرق بین تأثیر نفس صاحب الاسم بهذا و ذاک و هکذا تأثر السامع للاسم؟ فهذه امرأه عمران ولدت بنتاً فقالت: «و إنی سمیتها مریم».

و اختار الله لنبیه یحیی (علیه السلام) هذا الاسم قبل أن تنعقد نطفته فی رحم أُمِّه، لأنَّ زکریا سأل ربه قال: «فَهَبْ لِی مِنْ لَدُنْکَ وَلِیّاً یَرِثُنِی وَ یَرِثُ مِنْ آلِ یَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِیّاً «یَا زَکَرِیَّا إِنَّا نُبَشِّرُکَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ یَحْیَی لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِیّاً» (۱) .

۱- ۵۸. مریم: ۷.

و أنت إذا أمعنت النظر فی قوله تعالی: «لم نجعل له من قبل سمیاً» یتضح لک أنَّ تعیین أسماء أولیاء الله یکون من عنده (عز و جل)، و أنَّ الله یتولی تسمیتهم و لم یکلها إلی الأبویْن.

إذا عرفت هذا فهلمَّ معی إلی طائفه کبیره من الأحادیث التی تذکر اسم السیده فاطمه الزهراء و وجه التسمیه، و أنها إنما سمیت بفاطمه لأسباب و مناسبات، و لیست هذه التسمیه ارتجالیه، و لا ولیده إعجاب وا ستحسان فقط، بل روعی فیها مناسبه الاسم مع المسمی، بل صدق الاسم علی المسمَّی، و بهذه الأحادیث یتضح ما نقول.

قال الإمام الصادق (علیه السلام): لفاطمه تسعه أسماء عند الله (عز و جل): ١- فاطمه

٢- و الصدِّیقه

٣- و المبارکه

۴- و الطاهره

۵- و الزکیه

۶- و الراضیه

٧- و المرضیه

٨- والمحدَّثه

٩- و الزهراء... (١) .

و الان... الیک شرحا موجز لهذه الاسماء المقدسه:

١- ۵٩. البحار: ج ۴٣/ ١٠.

فاطمه

لقد وردت احادیث متنوعه فی سبب تسمیتها (علیهاالسلام) بفاطمه.

و قبل ان نذکر تلک الاحادیث نقول: ان اسم فاطمه مشتق من الفطم و هو بمعنی القطع، یقال: فطمت الام طفلها، و فطمت الحبل.

قال العلامه المجلسی (رحمه الله تعالی)- مامعناه-:... کثیرا ما یجی ء اسم الفاعل بمعنی اسم مفعول، کقولهم: سر کاتم، ای: مکتوم، و مکان عامر، ای: معمور، و کما قالو تعالی: «فی عیشه راضیه» ای مرضیه.

و الان الیک بعض تلک الاحادیث:

۱- لانها فطمت شیعتها من النار.

روی عن الامام الصادق عن آبائه (علیهم السلام) عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) ان جبرئیل قال له:... سمیت فاطمه، فی الارض، [لانها] فطمت شیعتها من النار (۱) .

۲- لأن الله فُطمت هی و شیعتها من النار.

روی عن الإمام الرضا (علیه السلام) عن آبائه (علیهم السلام) عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): انه قال: یا فاطمه اتدرین لم سُمِّیتِ فاطمه؟

قال علی (علیه السلام): لم سُمیت؟

ص: ۵۰

۱- ۶۰. بحارالانوار ج ۴۳/ ۱۸.

قال: لأنَّها فُطمت هی و شیعتها من النار (۱) .

و عنه (صلی الله علیه و آله و سلم) انه قال: سمیت فاطمه، لان الله فطمها و ذریتها من النار، من لقی الله منهم بالتوحید و الایمان بما جئت به (۲) .

و روی ابن عباس عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) انه قال:... و انما سماها فاطمه، لان الله فطمها و ذریتها و محبیها من النار (۳) .

و روی ابن عباس عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) انه قال:... و انما سماها فاطمه، لان الله فطمها و ذریتها و محبیها عن النار (۴) .

و روی عن الإمام الباقر (علیه السلام) انه قال: لفاطمه وقفه علی باب جهنم.... فتقول: الهی و سیدی، سمیتنی فاطمه، و فطمت بک من احبک و تولاک، و احب ذریتک و تولاهم من النار، و وعدی الحق و انا لا اخلف المیعاد..... الی آخر الخبر (۵) .

۱- ۶۱. بحارالانوار ج ۴۳/ ۱۴، و ذکره محب الدین الطبری فی ذخائرالعقبی ص ۲۶ طبعه القاهره، و القندوزی الحنفی فی ینابیع الموده ص ۱۹۴ و الصفوری و الشافعی فی نزهه المجالس، و روی قریبا منه الخرکوشی فی کتاب (شرف النبی) و ابن بطه فی کتاب الابانه و غیرهم.

۲- ۶۲. بحارالانوار ج ۴۳.

۳- ۶۳. تاریخ بغداد للخطیب البغدادی ج ۱۳ ص ۳۳۱ طبعه القاهره/ ذخائر العقبی للطبری ص ۲۶ طبعه القاهره/ کنزالعمال للمتقی الهندی ج ۱۳ ص ۹۴ طبعه حیدرآباد دکن/ فیض القدیر للمناوی الشافعی ج ۱ ص ۲۰۶ طبعه القاهره/ غیرها.

۴- ۶۴. ینابیع الموده للقندوزی ص ۳۹۷ طبعه اسلامبول/ نور الابصار للشبلنجی ص ۴۱ طبعه مصر.

۵- ۶۵. بحارالانوار ج ۴۳ ص ۱۵.

۳- لانها فطمت من الشر.

روی عن الامام الصادق (علیه السلام) انه قال: تدری ای شی ء تفسیر فاطمه؟

قلت: أخبرنی یا سیدی؟

قال: فُطمت من الشر.

ثم قال: لولا أن أمیرالمؤمنین تزوَّجها لما کان لها کف ء إلی یوم القیامه علی وجه الأرض، آدم فمن دونه (۱) .

و قد روی هذا الحدیث من علماء العامه منهم: ابن شیرویه الدیلمی عن أُم سلمه قالت: قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): «لو لم یخلق الله علیاً لما کان لفاطمه کفو».

و رواه الخوارزمی فی مقتل الحسین (علیه السلام) ص ۶۵، و الترمذی فی المناقب، و المناوی فی کنوز الحقائق، و القندوزی الحنفی فی ینابیع الموده عن أُم سلمه و عن العباس عم رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

۴- لان الخلق فطمو عن معرفتها.

روی عن الامام الصادق (علیه السلام) انه قال:... و انما سمیت فاطمه لان الخلق فطموعن معرفتها (۲) .

۵- لان الله فطما بالعلم.

روی عن الامام الباقر (علیه السلام) انه قال: لما ولدت فاطمه (علیهاالسلام) اوحی الله (عز و جل) الی ملک، فانطلق به لسان محمد (صلی الله علیه و آله و سلم) فسماها فاطمه.

۱- ۶۶. بحارالانوار ج ۴۳ ص ۱۶.

۲- ۶۷. بحارالانوار ج ۴۳ ص ۶۵.

ثم قال [تعالی]: انی فطمتک بالعلم، عن الطمث.

ثم قال ابوجعفر (علیه السلام): و الله لقد فطمها الله تبارک و تعالی بالعلم، و عن الطمث بالمیثاق. (۱) .

و کان هذا الاسم محبوباً عند أهل البیت (علیهم السلام) یحترمونه و یحترمون من سُمِّیت به.

فقد سال الإمام الصادق (علیه السلام) أحد أصحابه– و قد رزقه الله بنتاً– بِم سمَّیتها؟

قال الرجل: سمیتها فاطمه.

قال الإمام الصادق: فاطمه؟ سلام الله علی فاطمه، أما إن سمیتها فاطمه فلا تلطمها و لا تشتمها و أکرمها.

و عن السکونی قال: دخلت علی أبی عبدالله– الصادق– (علیه السلام) و أنا مغموم مکروب قال لی: یا سکونی ما غمك؟

فقلت: ولدت لی ابنه....

فقال: ما سمَّیتها؟

قلت: فاطمه.

قال: آه آه آه.

ثم قال: أما إذا سمیتها فاطمه فلا تسبها و لا تلعنها و لا تضربها (۲) .

و فی سفینه البحار عن أبی لحسن (الکاظم) قال: لا یدخل الفقر بیتاً فیه اسم محمد.... و فاطمه من النساء.

إن الحدیث الأول الذی مرّ فی تسمیتها– (علیهاالسلام)– بفاطمه– عن الإمام الباقر (علیه السلام) قد جاء فیه ذیّله الإمام بقوله: «و الله لقد فطمها الله

۱– ۶۸. بحارالانوار ج ۴۳.

۲– ۶۹. وسائل الشیعه ج ۷ باب احکام الاولاد.

تبارک و تعالی بالعلم و عن الطمث بالمیثاق».

إن المقصود من کلمه (المیثاق) هنا هو عالم الذر، ذلک العالم الذی أشار إلیه قوله تعالی: «و إذ أخذ ربک من بنی آدم من ظهورهم ذریتهم و أشهدهم علی أنفسهم ألستُ بربکم قالوا بلیٰ» (۱) .

و ملخص القول: إن الله تعالی أخرج ذریه آدم من صلبه کهیئه الذر، فعرضهم علی آدم و قال: إنی آخذ علی ذریتک میثاقهم أن یعبدونی و لا یشرکوا بی شیئاً و علیَّ أرزاقهم.

ثم قال لهم: ألست بربکم قالوا: بلی شهدنا أنک ربنا.

فقال للملائکه: اشهدوا.

فقالوا: شهدنا.

و قیل: إن الله تعالی جعلهم فهماء عقلاء یسمعون خطابه و یفهمونه ثم ردَّهم إلی صلب آدم، و الناس محبوسون بأجمعهم حتی یخرج کل من أخرجه الله فی ذلک الوقت، و کل من ثبت علی الإسلام فهو علی الفطره الأُولی، و من کفر و جحد فقد تغیَّر عن الفطره الأُولی.

و هذا القول مستخلص من طائفه کبیره من الأحادیث، و الأخبار المعتبره، و هذا العالم یسمَّی عالم الذر و یسمی عالم المیثاق، و الإمام الباقر (علیه السلام) یشیر فی کلامه إلی أن الصدیقه الطاهره فاطمه الزهراء کانت طاهره من العاده الشهریه من ذلک العالم و من ذلک الوقت.

و أما الأحادیث التی تتحدث عن عالم الذر فکثیره جداً، و نکتفی هنا بذکر بعضها:

۱- فی الکافی عن الإمام أبی عبدالله (الصادق) (علیه السلام) قال: سُئل

۱- ۷۰. الاعراف ۱۷۴.

رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): بأی شی ء سبقت ولد آدم؟

قال: إننی أول من أقرَّ بربی، إن الله أخذ میثاق النبیین و أشهدهم علی أنفسهم ألست بربکم قالوا: بلی. فکنت أول من أجاب.

۲- عن أبی بصیر قال: قلت لأبی عبدالله الصادق (علیه السلام): کیف أجابوا و هم ذر؟

قال: جعل فیهم ما إذا سألهم أجابوه.

و زاد العیاشی: یعنی فی المیثاق.

۳- و عن زراره أنه سئل من الإمام الباقر (علیه السلام) عن قول الله عز و جل: «و إذ أخذ ربک من بنی آدم من ظهورهم ذریتهم»؟

قال: من ظَهرِ آدم ذریتّه إلی یوم القیامه فخرجوا کالذر، فعرَّفهم و أراهم صنعه، و لو لا ذلک لم یعرف أحد ربه.

۴- و لما حج عمر بن الخطاب و استلم الحجر قال: أما و الله إنی لأعلم أنک حجر، لا تضر و لا تنفع، و لو لا أن رسول الله استلمک ما استلمتک.

فقال له علی: یا أباحفص لا تفعل فإن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) لم یستلم إلاَّ لأمر قد علمه و لو قرأت القرآن فعلمت من تأْویله ما علم غیرک لعلمت أنه یضر و ینفع، له عینان و شفتان و لسان ذلق یشهد لمن وافاه بالموافاه.

فقال له عمر: فأوجدنی ذلک فی کتاب الله یا أباالحسن.

فقال علی (علیه السلام): قوله تبارک و تعالی: «و إذ أخذ ربک من بنی آدم من ظهورهم ذریتهم و أشهدهم علی أنفسهم ألست بربکم قالوا بلی شهدنا»، فلما أقروا بالطاعه أنه الرب و أنهم العباد أخذ علیهم المیثاق بالحج إلی بیته الحرام، ثم خلق الله رقا أرقَّ من الماء و قال للقلم: أُکتب موافاه خلقی ببیتی الحرام. فکتب القلم موافاه بنی آدم فی الرق ثم قیل للحجر:

افتح فاک. ففتحه فألقم الرق. ثم قال للحجر: احفظه و اشهد لعبادی بالموافاه. فهبط الحجر مطیعاً لله.

یا عمر: أو لیس إذا استلمت الحجر قلت: أمانتی أدَّیتها، و میثاقی تعاهدته لتشهد لی بالموافاه؟

فقال عمر: اللهم نعم.

فقال له علی: من ذاک».

و إنک تجد طائفه کبیره من الأحادیث التی تتضمن البحث عن عالم الذر فی کتاب الکافی للکلینی و البحار للمجلسی و غیرها من موسوعات الأحادیث.

و قد التبس الأمر علی بعض علمائنا. فلم یفهموا الآیه فجعلوا یشککون فی تلک الأحادیث (سامحهم الله) بالرغم من کثرتها بل بالرغم من صریح الآیه.

و خلاصه الکلام أن عالم الذر هو عالم المیثاق، و من ذلک العالم- بل و قبل ذلک کانت الأفضلیه لرسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و أهل بیته الطاهرین، و من جملتهم ابن الطاهره فاطمه الزهراء.

و لا یصعب علیک قبول هذا القول، فإن هناک أحادیث کثیره رواها علماء الفریقین من الشیعه و السنه قد بلغت أو تجاوزت حدَّ التواتر و هی تؤیِّد هذا الموضوع.

أما الأحادیث المذکوره فی کتب الشیعه فیعسر إحصاؤها وعدُّها.

و أما فی کتب العامه: فقد روی الصفوری الشافعی فی (نزهه المجالس) ج ۲ ص ۲۲۳ قال: قال الکسائی و غیره: لما خلق الله آدم... إلی أن قال: و علیه جاریه لها نور و شعاع، و علی رأْسها تاج من الذهب، مرصَّع بالجواهر لم یر آدم أحسن منها. فقال: یا رب من هذه؟

قال: فاطمه بنت محمد (صلی الله علیه و آله و سلم)

فقال: یا رب من یکون بعلها؟

قال: یا جبرئیل افتح له باب قصر من الیاقوت. ففتح له، فرأی فیه قبّهً من الکافور، فیها سریر من ذهب، علیه شاب حسنه کحسن یوسف فقال: هذا بعلها علی بن أبی طالب... الی آخرالحدیث.

و روی العسقلانی فی (لسان المیزان) ج ۳ ص ۳۴۶:

عن الإمام الحسن بن علی العسکری (علیه السلام) عن آبائه (علیهم السلام) عن جابر بن عبدالله عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): لما خلق الله آدم و حوّاء تبخترا فی الجنه و قالا: من أحسن منّا؟ فبینما هما کذلک. إذ هما بصوره جاریه لم یر مثلها، لها نور شعشعانی یکاد یطفئ الأبصار. قالا: یا رب ما هذه؟ قال: صوره فاطمه سیده نساء ولدک.

قال: ما هذا التاج علی رأسها؟

قال: علی بعلها.

قال فما القرطان؟

قال: ابناها، وجد ذلک فی غامض علمی قبل أن أخلقک بألفی عام».

ص: ۵۷

الصديقه

لقد مرَّ عليك أن من جمله أسمائها (عليهاالسلام) الصدِّيقه، بكسر الصاد و الدال المشدّده «صيغه المبالغه» في التصديق أي الكثيره الصدق.

و الصِدِّيق أبلغ من الصدوق.

و قيل: الصدِّيق: من كثر منه الصدق.

و قيل: بل مَن لم يكذب قط.

و قيل: الكامل في الصدق، الذي يصدِّق قوله بالعمل، البار، الدائم التصديق. و قيل: مَن لم يتأت منه الكذب لتعوِّده الصدق.

و قيل: مَن صدق بقوله و اعتقاده، و حقق صدقه بفعله. كذا في تاج العروس.

و قيل: المداوم على التصديق بما يوجبه الحق.

و قيل: الذي عادته الصدق.

و قيل: إنه المصدِّق بكل ما أمر الله به وبأنبيائه، لا يدخله في ذلك شك، و يؤيده قوله تعالى: «و الذين آمنوا بالله و رسله أولئك هم الصدِّيقون» (١) .

هذه تعاريف في معنى الصدِّيق، و لكن المستفاد من الآيات الكثيره و الروايات المتعدده أن مرتبه الصدِّيقين في عداد مراتب الأنبياء و الشهداء،

ص: ۵۸

١- ٧١. سوره الحديد: ١٩.

لهم حساب خاص بهم و درجه مخصوصه بهم. تامل هذه الآيات لیظهر لک ما قلنا:

۱- «و من یطع الله و الرسول فأولئک مع الـذین أنعم الله علیهم من النبیین و الصـدِّیقین و الشـهداء و الصـالحین، و حسن أولئک رفیقاً» (۱) .

۳- «و اذکر فی الکتاب إبراهیم إنه کان صدِّیقاً نبیاً» (۲) .

۳- «و اذکر فی الکتاب إدریس إنه کان صدِّیقاً نبیاً (۳) .

۴- «ما المسیح ابن مریم إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل و أمه صدِّیقه (۴) .

و فی تفسیر قوله تعالی: «و أُمَّه صـدِّیقه» قیل: سُـمیَّت صـدِّیقه لأنها تُصـدِّق بآیات ربها، و منزله ولـدها و تصدِّقه فیما أخبرها به، بدلاله قوله تعالی: «و صدَّقت بکلمات ربها» و قیل: لکثره صدقها، و عظم منزلتها فیما تصدق به من أمرها.

بعد استعراض هذه الآیات و الأقوال یمکن لنا أن نستفید أن التصدیق بالله و بالأنبیاء و الکتب السـماویه و الأحکام الشرعیه تاره یکون باللسـان دون العمـل.ففی الوقت الـذی یصـدّق الإنسـان بـأن الله تعالی یراه مع ذلک یعصـی الله (عز و جل) و یعلم بأن الله تعـالی قـد أوجب علیه حقوقـاً مـالیه أو غیر مـالیه مع ذلـک لا یؤدی تلک الحقوق، و یعلم بأن الله حرَّم الخمر و الربا و الزنا و مع ذلـک لاـ یرتـدع عن تلـک المعاصـی فهو مصـدّق بـالله و بالحلاـل و الحرام، و الثواب و العقاب، و الجنه و النار، و لکن عمله لا یطابق هذا التصدیق، أی لم

ص: ۵۹

۱- ۷۲. سوره النساء: ۶۸.

۲- ۷۳. سوره مریم: ۴۱.

۳- ۷۴. سوره مریم: ۵۶.

۴- ۷۵. سوره المائده: ۷۵.

يبلغ به التصـديق درجه المطابقه بين القول و الفعل أو بين الاعتقاد و العمل. و لكنّ الصدِّيقين هم الذين يعتقدون الحق و يؤمنون به، و يعملون على ضوء تلك المعتقدات، و هؤلاء عددهم قليل و نادر فى كل زمان و فى كل مكان.

و أنت إذا قـارنت بين هـذه التعاريف و بين أعمال الناس يظهر لك بكل وضوح أن عـدد الصـدِّيقين قليل جـداً جـداً، و لعل فى بعض البلاد لا يوجد صدّيق واحد.

و بعد هذا كله سوف يسـهل عليك أن تعرف أن السـيده فاطمه الزهراء (عليهاالسـلام)قد بلغت مرتبه الصديقين، و سـماها رسول الله (صـلى الله عليه و آله و سلم)بالصديقه. كما فى (الريلض النضره) ج ۲ ص ۲۰۲ و فى (شرف النبوه) عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) انه قال لعلى: اتيت ثلاثا لم اوت مثلها زوجه.

و اوتيت الحسن و الحسين من صلبك و لم اوت من صلبى مثلها.

و لكنكم منى و انا منكم.

و سال المفضل بن عمرالامام الصادق (عليه السلام) قال: قلت: من غسل فاطمه؟

قال: ذاک اميرالمومنين.

(قال المفضل): فكانى استعظمت ذلک من قوله.

فقال: كانک ضقت مما اخبرتک به؟

قلت: قد كان ذلک جعلت فداک!

قال: لا تضيقنَّ، فإنها صدِّيقه، و لم يغسِّلها إلا صدِّيق، أما علمت أن مريم لم يغسِّلها إلا عيسى؟ (۱) .

و روى عن الامام الصادق (علیه السلام)- فی حدیث له عن السیده فاطمه (علیهاالسلام)- انه قال:... «و هی الصدیقه الکبری، و علی معرفتها دارت القرون الاولی» (۲) .

ص: ۶۱

۱- ۷۶. علل الشرائع: ص ۱۸۴ باب ۱۴۸ ح ۱.

۲- ۷۷. بحارالانوار ج ۴۳ ص ۱۰۵.

المبارکه

البرکه: النماء و السعاده و الزیاده کما فی (تاج العروس).

و قال الراغب: و لما کان الخیر الاِلهی یصدر من حیث لا یحبس، و علی وجه لا یحصی و لا یحصر قیل- لکل ما یشاهَد منه زیاده محسوسه-: هو مبارک فیه، و فیه برکه. و لقد بارک الله فی السیده فاطمه أنواعاً من البرکات و جعل ذریه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) (من نسلها، و جعل الخیر الکثیر فی ذریَّتها، فإنها ماتت و ترکت و لدین و بنتین فقط، و هم: الإمام الحسن و الإمام الحسین (علیهماالسلام) و زینب و أُم کلثوم.

و جاءت واقعه کربلاء، و قتل فیها أولاد الحسین و لم یبق من أولاده إلَّا علی بن الحسین (زین العابدین).

و قُتل من أولاد الإمام الحسن سبعه (علی قول) و اثنان من ولد زینب، و أما أُم کلثوم فإنها لم تعقب.

و بعد واقعه کربلاء تکررت الحوادث، و اقیمت المذابح و المجاورفی نسل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و ذریه فاطمه الزهراء من واقعه الحره، الی واقعه زید بن علی بن الحسین الی واقعه الفخ، الی مطارده العلویین فی عهد الامویین.

و جاء دور بنی العباس، فضربوا الرقم القیاسی فی محاربه العلویین، و ابادتهم و استیصال شافتهم، راجع کتاب (مقاتل الطالبیین) تجد بعض تلک الحوادث.

و استمرت المكافحه أكثر من قرنين حتى قُتل الإمام الحسن العسكرى (عليه السلام)- و هو الإمام الحادى عشر- مسموماً فى مدينه سامراء.

و لم يكن صلاح الدين الأيوبى بأقل من العباسيين فى إراقه دماء آل رسول الله و دماء شيعتهم، فلقد أقاموا فى المغرب العربى مجازر و مذابح جماعيه تقشعر منها الجلود.

و مع ذلك كله فقد جعل الله البركه فى نسل فاطمه الزهراء، و قد جعل الله منها الخير الكثير.

و فى تفسير قوله تعالى: «إنا أعطيناك الكوثر» أقوال للمفسرين، و إن كان المشهور أن الكوثر هو الحوض المعروف فى القيامه، أو النهر المشهور فى الجنه و لكن الكوثر على وزن فوعل- هو الشى ء الكثير و الخير الكثير.

و قد ذكر السيوطى فى (الدر المنثور) فى تفسير شرح الكوثر: و أخرج البخارى و ابن جرير و الحاكم عن طريق أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنه قال: الكوثر: الخير الكثير الذى أعطاه الله إياه، قال أبوبشر: قلت لسعيد بن جبير فإنّ ناساً يزعمون أنَّه نهر فى الجنه.

قال: النهر الذى فى الجنه هو من الخير الكثير الذى أعطاه.

و الأنسب بالمقام. و بمقتضى الحال- كما فى التفسير للرازى- أن يكون المقصود من الكوثر هى الصدّيقه فاطمه الزهراء، فقد ذكر الطبرسى فى (مجمع البيان) فى تفسير سوره الكوثر: قال: قيل: الكوثر هو الخير الكثير، و قيل: هو كثره النسل و الذريه، و قد ظهرت الكثره فى نسله من وُلد فاطمه حتى لا يحصى عددهم، و اتصل إلى يوم القيامه مددهم.

و قال الفخر الرازى فى تفسيره حول الآيه:

و القول الثالث: الكوثر أولاده، قالوا: لأن هذه السوره إنما نزلت ردّاً عله من عابه (عليه السلام) بعدم الأولاد، فالمعنى أنه يعطيه نسلًا يبقون

على مرِّ الزمان فانظر كم قُتل من أهل البيت؟ ثم العالم ممتلئ منهم، و لم يبق من بنى أَميه فى الدنيا أحد يُعبأ به، ثم انظر كم كان فيهم من الأكابر من العلماء كالباقر و الصادق و الكاظم و الرضا (عليهم السلام) و النفس الزكيه و أمثالهم؟».

و وجه المناسبه: أن الكافر شمت بالنبى حين مات أحد أولاده و قال: إن محمداً أبتر، فإن مات، مات ذكره. فأنزل الله هذه السوره على نبيه تسليه له كأنه تعالى يقول: إن كان ابنك قد مات فإنا أعطيناك فاطمه، و هى و إن كانت واحده و قليله، و لكن الله سيجعل هذا الواحد كثيراً.

و تصديقاً لهذا الكلام ترى فى العالم (اليوم) ذريه فاطمه الزهراء- الذين هم ذريه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) منتشرين فى بقاع العالم، ففى العراق حوالى مليون و فى إيران حوالى ثلاثه ملايين، و فى مصر خمسه ملايين و فى المغرب الاقصى خمس ملايين و فى الجزائر و تونس و ليبيا عدد كثير، و كذلك فى الأردن و سوريا و لبنان، و السودان و بلاد الخليج و السعوديه ملايين، و فى اليمن و الهند و باكستان و الأفغان و جزر إندونيسيا حوالى عشرين مليوناً. و قلَّ أن تجد فى البلاد الإسلاميه بلده ليس فيها أحد من نسل السيده فاطمه الزهراء. و يقدَّر مجموعهم بخمسه و ثلاثين مليوناً، و لو أجريت إحصائيات دقيقه و صحيحه فلعل العدد يتجاوز هذا المقدار (۱) .

هؤلاء ذريه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و هم من صلب على و فاطمه و فيهم الملوك و الأمراء و الوزراء و العلماء و الكتَّاب و الشخصيات البارزه و العباقره المرموقه.

۱- ۷۸. هذا الاحصاء لعام ۱۳۶۶ ه ما اليوم فقد تضاعف عددهم الى مايعلمه الله تعالى.

و منهم مَن يعتزُّ بهـذا الانتسـاب و يفتخر به، و منهم مَن يهمله و لاـ يبالى به، و منهم مَن يسـير على طريقه أهل البيت، و منهم مَن يسير على خلاف مذهب أهل البيت.

و من أعجب العجب أن بعض المسـلمين ما كان يعجبهم أن يعترفوا بهذا الانتساب أى انتساب ذريه على و فاطمه على رسول الله (صـلى الله عليه و آله و سـلم) بـل يعتبرون هـذا الاعتراف كـذباً و افتراءً، و يحاربون هـذه الفكره محاربه شـعواء لا هواده فيها، و كانوا يسفكون الدماء البريئه لأجل هذه الحقيقه.

انظر إلى موقـف الحَجـاج السـفَّاك الهتَّاك تجـاه هـذا الأـمر، و هكـذا المنصور الـدوانيقى، و هرون الرشـيد و غيرهـم ممن حـذا حذوهم و سلك طريقتهم.

عن عامر الشعبى أنه قال: بعث إلىَّ الحجاج ذات ليله فخشيت فقمت فتوضأْت و أوصيت، ثم دخلت عليه، فنظرت فإذا نطع منشور و السـيف مسـلول، فسلَّمت عليه فردَّ علىَّ السلام فقال: لا تخف فقد أمنتك الليله و غدا إلى الظهر، و أجلسنى عنده ثم أشار فأُتى برجل مقيَّد بالكبول و الأغلال، فوضـعوه بين يديه فقال: إن هذا الشـيخ يقول: إنَّ الحسن و الحسين كانان ابنى رسول الله، ليأْتينى بحجه من القرآن و إلاَّ لأضربنَّ عنقه.

فقلت: يجب أن تحلَّ قيده، فإنَّه إذا احتج فإنَّه لا محاله يذهب و إن لم يحتج فإنَّ السيف لا يقطع هذا الحديد.

فحلّوا قيوده و كبوله، فنظرت فإذا هو سعيد بن جبير، فحزنت بذلك، و قلت: كيف يجد حُجَّهً على ذلك من القرآن؟

فقال الحجاج: ائتنى بحجه من القرآن على ما ادعيت و إلاَّ أضرب عنقك.

فقال له: انتظر.

فسكت ساعه ثم قال له مثل ذلک. فقال: انتظر. فسكت ساعه ثم قال له مثل ذلک فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال: «و وهبنا له إسحاق و يعقوب.... إلى قوله: و كذلک نجزى المحسنين» ثم سكت و قال للحجاج: اقرأْ ما بعده. فقرأ: (و زكريا و يحيى و عيسى) فقال سعيد: كيف يليق هاهنا عيسى؟

قال: إنَّه كان من ذريته.

قال: إن كان عيسى من ذريه إبراهيم و لم يكن له أب بل كان ابن ابنته فنُسب إليه مع بُعده فالحسن و الحسين أولى أن يُنسبا إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) مع قربهما منه.

فأمر له بعشره آلاف دينار، و أمر أن يحملوه إلى داره و أذن له فى الرجوع.

قال الشعبى: فلما أصبحت قلت فى نفسى: قد وجب علىَّ أن آتى هذا الشيخ فأتعلَّم منه معانى القرآن، لأنى كنت أظن أنى أعرفها، فإذا أنا لا أعرفها. فأتيته فإذا هو فى المسجد، و تلک الدنانير بين يديه، يفرِّقها عشراً عشراً، و يتصدق بها ثم قال: هذا كله ببركه الحسن و الحسين (عليهماالسلام) لئن أغممنا و احداً لقد أفرحنا ألفاً و أرضينا الله و رسوله (صلى الله عليه و آله و سلم) . (1)

أقول: الآيات التى استدل بها سعيد بن جبير (رضوان الله عليه) هى: و وهبنا له إسحاق و يعقوب كلّا هدينا، و نوحاً هدينا من قبل، و من ذريته داود و سليمان و أيوب و يوسف و موسى و هارون و كذلک نجزى المحسنين

۱- ۷۹. بحار الانوار: ج ۴۳.

و زکریا و یحیی و عیسی و إلیاس کل من الصالحین» (۱) .و لقد جری حوار- حول هذا الموضوع- بین هارون الرشید و الإمام موسی بن جعفر (علیهماالسلام):

کما فی کتاب عیون أخبار الرضا (علیه السلام) أن هارون الرشید قال للإمام موسی بن جعفر (علیه السلام):

لِمَ جوَّزتم للعامه و الخاصه أن ینسبوکم إلی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و یقولون لکم یا بنی رسول الله، و أنتم بنو علی، و إنما ینسب المرء إلی أبیه، و فاطمه إنما هی و عاء و النبی (علیه السلام) جدّکم من قِبَل أُمِّکم؟؟؟

فقال الإمام: لو أنّ النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) نُشر (أی بعث حیاً فخطب إلیک کریمتک هل کنت تجیبه؟

قال الرشید: سبحان الله! و لِمَ لا أُجیبهُ؟ بل أفتخر علی العرب و العجم و قریش بذلک.

فقال الإمام: و لکنه (صلی الله علیه و آله و سلم) لا یخطب إلیَّ و لا أزوِّجه.

قال الرشید: و لِمَ؟

قال الإمام: لأنی ولدنی و لم یلدک.

قال الرشید: أحسنت یا موسی.

ثم قال الرشید: کیف قلتم إنا ذریه النبی، و النبی (علیه السلام) لم یعقّب؟ و إنما العقب للذکر، لا للأنثی، و أنتم ولد الابنه، و لا یکون لها عقب؟

۱- ۸۰. الانعام: ۸۰.

فاعتذر الإمام عن الإجابه علی هذا السؤال المحرج و طلب من الرشید إعفاءه عن الجواب رعایه للتقیه. فقال الرشید: لا، أو تخبرنی بحجتکم فیه یا ولد علی و أنت یا موسی یعسوبهم و إمام زمانهم، کذا أنهی إلی و لست أَعفیک فی کل ما أسئلک عنه حتی تأْتینی فیه بحجه من کتاب الله، فأنتم تدَّعون- معشر وُلد علی- أنَّه لا یسقط عنکم منه شی ء ألِفٌ و لا واو إلاَّ و تأْویله عندکم، و احتججتم بقوله (عز و جل): (ما فرَّطنا فی الکتاب من شی ء) و قد استغنیتم عن رأی العلماء و قیاسهم.

فقال الإمام: تأذن لی فی الجواب؟

قال الرشید: هات.

قال الإمام: أعوذ بالله من الشیطان الرجیم، بسم الله الرحمن الرحیم و من ذریته داود و سلیمان و أیوب و یوسف و موسی و هارون و کذلک نجزی المحسنین و زکریا و یحیی و عیسی. مَن أبوعیسی.

قال الرشید: لیس لعیسی أب.

قال الإمام: إنما ألحقناه بذراری الأنبیاء (علیهم السلام) من طریق مریم (علیها السلام) و کذلک أُلحقنا بذراری النبی (صلی الله علیه و آله و سل) من قَبِل أمِّنا فاطمه (علیهاالسلام)... إلی آخر الحدیث (۱) .

هذه هی الآیات التی استدل بها الأئمه (علیهم السلام) حول انتسابهم إلی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سل) عن طریق السیده فاطمه الزهراء.

و أما الأحادیث التی تصرّح بهذا المعنی فکثیره جداً، و نکتفی- هنا- بما یلی: ۱- الخطیب البغدادی فی (تاریخ بغداد) ج ۱ ص ۳۱۶.

۱- ۸۱. عیون اخبارالرضا: ج ۱ ص ۸۱ ح ۹.

عن ابن عباس قال: كنت أنا و أبی: العباس بن عبدالمطلب جالسین عند رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) إذ دخل علی بن أبی طالب فسلّم، فردّ علیه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و بشّ به، فقال العباس: یا رسول الله أتحبّ هذا؟

فقال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): یا عمَّ رسول الله! و اللهِ اللهُ أشدُّ حُبّاً له منی، إنَّ الله جعل ذریه کل نبی فی صلبه، و جعل ذریتی فی صلب هذا.

و رواه الخوارزمی فی (المناقب) ص ۲۲۹.

۲- عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: إنَّ الله (عز و جل) جعل ذریه کل نبی فی صلبه و جعل ذریتی فی صلب علی.

و رواه محب الدین الطبری فی (ذخائرالعقبی).

و الجوینی فی (فرائدالسمطین).

والذهبی فی (میزان الاعتدال).

و ابن حجر فی (الصواعق المحرقه) ص ۷۴.

و المتقی الهندی فی (منتخب کنز العمال).

و الزرقانی فی (شرح المواهب اللدنیه).

و القندوزی فی (ینابیع الموده) ص ۱۸۳.

۳- و ذکر النسائی فی کتاب (خصائص أمیرالمؤمنین) عن محمد بن أسامه بن زید، عن أبیه قال: قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): أما أنت یا علی فختنی (۱) و أبوولدی و أنت منی و أنا منک.

۱- ۸۲. الختن: الصهر.

۴- و روی أیضاً عن أسامه قال: طرقت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) لیله لبعض الحاجه، فخرج و هو مشتمل علی شی ء لا أدری ما هو؟ فلما فرغت من حاجتی قلت: ما هذا الذی أنت مشتمل علیه؟ فکشفه فإذا هو الحسن و الحسین علی و رکیه، فقال: هذان ابنای، و ابنا بنتی، اللهم إنک تعلم أنی أحبُّهما فأحبهما.و الأحادیث التی تصرح بأن الحسن و الحسین (علیهماالسلام) کانا ابنی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) کثیره جداً.

و جاء بعض الجهلاء یتفلسف لیُنکر أبوّه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) (لولدیه: الحسن و الحسین (علیهماالسلام) مستدلاً بقوله تعالی: (ما کان محمد أباأحد من رجالکم) فیزعم الجاهل أنَّ رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) لیس بأب أحد، مع العلم أن الآیه نزلت حول نفی نسب زید الذی تبنّاه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) ثم زوَّجه زینب بنت جحش ثمّ طلّقها زید و تزوجها النبی (فلما قضی زید منها و طراً زوجناکها لکیلا یکون علی المؤمنین حرج فی أزواج أدعیائهم إذا قضوا منهن و طراً و کان أمر الله مفعولاً) (۱) ففی هذا بیان أن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) لیس بأب لزید حتی تحرم علیه زوجته، فإن تحریم زوجه الابن معلق بثبوت النسب، فمن لا نسب له لا حرمه لامرأته، و لهذا أشارت الآیه إلیهم فقالت: (من رجالکم) و قد ولد لرسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أولاد ذکور: إبراهیم و القاسم و الطیب و المطهر، فکان (صلی الله علیه و آله و سلم) أباهم.

و قد صح و ثبت أنه (صلی الله علیه و آله و سلم) قال للحسن (علیه

۱- ۸۳. الاحزاب: ۳۸.

السلام): إن ابنی هذا سید.

و قال أیضاً: الحسن و الحسین ابنای هذان امامان قاما او قعدا. و قال ایضاء: إن کل بنی بنت ینسبون إلی أبیهم إلاَّ أولاد فاطمه فإنی أنا أبوهم.

و قیل: أراد بقوله: (من رجالکم) البالغین من رجال ذلک الوقت و لم یکن أحد من أبنائه رجلاً فی ذلک الوقت.

و ختاماً لهذا الفصل نقول: کل ما تقوله فی أبوَّه رسول الله لأولاده الذکور فهو الثابت فی أبوَّه رسول الله لولدیه الحسن و الحسین، و الکلام هناک نفس الکلام هنا.

ص: ۷۱

الطاهره

لقد مرّ عليک أن من جمله أسمائها (علیهاالسلام): الطاهره.

وقد روی عن الامام محمد الباقر عن آبائه (علیهم السـلام) قال: «انما سـمیت فاطمه بنت محمد: الطاهره، لطهارتها من کل دنس، و طهارتها من کل رفث و ما رات قط یوما حمره و لانفاسا» (۱) .

و أحسن مـا نبحث فیه حول هـذا الموضوع هی آیه التطهیر، و هی قوله تعالی: «انما یریـد الله لیـذهب عنکم الرجس اهل البیت و یطهرکم تطهیرا».

إن هـذه الآـیه الکریمه تعتبر فی طلیعه الآیـات ذات الأـهمیه الکبری، و ذلک لعظم معناها و مغزاها، لأنها منبع فضائل أهل البیت النبوی لا شتمالها علی أمور عظیمه.

و قد کثرت الأقوال، و جالت الأقلام حول هذه الآیه.

و لعـل من الصـحیح أن نقول: إن آیه التطهیر معترک الآـراء المتضـاربه و الأـقوال المختلفه، و خاصه حول کلمه: (أهل البیت) و المقصود منهم، و مدی شمول هذه الکلمه.

و الأـمر الـذی لاـ شـک فیه أن آیه التطهیر تشـمل الصـدِّیقه الطـاهره فـاطمه الزهراء (علیهاالسـلام) قطعـاً، و بإجماع المفسـرین و المحدِّثین من الشیعه و السنَّه، إلّاَ من شذَّ و ندر.

إذ أن جمیع الأحادیث الوارده حول نزول هذه الآیه متفقه علی

۱- ۸۴. بحارالانوار ج ۴۳ ص ۱۹.

شمولها لعليٍ و فاطمه و الحسن و الحسين) (عليهم السلام) بالقدر المتيقن.

و إن كان هناك قول يشعر بشمولها لزوجات النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) اعتماداً على ظاهر لفظ (أهل البيت) أو سياق الآيه التى سبقتها و لحقتها خطابات لزوجات النبى، فإن جميع الأحاديث تصرّح بأن النبى لم يسمح حتى لزوجته السيده أم سلمه أن تدخل تحت الكساء قبل نزول آيه التطهير.

و قد ذكرنا الشى ء اليسير- مما يتعلق بالآيه- فى كتاب (على من المهد إلى اللحد) و نذكر هنا بعض الأحاديث و مصادرها من كتب علماء السُّنه، رعايه العامه، لأسلوب الكتاب و تتميماً للفائده.

و ينبغى أن نعلم أن الذين رووا نزول أيه التطهير فى حق على و فاطمه و الحسن و الحسين (عليهم السلام) يعسر إحصاؤهم، و لعلهم يتجاوزون المئات.

و لو أردنا استعراض أقوال المفسرين و المحدثين حول الآيه لطال بنا الكلام، و خرج الكتاب عن أسلوبه، و لكننا نذكر هنا عشرين مصدراً من مشاهير مؤلفات علماء العامه و حفّاظهم و مفسريهم و محدّثيهم، و فى ذلك كفايه لكل منصف:

١- الخطيب البغدادى فى تاريخه (ج ١٠) بإسناده عن أبى سعيد الخدرى عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فى قوله تعالى:

(إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً) قال: جمع رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) علياً و فاطمه و الحسن و الحسين، ثم أدار عليهم الكساء فقال: هؤلاء أهل بيتى، اللهم أذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً، و أم سلمه على الباب فقالت: يا رسول الله ألست منهم؟

فقال: إنک لعلی خیر أو: إلی خیر.

۲- الزمخشری فی تفسیره (الکشاف) ج ۱ ص ۱۹۳.

روی عن عائشه (رضی الله عنها) أن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) خرج و علیه مرط مرجَّل من شعر أسود موشی منقوش، فجاء الحسن بن علی فأدخله. ثم جاء الحسین فدخل معه، ثم جاءَت فاطمه فأدخلها، ثم جاء علی فأدخله ثم قال: (إنما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت و یطهرکم تطهیراً).

۳- الإمام الرازی فی تفسیره ج ۲ ص ۷۰۰ طبع الأستانه. روی أنه (علیه السلام) لما خرج فی المرط الأسود، فجاء الحسن فأدخله، ثم جاء الحسین فأدخله ثم فاطمه ثم علی ثم قال: إنما یرید الله... الی آخره.

۴- ابن الأثیر الجزری فی کتابه: (أسد الغابه فی معرفه الصحابه ج ۲ ص ۱۲): عن عمر بن أبی سلمه (ربیب النبی) (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: لما نزلت هذه الآیه علی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): إنما یرید الله- فی بیت أم سلمه فدعی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فاطمه و حسناً و حسیناً فجللّهم بکساءٍ و علیّ خلف ظهره ثم قال: هؤلاء أهل بیتی فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهیراً. قالت أم سلمه: و أنا معهم یا رسول الله؟ قال: أنتِ علی مکانک، أنت فی خیر.

۵- سبط ابن الجوزی فی (تذکره الأئمه ص ۲۴۴) عن واثله بن الأسقع قال: أتیت فاطمه (علیهاالسلام) أسألها عن علی فقالت: توجَّهَ إلی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم). فجلست أنتظره فإذا برسول الله قد أقبل و معه علی و الحسن و الحسین، قد أخذ بید کل واحدٍ منهم حتی دخل الحجره فأجلس الحسن علی فخذه الیمنی، و الحسین علی فخذه الیسری، و أجلس علیاً و فاطمه بین یدیه ثم لفَّ علیهم کساه أو ثوبه ثم قرأ: إنما یرید

الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت- الایه- ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بیتی حقاً. ۶- الإمام الواحدی فی کتابه: (أسباب النزول) بسنده إلی أم سلمه زوج النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) ذکرت أن رسول الله کان فی بیتها، فأتته فاطمه ببرمه فیها حریره فدخلت بها علیه فقال لها: ادعی لی زوجک و ابنیک.

قالت: فجاء علی الحسن و الحسین فدخلوا، فجلسوا یأکلون من تلک الحریره، و هو علی دکانِ (۱) و تحته کساء خیبری.

قالت: و أنا فی الحجره أصلّی، فأنزل الله تعالی: إنما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت و یطهرکم تطهیراً، قالت: فأخذ فضلَ الکساء فغشّاهم به، ثم أخرج یدیه فألوی بهما إلی السماء ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بیتی و حامتی فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهیراً. قالت: فأدخلت رأسی البیت فقلت: أنا معکم یا رسول الله؟

قال: آئل إلی خیر، آئل إلی خیر.

و نقل الترمذی فی صحیحه: أن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) کان من وقت نزول هذه الآیه إلی قریب سته أشهر إذا خرج إلی الصلاه یمر بباب فاطمه یقول: الصلاه أهل البیت إنما یرید الله لیذهب عنکم الرجس.. الایه.

۷- ابن الصباغ المالکی فی کتابه: (الفصول المهمه ص ۷) یروی عن الواحدی قریباً من الحدیث الذی مرّ، و ذیّله بقوله: و قال بعضهم فی ذلک شعراً:

۱- ۸۵. الدکان: شی ء کالمصلبه یقعد علیه.

إن النبی و وصیّه

و ابنیه و ابنته البتول الطاهره

أهل العباء فإننی بولائهم

أرجو السلامه و النجاه فی الآخره

۸- أبوبکر السیوطی فی کتابه: (الدر المنثور ج ۵ ص ۱۹۸) و (الخصائص الکبری ج ۲ ص ۲۶۴) و الإتقان ج ۲ ص ۲۰۰) روی هذا الحدیث بطرق کثیره، متعدده الأسانید تنتهی أسانیدها إلی کل من أم سلمه و عائشه و أبی سعید الخدری و زید بن أرقم و ابن عباس، و الضحاک بن مزاحم، و أبی الحمراء و عمر بن أبی سلمه و غیرهم: إن النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) دعا فاطمه و علیاً و حسناً و حسیناً. لمّا نزلت: إنما یرید الله، فجلّلهم بکساء و قال: و الله هؤلاء أهل بیتی، فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهیراً.

۹- الطبری فی (ذخائرالعقبی ص ۲۱): روی عن عمر بن أبی سلمه نزول الآیه فی الخمسه الطیبه، و روی عن أم سلمه أن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)أخذ ثوباً و جلّله فاطمه و علی و الحسن و الحسین و هو معهم، و قرأ هذه الآیه: إنما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت و یطهرکم تطهیراً. قالت: فجئت أدخل معهم فقال: مکانک إنک علی خیر.

و عنها أیضاً: أن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال لفاطمه: ائتی بزوجک و ابنیک. فجاءت بهم و أَکفأ علیهم کساء فدکیاً، ثم وضع یده علیهم، ثم قال: اللهم هؤلاء آل محمد، فاجعل صلواتک و برکاتک علی آل محمد إنک حمید مجید. قالت أم سلمه: فرفعت الکساء لأدخل معهم فجذبه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و قال: إنک علی خیر.

۱۰- محمد بن أحمد القرطبی فی کتابه: (الجامع لأحکام القرآن ج ۱۴ ص ۱۸۲) روی نزول الآیه فی حق أهل البیت (علیهم السلام).

۱۱- ابن العربی فی کتابه: (أحکام القرآن ج ۲ ص ۱۶۶).

ص: ۷۶

۱۲- ابن عبدالبر الأندلسی فی کتابه: (الاستیعاب ج ۲ ص ۴۶۰).

۱۳- البیهقی فی کتابه: السنن الکبری ج ۲ ص ۱۴۹.

۱۴- الحاکم النیسابوری فی کتابه: (المستدرک علی الصحیحین ج ۲ ص ۴۱۶) روی عن أم سلمه قریباً ممّا تقدَّم.... إلی أن قالت: فقال (صلی الله علیه و آله و سلم): اللهم هؤلاء أهل بیتی قالت أم سلمه: یا رسول الله ما أنا من أهل البیت؟ قال: إنک أهلی إلی خیر، و هؤلاء أهل بیتی... الی آخره.

۱۵- الإمام أحمد بن حنبل فی (مسند ج ۱ ص ۳۳۱).

۱۶- النسائی فی کتابه: (الخصائص ص ۴).

۱۷- محمد بن جریر الطبری فی تفسیره (ج ۲۲ ص ۵).

۱۸- الخوارزمی فی: (کتاب المناقب ص ۳۵).

۱۹- الهیثمی فی: مجمع الزوائد ۹ ص ۱۶۶).

۲۰- ابن حجر الهیثمی فی الصواعق المحرقه ص ۸۵).

انتخبنا هذا العدد و هذه العده من جماعه کثیره من المفسرین و المحدّثین، و لو لا الخوف من الملل لأسهبنا فی ذکر المصادر، و فی هذا المقدار تبصره لمن کان له قلب أو ألقی السمع و هو شهید.

لا أرانی بحاجه إلی المزید من التحدّث حول الموضوع بعد شهاده آیه التطهیر التی یستفاد منها أن الزهراء طاهره- بجمیع معنی الکلمه.

و ستأتیک الأحادیث الکثیره حول کونها بتولاً.

و رعایه لأسلوب الکتاب و بمناسبه اسمها (الطاهره) نذکر ما تیسّر: لقد طهرّها الله عن العاده الشهریه، و عن کل دنس و رجس، و عن کل رذیله، و الرجس: کل أمر تستقذره الطباع، و یأمر به الشیطان، و یحق لأجله العذاب، و یشین السمعه و تقترف به الآثام، و تمجّه الفطره، و تسقط

به المروه.

و ذكر ابن العربى فى (الفتوحات المكيه باب ٢٩) (إن الرجس فيه عباره عن كل ما يشين الإنسان» و هذا معنى العصمه التى تعتقد به الشيعه فى الأنبياء و الأئمه و السيده فاطمه الزهراء، و هى مرتبه عظيمه، و منزله ساميه خص الله بعض عباده.

و ليس من لوازم العصمه تبليغ الأحكام، فإن كانت العصمه لازمه للنبى و الإمام لقيامهما بأعباء التبليغ فليس معنى ذلك أن غيرهما لا يتصف بالعصمه.

و قد احتج الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) على عصمه السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) بآيه التطهير، فى حوار جرى بينه و بين أبى بكر: نذكر بعضه كشاهد لما نحن فيه:

قال على (عليه السلام) لأبى بكر: يا أبابكر أتقرأ كتاب الله؟ قال: نعم. قال: أخبرنى عن قول الله (عز و جل): «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً». فيمن نزلت؟ فينا أو فى غيرنا؟

قال: بل فيكم.

قال: فلو أن شهوداً شهدوا على فاطمه بنت رسول الله بفاحشه ما كنت صانعاً؟

قال: كنت أقيم عليها الحدَّ كما أقيم على نساء المسلمين!!

قال: كنت إذن عند الله من الكافرين.

قال: و لِم؟

قال لأنك رددت شهاده الله لها بالطهاره، و قبلت شهاده الناس

علیها... الی آخره (۱) .

و من لوازم هذه الطهاره عدم التنجس بالموت مع العلم أن کل إنسان مهما بلغ فی التقوی و العباده إذا مات نجس جسمه نجاسه مشدّده، بحیث یجب الغسل علی مَن مسَّ ذلک المیت بعد برده، و لا یطهر المیت إلا بالتغسیل، و لکن المعصومین کانوا مطهرین فی حیاتهم و بعد موتهم.

فی کتاب الشیعه عن الحسن بن عبید قال: کتبت إلی الصادق (علیه السلام): هل اغتسل أمیرالمؤمنین حین غسَّل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) عند موته؟فأجاب: «النبی طاهر مطهَّر، و لکن فعل أمیرالمؤمنین و جرت به السُنه (۲) .

وسیأتیک المزید من التفصیل فی أواخر هذا الکتاب فی باب تغسیلها، إن شاءالله.

۱- ۸۶. البحار: ج ۴۳.
۲- ۸۷. وسائل الشیعه ج ۲ ص ۹۲۸، ح ۷.

حدیث کساء

اشاره

و قد روی فی کتب الشیعه حول نزول آیه التطهیر حدیث اشتهر بحدیث الکساء و هو-کما فی عوالم الکبیر عن جابر بن عبدالله الأنصاری:

عن فاطمه الزهراء بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أنها قالت: دخل علیَّ أبی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فی بعض الأیام فقال: السلام علیک یا فاطمه. فقلت: و علیک السلام. فقال: إنی أجد فی بدنی ضعفاً. فقلت له: أعیذک بالله یا أبتاه من الضعف. فقال: یا فاطمه ائتینی بالکساء الیمانی و غطّنی به.

قالت فاطمه (علیهاالسلام): فأتیته بالکساء الیمانی فغطَّیته به و صرت أنظر إلیه و إذا وجهه یتلألأ کأنه البدر فی لیله تمامه و کماله.

قالت فاطمه: فما کانت إلَّا ساعه و إذا بولدی الحسن (علیه السلام) قد أقبل و قال: السلام علیک یا أماه. فقلت: و علیک السلام یا قره عینی و ثمره فؤادی.قال لی: یا أماه إنی أشم عندک رائحه طیبه کأنها رائحه جدی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فقلت: نعم یا ولدی إن جدک نائم تحت الکساء فأقبل الحسن (علیه السلام) نحو الکساء و قال: السلام علیک یا جداه، السلام علیک یا رسول الله أتأذن لی أن أدخل معک تحت الکساء؟ فقال: و علیک السلام یا ولدی و صاحب حوضی قد أذنت لک. فدخل معه تحت الکساء.

ص: ۸۰

قالت: فما كان إلاّ ساعه و إذا بولدى الحسين (عليه السلام) قد أقبل و قال: السلام عليك يا أماه. فقلت: و عليك السلام يا قره عينى و ثمره فؤادى فقال لى: يا أماه إنى أشم عندك رائحه طيبه كأنها رائحه جدى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فقلت: نعم، إن جدَّك و أخاك تحت الكساء. فدنى الحسين) (عليه السلام) نحو الكساء و قال: السلام عليك يا جدَّاه، السلام عليك يا من اختاره الله، أتأذن لى أن أكون معكما تحت هذا الكساء؟

قال (صلى الله عليه و آله و سلم): و عليك السلام يا ولدى و شافع أمتى قد أذنت لك. فدخل معهما تحت الكساء.

قالت فاطمه (عليهاالسلام) فأقبل عند ذلك أبوالحسن على بن أبى طالب (عليه السلام) و قال: السلام عليك يا بنت رسول الله.

فقلت: و عليك السلام يا أباالحسن يا أميرالمؤمنين.

فقال: يا فاطمه إنى أشم عندك رائحه طيبه كأنها رائحه أخى و ابن عمى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

فقلت: نعم، ها هو مع ولديك تحت الكساء.

فأقبل أميرالمؤمنين (عليه السلام) نحو الكساء و قال: السلام عليك يا رسول الله أتأذن لى أن أكون معك تحت هذا الكساء؟

قال له: و عليك السلام يا أخى و خليفتى و صاحب لوائى قد أذنت لك. فدخل على (عليه السلام) تحت الكساء.

ثم أتت فاطمه (عليهاالسلام) و قالت: السلام عليك يا أبتاه السلام عليك يا رسول الله أتأذن لى أن أدخل معكم تحت هذا الكساء؟

قال لها: و عليك السلام يا بنتى و بضعتى قد أذنت لكِ. فدخلت فاطمه معهم تحت الكساء.

فلما اکتملوا و اجتمعوا تحت الکساء أخذ رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) بِطَرفی الکساء و أومأء بیده الیمین إلی السماء و قال: اللهم إن هؤلاء أهل بیتی و خاصَّتی و حامَّتی لحمهم لحمی، و دمهم دمی، یؤلمنی ما یؤلمهم و یُحرجنی ما یُحرجهم (۱) أنا حرب لمن حاربهم، و سلم لمن سالمهم، و عدوٌ لمن عاداهم، و محب لمن أحبَّهم، إنَّهم منی و أنا منهم، فاجعل صلواتک و برکاتک و رحمتک و غفرانک و رضوانک علیَّ و علیهم، و أذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهیراً.

قال الله (عز و جل): یا ملائکتی و یا سکان سماواتی إنی ما خلقت سماءً مبنیه، و لا أرضاً مدحیَّه، و لا قمراً منیراً، و لا شمساً مضیئه، و لا فلکاً یدور، و لا بحراً یجری، و لا فُلکاً تسری إلاَّ فی محبّه هؤلاء الخمسه الذین هم تحت الکساء.

فقال الأمین جبرئیل: یا رب من تحت الکساء؟

فقال الله (عز و جل): هم أهل بیت النبوه و معدن الرساله، هم فاطمه و أبوها و بعلها و بنوها.

فقال جبرئیل: یا رب أتأذن لی أن أهبط إلی الأرض لأکون لهم سادساً؟

فقال الله (عز و جل): قد أذنت لک.

فهبط الأمین جبرئیل فقال: السلام علیک یا رسول الله! العلی الأعلی یقرئک السلام، و یخصّک بالتحیه و الإکرام و یقول لک: و عزتی و جلالی! إنی ما خلقت سماءً مبنیه، و لا أرضاً مدحیَّه، و لا قمراً منیراً و لا شمساً مضیئه، و لا فلکاً یدور، و لا بحراً یجری و لا فُلکاً تسری إلاَّ لأجلکم، و قد

۱- ۸۸. و فی نسخه: و یحزننی مایحزنهم.

أذن لی أن أدخل معکم تحت الکساء، فهل تأذن لی أن أدخل أنت یا رسول الله؟ فقال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): و علیک السلام یا أمین وحی الله قد أذنت لک. فدخل جبرئیل معهم تحت الکساء فقال: إن الله قد أوحی إلیک (۱) یقول: إنما یرید الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت و یطهرکم تطهیراً.

فقال علی بن أبی طالب: یا رسول الله أخبرنی ما لجُلُوسِنا هذا تحت الکساء من الفضل عند الله؟

فقال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): و الذی بعثنی بالحق نبیاً، و اصطفانی بالرساله نجیاً ما ذُکر خبرنا هذا فی محفل من محافل أهل الأرض و فیه جمع من شیعتنا و محبّینا إلاّ و نزلت علیهم الرحمه و حفّت بهم الملائکه، و استغفرت لهم إلی أن یتفرقوا.

فقال علی (علیه السلام): إذن- و الله- فزنا و فازت شیعتنا و ربِّ الکعبه. فقال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): و الذی بعثنی بالحق نبیاً، و اصطفانی بالرساله نجیاً ما ذکر خبرنا هذا فی محفل من محافل أهل الأرض و فیه جمع من شیعتنا و محبّینا و فیهم مهموم إلاَّ و فرّج الله همَّه، و لا مغموم إلاَّ و کشف الله غمه، و لا طالب حاجه إلاَّ و قضی الله حاجته.

فقال علی (علیه السلام) اذن- و الله- فزنا و سعدنا و کذالک شیعتنا فازوا و سعدنا و کذالک شیعتنا فازوا و سعدوا فی الدنیا و الاخره. انتهی.

الشیعه و حدیث الکساء

لقد جرت السیره عند الشیعه- طوال القرون و العصور- علی تلاوه

۱- ۸۹. و فی نسخه: فقال لابی: ان الله قد اوحی الیکم یقول...

حدیث الکساء فی المجالس و المجامع و المحافل، للتبرک و استجابه الدعاء و نزول الرحمه الالهیه.

و هناک الاثارالعجیبه التی ظهرت ببرکه تلاوه هذا الحدیث الشریف، من شفاء المرضی و قضاء الحوائج و رفع الشدائد و المکاره.

و قد روی حدیث الکساء هذا، فی المصادرالتالیه:

۱- غرر الاخبار للدیلمی صاحب کتاب ارشاد القلوب، و هو من علماء القرن الثامن الهجری.

۲- المنتخب للطریحی صاحب کتاب مجمع البحرین.

۳- نهج المحجه فی فضائل الائمه للشیخ علی نقی بن احمد الاحسائی، و هو من علماء القرن الثانی عشر.

۴- عوالم العلوم للشیخ عبدالله افندی البحرانی... فقد رواه باسانید علیه متصله، عن سلسله من العلماء العظام، فیهم العلامه الحلی و الشیخ الطوسی و الشیخ المفید و ابن قولویه و علی بن ابراهیم صاحب التفسیر و الشیخ الکلینی و غیرهم.

کما افرد بعض العلماء کتبا مستقله حول هذا الحدیث و شرحه و بیان طرقه.

هذا... و من اراد التفصیل فلیراجع کتاب احقاق للقاضی نورالله التستری ج ۲ ص ۵۵۸.

الشعراء و حدیث الکساء

کما کان للشعراء دور کبیرفی نظم هذا الحدیث الشریف و صیاغته فی قوالب شعریه رائعه، باللغه العربیه و الفارسیه و الهندیه «الاردو».

و منهم السید الاجل السید محمد القزوینی بن السید مهدی القزوینی

ص: ۸۴

النجفی الحلی، حیث نظم هذا الحدیث الشریف فی القصیده التالیه:

ووت لنا فاطمه خیر النساء

حدیث أهل الفضل أصحاب الکساء

تقول: إن سید الأنام

قد جاءنی یوماً من الأیام

فقال لی: إنی أری فی بدنی

ضعفاً أراه الیوم قد أنحلنی

قومی عَلیَّ بالکساء الیمانی

و فیه غطینی بلا توانی

قالت: فجئته و قد لبیته

مسرعهً و بالکساء غطیّته

و کنت أرنو وجهه کالبدر

فی أربع بعد لیال عشر

فما مضی إلاَّ یسیر من زمن

حتی أتی أبومحمد الحسن

فقال: یا أماه إنی أجد

رائحه طیبه أعتقد

بأنها رائحه النبیِّ

أخ الوصی المرتضی علی

قلت: نعم هاهو ذا تحت الکسا

مدثَّرٌ به، مغطیً و اکتسی

فجاء نحوه ابنه مسلماً

مستأذناً قال له: أدخل مکرماً

فما مضی إلاَّ القلیل إلاَّ

جاء الحسین السبط مستقلا

فقال یا أم أشمّ عندکِ

رائحه کأنها المسک الذکی

وحقٍّ من أولاک منه شرفاً

أظنها ریح النبی المصطفی

قلت: نعم تحت الکساء هذا

بجنبه أخوک فیه لاذا

فأقبل السبط له مستأذناً

مسلّماً قال له: أدخل معنا

وما مضی من ساعه إلاًّ و قد

جاء أبوهما الغضنفر الأسد

أبوالأئمه الهداه النُّجبا

المرتضی رابع أصحاب الکسا

فقال یا سیده النساء

و من بها زُوِّجتُ فی السماء

إنی أشمّ فی حماک رائحه

كأنها الورد النديّ فايحه

يحكى شذاها عَرف سيد البشر

و خير من لبَّى و طاف و اعتمر

ص: ۸۵

قلت: نعم تحت الكساء التحفا

و ضمّ شبليك و فيه اكتنفا

فجاء يستأذن منه سائلاً

منه الدخول قال: فأدخل عاجلا

قالت: فجئت نحوهم مسلّمه

قال: ادخلى محبوّه مكرّمه

فعندما بهم أضاء الموضع

و كلّهم تحت الكساء اجتمعوا

نادى إله الخلق جل و علا

يُسمع أملاك السموات العلى

أقسم بالعزه و الجلال

و بارتفاعى فوق كل عالى

ما من سما رفعتها مبنيه

و ليس أرض فى الثرى مدحيه

و لا خلقت قمراً منيرا

كلاًّ و لا شمساً أضاءت نورا

و ليس بحر فى المياه يجرى

كلاًّ و لا فُلك البحار تسرى

إلاًّ لأجل من هم تحت الكسا

من لم يكن أمرهم ملتبسا

قال الأمين: قلت: يا رب و من

تحت الكسا؟ بحقهم لنا أبِن

فقال لی: هم معدن الرساله

و مهبط التنزيل و الجلاله

و قال: هم فاطمه و بعلها

و المصطفی و الحسنان نسلها

فقلت: يا رباه هل تأذن لی

أن أهبط الأرض لذاک المنزل

فأغتدی تحت الكساء سادساً

كما جعلتُ خادماً و حارسا؟

قال: نعم. فجاءهم مسلّما

مسلماً يتلو عليهم إنما

يقول: إنَّ الله خصّكم بها

معجزه لمن غدا منتبها

أقرأكم ربُّ العلا سلامه

و خصّكم بغايه الكرامه

و هو يقول معلناً و مفهما

أملاكه الغر بما تقدما

قال علی: قلت: يا حبيبی

ما لجلوسنا من النصيب؟

قال النبی: و الذی اصطفانی

و خصّنی بالوحی و اجتبانی

ما إن جر ی ذکر لهذا الخبرِ

فی محفل الأشیاع خیر معشر

إلاَّ و أنزل الإله الرحمه

و فیهم حفَّت جنود جمَّه

من الملائکه الذین صدقوا

تحرسهم فی الدهر ما تفرقوا

کلَّا و لیس فیهم مغموم

إلَّا و عنه کُشفت هموم

کلَّا و لا طالب حاجه یری

قضاءها علیه قد تعسّرا

إلَّا قضی الله الکریم حاجته

و أنزل الرضوان فضلاً ساحته

قال علیٌ: نحن و الأحباب

أشیاعنا الذین قدماً طابوا

فُزنا بما نلنا و ربِّ الکعبه

فلیشکرنَّ کلُ فَردٍ ربَّه

یا عجباً یستأذنُ الأمین

علیهم و یهجمُ الخئون

قال سُلیمٌ: قلتُ: یا سلمان

هل دخلوا و لم یک استئذان

فقال: أی و عزَّه الجبار

لیس علی الزهراءِ من خمار

لکنها لاذت وراء الباب

رعایه للستر و الحجابِ

فمذ رأوها عَصَروها عصره، كادت، بروحی

أن تموت حسره

تصیح: یا فضهُ أسندینی

فقد و ربی قتلوا جنینی

فأسقطت بنت الهدی واحزنا

جنینها ذاک المسمَّی مُحسنا

الزکیه

لقد وردت کلمات فی القرآن الکریم مشتقه من التزکیه فی مواضع عدیده کقوله تعالی: «قد افلح من زکاها» و قوله: «اقتلت نفسا زکیه» و قوله: «لاهب لک غلاما زکیا» و قوله «ذلک ازکی لکم واطهر».

و هذه الکلمه تستعمل فی التطهیر و النمو، فالآیه الاولی معناها: قد افلح من زکی نفسه بالتطهیر من الاخلاق الذمیمه، الناشئه من شر البطن و الکلام و الغضب و الحسد و البخل، و حب الجاه و حب الدنیا و الکبر و العجب.

فالتطهیر من هذه الصفات یکون بالتجرد عنها، و بالعمل الصالح الذی هو ضد البخل و الکبر، و ماشا به ذلک.

و معنی الآیه الثانیه: اقتلت نفسا طاهره لم تصدر منها جنایه او ای عمل یوجب قتلها. و معنی الایه الثالثه: ای غلاما طاهرا من الذنوب، تاما فی افعال الخیر. و السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) زکیه بجمیع هذه المعانی و المفاهیم، و فی آیه التطهیر کفایه لاثبات هذه الامور، فهی زکیه ای مطهره من کل رجس، و قد ذکرنا معانی (الرجس) عند البحث عن آیه التطهیر.

و اما الآیه التی معناها النمو و الزیاده فان السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) زکیه بذالک المعنی ایضا، و قد ذکرنا بعض ما یتعلق بهذا الموضوع فی معنی کلمه (المبارکه).

ص: ۸۸

الراضیه

الرضا بما قدَّر الله تعالی لعبده یعتبر من أعلی درجات الإیمان بالله (عز و جل)، و قد رضیت السیده فاطمه الزهراء بما قدر لها من مراره الحیاه، و هذا الکتاب کله یحدثک عن المصائب و النوائب التی انصبّت علیها، منذ نعومه أظفارها إلی أن فارقت الحیاه فی عنفوان شبابها، و=هی فی جمیع تلک المراحل راضیه بما کتب الله لها من خوف و اضطهاد و حرمان و فقر و أحزان و هموم و غموم و مآسی و آلام، و ستجد شیئاً من تلک المکاره التی امتزجت بحیاتها تجدها فی هذا الکتاب، و یجدر بها أن یشملها قوله تعالی: (یا أیتها النفس المطمئنه ارجعی إلی ربک راضیه مرضیه) لأنها راضیه بثواب الله، راضیه عن الله بما أعد الله لها، راضیه بقضاء الله فی الدنیا حتی رضی الله عنها.

المرضیه

إن درجه المرضیین عنـد الله تعالی درجه عالیه، و منزله سامیه فهناک القلیل من عباد الله الـذین رضـی الله عنهم فکانوا مرضـیین عند الله تعالی بسبب اعتدالهم و استقامتهم.

و من جمله الـذین فازوا بتلک المنزله الرفیعه و الـدرجه الراقیه هی سـیدتنا فاطمه الزهراء (علیهاالسـلام) فإن الله تعالی قـد رضـی عنها، احسن الرضا، فکانت مرضیه عنده لعبادتها و طاعتها، مرضیه لزهدها و انفاقها، مرضیه لصبرها و استقامتها.

و قـد روی الحافظ العسـقلانی عن رسول الله (صـلی الله علیه و آله و سـلم) انه قال: «اتانی جبرئیل فقال: یا محمد ان ربک یحب فاطمه فاسجد، فسجدت...»الی آخره (۱) .

کما روی الذهبی ان جبرئیل نزل علی النبی (صـلی الله علیه و آله و سلم) عند والده فاطمه فقال: «... الله یقروک السلام، و یقری ء مولودک السلام» (۲) .

ص: ۹۰

۱- ۹۰. لسان المیزان لابن حجر العسقلانی ج ۳ ص ۲۷۵ طبعه حیدر آباد.

۲- ۹۱. میزان الاعتدال للذهبی ج ۲ ص ۲۶ طبعه القاهره.

المحدثه

قبل کل شی ء ینبغی أن نعلم: هل تتحدث الملائکه مع غیر النبی؟ و هل یراهم غیر النبی؟ أو یسمع أصواتهم؟

للإجابه علی هذه الأسئله نراجع القرآن الکریم للتحقیق عن الجواب الصحیح: ۱- قال تعالی: «و إذ قالت الملائکه یا مریم إن الله اصطفاک و طهَّرک و اصطفاک علی نساء العالمین یا مریم اقنتی لربِّک و اسجدی و ارکعی مع الراکعین» (۱) .

إن صریح هذه الآیه أن الملائکه خاطبت مریم بما مرّ علیک من کلمات الثناء و الأوامر الإلهیه.

و لا شک أنها کانت تسمع نداءهم و تفهم خطابهم و إلا فما فائده هذا الخطاب؟ و قیل: الذی خاطبها هو جبرئیل وحدهِ (۲) .

۲- قل سبحانه: «و اذکر فی الکتاب مریم إذ انتبذت من أهلها مکاناً شرقیاً فاتخذت من دونهم حجاباً، فأرسلنا إلیها روحنا فتمثَّل لها بشراً سویا قالت إنی أعوذ بالرحمن منک إن کنت تقیاً، قال إنما أنا رسول ربِّک لأهب لک غلاماً زکیاً، قالت أنِّی یکون لی غلام و لم یمسسنی بشر و لم أکُ بغیّاً، قال کذلک قال ربک هو علیَّ هیِّن، و لنجعله آیه للناس،

۱- ۹۲. آل عمران: ۴۱.

۲- ۹۳. مجمع البیان فی تفسیر الایه.

و رحمهً و كان أمراً مقضياً» (۱) .

لقد أجمع المفسرون أن المقصود من «روحنا» هو جبرئيل، تمثّل لها بصوره آدمى صحيح، لم ينقص منه شى ء فانتصب بين يديها، و جرى بينهما الكلام و الحوار.

۳- قال سبحانه: «و امرأته قائمه فضحكت فبشّرناها بإسحاق و من وراء إسحاق يعقوب. قالت يا ويلتى ءألد و أنا عجوز و هذا بعلى شيخاً إنّ هذا لشى ء عجيب قالوا: أتعجبين من أمر الله رحمه الله و بركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد» (۲) .

إن هذه الآيات تتعلق بمجى ء الملائكه إلى دار إبراهيم الخليل (عليه السلام) لتبشّره بالولد، و كانت زوجته ساره تخدم و تحمل الطعام إليهم ظناً منها أنهم ضيوف.

و هذه الايات صزيخه بان ساره قد تكلمت مع الملائكه، و خاطبتها الملائكه بما مر عليك من الايات.

۴- قال (عز و جل): «وأوحينا إلى أمّ موسى أن أرضعيه فإذا خفتِ عليه فألقيه فى اليم» (۳) .

و قد ذكر المفسرون معنى (أوحينا) أى ألهمنا، و قذفنا فى قلبها، و على قول: إنها نوديت بهذا الخطاب.

و قد ذكر المنّاوى فى شرح الجامع الصغير ج ۲ ص ۲۷۰ عن القرطبى قال: (محدَّثون) بفتح الدال اسم مفعول، جمع محدَّث أى مُلهَم، أو صادق الظن و هو مَن أُلقى فى نفسه شى ء على وجه الإلهام و المكاشفه من

۱- ۹۴. مريم: ۱۶- ۲۱.

۲- ۹۵. هود: ۷۰- ۷۳.

۳- ۹۶. القصص: ۷.

الملأ الأعلى، أو مَن يجرى الصواب على لسانه بلا قصد، أو تكلِّمه الملائكه بلا نبوه، أو من إذا رأى رأياً أو ظنَّ ظناً أصاب كأنه حُدِّث به و ألقى فى روعه من عالم الملكوت، فيظهر على نحو ما وقع له، و هذه كرامه يكرم الله بها من يشاء من صالحى عباده، و هذه منزله جليله من منازل الأولياء.»

أقول: بعد هذه المقدمات سوف لا يصعب عليك أن تعرف أن السيده فاطمه الزهراء كانت محدَّثه، إذ ليست سيده نساء العالمين و بنت سيده الأنبياء و المرسلين بأقلّ شأناً من مريم بنت عمران أو ساره زوجه إبراهيم أو أم موسى، و ليس معنى ذلك أن مريم أو ساره أو أم موسى كنَّ من الأنبياء، و هكذا ليس معنى ذلك أن السيده فاطمه الزهراء كانت نبيه.

و قد روى الشيخ الصدوق فى (علل الشرائع) عن زيد بن على قال: سمعت أن أباعبدالله (الصادق) يقول إنَّما سمِّيت فاطمه محدَّثه (بفتح الدال) لأن الملائكه كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادى مريم بنت عمران، فتقول الملائكه: يا فاطمه إن الله اصطفاك و طهَّرك و اصطفاك على نساء العالمين (۱) .

قال الإمام الصادق (عليه السلام) لأبى بصير....: و إن عندنا لمصحف فاطمه، و ما يدريهم ما مصحف فاطمه؟ قال: فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، و الله ما فيه من قرآنكم حرف واحد و إنما هو شى ء أملاه الله عليها و أوحى إليها... الى آخر حديث (۲) .

إن هذا الحديث يكشف لنا أموراً قد تحتاج إلى بحث و تحقيق، فقول الإمام (عليه السلام): «فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات» يريد بذلك حجم

۱- ۹۷. علل الشرائع: ص ۱۸۲ باب ۱۴۶ ح ۱.

۲- ۹۸. الكافى: ج ۱ ص ۲۳۸ ح ۱.

المصحف، و کمیه المواد الموجوده فیه، و حیث أن القرآن کتاب معروف و مشهور عند جمیع المسلمین فی کل زمان و مکان من حیث الحجم و السور و الآیات و الکمیه.

و لهذا جعل الإمام (علیه السلام) القرآن مقیاساً و میزاناً یقیس علیه مصحف فاطمه (علیهاالسلام) من حیث الحجم و کمیه المواد.

فمثلاً: لو أن قرآناً طبع بحروف متوسطه، و صفحات حجمها متوسط، فلنفرض أن عدد تلک الصفحات تبلغ خمسمائه صفحه فلو طبعنا مصحف فاطمه (علیهاالسلام) بنفس تلک الحروف و نفس حجم تلک الصفحات لبلغ عدد صفحات مصحف فاطمه (علیهاالسلام) ألفاً و خمسمائه صفحه، أی ثلاثه أضعاف صفحات القرآن، و هذا معنی کلام الإمام (علیه السلام): (فیه مثل قرآنکم هذا ثلاث مرات) و لیس معناه أن القرآن الموجود بین أیدینا ناقص، و أن مصحف فاطمه مکمِّل له.

کلّا و ألف کلّا.

و لیس معناه أن الله أنزل علی السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) قرآناً. و کل من ادَّعی غیر هذا فهو إمَّا جاهل أو معاند مفتر کذّاب.

و أما کلمه: المصحف (و إن کان هذا الاسم) یستعمل فی زماننا هذا اسماً للقرآن و لکنه فی اللغه یستعمل فی الکتب.

قال الرازی فی مختار الصحاح: (و المصحف- بضم المیم و کسرها- و أصله الضم، لأنه مأخوذ من (أصحف) أی جُمعت فیه الصحف.

و فی المنجد: المَصحف و المُصحف جمعه مصاحف: ما جُمع من الصحف بین دفَّتی الکتاب المشدود.

و فی صراح اللغه:-

مصحف- بالكسر و الضم- كراسه.

قال الفراء و قد استثقلت العرب الضمه فی حروف فکسروا میمها، و أصلها الضم من ذلک مصحف و مخدع و مطرف... لأنها فی المعنی مأخوذه من أصحف أی جمعت فیه الصحف.

و فی المصباح المنیر:- و الصحیفه قطعه من جلد أو قرطاس کتب فیه... و الجمع صُحُف بضمتین و صحائف... و المصحف بضم المیم أشهر من کسرها.

و فی أقرب المُوارد:- المُصحف اسم مفعول... و حقیقتها مجمع الصحف أو ما جمع منها بین دفتی الکتاب المشدود... و فیه لغتان أخریان و هما المِصحف و المَصحف جمعه مصاحف.

و فی لسان العرب:-

المُصحف و المِصحف الجامع للصُّحف المکتوبه بین الدفتین کأنه أُصحِف، و الکسر و الفتح فیه لغه.

ایها القاری الکریم: الیک الآن هذاالحدیث الشریف الذی یتحدث فیه الامام الصادق (علیه السلام) عن معنی المحدثه و «مصحف فاطمه»:...

فی بحارالانوار ج ۴۳:... و ساله بعض اصحابه عن مصحف فاطمه.

فسکت الإمام طویلاً، ثم قال: إنکم لتبحثون عما تریدون و عما لا تریدون!

إن فاطمه مکثت بعد رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) خمسه و سبعین یوماً، و کان دخلها حزن شدید علی أبیها، و کان جبرئیل یأتیها فیحسن عزاها علی أبیها، و یطیب نفسها و یخبرها عن أبیها و مکانه

و یخبرها بما یکون بعدها، و کان علی (علیه السلام) یکتب ذلک، فهذا مصحف فاطمه. و الحسین بن أبی العلا یروی عن الإمام الصادق (علیه السلام) قوله:... و مصحف فاطمه، ما أزعم أن فیه قرآناً، و فیه ما یحتاج الناس إلینا، و لا نحتاج إلی أحد، حتی أن فیه الجلد بالجلده، و نصف الجلده، و ربع الجلده و أرش الخدش.. الی آخره.

و فی حدیث آخر قال (علیه السلام): و أما مصحف فاطمه (علیهاالسلام) ففیه ما یکون من حادث، و أسماء من یملک إلی أن تقوم الساعه.

بقی الکلام حول جمله (أوحی إلیها) فالمستفاد من القرآن أن الوحی من الله لا یختص بالأنبیاء، بل یوحی الله تعالی إلی غیر الأنبیاء أیضاً، استمع إلی هذه الآیات البیّنات:

۱- «فقضیهن سبع سموات فی یومین وأوحی فی کل سماء أمرها» (۱) .

۲- «و إذا أوحیت إلی الحواریین أن آمنوا بی و برسولیِ» (۲) .

۳- «إذ یوحی ربّک إلی الملائکه أنی معکم فثبّتوا الذین آمنواِ» (۳) .

۴- «و أوحی ربک إلی النحل أن اتخذی من الجبال بیوتاًِ» (۴) .

۵- «و أوحینا إلی أم موسی أن أرضعیه» (۵) .

۶- «و إذ أوحینا إلی أمک ما یوحیِ» (۶) .

هذه بعض الآیات التی تصرح بأن الوحی لا یختص بالأنبیاء، بل لا یختص بالبشر، فلقد أوحی الله تعالی إلی کل سماء، و أوحی إلی الحواریین و إلی الملائکه و إلی النحل و إلی أم موسی، فلا یصعب علیک أن تقبل بأنَّ الله تعالی أوحی إلی سیده نساء العالمین و بنت سید الأنبیاء

ص: ۹۶

۱- ۹۹. فصلت ۱۰.

۲- ۱۰۰. المائده ۱۱۱.

۳- ۱۰۱. الانفال ۱۲.

۴- ۱۰۲. النحل. ۷.

۵- ۱۰۳. القصص ۶.

۶- ۱۰۴. طه ۳۹.

و المرسلين فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) و كما تقول فى تفسير الوحى إلى أم موسى قل فى تفسير الوحى إلى فاطمه الزهراء.

و ختاماً لهذا البحث: إن مصحف السيده فاطمه الزهراء كتاب ضخم، يحتوى على جميع الأحكام الشرعيه بالتفصيل، و يستوعب قانون العقوبات فى الإسلام، حتى بعض المخالفات التى عقوبتها جلده واحده أو نصف جلده أو ربع جلده، بل و حتى غرامه من خدش جسم أحد من الناس خدشه واحده.

و فيه أسماء ملوك العالم الذين حكموا البلاد من ذلك اليوم و سيحكمون إلى قيام القيامه، كل ذلك كان فى علم الله الذى هو بكل خلق عليم و بكل شى ء خبير بصير محيط.

و فيه ذكر الحوادث المهمه من الملاحم و المجازر التى تحدث فى الكون و غير ذلك من القضايا المهمه.

و ليس فيه شى ء من القرآن كما هو صريح الحديث.

و لقد أطلنا البحث و الكلام حول هذا الموضوع لأن بعض أصحاب النفوس المريضه و القلوب السقيمه اعتبروا هذا الحديث مرتعاً خصباً للتهريج و التشنيع ضد الشيعه و التشيّع، كأنهم لم يقرأوا هذه الآيات أو لم يفهموها أو تناسوها فهاجموا الشيعه مهاجمه شعواء فقالوا ما قالوا، و حسابهم على الله يوم فصل القضاء.

الزهراء

عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) انه قال: «... فخلق الله نور فاطمه الزهراء- یومئذ- كالقندیل، و علقه فی قرطا العرش، فزهرت السماوات السبع و الارضون السبع، من اجل ذلک سمیت فاطمه: الزهراء» (۱) .

و عن ابن عباس قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم):

«و أما ابنتی فاطمه فإنها سیده نساء العالمین من الأولین و الآخرین، و هی بضعه منی و هی نور عینی، و هی ثمره فؤادی و هی روحی التی بین جنبیّ، و هی الحوراء الإنسیه متی قامت فی محرابها بین یدی ربها (جل جلاله) زهر نورها لملائكه السموات كما یزهر نور الكواكب لأهل الأرض (۲) .

و بهذین الحدیثین اتضح لنا سبب تسمیتها (علیهاالسلام) الزهراء، و هناک أحادیث أخری بهذا المضمون، و إنها كانت تتمتع بوجه مشرق مستنیر زاهر، و فیما ذکرنا كفایه.

و لسیدتنا فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) أسماء غیر التی مرّت علیک و كل اسم یدل علی فضیله و مزیه امتازت بها السیده الزهراء، منها: البتول، العذراء، الحانیه (من الحنو) بسبب كثره شفقتها و عطفها علی اولادها.

و كنیتها: أم أبیها، و هی من أفضل كناها.

۱- ۱۰۵. بحارالانوار ج ۴۳ ص ۱۷.

۲- ۱۰۶. امالی الصدوق/ بحار الانوار ج ۴۳.

اعلم أنَّ الله تعالى قد جعل فى مخلوقاته- من الجماد و النبات و الحيوان و الإنسان- قوانين و سُنَن، و جعل تلك المخلوقات خاضعه لتلك القوانين. فالنار طبيعتها الإحراق و هذه سُنّه الله فى النار.

و النبات يحتاج إلى زمان محدود و مكان معيّن بشروط خاصه حتى ينمو و يكبر و يثمر. أنظر إلى الحبه التى تزرع، و العوامل التى تساعدها على أن تنبت من الأرض، و الزمان المعيّن لنموِّها!.. و هذه سُنّه الله فى النباتات.

و كذلك الحيوانات جعلها الله خاضعه لقوانين خاصه و أحجامها و ألوانها و غير ذلك. و الإنسان كذلك خاضع لقوانين كونيه، و طبائع جسميه و نفسيه و روحيه، و لكن الله تعالى جعل أولياءه فوق تلك القوانين و السنن فى ظروف خاصه لحكمته البالغه.

و بعباره أخرى: جعل الله تلك القوانين هى الخاضعه لأوليائه بإذنه.

أنظر إلى النار المحرقه، التى تحرق كل ما أصابته، و لكن الله تعالى جعل النار برداً و سلاماً على إبراهيم الخليل (عليه السلام).

و كذلك أنبت الله على نبيه يونس (عليه السلام) شجره من يقطين، بعد أن نبذه الحوت بالعراء و هو سقيم، مع العلم أن حبه اليقطين تحتاج إلى مده غير قصيره،حتى تنبت وتورق وتستر بوَرقها جسم إنسان أو غير إنسان، و هكذا جعل الله النبات خاضعاً لوليه يونس (عليه السلام).

و التناسـل لاـ يمكن إلاّـ بالتلقيـح، و انتقال نطفه الرجل إلى رحم المرأه، و تطوُّر النطفه إلى علقه إلى مضـغه إلى عظام إلى خلق آخر، و إلى أن يكمل الجنين خلال سته أشهر على أقل التقادير، أو تسعه أشهر كما هو الغالب.

هذه سنه الله فى قانون التناسل بين البشر، و لكن هذه السُنه و هذا القانون كان خاضعاً لمريم إذ حملت بعيسى (عليه السلام) و لم يمسسـها بشـر، و حملت و بلـدها فانتبذت به مكاناً قصـياً، فأجاءها المخاض إلى جذع النخله، فوضـعت بعيسـى، كل ذلك خلال تسع ساعات أو ست ساعات فقطِ (۱) .

و على هذا الغرار كانت المعجزات تصدر عن الأنبياء و الأوصياء عن طريق خرق العاده و الطبيعه.

هـذا و الأـمثله كثيره جـداً، تجـد فى القرآن الكريم طائفه كبيره من القصـص التى تحـدّى فيها الأنبياء و الأوصـياء قانون الطبيعه، كهبوط آدم من الجنه إلى الأرض، و فوران التنور بالماء فى قصه نوح (عليه السـلام) و حمْل ساره بإسحاق (عليه السلام) بعد أن كانت عجوزاً عقيماً، و انقلاب العصا حيَّه تسـعى فى قصه موسى (عليه السلام) و إبراء الأكمه و الأبرص و إحياء الموتى فى قصه عيسـى (عليه السـلام) و قصه الإسـراء و المعراج فى قصه رسول الله (صـلى الله عليه و آله و سلم) و غير ذلك من القضايا الخارقه للعاده و الطبيعه.

و قد ذكرت هذه الفقرات كمقدمه تمهيديه لما يلى:

إن العاده الشـهريه التى تراها المرأه فى كل شـهر منذ بلوغها حدِّ الأنوثه إلى الخمسين أو الستين من العمر ما هى إلاَّ دم فاسد، قد تخزنه فى

۱- ۱۰۷. (مجمع البيان)سوره مريم. ج ۶/ ۵۱۱.

الأوعیه و الأجهزه التی جعلها الله فی جسم المرأه لیکون ذلک الدم غذاء للجنین، فإذا لم یکن جنین فی الرحم سال الدم إلی الخارج، و ربما انقلب إلی اللبن إذا کانت المرأه مرضعه.

قال تعالی: «و یسألونک عن المحیض قل هو أذیً» أی إن دم الحیض ماده ضارّه، مؤذیه فی جسم المرأه، فلابدَّ من خروجها لتنجو المرأه من أمراض و أعراض.

و فی فتره العاده الشهریه تحدث حوادث جسمیه و روحیه للمرأه تغیِّر ملامحها، و لون وجهها، بل و أخلاقها و نفسیِّتها و من الممکن معرفه الحائض من ملامح وجهها و عینیها، بل من نظراتها و حرکاتها، و هذا النزیف لا یشبه النزیف الطبیعی العادی الذی یصاب به الإنسان، بل یختلف عن ذلک اختلافاً کثیراً.

إن العاده الشهریه حینما تحدث للمرأه تشعر بشی ء من الانفعال و الخجل و الانکسار و إن کان الأمر خارجاً عن إرادتها و اختیارها، و لکنها تتألم بهذا الحادث الذی لا یحسن التصریح به لکل أحد، و خاصه للرجال، و النزیف و حاله الانفعال توجد فی المرأه ضعفاً و انکساراً فی جسمها و روحها.

و لهذا سقط عنها حکم الصلاه و الصوم خلال فتره العاده، و حرَّم الله علیها اللبث فی المساجد و دخول المسجد الحرام و المسجد النبوی و قراءه سُوَر العزائم الأربع و هی السور التی فیها آیات السجده الواجبه و غیر ذلک مما هو مذکور فی الکتب الفقهیه.

و نفس هذه الأحکام تجری فی أیام النفاس لنفس الأسباب التی مرّ ذکرها. و لکن الله تعالی کره لسیده النساء فاطمه الزهراء أن تتلوّث بهذه

القذاره المعنويه، فأذهب الله عنها الرجس و طهَّرها تطهيراً.

و هاک طائفه من الأحاديث الصحيحه التى تصرّح بهذا المعنى:

۱- روى القنـدوزى فى ينابيع الموده ص ۲۶۰ عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): إنما سمِّيت فاطمهُ: البتول لأنها تبتَّلت فى الحيض و النفاس.

۲- روى محمـد صالـح الكشـفى الحنفى فى (المناقب) عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) قـال: و سـميت فاطمه بتولاً لأنها تبتلت و تقطَّعت عما هو معتاد العورات فى كل شهر.

۳- روى الأمر تسرى فى (أرجح المطالب): أن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)سئل عن بتول وقيل: إنا سـمعناک- يا رسول الله- تقـول: مريم بتول و فـاطمه بتول؟ فقـال: البتول الـتى لم تر حمره قـط، أى لم تحض، فـإن الحيض مكروه فى بنـات الأنبيـاء. أخرجه الحاكم.

۴- و روى الحافظ أبوبكر الشافعى فى (تاريـخ بغداد ج ۱۳- ص ۳۳۱) عن ابن عباس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): ابنتى حوراء آدميه لم تحض و لم تطمث... الى آخره و رواه النسائى أيضا.

۵- و روى ابن عساكر فى (التاريخ الكبير ج ۱ ص ۳۹۱) عن أنس بن مالک عن أم سليم قالت: لم تر فاطمه (رضى الله عنها) دما فى حيض و لا فى نفاس.

۶- الحافظ السيوطى: و من خصائص فاطمه (رضى الله عنها) أنها كانت لا تحيض،

۷- و روى الرافعى فى التدوين عن أم سلمه (ض) قالت: ما رأت فاطمه (رضى الله عنها) فى نفاسها دما و لا حيضا.

۸- روی الطبری فی (ذخائر العقبی) عن أسماء بنت عُمیس قالت: قبلت (أی ولدت) فاطمه بالحسن فلم أر لها دماً فی حیض و لا نفاس، فقال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): «أما علمت أن ابنتی طاهره مطهره، لا یُری لها دمٌ فی طمث و لا ولاده؟» ورواه الصفوری فی (نزهه المجالس) ص ۲۲۷.

۹- عن أبی بصیر عن الإمام الصادق (علیه السلام) قال: حرَّم الله (عز و جل) علی علی النساء ما دامت فاطمه حیَّه (فی قید الحیاه).

قلت: و کیف؟

قال: لأنها طاهره لا تحیض.

قال شیخنا المجلسی: هذا التعلیل یحتمل وجهین:

الأول: أن یکون المراد أنها لما کانت لا تحیض حتی یکون له عذر فی مباشره غیرها فلذا حرَّم الله علیه غیرها رعایه لحرمتها.

الثانی: أن جلالتها منعت من ذلک، و عبَّر عن ذلک ببعض ما یلزمه من الصفات التی اختصت بها.

أقول: و نزاهه السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) عن هذه الدماء تُعتبر من مصادیق آیه التطهیر التی تُصرِّح بإذهاب الرجس عنهم و تطهیرهم تطهیراً.

العذراء

لقـد مرّ عليك أن من جمله أسـمائها: العـذراء أى أنها كانت عـذراء دائماً، و قـد مرّت عليك أحاديث كثيره تصـرِّح بأنَّ السـيده فاطمه الزهراء (عليهاالسـلام) خُلقت من طعام الجنه، و صرَّح النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) بأنها حوراء إنسيه،و ليس فى هذا التعبير شى ء من المجاز أو الغلوّ، بل هى الحقيقه والحق.

و نجـد إلى جـانب تلـك الأحـاديث قوله تعـالى: (إنَّا أنشأنـا هن إن شـاء فجعلنا هنَّ أبكاراً) و معنى ذلك أنَّ الحور العين أبكار دائماً.

و فى مجمع البيان فى تفسير الآيه: لا يأتيهن أزواجهن إلاّ و جدوهن أبكاراً.

و اليك هذا حديث الذى يفسِّر الموضوع تفسيراً كاملاً.

فقد سأل رجل من الإمام الصادق (عليه السلام)- فى ضمن مسائل- قال: فكيف تكون الحوراء فى كل ما أتاها زوجها- عذراء؟

قال: لأنها خلقت من الطيب، لا يعتريها عاهه و لا تخالط جسمها آفه... و لا يدنسها حيض، فالرحم ملتزقه... الى آخر (۱) .

ص: ۱۰۴

۱- ۱۰۸. البرهان فى تفسير القرآن ج ۴/ ۲۸۱.

حياتها و نشأتها

لقد فتحت السيده فاطمه الزهراء عينها فی وجه الحياه، و فی وجه أبيها الرسول ترتضع من أمِّها السيده خديجه اللبن المزيج بالفضائل و الكمال.

و كانت تنمو فی بيت الوحی نموًّا متزايداً، و تنبت فی مهبط الرساله نباتاً حسناً، يزقّها أبوها الرسول (صلی الله عليه و آله و سلم) العلوم الإلهيه، و يفيض عليها المعارف الربانيه، و يعلّمها أحسن دروس التوحيد، وأرقی علوم الإيمان و أجمل حقائق الإسلام.

و يربّيها أفضل تربيه و أحسنها، إذ وجد الرسول فی ابنته المثاليه كامل الاستعداد لقبول العلوم و وعيها، و وجد فی نفسها الشريفه الطيبه كل الروحانيه و النورانيه، و التهيؤ لصعود مدارج الكمال.

إلی جانب هذا شاءت الحكمه الإلهيه للسيده فاطمه الزهراء أن تكون حياتها ممزوجه بالمكاره، مشفوعه بالآلام و المآسی منذ صغر سنّها، فإنها فتحت عينها فی وجه الحياه و إذا بها تری أباها خائفاً، يحاربه الأقربون و الأبعدون و يناوئه الكفّار و المشركون.

فربما حضرت فاطمه فی المسجد الحرام فرأت أباها جالساً فی حِجر إسماعيل (عليه السلام) يتلو القرآن، و تری بعض المشركين يوصلون إليه أنواع الأذی، و يحاربونه محاربه نفسيه.

و حضرت يوماً فنظرت إلی بعض المشركين و هو يُفرغ سلا الناقه (۱) .

ص: ۱۰۵

۱- ۱۰۹. هو الكيس الذی يتكون فيه الجنتين.

على ظهر ابيها الرسول و هو ساجد.

كانت الزهراء تشاهـد ذالك المنظر المولم، و تسـمح ذالك عن ظهر آبيها و ثيابه،و ترمى القوم بكلمات التحقير و الهاهانه و هم يضحكون منها، شأن السفله الأوباش.

و عن ابن عباس: إن قريشاً اجتمعوا فى الحجر، فتعاقـدوا باللات و العزّى و مناه:لو رأينا محمـداً لقمنا مقام رجل واحـد، و لنقتلنّه، فدخلت فاطمه (عليهاالسلام) على النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) باكيه، و حكت مقالهم... الى آخر كلامه.

واشتدت الأزمه و زادت المحنه حتى اضطر الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يختفى فى شعب أبى طالب، و رافقته عائلته، وآل أبى طـالب إلى ذلـك المكـان، و كـانوا يعيشون فى جو من الإرهـاب و الإرعـاب. ففى كل ليله يتوقعون هجوم المشـركين عليهم و خـاصه بعـد أن كتب المشـركون الصـحيفه القـاطعه، و حاصـروا بنى هـاشم حصـاراً اقتصاديـاً فلاـ يـدعونهم يبيعون و لا يشترون شـيئاً حتى المواد الغـذائيه، بـل و منعوا إيصـال الطعـام إليهم، فاسـتولى الجوع عليهم، و أثّر فى الأطفـال أكثر و أكثر، فلا عجب إذا كانت أصوات بكاء الأطفال تصل إلى مسامع أهل مكه، فبين شامت بهم مسرور، و بين متألِّم حزين.

و طالت المده ثلاث سنين و شهوراً، و كانت السيده فاطمه من الذين شملتهم هذه المأساه.

و هـذه المآسـى أيقظت فى السـيده فاطمه روح الجهاد و الاسـتقامه و المثابره، و كأنها كانت فتره التمرين و التـدريب للمسـتقبل القريب.

و ممـا كـان يهوّن الخطب، و يجبر خـاطر السـيده فـاطمه الزهراء و يقرّ عينهـا أنهـا كـانت ترى البطل الشـهم أباطالب يقف ذلك الموقف المشرِّف فى نصره أبيها الرسول فكان تاره يحمل سيفه و يرافقه أخوه حمزه و يمشيان

ص: ۱۰۶

خلف الرسول نحو المسجد الحرام ليعلن مؤازرته و مناصرته للرسول، و كأنهما جنديان مسلحان فی حاله الإنذار، و ربما انضمّ إلی أبی طالب بعض عبيده و مواليه يمشون خلف الرسول و كأنهم مفرزه عسكريه أو سريه جيش.

و تاره أخری كان يصرّح بتجاوبه وانحيازه إلی الرسول، فكان بعلن إسلامه إظهاراً للحقيقه، فينظم القصائد التی كان لها أحسن أثر فی ذلك اليوم فی دعم الرسول (صلی الله عليه و آله و سلم)، و منها:

ما رواه الطبری بإسناده أن رؤساء قريش لما رأوا دفاع أبی طالب عن النبی (صلی الله عليه و آله و سلم) اجتمعوا إليه، و قالوا: جئناك بفتی قريش جمالاً وجوداً و شهامه: عماره بن الوليد، ندفعه إليك و تدفع إلينا ابن أخيك الذی فرّق جماعتنا، و سفّه أحلامنا فنقتله!!

فقال أبوطالب: ما أنصفتمونی! تعطونی ابنكم فأغذوه، و أعطيكم ابنی فتقتلونه؟ بل، فليأت كل امرئ بولده فأقتله، و قال:

منعنا الرسول رسول المليك

ببيض تلألأ كلمع البروق

أذود و أحمی رسول المليك

حمايه حام عليه شفيق

و أقواله و أشعاره المنبئه عن إسلامه كثيره لا تحصی فمن ذلك قوله:

ألم تعلموا أنا وجدنا محمداً

نبياً كموسی خطَّ فی أول الكتب؟

أليس أبونا هاشم شدَّ أزره

و أوصی بنيه بالطعان و بالحرب؟

و قوله من قصيده:

و قالوا لأحمد: أنت امرؤ

خلوف اللسان ضعيف السبب

ألا: إن أحمد قد جاءهم

بحق، و لم یأتهم بالکذب

و قوله فی حدیث الصحیفه، و هو من معجزات النبی (صلی الله علیه و آله و سلم):

ص: ۱۰۷

و قد كان أمر الصحيفه عبره

متى ما يخبَّر غائب القوم يعجبِ

محا الله منها كفرهم وعقوقهم

و ما نقموا من ناطق الحق معربِ

و أمسى ابن عبدالله فينا مصدِّقاً

على سخط من قومنا غير معتب

و قوله من قصيده يخص أخاه حمزه على اتباع النبى والصبر فى طاعته:

صبراً أبا يعلى على دين أحمد

و كن مظهراً للدين وُفّقت صابرا

فقد سرنى إذ قلت أنك مؤمن

فكن لرسول الله فى الله ناصراً

و قوله يحض النجاشى (ملك الحبشه) على نصر النبى:

تعلَّمِ (۱) مليك الحبش أن محمداً

نبى كموسى و المسيح ابن مريم

أتى بهدىً مثل الذى أتيا به

و كلّ بأمر الله يهدى و يعصم

و إنكم تتلونه فى كتابكم

بصدق حديث، لا حديث المرجّم

فلا تجعلوا لله نداً، و أسلموا

و إن طريق الحق ليس بمظلم

و قال أيضاً:

لقد أكرم الله النبى محمداً

فأكرم خلق الله فى الناس أحمد

و شقّ له من اسمه ليجلّه

فذو العرش محمود، و هذا محمدِ (٢) .

و قال أيضاً:

كذبتم و بيتِ الله نبزى محمداً

و لما نطاعن دونه و نناضلِ

و نُسلمه حتى نُصرَّع حوله

و نذهل عن أبنائنا و الحلائل

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه

ثمال اليتامى عصمه للأرامل

يلوذ به الهَّلاك من آل هاشم

فهم عنده فى رحمه و فواضل

١- ١١٠. تعلم اى اعلم.

٢- ١١١. و قد ضمن حصان بن ثابت هذا البيت فى قصيده فى مدح الرسول.

ألم تعلموا أن ابننا لا مكذَّب

لدينا، و لا نعبأ بقول الأباطل

فأيَّده ربّ العباد بنصره

و أظهر ديناً حقه غير باطل

اقيمُ على نصر النبی محمد

أُقاتل عنه بالقنا و القنابلِ (۱) .

إلی غير ذلک من مواقفه وتصريحاته ومساندته للرسول الأکرم (صلی الله عليه و آله و سلم) ولولا إيمانه بالله واعتقاده بالإسلام لما قام تلک المواقف، و لما غامَرَ بنفسه وبأولاده فی سبيل نصره النبی و تقويه دينه. و لم يکن ذلک التفادی و المخاطره بدافع القرابه، فلقد کان للرسول ثمانيه أعمام (غير أبی طالب) فلماذا لم يسجِّل التاريخ لهم تلک المواقف المشرِّفه، بل سجل التاريخ عن بعض أعمام النبی مواقف مخزيه کمواقف عمِّه أبی لهب.

ص: ۱۰۹

---

۱ - ۱۱۲. القنابل: جمع قنبله- الطائفه من الناس او الخيل- و فی الاصطلاح الحديث هی القذيفه المحشوه بمواد متفجره او حارقه.

وفاه السیده خدیجه الکبری

کانت الأعوام تَمُرّ، و السنوات تنقضی، و حیاه الزهراء مشفوعه بالحوادث و المآسی، و قد بلغت السابعه من عمرها أو قاربت الثامنه و إذا بفاجعه تطلُّ علی حیاتها، و تخیِّم الهموم و تتراکم الأحزان علی قلبها، و هی وفاه أُمها السیده خدیجه، تلک الأُم البارَّه الحنون التی کانت تنظر إلی ابنتها الصغیره فاطمه العزیزه نظره حزن و تألم و تأثر لأنها تعلم أن الزهراء ستفجع بأُمها العطوفه الرؤوفه.

کانت السیده خدیجه طریحه الفراش، و قد خیَّم علیها شبح الموت، فدخل علیها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و هی تعالج سکرات الموت فقال لها: بالرغم منَّا ما نری بک یا خدیجه، فإذا قدمت علی ضرائرک فاقرئیهن السلام! قالت: من هنَّ یا رسول الله؟

قال (صلی الله علیه و آله و سلم): مریم بنت عمران، و کلثم أُخت موسی، و آسیه امرأه فرعون. فقالت: بالرفاء یا رسول اللهِ (۱) .

و کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) یقول: أُمرت أن أُبشِّر خدیجه ببیت فی الجنه من قصب، لا صخب فیه و لا نصبِ (۲) .

قال ابن الأثیر فی (النهایه): القصب- فی هذا الحدیث-: لؤلؤ

۱- ۱۱۳. البحار جلد ۱۹/ ۲۴ عن من لها یحضره الفقیه.

۲- ۱۱۴. مسند احمد.

مجوَّف واسع كالقصر المنيف. والصخب: الضجه و اضطراب الأصوات للخصام.

كانت السيده خديجه تتأوه و تبكى فقالت لها أسماء بنت عميس:

أتبكين و أنت سيده نساء العالمين؟ و أنت زوجه النبى؟ مبشَّره على لسانه بالجنه؟

فقالت: ما لهذا بكيت، و لكن المرأه ليله زفافها لا بدَّ لها من امرأه تفضى إليها بسرِّها و تستعين بها على حوائجها، و فاطمه حديثه عهد بصبا، و أخاف أن لا يكون لها من يتولى أمرها حينئذ!

فقالت أسماء: يا سيدتى لك عهد الله إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك فى هذا الأمر... إلى آخر الخبر.

و فارقت السيده خديجه الحياه، و عمرها ثلاث و ستون سنه (على قول) فكانت وفاتها ضربه مؤلمه على قلب الرسول، و خاصه و أن النبى قد فجع بعمِّه أبى طالب بعد أيام أو شهور من وفاه السيده خديجه فازداد حزناً، حتى سمَّى تلك السنه (عام الحزن) لأنه أصيب بمصيبتين عظيمتين على قلبه البار:

مصيبه زوجته خديجه، لا لأنها زوجته فقط، بل لأنها أَول من صدَّقته بالنبوه، و لأنها كانت زوجه و معاضده و مساعده و محاميه لزوجها، لانها و هبت الالاف المولفه من اموالها فى سبيل الاسلام لانها كانت تحمل شخصيه فريده من نوعها فى المكه، فى نساء العرب.

و دفنت فى الهجون، فنزل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى قبرها.و كانت السيده فاطمه (عليه السلام) تلوذ به رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و تدور حوله و تساله: يا رسول الله عين امى؟ فجعل النبى لايجيبها، و هى تدور على من تسئله، فهبط عليه جبرائيل فقال: ان ربك

يأمرك أن تقرأ على فاطمه السلام و تقول لها: أَمك فی بيت من قصب، كعابه من ذهب، و أعمدته من ياقوت أحمر، بين آسيه امرأه فرعون و مريم بنت عمران.

فقالت فاطمه: إن الله هو السلام و منه السلام، و إليه يعود السلام.

والمصيبه الأخرى مصيبه عمِّه أبی طالب الذی كفل النبی من يوم وفاه جده عبدالمطلب، و هو ابن ثمان سنوات، و استمرت الكفاله حتى بلغ النبی من العمر ثلاثاً و خمسين سنه، و هی السنه التی مات فيها أبوطالب.

و لأبی طالب حقوق و خدمات و مواقف تجاه النبی طيله هذه السنوات تعتبر فی قمه فضائله و فواضله، و لولاه لمات الدين الإسلامی و هو فی المهد:

و لو لا أبوطالب و ابنه

لَما مَثُل الدين شخصاً فقاما

فهذا بمكه آوی و حاما

و هذا بيثرب جسَّ الحِماما

و لله ذا فاتحاً للهدی

و لله ذا للمعالی ختاما

و كان لهاتين الفاجعتين أكبر الأثر فی حياه الرسول و تغيير مجراها، لو لا موت أبی طالب لما هاجر من مكه، لأنَّه حينذاك شعر بفقدان الناصر و الكفيل و المحامی و لم يكن فی أعمامه مَن يقوم مقام أبی طالب حتى عمه حمزه يو مذاك.

و قد رثاه ابنه الإمام علی بن أبی طالب (عليه السلام) بأبيات:

أباطالب عصمه المستجير

و غيث المحول و نور الظُّلَم

لقد هدَّ فقدك أهل الحفاظ

فصلَّی عليك ولی النعم

و لقَّاك ربك رضوانه

فقد كنت للطهر من خير عمِ (۱) .

۱- ۱۱۵. كتاب الكنى و الالقاب للقمی.

فاطمه الزهراء و الهجره

و لما أصيب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بوفاه السيده خديجه و عمه أبى طالب عزم على الهجره من مكه، و أمر عليّاً أن يبيت على فراشه تلك الليله، و سُمّيت تلك الليله: (ليله المبيت) و هى الليله التى اجتمع فيها حوالى أربعين أو أربعه عشر رجلاً من المشركين، و طوّقوا بيت الرسول، و هم يريدون الهجوم على النبى ليقتلوه فى بيته، فخرج النبى إلى الغار، و بقيت السيده فاطمه فى البيت، و هى تتوقع هجوم الأعداء على دارها فى كل ساعه و تستمع إلى هتافات الكفر و الإلحاد ضد الرسول.

و يعلم الله مدى الخوف و القلق المسيطر عليها طيله تلك الليله، و هى تعلم خشونه طباع المشركين و قساوه قلوبهم، فيكون أسوأ الاحتمالات عندها أقرب الاحتمالات.

و إلى أن اصبح الصباح من تلك الليله، و هجم القوم فى الدار شاهرين سيوفهم كأنهم ذئاب ضاريه أو كلاب مستسبعه تطلب فريستها، و قصدوا نحو فراش النبى فلم يجدوه بل وجدوا عليّاً (عليه السلام) راقداً فى فراش النبى، ملتحفاً برده رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فخابت ظنونهم، و خرجوا من الدار فاشلين، و كادوا أن يتفجّروا حقداً و غيظاً و غضباً.

فكانت تلك الساعات من أحرج الساعات و أكثرها خوفاً و فزعاً على قلب السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام).

و يا ليت الأمر كان ينتهى هنا، و لكن أحقاد الكفر كانت كامنه فى

الصدور كأنها جمره تحت رماد.

و لما خرج أميرالمؤمنين (عليه السلام) بالفواطم من مكه و هُنَّ: فاطمه الزهراء بنت رسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلم) و فاطمه بنت أسد (أم أميرالمؤمنين)و فاطمه بنت الزبير بن عبدالمطلب، فلحقهم العدو، و اعترضهم فى أثناء الطريق للحيلوله دون الهجره، و كان الموقف حرجاً، و استولى الرعب و الفزع على قلوب الفواطم من الأعداء، و كادت أن تقع هناك كارثه أو كوارث لولا حفظ الله و عنايته، ثم بساله الإمام على و بطولته المشهوره، و كفاهم الله شر الأعداء،و نجى على و الفواطم بقدره الله تعالى.

وصلت الفواطم إلى المدينه، و قد كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قد سبقهم إليها، و كان ينتظرهم، و لما وصلوا دخل النبى المدينه و نزل فى دار أبى أيوب الأنصارى، و التحقت به ابنته فاطمه الزهراء، و نزلت على أُم أبى أيوب الأنصارى.

كانت السيده الزهراء تعيش تحت ظل والدها الرسول فى المدينه بعد أن مرَّت بها عواصف شديده و حوادث مؤلمه، من موت أُمها خديجه و هجره أبيها الرسول من وطنه و مسقط رأْسه، و هجوم الأعداء على الدار، و هجرتها من مكه إلى المدينه، و مطارده الأعداء لها،

فهل انتهت تلك الحوادث و المصائب؟

كلا، بل كانت تلك القضايا بدايه مآسى أخرى، و كوارث متسلسله متعاقبه، إذ ما مضت سنه واحده على الهجره الا و المشركون يجتمعون فى مكه و يقصدون التوجه إلى المدينه لمحاربه الرسول و المسلمين.

فنول جبرئيل و أخبر النبى بالمؤامره، و خرج (صلى الله عليه و آله و سلم) بالمسلمين من أهل المدينه و بمن التحق به من المهاجرين من أهل مكه، خرج بهم ليستقبل العدو فى أثناء الطريق قبل وصولهم المدينه، فوصلوا

إلى منطقه بین المدینه و مکه یقال لها: (بدر).

و هناک التقوا بالمشرکین، و کان عدد المشرکین ثلاثه أضعاف المسلمین، و لکن کانت الغلبه و الانتصار للمسلمین و الهزیمه والاندحار للمشرکین، فرجع النبی إلى المدینه مظفَّراً منصوراً.

ص: ۱۱۵

فاطمه الزهراء يوم أحد

و بعد سنه واحده و شهر وقعت غزوه أُحد، و قُتل فيها من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) سبعون رجلًا كانوا هم الصفوه و الزبده من أصحابه، و فی طليعتهم عمّه سيد الشهداء حمزه بن عبدالمطلب، و أُصيب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بحجر انكسرت منه جبهته الشريفه، و حجر أصاب فمه الطاهر و انكسرت منه ثناياه، و تخثَّر الدم على لحيته كأنه حِنّاء أو خضاب.

و فی تلك الآونه صاح إبليس صيحه سمعها المسلمون فی أُحد، و سمعها أهل المدينه، صاح: (قُتل محمد).

اضطربت القلوب فی جبهه القتال، و انهزم المنهزمون، و ثبت المؤمنون حقاً، و لم يكن اضطراب العوائل فی المدينه بأقل من اضطراب المسلمين فی ساحه القتال.و قد خرجت صفيه بنت عبدالمطلب (عمه النبی) و فاطمه الزهراء إلى أحد، فصاحت فاطمه، و وضعت يدها على رأسها.

و خرجت تصرخ، و خرجت كل هاشميه و قريشيه، واضعه يدها على رأسها.

و كان وصول فاطمه الزهراء وصفيه إلى أُحد بعد أن وضعت الحرب أوزارها، و بعد أن قُتل من قُتِل، و جُرحَ من جُرح، و كان النبی يتفقد القتلى و يبحث عن المفقودين من أصحابه.

و هو إذ ذاك قد وصل إلى مصرع حمزه، فوجده بحاله لا توصف،

ص: ۱۱۶

فقـد مثّلوا به أبشع و اقبـح مُثله، فقـد قطعوا أصابع يـديه و رجليه، و جـدعوا أنفه و أذنيه و شـقّوا بطنه، و أخرجوا كبـده، و تركوه بهذه الحاله.

كان هذا المنظر المشوَّه مؤلماً و محزنا و مخدشاً لقلب الرسول، إذ هو نكايه و تنكيل من المشركين لعمِّ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و ناصره و المدافع عنه.

كان الحزن و الغيظ قد أخذ من الرسول كل مأْخذ، فبينما هو كذلك و إذا به يرى عمَّته صـفيه وابنته فاطمه قد توجَّهتا نحو تلك المنطقه، فغطى الرسول جثمان حمزه بردائه، و ستَرَه من القرن إلى القدم كى لا يُرى شى ء من مواضع المثله.

و أقبلت صـفيه و فـاطمه تعـدُوان، و جلسـتا عنـد مصـرع حمزه، و شـرعتا بالبكاء والنحيب، و رسول الله يساعـدهما على البكاء، و يشاركهمـا فى الأ-نين والنحيـب، ثم نظرت فـاطمه إلى جراحه جبهه الرسـول، و إلى الـدماء المتخثره على وجهه الطـاهر و لحيته الشريفه، فصاحت و جعلت تمسح الدم و تقول: اشتدّ غضب الله على من أَدمى وجه رسول الله.

فغسلت الدماء عن وجه أبيها، و كان على يصبّ الماء بالمجن (۱) .

فلما رأت فاطمه أنَّ الماء لا يزيـد الـدم إلاَّ كثره عمـدت إلى قطعه حصـيره فأحرقتها، و جعلت رمادها ضـماداً على جبهه أبيها، و ألزمته الجرح، فاستمسک الدم.

أترى كيف انقضت تلك الساعات على قلب فاطمه؟

فقد تداخلها الحزن العظيم و الخوف الشديد و هى البنت البارَّه بأبيها، العارفه بحقه.

و لما رجع على (عليه السلام) من أُحد ناولَ فاطمه سيفه، و قال:

۱- ۱۱۶. المجن: الترس.

خذی هذا السیف، فلقد صدقنی الیوم، و أنشأ یقول:

أفاطم هاکِ السیف غیر ذمیمِ

فلستُ برعدیدٍ، و لا بلئیم

لعمری لقد أعذرتُ فی نصر أحمد

و طاعه ربٌ بالعباد علیم

أُرید ثواب الله لا شی ء غیره

و رضوانه فی جنه و نعیم

و کنتُ امرأً یسمو إذ الحرب شمُّرت

و قامت علی ساق بغیر ملیم

أممت بن عبدالدار حتی جرحته

بذی رونق یفری العظام صمیم

فغادرته بالقاع فارفضَّ جمعه

عبادید مما قانط و کلیم

و سیفی بکفّی کالشهاب أهزُّه

أحزُّ به من عاتقِ و صمیم

فما زلت حتی فضَّ ربی جموعهم

و أشفیت منهم صدر کل حلیم

أَمیطی دماء القوم عنه فإنه

سقی آل عبد الدار کأْس حمیم

فقال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): خذیه یا فاطمه فقد أدَّی بعلک ما علیه، قتل الله صنادید قریش بیدیهِ.

ایها القاری ء الکریم: لقد مرَّ علیک أن السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) حضرت فی أَحد، بعد أن وضعت الحرب أوزارها، و لما نظرت إلی جراحه أبیها غسلت الدماء بالماء، و أحرقت قطعه حصیره و جعلت رمادها علی جبهه أبیها الرسول.

هذه الواقعه کما ذکرها المؤرخون.

و لکن فی زماننا- هذا- جاءت طائفه من الناس، واعتبروا هذه الواقعه ساحه لمسرحیاتهم الشاذه، فکتبوا بکل إصرار و إلحاح و تکرار أن فاطمه کانت تحضر جبهات القتال و تضمِّد الجرحی، و تداویهم و تسعفهم!!

أنا ما أدری ما یقصد هؤلاء الشواذ من اختلاق هذه الأکذوبه؟

إذا قامت سیده بتضمید جراحه أبیها فقط و فقط فی العمر مره واحده بعد انتهاء القتال هل یقال عنها: أنها کانت تحضر جبهات القتال و تضمد

الجرحی و تداویهم؟؟

أنا ما أدری ما هدف هؤلاء من ترویج هذا الباطل و إشاعه هذا الافتراء؟

هل یریدون المسَّ بقدسیَّه السیده فاطمه الزهراء و نزاهتها؟

أم یریدون فتح الطریق للاختلاط بین الجنسین.

و لنفرض أن نسیبه بنت کعب حضرت یوم أُحد لتضمید الجرحی فهل معنی ذلک أن نعتبر السیده فاطمه الزهراء- و هی سیده نساء العالمین فی العفاف و الحیاء و الحشمه و النزاهه و العصمه نعتبرها کالموظفات فی المستشفیات و المستوصفات و مؤسَّسات الإسعاف الدولیه؟؟

أنا ما أدری، و لعلهم یدرون و یعرفون ما یبرِّر لهم هذه الأکذوبه!.

ص: ۱۱۹

مشاکل السیده فاطمه فی دار أبیها

و من المشاکـل التی عکَّرت- علی السـیده فـاطمه الزهراء (علیهاالسـلام)- حیاتهـا أنهـا ابتلیت ببعض زوجـات أبیهـا الرسول، من اللواتی قد تکوَّنت عندهنَّ عقده نفسیه، فکنَّ یحسدن السیده فاطمه الزهراء علی مواهبها و فضائلها، و خاصه و أن الرسول (صلی الله علیه و آله و سـلم) کـان یغمر السـیده فـاطمه بألطـافه و یمطر علیهـا عواطفه، و یحبهـا حبـاً عجیبـاً یهیِّج فی قلوب بعض نسائه الحسد الکامن.

فقد روی شـیخنا المجلسـی (علیه الرحمه) عن کتاب الخصال عن أبی عبدالله الصادق (علیه السـلام) قال: دخل رسول الله (صـلی الله علیه و آله و سـلم) منزله، فإذا عائشه مقبله علی فاطمه تصایحها، و هی تقول: و الله یا بنت خدیجه ما ترین إلا أنّ لأُمُّک علینا فضلًا، و أی فضل کان لها علینا؟ و ما هی إلَّا کبعضنا!!

فسمع النبی مقالتها لفاطمه، فلما رأت فاطمه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) بکت، فقال: ما یبکیک یا بنت محمد؟

قالت: ذکرت عائشه أُمی فنقّصتها فبکیتُ.

فغضب رسـول الله (صـلی الله علیه و آله و سـلم) ثم قـال: مَه یـا حمیراء! فـإن الله تبـارک و تعـالی بـارکَ فی الودود الولود و إن خدیجه (رحمها الله) ولدت منی طاهراً (و هو عبدالله) و هو المطهّر، و وَلدت منی القاسم و رقیه و أم کلثوم و زینب، و أنت ممن أعقم الله رَحِمها. فلم تلدی شیئاً (۱) .

۱- ۱۱۷. الخصال للشیخ الصدوق.

و لعائشه مواقف غير مشكوره تجاه السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) تدل على جانب كبير من انحرافها العميق العريق المتواصل، بحيث لم يُعهد تلك المواقف المتطرفه من بقيه زوجات الرسول تجاه سيده العالمين.

و منها: لما بلغ عائشه خبر وفاه الزهرا (عليه السلام) تبسمت!!

و سوف تقرا ان السيده فاطمه اوصت اسماء بنت عميس بعدم السماح لعائشه ان تحضر عند جنازتها ساعه الوفاه، و هذا يدل على سخطها على عائشه و عدم رضاها عنها، و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): «ان الله يغضب لغضب فاطمه و يرضى لرضاها».

هذا.. و فى الحديث الاول تصريح بأن بنات السيده خديجه الكبرى كلهن من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لا من زوج آخر و ليس هذا الحديث هو الدليل الوحيد على ذلك بل توجد أدلَّه و براهين قطعيه على أنَّهن كنَّ بنات رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حقيقه، و من صلبه، إلا أن المجال- فى هذا الكتاب- لا يسع للشرح و التفصيل أكثر من هذا، و لعلنا نلتقى- إن شاءالله-بالقراء فى غير هذا الكتاب حول هذا الموضوع، و نؤدى بعض ما يتطلبه البحث و التحقيق.

ص: ۱۲۱

فاطمه الزهراء علی أعتاب الزواج

کـانت السـیده فـاطمه الزهراء (علیه السـلام) قـد بلغت من العمر تسع سـنوات، و لکنهـا کـانت تتمتّع بالنمو الجسـمی، بل الکمال الجسـمانی، و کـانت تمتـاز من صـغر سـنِّها بالنضـج الفکری و الرشـد العقلی المبکر، و قـد وهب الله لها العقل الکامل و الـذهن الوقاد، و الـذکاء الذی لا یوصف، و لها أوفر نصـیب من الحسن و الجمال و الملاحه، خلقهً و وارثه، فمواهبها کثیره و فوق العاده و فضائلها الموروثه و المکتسبه تمتاز عن کل أنثی و عن کل ابن أنثی.

و أما ثقافتها الدینیه و الأدبیه فحدِّث و لا حرج، و سـیتضح لک أنها أعلم امرأه و أفضلها فی العالم کله، و لم یشهد التاریخ امرأه حازت الثقافه و العلم و الأدب بهذا المستوی، مع العلم أنها لم تدخل فی مدرسه و لم تتخرج من کلیه سوی مدرسه النبوه و کلیه الوحی و الرساله.

فلا عجب إذا خطبها مشاهیر أصـحاب النبی، (صـلی الله علیه و آله و سـلم) و کان النبی یعتـذر إلیهم و یقول: أمرها إلی ربها، إن شاء أن یزوِّجها زوَّجها.

و روی شـعیب بن سـعد المصـری فی (الروض الفائق): (فلما اسـتنارت فی سماء الرساله شمس جمالها، و تم فی أفق الجلاله بدر کمالهـا، امتـدت إلیهـا مطـالع الأفکـار و تمنّت النظر إلی حسـنها أبصـار الأخیـار، و خطبهـا سـادات المهاجرین و الأنصار، ردَّهم (المخصوص من الله بالرضا) و قال: إنی

أنتظر بهـا القضـاء). و خطبهـا أبوبكر و عمر فقـال النبى (صـلى الله عليه و آله و سـلم): إنها صـغيرهِ (۱) و خطبها عبـدالرحمن بن عوف، فلم يجبه النبى بل أعرض عنه.

بعد الانتباه إلى هذه الجمله و هى قوله (صـلى الله عليه و آله و سـلم): (أنها صغيره) يتضح لنا ايضا تزوير الأقوال المرويه بولادتها قبل المبعث بخمس سـنين،إذ لو كان الأمر هكـذا لكان عمرها يومـذاک ثمانيه عشـر سـنه كما صـرح بذالك بعذ هولاء، والبنت التى عمرها ثمانيه عشـر سـنه كيف تكون صـغيره؟ و قد تزوَّج رسول الله (صـلى الله عليه و آله و سـلم) عائشه و عمرها على أكثر التقادير عشر سنوات، و لم يعتبرها الرسول صغيره فكيف تكون ابنته الشابه صغيره لا تصلح للزواج؟

ثم لو كان الأمر كما يزعمون و إنها ولدت قبل المبعث بخمس سنين لكان عمرها يوم كانت فى مكه- قبل الهجره- بين السادسه عشـره و السابعه عشـره، و هـذه الفتره من العمر أحسن أوقات الزواج، فكيف لم يخطبها أحـد فى مكه، لا من بنى هاشم و لا من غيرهم بل لم يُسمع أنها كانت فى مظنه الخطبه و الزواج؟؟

و قـد روى على بن المتقى فى كتابه: (كنز العمال ج ۲ ص ۹۹) عن أنس بن مالک قال: جاء أبوبكر إلى النبى (صـلى الله عليه و آله و سلم) فقعد بين يديه فقال:يا رسول الله قد علمت مناصحتى و قِدَمى فى الإسلام و أنى و أنى...

قال: و ما ذاک؟

۱- ۱۱۸. فضا احمد بن حنبل، والنسائى فى الخصائص ص ۳۱ و ابن الجوزى التذكره ص ۱۳۶

قال: تزوجنی فاطمه.

فسکت عنه أو قال: فأعرض عنه، فرجع أبوبکر إلی عمر فقال: هلکتُ و أهلکت.

قال: و ما ذاک

قال: خطبت فاطمه إلی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فأعرض عنی

قال عمر: مکانک حتی آتی النبی فأطلب منه مثل الذی طلبت.

فأتی عمر النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فقعد بین یدیه فقال: یا رسول الله قد علمت مناصحتی و قِدَمی فی الإسلام و أنی و أنی...

قال: و ما ذاک؟

قال: تزوجنی فاطمه. فأعرض عنه، فرجع عمر إلی أبی بکر فقال: إنه ینتظر أمر الله فیها.

و روی الهیثمی فی (مجمع الزوائد): أن کُلاً- من أبی بکر وعمر أمر ابنته أن تخطب فاطمه من رسول الله، فذکرت کل واحده منهما فاطمه لأبیها، فأجابها رسول الله: حتی ینزل القضاء، فتمنَّت کل واحده منهما أنهما لم تکن ذکرت للنبی شیئاً.

و لعل الرسول ما یکن یحب أن یصارحهم بأنه یدخرها لکفوها، و ما أحب أن یصارحهم بأنهم لیسوا بأکفاء لها أو یفاجئهم بأن مستوی ابنته فوق المستویات.

کان الرسول یری أن تجری الأشیاء علی مجراها الطبیعی، و کان الإمام أمیرالمؤمنین (علیه السلام) قد نزل فی بیت سعد بن معاذ (علی قول) منذ وصوله إلی المدینه، فجاء إلیه سعد بن معاذ و هو فی بعض بساتین المدینه و قال: ما یمنعک أن تخطب فاطمه من ابن عمک؟

و فی (منتخب العمال): انطلق عمر إلی علی (رضی الله عنه) فقال: ما یمنعک من فاطمه فقال:

أخشی أن لا یزوِّجنی!

قال: فإن یزوِّجک فمن یزوج؟ و أنت أقرب خلق الله إلیه.. إلی آخر کلامه.

إن علیاً لم یذکر فاطمه طیله حیاته لأی أحد، و لم یذکر رغبته حیاءً من رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) ثم ظروفه الاقتصادیه یومذاک کانت قاسیه جدّاً، فما کان یملک من حطام الدنیا أموالاً و لا یملک فی المدینه داراً ولا عقاراً، فکیف یتزوج؟ و أین یتزوج؟ و أین یسکن؟

و لیست السیده الزهراء بالمرأه التی یستهان بها فی زواجها!

و لکن، لما کان المقصود من الزواج تشکیل البیت الزوجی و تأْسیس الصرح العائلی، و فقد جاء الإسلام لیفتح الأغلال و التقالید التی حبست علی الناس سنّه الزواج، و شدّدت علیهم هذا الأمر الذی یعتبر من ضروریات الفطره، و من لوازم نظام البقاء و الحیاه الزوجیه و العائلیه.

فقد أصبح الزواج- بفضل الإسلام- أمراً سهلاً مستسهلاً، فالتعصب القِبَلی و العنصری قد أشرف علی الزوال، و کان الرسول فی دَور التکوین، و هو القدوه و الأسوه للمسلمین، و حرکاته و سکناته، و أعماله و أفعاله ستکون حجه و دلیلاً عند المسلمین، فکان الرسول یحارب تقالید الجاهلیه و عادات الکفر باللسان والید، قولاً و فعلاً.

فقد أتاه علی یخطب منه ابنته فاطمه، و النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) له الولایه العامه علی جمیع المسلمین و المسلمات، و علی ابنته و من عداها، و لکنه (صلی الله علیه و آله و سلم) حفظ لفاطمه کرامتها، و لم یعلن موافقته للزواج قبل الاستئذان من فاطمه، و بعمله هذا أعلن أنه لابد من

موافقه البنت لأنها هی التی ترید أن تعیش مع زوجها، و تکون شریکه حیاته، و یکون شریک حیاتها.

إن تزویج البنت بغیر إذنها أو موافقتها إهدار لکرامتها و تحقیر لنفسیتها، و تحطیم لشخصیتها، و تصریح عملی لها أنها لا یحق لها إبداء رأیها حول انتخاب الزوج فکأنها بهیمه أو داجنه تباع و توهب بلا إذن منها أو موافقه.

فقال الرسول: یا علی قد ذکرها قبلک رجال، فذکرت ذلک لها، فرأیت الکراهه فی وجهها، و لکن علی رِسلک حتی أخرج إلیک.

فقام (صلی الله علیه و آله و سلم) و ترک علیاً جالساً ینتظر النتیجه. و دخل علی ابنته فاطمه، و أخبرها بأن علیاً جاء یطلب یدها؛

ربما یحتاج الأب إلی أن یخبر ابنته عمن جاء یخطبها و یذکر لها أوصافه من حیث العمر والمهنه و بقیه الخصوصیات إذا لم یکن معروفاً، لتکون البنت علی علم و بصیره.

و لکن هنا لا حاجه إلی ذلک، فعلیّ (علیه السلام) أعرف من أن یعرّف، و فاطمه تعرف علیاً و تعرف سوابقه و مواهبه و فضائله، و لا تجهل شیئاً. فاکتفی الرسول بأن قال: یا فاطمه إن علی بن أبی طالب مَن قد عرفتِ قرابته و فضله و إسلامه، و إنی قد سألت ربی أن یزوِّجک خیر خلقه، و أحبَّهم إلیه، و قد ذکر عن أمرک شیئاً، فما ترین؟

فسکتت، و لم تولّ وجهها، و لم یر فیها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) کراهه، فقام و هو قول: الله أکبر! سکوتها إقرارها.

اعتبر الرسول سکوتها موافقه و رضی منها علی الزواج، إذ لا ینتظر من الفتاه البکر الحییّه (ذات الحیاء) أن تصرّح بموافقتها، بل ینتظر منها التصریح بالمخالفه و الرفض عند عدم الموافقه، لأن الحیاء یمنع التصریح

بالموافقه، و لا يمنع التصريح بالرفض.

و رجع النبى إلى على و هو ينتظر، فأخبره بالموافقه، و سأله عن مدى استعداده لاتخاذ التدابير اللازمه لهذا الشأن، إذ لابد من الصداق و دوىّ على مر الأجيال، فلابدّ من رعايه جميع جوانبه، و لا يصح إهمال أى ناحيه منه مع رعايه البساطه:

فقال النبى لعلى: هل معك شى ء أزوجك به؟

فقال على: فداك أبى و أمي! و الله لا يخفى عليك من أمرى شى ء، أملك سيفى و درعى و ناضحى!! (۱) . هذه ثروه الامام على، و جميع ما يملكه من حطام الدنيا و هو مقبل على الزواج.

تلقّى الرسول كلامه بر حابه صدر، و قال:

يا على! أما سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد به فى سبيل الله، و تقاتل به أعداء الله، و ناضحك تنضح به على نخلك و أهلك، و تحمل عليه رحلك فى سفرك، و لكنى قد زوجتك بالدرع و رضيت بها منك، بع الدرع و ائتنى بثمن!!

و كان على (عليه السلام) قد أصاب هذه الدرع من مغانم غزوه بدر- كان كما ذكره العسقلانى فى (الإصابه ج ۴ ص ۳۶۵) و قد كان النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) قد أعطاه إياها، و كانت تسمَّى (الحطميه) لأنها كانت تحطِّم السيوف أى تكسِّرها- كما فى لسان العرب....

فباع على (عليه السلام) الدرع بأربعمائه و ثمانين أو بخمسمائه

۱- ۱۱۹. الناضح: البعيرالذى يحمل عليه الماء.

درهم، و جاء بالدراهم إلی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) و طرحها بین یدیه، و تمَّ الوفاق علی أن یکون ثمن الدرع صداقاً لأ شرف فتاه فی العالم، و أفضل أنثی فی الکون، و هی سیده نساء العالمین، و بنت سید الأنبیاء و المرسلین و أشرف المخلوقین!!

زوَّج رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) ابنته الطاهره من علی بن أبی طالب بهذه البساطه و السهوله لیفکِّک أغلال التقالید التی قیَّد الناس بها أنفسهم. لقد صنع رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) ما صنع لیقتدی به الناس الذین هم دونه فی الشرف و المنزله بملایین الدرجات.

و زوَّج ابنته و هی سیده نساء العالمین بمهر قلیل کی لا تستنکف الفتاه المسلمه أن تتزوج بمهر قلیل.

و غیر ذلک من الحِکَم و الفوائد التی لا مجال لذکرها هنا.

فقد حفظ الله تعالی لسیده النساء کرامتها، فقد زوَّج الله فاطمه الزهراء من الامام علی بن أبی طالب قبل أن یزوِّجها أبوها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) من علی.

و لیس ذلک ببعید، فقد زوَّج الله من هی دون فاطمه الزهراء بدرجات و مراتب کثیره، ألیس الله قد زوَّج زینب بنت جحش من رسول الله بقوله تعالی: «فلما قضی زید منها و طراً زوّجناکها».

ألیس الله قد زوج رسوله امرأه مؤمنه و هبت نفسها للنبی؟

فما المانع أن ینعقد مجلس العقد أو حفله القِران فی السموات العلی، و یحضرها الملائکه المقرّبون کما صرَّحت بذلک الأحادیث؟

کل ذلک کرامه لها و لأبیها، و بعلها و بنیها الذین سیولدون منها،

و هم حجج الله على الخلق أجمعين.

كانت حفله القِران التى أقيمت فى السماء الرابعه عند البيت المعمور وحيده من نوعها فريده بمزاياها، لم يشهد الكون مثلها، فقد اجتمع ملائكه السموات كلها فى السماء الرابعه و نُصب منبر الكرامه، و هو منبر من نور، و أوحى الله تعالى إلى مَلَكٍ من ملائكه حُجُبه يقال له: (راحيل) أن يعلو ذلك المنبر، و أن يحمده بمحامده، و يمجِّده بتمجيده، و أن يثنى عليه بما هو أهله، و ليس فى الملائكه أحسن منطقاً و لا أحلى لغهً من راحيل المَلَک، فعلا المنبر و قال: «الحمد لله قبل أوليَّه الأولِّين، الباقى بعد فناء العالمين، نحمده إذ جعلنا ملائكه روحانيين، و بربوبيته مذعنين، و له على ما أنعم علينا شاكرين، و حَجَب عنا النهم للشهوات، و جعل نهمتنا و شهوتنا فى تقديسه و تسبيحه.

الباسط رحمته، الواهب نعمته، جلَّ عن إلحاد أهل الأرض من المشركين و تعالى بعظمته عن إفك الملحدين ثم قال- بعد كلام-:

اختار الله الملک الجبار صفوه كرمه، و عبد عظمته لأمَته سيده النساء، بنت خير النبيين و سيد المرسلين و إمام المتقين، فوصل حبله بحبل رجل من أهله، صاحبه المصدّق دعوته، المبادر إلى كلمته، على الوَصول بفاطمه البتول ابنه الرسول.

ثم أعقبه جبرئيل عن الله تعالى قوله:

(الحمد ردائى، و العظمه كبريائى، و الخلق كلهم عبيدى و إمائى، زوّجت فاطمه أمَتى من على صفوتى اشهدوا يا ملائكتى) (۱)
و قد روى هذا الحديث جمع من علماء العامه منهم:

۱- ۱۲۰. بحارالانوار ج ۴۳.

عبدالرحمن الصفوری فی (نزهه المجالس ج ۲ ص ۲۲۳) عن جابر بن عبدالله (رضی الله عنه): قال: دخلت أم أیمن علی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) و هی تبکی، فسألها عن ذلک.

فقالت: دخل علیَّ رجل من الأنصار و قد زوَّج ابنته، و قد نثر علیها اللوز والسکر، فتذکرت تزویجک فاطمه و لن تنثر علیها شیئاً.

فقال: والذی بعثنی بالکرامه، و خصنی بالرساله إن الله- لما زوج علیاً فاطمه- و أمر الملائکه المقربین أن یحدقوا بالعرش، فیهم جبرئیل و میکائیل و إسرافیل، و أمر الطیور أن تغنی، فغنّت، ثم أمر شجره طوبی أن تنثر علیهم اللؤلؤ الرطب مع الدر الأبیض مع الزبرجد الأخضر مع الیاقوت الأحمر.

و فی روایه: إن الزواج عند سدره المنتهی و أوحی الله إلیها أن أنثری ما علیک فنثرت الدر و الجوهر و المرجان.

و ذکر الحافظ أبونعیم فی (حلیه الأولیاء ج ۵ ص ۵۹): عن عبدالله بن مسعود:...ثم أمر الله شجره الجنان فحملت الحلی و الحلل، ثم أمرها فنثرته علی الملائکه، فمن أخذ منهم شیئاً یومئذ أکثر مما أخذ غیره افتخر به إلی یوم القیامه.

و رواه جماعه کالخوارزمی فی (مقتل الحسین)، والعسقلانی فی (لسان المیزان) و(تهذیب التهذیب) والقندوزی فی (ینابیع الموده).

و فی (نزهه المجالس) عن أنس بن مالک، بینما النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فی المسجد إذ قال لعلیٍّ: هذا جبرئیل أخبرنی أن الله قد زوَّجک فاطمه؛ و أشهد علی تزویجها أربعین ألف ملَک، و أوحی إلی شجره طوبی أن أنثری علیهم الدرَّ و الیاقوت و الحلی و الحلل، فنثرت علیهم، فابتدرت الحورالعین یلتقطن من أطباق الدر و الیاقوت و الحلی و الحلل، فهم یتهادونه إلی یوم القیامه.

و رواه السیوطی فی (تحذیر الخواص).

و أجری الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) صیغه العقد فی المسجد و هو علی المنبر، بمرأی من المسلمین و مسمع.

و هکذا سنَّ رسول الله الإعلان و الإشهاد فی عقد النکاح، و کمیَّه الصداق کی یقتدی به المسلمون فلا یغالوا فی الصداق و قال (صلی الله علیه و آله و سلم):«لا تغالوا فی الصداق فتکون عداوه».

و جعل النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) المهر الذی جرت علیه السنَّه خمسمائه درهم، و تزوَّج رسول الله بزوجاته بهذا المبلغ من الصداق و کذلک الأئمه من أهل البیت (علیهم السلام) کانوا لا یتعدون هذا المبلغ فی الزواج. و نعود الی حدیثنا عن زواج السیده فاطمه:

فقد باع علیّ (علیه السلام) الدرع، و جاء بالثمن الی الرسول، فقسّم النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) المبلغ أثلاثاً: ثلثا لشراء الجهاز، و ثلثا لشراء الطیب و العطر للزفاف، و ثلثا ترکه أمانه عند أم سلمه ثم ردّه إلی علیٍ قبیل الزفاف إعانهً و مساعده منه إلیه لطعام و لیمه الزفاف.

من الطبیعی أن زواج علی (علیه السلام) من السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام)کان سبب هیاج الحسد و العداء فی بعض القلوب، و خاصه و أن بعضهم کان قد خطب فاطمه من أبیها فرفض طلبه، و أعرض عنه، فلا عجب إذا جاء إلی الرسول أناس من قریش فقالوا: إنک زوّجت علیاً بمهر خسیس فقال لهم: ما أنا زوّجت علیاً، و لکن الله زوَّجه لیله أسری بی عند سدره المنتهی... الی آخره (۱) .

ص: ۱۳۱

۱- ۱۲۱. من لا یحضره الفقیه.

و قال (صلى الله علیه و آله و سلم): إنما أنا بشر مثلکم، أتزوج فیکم و أزوِّجکم إلاّ فاطمه، فإن تزویجها نزل من السماءِ (1) .

و دفع الرسول شیئاً من المال لأبی بکر لیشتری لفاطمه متاعاً لبیتها الزوجی و بعث معه بلالاً و سلمان لیُعیناه علی حمل ما یشتری، و قیل: أردفه بعمار بن یاسر و جماعه، و قال لأبی بکر: اشترِ بهذه الدراهم لابنتی ما یصلح لها فی بیتها.

قال أبوبکر: و کانت الدراهم التی أعطانیها ثلاثه وستین درهماً؛ فحضروا السوق فکانوا یعترضون الشی ء مما یصلح، فکان ما اشتروه:

۱- فراشان من خیش مصر، حشو أحدهما لیف، و حشو الآخر من جز الغنم.

۲- نطع من أدم (جلد).

۳- و ساده من أدم حشوها من لیف النخل.

۴- عباءه خیبریه.

۵- قربه للماء.

۶- کیزان (جمع کوز) و جرار (جمع جره) و عاء للماء.

۷- مطهره للماء مزفّته.

۸- ستر صوف رقیق.

۹- قمیص بسبعه دراهم.

۱۰- خمار بأربعه دراهم.

۱۱- قطیفه سوداء.

۱۲- سریر مزمّل بشریط.

۱- ۱۲۲. الکافی.

۱۳- أربعه مرافق من أدم الطائف حشوها إذخر (نبات معروف).

۱۴- حصير هجری.

۱۵- رحی للید.

۱۶- مخضب من نحاس.

۱۷- قعب للبن.

۱۸- شنٌّ للماء.

حتی إذا استکمل الشراء حمل أبوبکر بعض المتاع و حمل أصحاب رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) الباقی، فلما عرض المتاع علی رسول الله و کان فی حجره أم سلمه جعل یقلّبه بیده و یقول: بارک الله لأهل البیت.

و فی روایه: رفع رأسه إلی السماء و قال: اللهم بارک لقوم جُلُّ آنیتهم الخزف.هذا جمیع الأثاث و المتاع الذی اشتروه لابنه سید الأنبیاء، و هی أشرف أنثی، و سیده نساء العالمین.

نعم، إن السعاده الزوجیه لاـ تحصل عن طریق البذخ و الترف و السرف، فإن الملابس الفاخره، والکراسی الثمینه، و الأحجار الکریمه و أوانی الذهب و الفضه، و الفرش الغالیه و الستائر القیمه، و القصور الشاهقه و السیارات الضخمه، و وسائل التنویر و التبرید و التدفئه، و غیرها لیست من أسباب السعاده الزوجیه التی یتصورها البسطاء من الناس.

فکم من امرأه ترفل فی ثیابها و بدلاتها، و تجلس علی فراش و ثیر، و تتلألأـ الحلی- المرصّع بالمجوهرات- علی جیدها و معصمیها، و شحمه أذنیها، و مع ذلک کله تشعر بأنها فی جحیم، و تعتبر نفسها شقیه فی الحیاه غیر سعیده فی دنیاها.

و کم من امرأه تعیش فی کوخ أو بیت متواضع، تطحن و تعجن و تخبز و تغسل و تکنس و ترضع و تتعب و تعیش بکل بساطه، محرومه عن مئات الوسائل مع ذلک تشعر بأنها سعیده فی حیاتها، و کأن بیتها الصغیر الضیّق البسیط جنه عدن.

و نفس هذا الکلام یجری فی الرجال، فتری القصر المنیف المشیَّد الشامخ جحیماً علی الرجل، یدخله کرهاً، و کأنَّه فی قفص، و یحاول الخروج منه ساعه قبل ساعه.

و تری البیت المتواضع الحقیر یأوی إلیه الرجل بکل شوق و رغبه، و لا یحب مغادره بیته حینما یری البیت الزوجی مبنیاً علی أسس السعاده و الخیر.

و لکن مع الأسف أن ملایین الفتیان و الفتیات یتصورون أن السعاده الزوجیه و الحیاه السعیده تحصل عن طریق الثروه و الأثریاء، و یعتبرون البساطه فی المعیشه من وسائل الشقاء و علائم الحرمان.

فیبقی هؤلاء المساکین غیر متزوجین و غیر متزوجات، ینتظرون السعاده الزوجیه تطرق باب دارهم!!

من صداق فاطمه الشفاعه يوم القيامه

إن كانت السيده فاطمه (عليهاالسلام) قد تزوّجت بهذا المهر القليل نزولاً عند رغبه أبيها الرسول- حتى يقتدى به المسلمون- و تحقيقاً لأهدافه الحكيمه، فليس معنى ذلك أن تنسى السيده فاطمه نفسها، أو تنسى عظمتها، بل لابدّ من المحافظه على مقامها الأسمى و حقيقتها الشريفه، و مكانتها العليا، و طموحها نحو الفضائل و القيم، و لهذا فقد روى أحمد بن يوسف الدمشقى فى: (أخبار الدول و آثار الأول) قال: (و قد ورد فى الخبر أنها لما سمعت بأن أباها زوّجها، و جعل الدراهم مهراً لها فقالت: يا رسول الله إن بنات الناس يتزوّجن بالدراهم فما الفرق بينى و بينهن؟ أسألك أن تردها، و تدعوالله تعالى أن يجعل مهرى الشفاعه فى عصاه أمتك.

فنزل جبرئيل (عليه السلام) و معه بطاقه من حرير مكتوب فيها: (جعل الله مهر فاطمه الزهراء شفاعه المذنبين من أمه أبيها) فلما احتضرت أوصت بأن توضع تلك البطاقه على صدرها تحت الكفن. فوضعت، و قالت: إذا حشرت يوم القيامه رفعت تلك البطاقه بيدى و شفعت فى عصاه أمه أبِي (1) .

إن هذا الحديث- كما تراه- يدل على ما كانت تتمتع به السيده فاطمه الزهراء من علو الهمه و سموّ النفس، و عظمه الشخصيه، و بُعد

۱- ۱۲۳. سنوافيك فى اواخر هذا الكتاب بطائفه كبيره من الاحاديث حول شفاعتها يوم القيامه.

المـدی، و جلالـه القـدر، فإنهـا تطلب من أبيهـا الرسول أن يـدعو الله تعـالی أن يمنحهـا هـذا الحق العظيم و هو الشـفاعه فی يوم القيامه. و أسـتجيب دعاء الرسول و نفّذ طلبه، و نزل صک من السماء إجابه لهذا الطلب، و ستبرز السيده فاطمه ذلک الصک عند الحاجه، كما روی الصـفوری فی (نزهه المجالس) قال: قال النسـفی: سألت فاطمه (رضـی الله عنها) النبی (صـلی الله عليه و آله و سلم) ان يكون صداقها الشفاعه لامه يوم القيامه، فاذا صارت علی الصراط طلبت صداقها.

و قـد وردت روايـات كثيره عن ائمه اهـل البيت (عليهم السـلام) حول ان الله تعالی جعل الشـفاعه يوم القيامه من صـداق السـيده فاطمه الزهراء.

ص: ۱۳۶

الزفاف و مقدماته

وقعت فتره بين العقد و الزفاف بدون قصد بل إن علياً (عليه السلام) كان يستحى أن يطالب رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بزوجته، و كان الرسول أيضاً يحافظ على كرامه السيده فاطمه فما ينبغى له أن يزف ابنته قبل مطالبه زوجها ذلك.

و طالت تلك الفتره شهراً أو شهوراً، و بقى الأمر مسكوتاً عنه، و أخيراً جاء عقيل إلى الامام على يسأله عن سبب السكوت و القعود، و يستنهضه للقيام بمقدمات الزفاف و كان على (عليه السلام) يستحى من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يطالبه أن يزفّ السيده فاطمه و لكن عقيلاً ألح عليه، فخرجا يريدان الدخول على الرسول للمذاكره حول الموضوع.

التقت أم أيمن بهما، و سألت منهما عدم التدخل مباشرهً، و تكفّلت هى إنهاء الأمر،و لهذا ذهبت إلى أم سلمه فأعلمتها بذلك، و أعلمت نساء النبى، فاجتمعن عند الرسول فأحدقن به، و قلن: فديناك بآبائنا و أمهاتنا يا رسول الله! قد اجتمعنا لأمر لو أن خديجه فى الأحياء لقرَّت بذلك عينها!!

فلما سمع النبى اسم خديجه بكى، ثم قال: خديجه! و أين مثل خديجه؟ صدَّقتنى حين كذّبنى الناس، و آزرتنى على دين الله، و أعانتنى عليه بمالها!!

ص: ۱۳۷

إن الله (عز و جل) أمرنی أن أبشّر خدیجه ببیت فی الجنه من قصب الزمرد، لا صخب فیه و لا نصب.

قالت أم سلمه: فقلنا: فدیناک بآبائنا و أمهاتنا یا رسول الله إنک لم تذکر من خدیجه أمراً إلاّ و قد کانت کذلک، غیر أنها مضت إلی ربها، فهنَّأها الله بذلک، و جمع بیننا و بینها فی درجات جنته و رضوانه و رحمته.

یا رسول الله! هذا أخوک فی الدنیا، و ابن عمک فی النسب، علی بن أبی طالب یحب أن تُدخل علیه زوجته فاطمه تجمع بها شمله.

و فی روایه: إن المتکلمه هی أم أیمن قالت: یا رسول الله! لو أن خدیجه باقیه لقرَّت عینها بزفاف فاطمه، و إن علیاً یرید أهله، فقرِّ عین فاطمه ببعلها، و اجمع شملهما، و قرِّ عیوننا بذلک.

فقال (صلی الله علیه و آله و سلم): فما بال علی لا یسألنی ذلک؟

قالت: الحیاء منک یا رسول الله!!

فقال- لأم أیمن-: انطلقی إلی علی فائتینی به.

خرجت أم أیمن، فإذا علی ینتظر لیسألها عن جواب رسول الله، و حضر علی (علیه السلام) عند الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) و جلس مطرقاً رأسه نحو الأرض حیاءً منه، فقال له: أتحب أن تدخل علیک زوجتک؟

قال: نعم، فداک أبی و أمی!

قال: نعم، و کرامه، أدخلها علیک فی لیلتنا هذه أو لیله غد إن شاءالله.

هیئ منزلاً حتی تحوِّل فاطمه إلیه.

قال علی: ما هاهنا منزل إلاَّ منزل حارثه بن النعمان.

فقال النبی: لقد استحینا من حارثه بن النعمان، قد أخذنا عامه منازله!!

فوصل الخبر إلى حارثه، فجاء النبى و قال: يا رسول الله! أنا و مالى لله و لرسوله و الله ما شى ء أحبّ إلى مما تأخذه، والذى تأخذه أحب إلىَّ مما تتركه!!

يا لروعه الإيمان بالله و الرسول.

يا لجمال الاعتقاد بالآخره و الأجر و الثواب!!

جعل حارثه أحد منازله تحت تصرّف على، و قام على بتأثيث حجره العرس و تجهيزها،فقد بسط كثيباً (رملًا) فى أرض الحجره، و نصب عوداً يوضع عليه القربه و اشترى جرّه و كوزاً، و نصبوا خشبه من حائط إلى حائط للثياب!!، و بسط جلد كبش، و مخدّه ليف!

هذا جميع ما كان يتمتع به على (عليه السلام) من متاع الحياه الدنيا و زخرفها!!

لقد مرّ عليك أن الصداق الذى استلمه النبى من على (عليه السلام) قسّمه أثلاثاً: ثلثاً اشترى به المتاع، و ثلثاً للطيب بمناسبه الزفاف، و ثلثاً تركه أمانه عند السيده أم سلمه.

استرجع النبى الثلث الأخير من الصداق، و سلَّمه إلى على كمساعده، حيث أنه فى مقتبل حياه جديده، و الحاجه ماسَّه إلى المال كما لا يخفى، و قال: يا على إنه لابدّ للعروس من وليمه.

يا لشرف الإنسانيه!!

يا لعظمه الأخلاق!!

يا لصدق المحبه و العاطفه!!

و تقدّم بعض الأصحاب إلى على ببعض الهدايا، و أمر النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) علياً أن يصنع طعاماً فاضلاً.

أمره بالوليمه لأن الله تعالى يحب إطعام الطعام، لأن الوليمه فيها خير

کثیر، و فائده عامه و منافع جمه، فهی إشباع البطون الجائعه، و غرس المحبه فی القلوب، و قبل کل شی ء فیها رضی الله سبحانه.

و لکننا- یا للأسف- استبدلنا الولیمه بحفله القِران و استبدلنا الإطعام بتناول بعض المرطبات و الحلویات التی لا تسمن و لا تغنی من جوع!!

و من الضروری أن لا ننسی أن السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) قد ضربت الرقم القیاسی فی الإنفاق فی سبیل الله، و الإیثار ابتغاء وجه الله، و لعلک لا تجد مثیله لهذه المکرمه فی تاریخ النساء! فقد روی الصفوری فی (نزهه المجالس) ج ۲ ص ۲۲۶ عن ابن الجوزی أن النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) اعد لها قمیصاً جدیداً لیله عرسها و زفافها و کان لها قمیص مرقوع و إذا بسائل علی الباب یقول: أطلب من بیت النبوه قمیصاً خَلِقاً، فأرادت أن تدفع إلیه القمیص المرقوع، فتذکرت قوله تعالی: «لن تنالوا البرَّ حتی تنفقوا مما تحبون».فدفعت له الجدید، فلما قرب الزفاف نزل جبرئیل قال: یا محمد! إن الله یقرؤک السلام، وأمرنی أن أسلِّم علی فاطمه، و قد أرسل لها معی هدیه من ثیاب الجنه من السندس الأخضر.. الی آخر الخبر.

لقد تهیأ طعام الولیمه، فلقد طبخ اللحم، واحضر الخبز، و التمر و السمن، و أقبل رسول العظمه (صلی الله علیه و آله و سلم) و حسر عن ذراعیه، و جعل یشدخ التمر فی السمن لیکونا بمنزله الحلویات و الفطائر، و أمر النبی علیاً أن یدعو الناس إلی ولیمته الزواج.

فأقبل الامام علی (علیه السلام) إلی المسجد، و المسجد غاص بالمسلمین و هناک أهل الصَّفه و هم المهاجرون الذین ما کانوا یملکون یومذاک شیئاً.

و هناک أهل المدینه من الأنصار و غیرهم ممن لیسوا من الأغنیاء، فما یصنع علی (علیه السلام) بهذا العدد الکثیر مع الطعام القلیل؟!

و نفسیته الطاهره الشریفه لا تسمح له أن یدعو قوماً و لا یدعو قوماً

آخرین فالکـل یحبون أن یأکلوا من ولیمه بنت رسول الله (صـلی الله علیه و آله و سـلم) و الجمیع یرغبون إلی الحضور فی تلک المأدبه المبارکه.

لکن إیمـان علی (علیه السـلام) بقـدره الله تعالی، و اعتقاده ببرکات یمین رسول الله (صـلی الله علیه و آله و سـلم) هوَّن علیه کل شی ء، فصعد علی مکان عال، یسمعه کل أحد، و نادی: «أیها الناس أجیبوا إلی ولیمه فاطمه بنت محمد».

فوصـل صوت علی (علیه السـلام) حتی إلی بسـاتین- المـدینه و مزارعهـا، و أقبـل النـاس رجالاًـ و نسـاءً- و حتی أهل البساتین- یأکلون و یشربون، و یحملون معهم من ذلک الطعام.

و هنا ظهرت برکه رسول الله (صـلی الله علیه و آله و سـلم) إذ أن الطعام لم ینفـذ، بل و کأنه لم ینقص، و دعا رسول الله بالأوانی فملئت بالطعام، و وجَّه بها إلی بیوت زوجاته و أخذ صفیحه (آنیه) و قال: و هذه لفاطمه و بعلها!!

و غابت الشمس من ذلک الیوم، واقترب زفاف السیده فاطمه إلی دار زوجها.

فهنا اتخذ رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) جمیع التدابیر اللازمه لزفاف ابنته فاطمه.

و بالرغم من أن زواج السـیده فاطمه کان یمتاز بالبساطه و السـهوله و الابتعاد عن التکلیف و الترف، و ما أشـبه ذلک إلاَّ أنه کان محاطاً بآیـات العظمه و الجلاله و الجمال، حتی روی الهیثمی فی (مجمع الزوائـد) عن جابر أنه قال: حضـرنا عرس علی و فاطمه رضی الله عنهما فما رأینا عرساً کان أحسن منه... الی آخره.

أمر رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) زوجاته بتزیین السیده

فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) استعداداً للزفاف، فقامت النسوه فضمَّخنها بالطیب،و ألبسنها الحلی، فکانت إحداهن تمشط شعرها، و الأخری بتزیینها و لبست الحلَّه التی جاء بها جبرئیل من الجنه، و کانت الحلَّه لا تُقوَّم بقیمه، و لا تثمَّن.

و إنما بذل الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) هذه العنایه الخاصه، و خصَّ ابنته السیده فاطمه الزهراء بعواطفه الغزیره دون سائر بناته لأسباب، منها:

فضائلها الشخصیه، و مزایاها النفسیه.

شخصیه زوجها علی بن أبی طالب.

فهو صاحب المواهب و السوابق و هو ابن عم الرسول، و اخوه و وزیره و خلیفته و حامل لوائه و لم یکن فی أصهاره من له تلک القرابه القریبه و المنزله الخصیصه.

و أن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) یعلم أن ابنته الطاهره ستشملها آیه التطهیر و آیه المباهله و القربی.

و أنها أم الأئمه الطاهرین إلی یوم القیمه.

لقد جاءت تلک اللیله التی ستشعر السیده فاطمه بأنها یتیمه، و تشعر بفقدان أمها خدیجه، و الأم لها دور مهم فی لیله عرس ابنتها، و لکن أین خدیجه هذه اللیله؟

و لما انصرفت الشمس نحو الغروب دعا الرسول بابنته الطاهره و دعا بصهره العظیم فأقبلت السیده فاطمه و قد لبست ثوباً طویلاً، تجرّ ذیلها علی الأرض، و قد تصبّبت عرقاً حیاءً من أبیها سید الأنبیاء.

و قد شاءالله تعالی أن یکون زواج السیده فاطمه ممتازاً من جمیع الجوانب و النواحی و هکذا أراد رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أن

لا تشعر ابنته العزيزه باليتم، و لهذا، و لغير ذلک- أتی النبی ببغلته الشهباء، و ثنی علیها قطیفه، و قال لفاطمه: ارکبی.

و أمر النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) سلمان أن یقود البغله، و کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) یسوقهِا (۱) .

بالله علیک- أیها القارئ- هل سمعت أو قرأت فی تاریخ عظماء الدنیا- من أنبیاء و ملوک و وزراء و سلاطین- أن بنتاً تزف إلی دار زوجها، و سیِّد الأنبیاء یسوق بغلتها؟

نعم، لقد اشترک أهل السماء مع أهل الأرض فی زفاف الإنسیه الحوراء.

فقد روی الخطیب البغدادی فی (تاریخ بغداد ج ۵ ص ۷) و الجوینی فی (فرائد السمطین) و الذهبی فی (میزان الاعتدال) و العسقلانی فی (لسان المیزان) و القرمانی فی (أخبار الدول) و القندوزی فی (ینابیع الموده) عن ابن عباس أنه قال: لمّا زفت فاطمه إلی علی کان النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) قُدامها، و جبرئیل عن یمینها، و میکائیل عن یسارها، و سبعون ألف ملک خلفها، یسبّحون الله و یقدّسونه حتی طلع الفجر.

وروی عن الامام موسی بن جعفر عن آبائه (علیهم السلام) عن جابر بن عبدالله الانصاری قال: «... فلما کانت لیله الزفاف اتی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) ببغلته الشهباء (۲) و ثنی علیها قطیفه، و قال: ارکبی

۱- ۱۲۴. بحارالانوار ج ۴۳.

۲- ۱۲۵. کان النبی (صلی الله علیه و آله) قد سمی ناقته: العضباء و بغلته: الشهباء، و عصاه: الممشوق، و عمامته:السحاب. و هکذا.

و امر سلمان ان يقودها، و النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) يسوقها.

فبينما هو فی بعض الطريق اذ سمع النبی و جبه فاذا هو بجبرئيل فی سبعين الفا،و ميكائيل فی سبعين الفا.

فقال النبی: ما اهبطكم الی الارض؟ قالوا: جئنا نزف فاطمه الی علی بن ابی طالب.فكبر جبرئيل، و كبر ميكائيل، و كبرت الملائكه، و كبر محمد (صلی الله علیه و آله و سلم).

فوقع التكبير علی العرائس من تلك الليله (۱) .

و هكذا اجتمع رجالات بنی هاشم يمشون فی موكب السيده. و أمر النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) بنات عبدالمطلب (عماته) و نساء المهاجرين و الأنصار أن يرافقن فاطمه فی تلك المسيره و كانت زوجات الرسول (صلی الله علیه وآله) يمشين قُدَّامها، و يرجزن فكانت أم سلمه تقول:

سِرنَ بعون الله جاراتی

و اشكرنه فی كل حالات

و اذكرن من أنعم رب العلی

من كشف مكروه و آفات

فقد هدانا بعد كفر، و قد

أنعشنا ربّ السموات

و سرن مع خير نساء الوری

تُفدی بعمَّاتٍ و خالات

يا بنت من فضله ذو العلی

بالوحی منه و الرسالات

ثم قالت عائشه:

يا نسوه استترن بالمعاجز

و اذكرن ما يحسن فی المحاضر

و اذكرن ربِّ الناس إذ يخصنا

بدينه مع كل عبد شاكر

و الحمد لله على أفضاله

و الشكر لله العزيز القادر

۱- ۱۲۶. امالی الطوسی ج ۱ ص ۲۶۳.

و سرن بها فالله أعطى ذكرها

و خصّها منه بطهر طاهر

ثم قالت حفصه:

فاطمه خير نساء البشر

و من لها وجه كوجه القمر

فضَّلك الله على كل الورى

بفضل من خصَّ بآى الزمَّر

زوَّجك الله فتىً فاضلاً

أعنى علياً خير من فى الحضر

فَسرن جاراتى بها إنها

كريمه بنت عظيم الخطر

ثم قالت معاذه أم سعد بن معاذ:

أقول قولاً فيه ما فيه

و أذكر الخير و أبديه

محمد خير بنى آدم

ما فيه من كبرٍ و لا تيه

بفضله عرَّفنا رشدنا

فالله بالخير يجازيه

و نحن مع بنت نبى الهدى

ذى شرف قد مكنت فيه

فی ذروه شامخه أصلها

فما أری شیئاً یدانیه

و کانت النسوه یرجّعن أول بیت من کل رجز، و دخلن الدار، ثم أنفذ رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) إلی علی و دعاه ثم دعا فاطمه فأخذ یدها و وضعها فی ید علی و قال: بارک الله فی ابنه رسول الله.

یا علی! هذه فاطمه و دیعتی عندک!!

یا علی! نعم الزوجه فاطمه!

و یا فاطمه! نعم البعل علی!!

اللهم بـارک فیهمـا، و بـارک علیهمـا، و بـارک لهمـا فی شبیلهمـا، اللهم إنهما أحب خلقک إلی فأحبهما، و اجعل علیهما منک حافظاً، و إنی أعیذهما بک و ذریتهما من الشیطان الرجیم.

ثم دعا بماءٍ فأخـذ منه جرعه فتمضـمض بها، ثم مجها فی القعب، ثم صـبّها علی رأس فاطمه و علی صدرها و بین کتفیها ثم دعا علیاً فصنع به

كما صنع بها.

و أمر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) النساء بالخروج فخرجن، و بقيت أسماء بنت عميس، فلما أراد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يخرج رأى سواداً فقال: من أنت؟

قالت: أسماء بنت عميس!

قال: ألم آمرک أن تخرجی؟

قالت: بلى يا رسول الله! فداک أبی و أمی، و ما قصدت خلافک، و لکنی أعطيت خديجه عهداً- و حدثته- فبکى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) إذ هاجت عواطفه من حديث خديجه، و إنها کانت تتفکر حول تلک الليله، و أن فاطمه- الليله- منکسره القلب.

فقال لها: بالله لهذا وقفت؟

قالت أسماء: نعم، و الله!

فقال (صلى الله عليه و آله و سلم): يا أسماء، قضى الله لک حوائج الدنيا و الآخره.

ص: ۱۴۶

الاقوال حول سنه زواجها

اختلف المؤرخون و المحدثون فی تاریخ سنه زواج السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) فقد روی السید ابن طاووس فی الإقبال بإسناده إلی الشیخ المفید:إن زواجها کان لیله إحدی و عشرین من المحرم سنه ثلاث من الهجره.

و فی المصباح: فی أول یوم من ذی الحجه، و روی أنه کان یوم السادس منه.

و فی الأمالی: أن زواجها کان بعد وفاه رقیه زوجه عثمان بسته عشر یوماً و ذلک بعد رجوعه من بدر، و ذلک لأیام خلت من شوال.

تحقیق حول أسماء بنت عمیس و أم سلمه

إن أسـماء بنت عُمیس كانت زوجه جعفر بن أبی طالب و قد هاجر جعفر إلی الحبشه مع زوجته و عدد من المسلمین قبل الهجره من مكه بسنوات، و رجع جعفر من الحبشه إلی المدینه یوم فتح خیبر فی السنه الخامسه من الهجره.

هـذا هو المتفق علیه بین المؤرخین، و لكنك تجـد حدیثاً یصـرّح بحضور أسـماء بنت عُمیس عند السـیده خدیجه الكبری ساعه وفاتها فی مكه كما مر علیك.

و تجـد الأحـادیث الكثیره التی تصـرِّح بحضورهـا فی زواج السـیده فـاطمه الزهراء تجـد التصـریح باسـمها و اسم أبیهـا و اللقب: (أسماء بنت عُمیس الخثعمیه).

و قـد روی صـاحب كشـف الغمـه حضـور أسـماء بنـت عُمیس الخثعمیه فی زواج السـیده فـاطمه، و رواه الحضـرمی فی (رشـفه الصادی ص ۱۰) و أحمد بن حنبل فی (المناقب) و الهیثمی فی (مجمع الزوائد) و النسائی فی (الخصائص ص۳۱) و محب الدین الطبری فی (ذخائر العقبی) عن ابن عباس، و عن الخوارزمی عن الحسـین بن علی (علیهماالسـلام) و عن السـید جلال الدین عبد الحمید بن فخار الموسوی، و عن الدولابی و عن الإمام الباقر عن آبائه (علیهم السلام).

و روی عن بعض هؤلاء شیخنا المجلسی فی العاشر من البحار ج ۴۳.

مع العلم أن زواج السيده فاطمه كان بعد واقعه بدر، و قبل واقعه أحد، أى فى السنه الأولى أو الثانيه من الهجره، فكيف الجمع بين هذين القولين؟

ان هذه مشكله تاريخيه لم يجد المؤرخون لها حلاً ـ مقبولاً ـ صحيحاً، و قد تكلّف شيخنا المجلسى فى البحار ج ۴۳ ببعض التأويلات أو التصرفات. و لكنها لا تتفق مع التصريح باسم أسماء بنت عُميس الخثعميه.

و أعجب من هذا ما ذكره القمى فى سفينه البحار فى ماده (ک ذ ب) عن مجاهد قال:قالت أسماء بنت عُميس: كنت صاحبه عائشه التى هيأتها و أدخلتها على رسول الله، و معى نسوه، و قالت: فوالله ما وجدنا عنده قوتاً إلاَّ قدحاً من لبن، فشرب ثم ناوله عائشه، فاستحيت الجاريه فقلت لها:

لا تردى يد رسول الله، خذى منه فأخذته على حياء فشربت منه، ثم قال:

ناولى صواحبک

فقلن: لا نشتهيه.

فقال: لا تجمعن جوعاً و كذباً.

قالت: فقلت: يا رسول الله إن قالت إحدانا– لشى ء–: لا نشتهيه أيعدُّ ذلک كذباً؟

قال (صلى الله عليه و آله و سلم): إن الكذب ليكتب حتى يكتب الكذيبه كذيبه.كان المقصود من ذكر هذا الحديث هو حضور أسماء بنت عميس فى زواج الرسول بعائشه و كان ذلک قبل زواج السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام).

أضف إلى هذا أنه قد اشتهر بالتواتر حضور أسماء بنت عميس عند ولاده الإمام الحسين (عليه السلام) فى السنه الرابعه أو الخامسه من الهجره،

و كل ذلک قبل فتح خيبر، أی قبل رجوع جعفر بن أبی طالب من الحبشه.

و قد روی شيخنا المجلسی فی البحار ج ۴۳ عن محمد بن يوسف الكنجی فی كتابه: (كفايه الطالب) حضور أسـماء بنت عميس فی زواج السيده فاطمه الزهراء.

قال محمد بن يوسف: هكذا رواه ابن بطه، و هو حسن عال، و ذكر أسـماء بنت عميس فی هذا الحديث غير صـحيح لأن أسـماء هذه امرأه جعفر بن أبی طالب...

إلی أن قال: و أسـماء التی حضـرت فی عرس فاطمه (عليهاالسلام) إنما هی أسماء بنت يزيد ابن السكن الأنصاری، و أسماء بنت عميس كانت مع زوجها جعفر بالحبشه،و قـدم بها يوم فتح خيبر سـنه سـبع، و كان زواج فاطمه (عليهاالسـلام) بعد وقعه بدر بأيام يسيره، فصحَّ بهذا أن أسماء المذكوره فی هذا الحديث إنما هی بنت يزيد..... الی آخره.

أقول: لو لم يكن فی الأحاديث تصـريح باسم أسـماء و اسم أبيها و لقبها لأمكن هـذا التوجيه أو التأويل، و لكن كيف يصـح هذا التكلف و التعسّف فی التأويل فی مقابل هذا النص الصريح، و هو: (أسماء بنت عميس الخثعميه)؟

و أما أسماء بنت يزيد الأنصاری فان لنا ان نتساءل: كيف كانت فی مكه يوم توفيت السيده خديجه مع العلم أنها أنصاريه أی من أهل المدينه؟

و الحال أن أسماء التی حضرت وفاه خديجه فی مكه هی التی حضرت زواج فاطمه الزهراء فی المدينه.

و إننی أظن أن الكنجی إنما قال هذا لوجود المشاركه فی الاسم بين أسـماء بنت عميس و أسماء بنت يزيد، و لم يذكر أحد من المؤرخين حضور أسماء الأنصاريه فی مكه عند وفاه السيده خديجه.

و الـذی یقوی عندی أن الحل الصـحیح و الجواب المعقول هو: أن أسـماء هذه هی أسماء بنت عمیس الخثعمیه زوجه جعفر بن أبی طـالب، و أنها هاجرت مع زوجها إلی الحبشه، و لکنها رجعت إلی مکه، و هاجرت إلی المـدینه، و لعلها کررت سـفرها إلی الحبشه لأن المسافه من جـده إلی الحبشه هی مسافه عرض البحر الأحمر، و لیس قطع هذه المسافه بالصـعب المستصـعب ذهاباً و إیاباً، و إن کان التاریـخ لم یذکر ذلک لأسـماء فإن التاریخ ایضا لم یذکر لأبی ذر الغفاری هجره الی الحبشه،و قد روی عن ابی ذر قوله: کنت أنا و جعفر بن أبی طالب مهاجرین إلی بلاد الحبشه.... الی آخر کلامه

روی ذلک الشیخ المجلسی عن کتاب: (علل الشرائع) للصدوق.

و قد ظفرت بروایه رواها المجلسی فی البحار ج ۴۳ فی باب تزویج السیده فاطمه (علیهاالسلام) عن کتاب (مولد فاطمه) عن ابن بابویه: أمر النبی بنات عبدالمطلب.... إلی أن یقول: و النبی (صـلی الله علیه و آله و سـلم) و حمزه و عقیل و (جعفر) و أهل البیت یمشون خلفها.. إلی آخره.

فالتصریح بوجود جعفر یحل هذه المشکله.

بقیت هنا کلمه: و هی أن هجره الرسول (صـلی الله علیه و آله و سـلم) کانت بعد وفاه السیده خدیجه الکبری قطعاً، علی اختلاف فی تاریخ وفاتها فی الشهور و الأعوام قبل الهجره.

و لکن الظاهر أن السیده خدیجه توفیت قبل الهجره بأقل من سنه.

و من نـاحیه أُخری کـانت هجره جعفر بن أبی طـالب إلی الحبشه مرتین، و هجرته الثانیه کانت بعـد وفاه السـیده خـدیجه، و قبل هجره الرسول إلی المدینه.

و الدليل على ذلك هو الخبر المروى: أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يوم كان فى الغار قال: (إنى أرى سفينه جعفر تعوم فى البحر).

و من هنا يسهل علينا أن نعرف بأنَّ بنت عميس كانت فى مكه يوم وفاه خديجه، و أنها قد حضرت عند وفاتها.

و أما مشكله أُم سلمه، فإننا نجد اسم السيده أُم سلمه فى الأيام التى سبقت زواج السيده فاطمه الزهراء، فقد كان النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فى بيتها يوم خطبه على (عليه السلام) من فاطمه الزهراء، و قد سمعت أن النبى أودع عندها شيئاً من صداق فاطمه الزهراء و كانت مرجع النساء فى قضايا زواج السيده فاطمه.

مع العلم أن المؤرخين ذكروا أن الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) تزوجها فى السنه الرابعه من الهجره، و زواج السيده فاطمه كان فى السنه الثانيه من الهجره بعد بدر و قبل أُحد، فكيف كانت أُم سلمه فى هذه المراحل مع العلم أنها لم تكن زوجه للنبى (صلى الله عليه و آله و سلم) يومذاک؟.

نجيب عن هذا الكلام بما يلى:

أولاً: المناقشه فى سنه زواجها من الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) فلعل الرسول تزوجها فى أوائل الهجره، أو أن زواج السيده الزهراء كان فى السنه الرابعه من الهجره و هذا احتمال بعيد و قول ضعيف لا يُعبأُ به.

ثانياً: إن السيده أُم سلمه هى بنت عمه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فلا مانع أن تساهم فى مراحل زواج السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) بحيث أن النبى يستودعها صداق فاطمه الزهراء، أو يكون لها اقتراح و رأى فى تعجيل زفاف السيده فاطمه الزهراء. و لعل هذا الوجه هو الاقوى.

هذا ما يتبادر إلى ذهنى و الله العالم بحقائق الأمور.

ص: ۱۵۲

بیت فاطمه

إن الحضاره- الیوم- بدأت تشعر بضروره احترام بعض المساکن و المبانی و الأراضی، و ذلک بعد أن شعرت باحترام الفضیله و أهلها، و التقدیر عن الشرف و العلم و القیم.

و علی هـذا الأساس أحـدثت الحضاره قانوناً بل قوانین بهـذا الشأن، و رعایه لهذا الأمر، فالصـیانه الدبلوماسـیه التی منحها القانون لمبانی السـفارات و الهیئات الدبلوماسـیه و هکـذا القوانین التی تفرض احترام الجامعات و المعاهـد العلمیه و المساجـد و المعابد تقدیراً للعلم والدین و الثقافه هی من نتائج الشعور بهذا المعنی.

و لکن هـذه الحقیقه کانت ثابته عنـدالله تعالی، و عنـد أولیائه من أهل السـموات و الأرض منـذ الأزل، و انطلاقاً من هذه الحقیقه نجـد الأحکـام الوارده حول احترام المساجـد و خاصه المسـجد الحرام، و تحریم الـدخول فیه علی بعض الأفراد کالمشـرکین أو المجنب و الحائض، و تحریم تنجیسـها، أو إتیان ما ینا فی قدسـیتها و احترامها، أو الصید فی الحرم (و هو المناطق المحیطه بمکه من جمیع الجوانب، حسب حدود معینه مذکوره فی کتب الفقه).

بعد ذکر هذه المقدمه اعلم أن البیت الذی کانت السـیده فاطمه الزهراء (علیها السلام) تسکن و تعیش فیه کان محاطاً بالقداسه و الروحانیه و النور، و التجلیل و التبجیل، و یعرف حق ذلک البیت کل من یعرف حق فاطمه و أبیها، و بعلها و بنیها.

ص: ۱۵۳

و قد روی شیخنا المجلسی (علیه الرحمه) عن أنس بن مالک و عن بریده قال: قرأ رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): «فی بیوت أذن الله أن ترفع و یذکر فیها اسمه یسبّح له بالغدو و الآصال» (۱) .

فقام رجل فقال: أی بیوت هذه یا رسول الله؟

فقال: بیوت الأنبیاء.

فقام إلیه أبوبکر،

فقال: یا رسول الله! هذا البیت منها؟!

و أشار إلی بیت علی و فاطمه.

قال: نعم، من أفضلها!! (۲) .

و عن ابن عباس قال: کنت فی مسجد رسول الله، و قد قرأ القارئ:

(فی بیوت أذن الله أن ترفع و یذکر فیها اسمه...الایه) فقلت: یا رسول الله! ما البیوت؟

فقال: رسول الله (صلی الله علیه و آله): بیوت الأنبیاء. و أومی بیده إلی منزل فاطمه! (۳) .

و فی الکافی عن جابر بن عبدالله الأنصاری قال: خرج رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) یرید فاطمه (علیهاالسلام) و أنا معه، فلما انتهینا إلی الباب وضع یده علیه فدفعه، ثم قال: السلام علیکم.

فقالت فاطمه (علیهاالسلام): علیک السلام یا رسول الله.

قال: ءأدخل؟

قالت: أدخل یا رسول الله.

۱- ۱۲۷. النور: ۳۶.

۲- ۱۲۸. و فی نسخه: من افاضلها/ تفسیر الثعلبی و منه تفسیر (البرهان) ج ۳/ ۱۳۹.

۳- ۱۲۹. کشف الغمه.

قال: أدخل أنا و من معی؟

فقالت: یا رسول الله لیس علی قناع.

فقال: یا فاطمه خذی فضل ملحفتک، فقنّعی به رأسک. ففعلت.

ثم قال: السلام علیکم.

فقالت: و علیک السلام یا رسول الله

قال: ءأدخل؟

قالت: نعم یا رسول الله.

قال: أنا و مَن معی؟

قالت: أنت و مَن معک.. إلی آخره (۱) .

۱- ۱۳۰. الکافی ج ۵/ باب الدخول علی النساء حدیث ۵.

حیاتها الزوجیه

انتقلت السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) إلی البیت الزوجی، و کان انتقالها من بیت الرساله و النبوه إلی دار الإمامه و الوصایه و الخلافه و الولایه، و حصل تطور فی سعاده حیاتها، فبعد أن کانت تعیش تحت شعاع النبوه صارت قرینه الإمامه.

کانت حیاتها فی البیت الزوجی تزداد إشراقاً و جمالاً إذ کانت تعیش فی جوٍّ تکتنفه القداسه و النزاهه، و تحیط به عظمه الزهد و بساطه العیش، و کانت تعین زوجها علی أمر دینه و آخرته، و تتجاوب معه فی اتجاهاته الدینیه، و تتعاون معه فی جهوده و جهاده.

و ما أحلی الحیاه الزوجیه إذا حصل الانسجام بین الزوجین فی الاتجاه و المبدأ و نوعیه التفکیر، مبنیاً علی أساس التقدیر و الاحترام من الجانبین.و لیس ذلک بعجیب، فإن السیده فاطمه الزهراء تعرف لزوجها مکانته العظمی و منزلته العلیا عندالله تعالی، و تحترمه کما تحترم المرأه المسلمه إمامها، بل أکثر و أکثر، فإن السیده فاطمه کانت عارفه بحق علی حق (علیه السلام)معرفته، و تقدره حق قدره، و تطیعه کما ینبغی، لأنه أعز الخلق إلی رسول الله. لأنه صاحب الولایه العظمی، و الخلافه الکبری و الإمامه المطلقه.

لأنه أخو رسول الله و خلیفته، و وارثه و وصیه.

لأنه صاحب المواهب الجلیله، و السوابق العظیمه.

ص: ۱۵۶

و هكذا كان على (عليه السلام) يحترم السيده فاطمه الزهراء احتراماً لائقاً بها،لا لأنها زوجته فقط:

بل لأنها أحب الخلق إلى رسول الله.

لأنها سيده نساء العالمين.

لأن نورها من نور رسول الله.

لأنها من الذين بهم فتح الله كتاب الإيجاد و الوجود.

لأنها كتله من العظمه.

لأنها مجموعه من الفضائل، و لو كانت فضيله واحده من تلك الفضائل متوفره فى امرأه واحده لاستحقت التقدير و التعظيم.

فكيف بفاطمه الزهراء، و قد اجتمعت فيها من المزايا و المواهب و الفضائل و المكارم ما لم تجتمع فى أيه امرأه فى العالم كله، من حيث النسب الشريف الأرفع، و الروحانيه و القدسيه، و من حيث بدء الخلقه و منشأ إيجادها و كرامتها عندالله، و عبادتها و علمها و ديانتها، و زهدها و تقواها و طهارتها و نفسيتها و شخصيتها، و غير ذلك من مئات المزايا مما يطول الكلام بذكرها.

بعد ما قصصنا و لم نقصص عليك يمكن لك أن تدرك الجوّ الذى كان الزوجان السعيدان يعيشانه، و الحياه الطيبه السعيده الحلوه (بجميع معنى الكلمه) التى كانا يتمتعان بها:

حياه لا يعكِّرها الفقر، و لا تغيّرها الفاقه، و لا تضطرب بالحوادث.

حياه يهب عليها نسيم الحب و الوئام، و تزينها العاطفه بجمالها المدهش.

قال على (عليه السلام): فوالله ما أغضبتها و لا أكرهتها على أمر حتى قبضها الله عز و جل، و لا أغضبتنى و لا عصت لى أمراً، لقد كنت

انظر إليها فتنكشف عنی الهموم و الأحزان (۱) .

و روی عن الإمام الباقر (علیه السلام): أن فاطمه (علیهاالسلام) ضمنت لعلی (علیه السلام) عمل البیت و العجین و الخبز، و قمَّ البیت، و ضمن لها علی (علیه السلام) ما کان خلف الباب: نقل الحطب و أن یجی ء بالطعام. لا یُعلم بالضبط مده إقامه الإمام و السیده فاطمه (علیهماالسلام) فی دار حارثه بن النعمان، إلاّ أن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) بنی لها بیتاً ملاصقاً لمسجده، له باب شارع إلی المسجد، کبقیه الحجرات التی بناها لزوجاته، و انتقلت السیده إلی ذلک البیت الجدید الملاصق لبیت الله، المجاور لبیت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

۱- ۱۳۱. بحارالانوار ج ۴۳.

اکذوبه التّاريخ فی حق علی

لقـد تکرر منّا الکلام أن بعض حَمَله الأقلام أساءوا إلی السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) فی شتی الميادين و مختلف المجالات، و قد تقدم منا الکلام أن زواج الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) بالسيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام)قد هيَّج الأحقاد فی قلوب الحاسدين، فجعلوا يتشبثون بشتی الوسائل لتعکير حياه الزوجين السعيدين، و إثاره الفتن و المشاغبات، کما هو شأن المفسدين الذين تتکون عندهم عقده الحقاره النفسيه بسبب الفشل فی الحياه.

و من جمله تلک المشاغبات أنهم أشاعوا أن عليّاً قد خطب ابنه أبی جهل، و وصل الخبر إلی السيده فاطمه الزهراء أن زوجها قد خطب بنت رئيس المشرکين و قطب الکافرين أبی جهل.

فتأثرت السيده فاطمه و ذهبت إلی حجره أبيها الرسول (صلی الله عليه و آله و سلم) و لکن سرعان ما انکشف الأمر، و اتضحت الحقيقه، و ظهر تزوير هذا الخبر.

هذه خلاصه هذه الا کذوبه.

و لکن هلم معی إلی بعض المؤلفين و الکُتّاب کيف اتخذوا هذه التهمه مرتعاً خصباً للتهريج و التشنيع ضد الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام)، فجعلوا يطبّلون و يزمّرون من حيث يشعرون أو لا يشعرون.

و من جمله المطبّلين و المزمّرين هی الکاتبه المصريه بنت الشاطی ء، التی

کتبت ما کتبت و هی غیر مبالیه بما تکتب، أو متعمده فیما تکتب، فإنها اعتبرت هذه الأکذوبه حقیقه ثابته عندها، لا شک فیها و لا ریب.

و هنا نقتطف بعض ما کتبته الکاتبه المصریه فی کتابها: (بنات النبی) ص ۱۶۷:

«لقد همّ علی بالزواج علی فاطمه... دون أن یخطر بباله أن فی هذا ما تنکره بنت نبی الإسلام».

أنا لا أدری بماذا أُجیب علی هذه الکلمه الهوجاء التائهه؟

و هل یوجد فی العالم کله رجل لا یشعر أن زوجته تکره الضرّه؟

و تکره أن یتزوج علیها زوجها؟

إنَّ أقلَّ الناس إدراکاً و معرفه بالأمور یشعر بهذا الأمر، و لکن الکاتبه تقول: (دون أن یخطر بباله (ببال علی) أن فی هذا ما تنکره بنت نبی الإسلام»!!

و تقول بعد ذلک: «ألا: لیت علیاً قد صبر علی واحده».

ثم إنّها ملأت صفحات من کتابها فی ذم أبی جهل و مواقفه ضد الإسلام، ثم قارنت بین بنت أبی جهل و بین بنت الرسول، و هی بهذه المقارنه تقصد التشنیع و و التهریج ضد هذا الزواج المزعوم.

و من العجب أن الکاتبه نفسها تبدی استیاءها من بعض المستشرقین المسیحیین المتعصبین الذین تلاعبوا بالتاریخ الإسلامی، و تخص الکاتبه منهم (لامانس) المبشّر المسیحی المعادی.

و مع الأسف أن الکاتبه نفسها نسیت التریّث و التروّی حول هذه المفتریات، و اعتبرتها و حیاً یوحی.

و استعانت الکاتبه بنسیج خیالها و وصفها الروائی الذی هو عاده مؤلفی الأساطیر.

و هنا يجيب الفاضل المعاصر السيد حسن الأمين- عن هذه المفتريات- فى الجزء الثالث من كتابه (دائره المعارف الإسلاميه الشيعيه (ص ۱۰) تحت عنوان:

دسائس على النبى و علىّ و فاطمه:

ورد فى كتاب ذخائر العقبى أن علياً أراد أن يتزوج بنت أبى جهل على فاطمه، و أن النبى غضب لذلك و صعد المنبر محتداً ناقماً على هذا الأمر، شاجباً له، بالتفاصيل المزريه التى وردت فى الكتاب مما هو طعن صريح بمحمد، فضلاً عن أنه طعن بعلىٍّ و فاطمه.

أمّا أنه طعن بمحمد، فذلك أنه أظهره بمظهر من يرفض أن يطبّق الشريعه على نفسه و على من يتصل به فى حين أنه يفرض على غيره تطبيقها.

فهو يبيح للناس تعدد الزوجات، و لكن يأبى أن ينطبق هذا التعدد على ابنته. و هذا من أفظع ما يوجَّه إلى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) من مطاعن و لكن أعداء محمد استطاعوا أن يفعلوا ذلك، و أن يستغلوا ذوى النظر القصير، فيروونه فى كتبهم و لا يرون فيه شيئاً.

أمّا أنه طعن فى على: فذلك بإظهاره بمظهر من أغضب فاطمه وأغضب النبى نفسه.و أمّا أنه طعن فاطمه: لأنها تابى أن تطبّق شريعه الله التى جاء بها أبوها على نفسها.

نحن لن نتعرض لسند الخبر، فإن هذا الخبر بادئ الفساد من نفسه و لكننا نتساءل: لماذا خصّ رواوا الخبر بنت أبى جهل بهذا الشرف؟

و لماذا لم ينسبوا إلى على محاولته التزوج على فاطمه من غير بنت

أبی جهل؟

أکان ذلک لأن بنت أبی جهل کانت من الجمال و الکمال بحیث لم تکن أی فتاه عربیه غیرها علی شی ء من مثلها؟

إنما خصُّوا بذلک بنت أبی جهل لیکون الطعن فی علی (علیه السلام) أبلغ و أنفذ، فهو لم یختر لإغاظه النبی و ابنته فاطمه إلّا بنت أعدی عدوٍّ للنبی و الإسلام. کشفتْ الدسیسه عن نفسها، و فضحت مخترعیها و لو کانوا أکثر ذکاءً لخففّوا من غلوائهم، و لم یمدحوا أنفسهم و هم یشتمون محمداً و ابنته و ابن عمه.

فقد أوردوا فی القصه هذا النص عن لسان النبی: (ذکر- النبی - صهراً له من بنی عبد شمس فأثنی علیه فی مصاهرته فأحسن).

قال- النبی-: «حدَّثنی- أی ذلک الصهر من بنی عبد شمس- فصدَّقنی، و وعدنی فأوفانی».

و معنی هذا الکلام أن النبی یثنی علی صهره الأموی من بنی عبدشمس و یقول عنه: أنّه حدّثه فصدقه فی حدیثه، و وعده فوفی بما وعد!!

و هکذا- کما قلنا- فضحت الدسیسه نفسها بنفسها و اظهرت زیفها دون ان تحوجنا فی ذالک الی کثیر عناء.

ارید لهذا الخبرا الزائف غایه اخری مضافه الی غایه الطعن فی النبی و فی علی و فاطمه، هذه الغایه هی صرف الانظار عن حقیقه الذین اغضبوا

فاطمه، و جعل المقصود بذلک هو علی بن أبی طالب.

فقد أورد مدبّر و الخبر و منظّموه- أوردوه بعدَّه نصوص لیکون فی کل نصٍ غایه مستقله.

و من النصوص التی أوردها قولهم: قال النبی: (فاطمه بضعه منی، یریبنی ما رابها، و یؤذینی ما یؤذیها».

ثم فسّروا هذا الحدیث بأن قالوا: إن المقصود منه أنَّ الله حرَّم علی أن یتزوج علی فاطمه و یؤذی رسول الله.

ص: ۱۶۳

ولاده الإمام الحسن

و حملت السيده فاطمه الزهراء بولدها الحسن (عليه السلام) و عمرها اثنتا عشره سنه و انتقل شى ء من نور الإمام و الإمامه من صلب على إلى فاطمه، و من الطبيعى أن النور يتجلى فى وجهها، و يزهر وجهها كى يصدق عليها اسم (الزهراء)و اقتربت الولاده، و اتفقت للرسول سفره جاء يودّع ابنته فاطمه، فأوصاها بوصايا تتعلق بالمولود المنتظر و منها: أن لا يلفّوه فى خرقه صفراء.

و وضعت فاطمه ولدها الأول فى النصف من شهر رمضان (على قول) سنه ثلاث من الهجره، فكان يوماً عظيماً، و قد حضرت عند الولاده أسماء بنت عميس فلفّوه فى خرقه صفراء، لا تعمداً و مخالفه للرسول، بل سهواً و غفله- أو جهلًا- من النسوه اللاتى حضرن الولاده.

فأقبل النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و قال: أرونى ابنى، ما سميتموه؟

و كانت فاطمه قالت لعلى (عليه السلام): سمِّه. فقال على: ما كنت لأسبق باسمه رسول الله فلما جاء النبى و أخذ المولود قال: ألم أنهكم أن تلفوه فى خرقه صفراء؟ ثم رمى بها، و أخذ خرقه بيضاء فلفَّه بها.

ثم قال لعلى (عليه السلام): هل سمّيته؟

فقال على: ما كنت لأسبقك باسمه.

فقال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): و ما کنت لأسبق ربی (عز و جل).

فـأوحی الله إلی جبرئیل: أنه قـد وُلـد لمحمـد ابن، فاهبط، فأقرأه السـلام، و هنأه و قل له: إن علیاً منک بمنزله هارون من موسـی، فسمِّه باسم ابن هارون. فهبط جبرئیل فهنأه من الله (عز و جل)، ثم قال: إن الله تبارک و تعالی یأمرک أن تسمیه باسم ابن هارون.

فقال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): و ما کان اسمه؟

قال جبرئیل: شبَّر.

فقـال النبی: لسانی عربیِ (۱) قـال جبرئیل: سـمّه الحسن. فسـمَّاه الحسن، و أذَّن رسول الله (صـلی الله علیه و آله و سـلم) فی أذنه الیمنی و أقام فی الیسری.

فلمـا کـان یوم السـابع عقّ النبی (صـلی الله علیه و آله و سـلم) بکبشـین أملحین، و أعطی القـابله فخـذاً و دینـاراً. و حلق رأسه، و تصدّق بوزن الشعـر فضّه، و طلی رأسه بالخلوق (۲) و قال:یا أسـماء الـدم فعل الجاهلیه. (أی إن أهل الجاهلیه کانوا یطلون رأس المولود بالدم).

و کان الرسول یقبّله: و یُدخل لسانه فی فم الحسن فیمصّه الحسن و قیل: کان ذلک کله یوم السابع من الولادهِ. (۳) .

۱- ۱۳۲. لان شبر کلمه عبریه و لیست عربیه.

۲- ۱۳۳. الخلوق: طیب مرکب من الزعفران و غیره.

۳- ۱۳۴. بحارالانوار ج ۴۴.

ولاده الإمام الحسين

حملت السيده فاطمه الزهراء بطفلها الثانی،و مضت سته أشهر علی الحمل، و إذا بها تشعر بعلائم الولاده.

و کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قد بشَّر بولاده الحسین.

قال الإمام الصادق (علیه السلام): أقبل جیران أم أیمن إلی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فقالوا: یا رسول الله إن أم أیمن لم تنم البارحه من البکاء،لم تزل تبکی حتی أصبحت.

فبعث رسول الله إلی أم أیمن فجاءته فقال لها: یا أم أیمن! لا أبکی الله عینیک! إن جیرانک أتونی و أخبرونی أنک لم تزل اللیل تبکین أجمع، فلا- أبکی الله عینیک ما الذی أبکاک؟ قالت: یا رسول الله، رأیت رؤیا عظیمه شدیده، فلم أزل أبکی اللیل أجمع فقال لها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): فقصِّیها علی رسول الله.

فإن الله و رسوله أعلم.

فقالت: رأیت لیلتی هذه کأن بعض أعضائک ملقیً فی بیتی!

فقال لها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): نامت عینک و رأیت

خیراً، یا أم أیمن تلد فاطمه الحسین فتربینه و تلبینه فیکون بعض أعضائی فی بیتک.

فلما ولدت فاطمه الحسین (علیهماالسلام) أقبلت به أُم أیمن إلی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فقال: مرحباً بالحامل و المحمول یا أُم أیمن هذا تأویل رؤیاک.

و رأت أُم الفضل زوجه العباس (عم النبی) رؤیا شبیهه برؤیا أُم أیمن.

و حضرت النسوه وقت الولاده، منهن: صفیه بنت عبدالمطلب (عمه النبی) و أسماء بنت عمیس و أُم سلمه، فلما وُلد الحسین قال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): یا عمه هلمّی إلیّ ابنی.

فقالت: یا رسول الله إنّا لم ننظفه بعد.

فقال: یا عمه أنت تنظّفینه؟ إن الله تبارک و تعالی قد نظّفه و طهّره.

و هبط جبرئیل علی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و أمره أن یسمیه: الحسین باسم ابن هارون، و کان اسمه بالعبریه (شبیر) و معناها بالعربیه: الحسین.

و هبط علی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) أفواج من الملائکه لتُهنّئه بولاده الحسین و تعزّیه بشهادته، و أخذ رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)الحسین، فجعل لسانه فی فمه، فجعل الحسین یمصه.

و کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) یأتیه کل یوم. فیلقمه لسانه فیمصّه الحسین حتی نبت لحمه واشتد عظمه من ریق رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

و لم یرتضع الحسین (علیه السلام) من أُمّه، و لا من امرأه أُخری!

قال سیدنا بحر العلوم (علیه الرحمه):

لله مرتضع لن يرتضع أبداً

من ثدی أُنثی و من طه مراضعه

يعطيه إبهامه آناً فآونهً

لسانه فاستوت منه طبائعه

و فی اليوم السابع من ولادته أمر رسول الله (صلی الله عليه و آله و سلم) فحلق رأس الحسين، و تصدّق بوزن شعره فضه، وعقّ عنهِ (۱) .

هذا و تجد التفصيل فی كتابنا: (الامام الحسين (عليه السلام) من المهد إلی اللحد) إن شاءالله تعالی.

۱- ۱۳۵. بحارالانوار ج ۴۳.

ولاده السیده زینب الکبری

من الصحیح أن نقول أن ولاده السیده زینب الکبری (علیهاالسلام) کانت بعد ولاده الحسین (علیه السلام).

و بعباره أخری: أن السیده زینب هی الطفل الثالث للسیده فاطمه الزهراء بإجماع أکثر المؤرخین و المحدّثین، إلاّ من شذّ و ندر من المؤرخین المتطرفین الذین جعلوها الطفل الرابع، زاعمین أن السیده فاطمه الزهراء حملت بزینب بعد سقوط جنین لها، و هم بذلک یقصدون تغطیه الجریمه و ستر المأساه التی حدثت عند باب دار السیده فاطمه الزهراء بعد وفاه الرسول، مما أدّی ذلک إلی سقوط جنینها.

و من جمله من أعجبهم هذا القول الشاذ هی بنت الشاطئ المصریه فی کتابها: (بطله کربلاء) و إلیک نص کلامها:

«إنها الزهراء بنت النبی، توشک أن تضع فی بیت النبوه مولوداً جدیداً بعد أن أقرّت عینی الرسول بسبطیه الحبیبین: الحسن و الحسین، و ثالث لم یقدّر له أن یعیش هو المحسن بن علی.. الی آخر کلامها.

و لا یُهمّنا- الآن- النقاش حول هذه المغالطه، لأن لنا مجالاً واسعاً- فی المستقبل- حول المحسن بن علی، و أنه هو الطفل الأخیر لفاطمه الزهراء (علیهاالسلام) و أنه مات جنیناً فی بطن أُمه علی أثر الصدمه و الضغطه التی حدثت بین الحائط و بین باب بیت فاطمه.

و إنما نذکر هنا نبذه مختصره من حیاه السیده زینب الکبری رعایه

ص: ۱۶۹

لأسلوب الكتاب، و تجد التفصيل فی کتابنا: زينب الكبرى من المهد الى اللحد فإن حياتها المشرقه جديره بالبحث و التحليل و الإشاده و التنويه، و نذكر هنا الشی ء اليسير اليسير عن مولدها و نشأتها:

وُلدت السيده زينب الكبرى فی السنه الخامسه من الهجره، و هی المولود الثالث للبيت النبوی العلوی الشريف الأرفع.

و إننی أراها- هنا- فی غنى عن التعريف و الوصف، و ما عسانی أن أقول فی سيده أبوها: الإمام المرتضى على بن أبی طالب (عليه السلام) و أمها التی أنجبتها: سيده نساء العالمين الصديقه الكبرى فاطمه الزهراء بضعه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و أخواها سيدا شباب أهل الجنه الإمامان: الحسن و الحسين (عليهماالسلام) فهی حصيله الفضائل، و نتيجه العظمه، محاطه بهاله من الشرف الرفيع من جميع جوانبها.

فلا تسأل عن صدرٍ أرضعها، و حجرٍ رباها، و تربيه شملتها، و رعايه أحاطت بها، و البيت الذی فتحت فيه عينها.

و لا- تسأل عن عوامل الوراثه، و تفاعل التربيه، و تأثير الجو العائلی المقدس فی نفسيه السيده زينب، مضافه إلى أخلاقها المكتسبه، و مواهبها التی ظهرت من الإمكان إلى الفعل.

و كم يؤلمنی أن أقول بأن التاريخ قد ظلم السيده زينب كما ظلم أباها و أمها و أسرتها أجمعين. إذ لم يعبأ بها التاريخ كما ينبغی، و لم يتحدث عنها كما تقتضيه و تتطلبه شخصيه سيده مثل زينب الكبرى عقيله الهاشميين، حفيده رسول الله (صلى الله عليه و آله سلم).

قد سمّاها جدّها الرسول زينباً. و الكلمه مركبه من: (زين الأب).

و قد ذكر الشيخ محمد جواد مغنيه فی كتابه: (الحسين و بطله كربلاء) نقلًا عن جريده الجمهوريه المصريه ٣١/ ١٠/ ٧٢ مقالاً للكاتب

ص: ١٧٠

المصری یوسف محمود، نقتطف منه موضع الحاجه:

(وُلدت فی شعبان من السنه الخامسه للهجره، فحملتها أمها، و جاءت بها إلی أبیها (علی) و قالت:

سمِّ هذه المولوده.

فقال لها- رضی الله عنه-: ما کنت لأسبق رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)و کان فی سفر له، و لما جاء النبی و سأله عن اسمها قال: ما کنت لأسبق ربی.

فهبط جبرئیل یقرأ علی النبی السلام من الله الجلیل و قال له: اسم هذه المولوده زینب، فقد اختار الله لها هذا الاسم).

هذا ما ذکره صاحب المقال بدون تعرّض لسند هذا الحدیث، ذکرته بالنص.

و للسیده زینب الکبری حیاه مشرقه و تاریخ حافل بالمکارم و الفضائل و ملی ء بالمآسی فی أدوار حیاتها فی عهد الطفوله و دور الصبا، من افتجاعها بجدّها الرسول الأقدس (صلی الله علیه و آله و سلم) و أمها الصدیقه الطاهره فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) و الأحداث التی عاشتها السیده زینب طیله ربع قرن الفتره التی کان أبوها المرتضی علی (علیه السلام) جلیس البیت مسلوب الإمکانیات. ثم هجرتها من المدینه إلی الکوفه عاصمه أبیها یومذاک.

و شاءت الإراده الإلهیه أن تفجع السیده زینب بأبیها العظیم الإمام علی (علیه السلام) تلک الکارثه التی اهتزت لها السموات العلی.

و أعقبت ذلک أحداث من الحرب التی قامت بین أخیها الإمام الحسن (علیه السلام) و بین معاویه ابن آکله الاکباد، و ما انتجت تلک النتائج.

و إلی أن انتهت الفتره بوفاه الإمام الحسن (علیه السلام) مسموماً.

و انقضت سنوات و إذا بالسیده زینب تواجه كارثه أخری هی أعظم فاجعه عرفها التاریخ تلک فاجعه كربلاء الدامیه ذات المسیره الطویله و الأبعاد العدیده فكانت السیده زینب تعیش تلک الأحداث بدون أن یعتریها انهیار أو ارتباک، لم تفقد أعصابها، و لم یختل و عیها.

و إلی أن رجعت إلی المدینه، و حكمت السلطه علیها بالإبعاد، فاختارت مصر، و قدّر الله لها أن تفارق حیاتها- تلک الحیاه المدهشه- فی أرض النیل فیكون مثواها ملاذاً و معاذاً و مهوی أفئده الملایین علی مرّ القرون و إلی یومنا هذا و إلی یوم یعلمه الله.

هذه نبذه موجزه و لمحه خاطفه تعتبر عصاره و خلاصه لحیاه سیدتنا زینب الكبری (علیها و علی جدها و أمها و أبیها و أخویها الصلاه والسلام).

و إلی اللقاء فی كتاب: (زینب الكبری من المهد إلی اللحد).

ص: ۱۷۲

ولاده السیده أم کلثوم

استقبل بیت السیده فاطمه الزهراء و علی (علیهماالسلام) بنتهما الثانیه و طفلهما الرابع بما استقبل به من سبقها من الأطفال من الفرح و السرور.

و قد شارکت السیده أم کلثوم أختها زینب فی النسب الشریف و التربیه الممتازه و الأحداث کلها، و إن اختلفت عنها فی بعض جوانب حیاتها.

و هی أیضاً من الذین شملهم ظلم التاریخ، کما شملتها المآسی و الالام التی لا یتحملها أقویاء الرجال.

و لعلنا نتطرق إلی نبذه من جوانب حیاتها أثناء التحدث عن شقیقتها زینب الکبری، و نؤدی بعض ما یتطلبه البحث و التحقیق إن شاءالله.

ص: ۱۷۳

فاطمه الزهراء فی آیه القربی

و هی فی قوله تعالی: «قل لا أسئلکم علیه أجراً إلاَّ الموده فی القربی و مَن یقترف حسنه نزد له فیها حسناً إن الله غفور شکور» (۱) هذه الآیه کما تراها خطاب من الله العظیم إلی نبیه الکریم: (قل) یا محمد لأمتک: (لا أسئلکم علیه) علی أداء الرساله (أجراً) شیئاً من الأجر (إلاَّ الموده فی القربی) أی إلاَّ أن تودّوا قرابتی.

و قد اتفقت کلمات أئمه أهل البیت (علیهم السلام) و کلمات أتباعهم أن المقصود من القربی هم أقرباء النبی، و هناک أحادیث متواتره مشهوره فی کتب الشیعه و السُنه حول تعیین القربی بأفرادهم و أسمائهم، و من جمله الأحادیث التی ذکرها علماءُ السنه فی صحاحهم و تفاسیرهم هذا الحدیث:

لما نزلت هذه الآیه قالوا: یا رسول الله من قرابتک هؤلاء الذین و جبت علینا مودتهم؟

قال (صلی الله علیه و آله و سلم): علی و فاطمه و ابناهما.. الی آخره.

ذکر هذا الحدیث طائفه من علمائهم، منهم:

۱- ابن الحجر فی الصواعق المحرقه له.

۲- الثعلبی فی تفسیره.

۳- السیوطی فی الدر المنثور.

۴- أبو نعیم فی حلیه الأولیاء.

۱- ۱۳۶. الشوری: ۲۲.

۵- الجوینی الشافعی فی فرائدالمسطین.

و حدیث آخر رواه الطبری و ابن حجر أیضاً: أن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: إن الله جعل أجری علیکم الموده فی أهل بیتی، و إنی سائلکم غداً عنهم.

هؤلاء بعض الرواه الذین ذکروا و نقلوا هذا الحدیث بصوره إجمالیه.

وإلیک بعض الأحادیث التی تصرّح باحتجاج أئمه أهل البیت (علیهم السلام) بهذه الآیه علی أن المقصود من القربی هم:

فی الصواعق المحرقه لابن حجر: عن علی (علیه السلام): فینا فی آل حم، لا یحفظ مودّتنا إلاَّ کل مؤمن ثم قرأ: «قل لا أسئلکم علیه أجراً إلاَّ الموده فی القربی، و من یقترف حسنه نزد له فیها حسناً إن الله غفور شکور).

و فی الصواعق أیضاً عن الإمام الحسن المجتبی (علیه السلام) أنه خطب خطبه قال فیها: و أنا من أهل البیت الذین افترض الله (عز و جل) مودتهم و موالاتهم، فقال فیما أنزل علی محمد (صلی الله علیه و آله و سلم): «قل لا أسئلکم علیه أجراً إلاَّ الموده فی القربی، و من یقترف حسنه نزد له فیها حسناً» و اقتراف الحسنه مودتنا اهل البیت... الی آخره.

و فی الصواعق أیضاً عن الإمام زین العابدین علی بن الحسین (علیهماالسلام) حینما أتاه رجل من أهل الشام، و هو (علیه السلام) أسیر، و قد أقیم علی باب الجامع الأموی بدمشق فقال له الشامی: الحمد لله الذی قتلکم... الی آخره. فقال له: أما قرأت «قل لا أسئلکم علیه أجراً إلاَّ الموده فی القربی».

و إلی هذا أشار الشاعر الکمیت الأسدی بقوله:

وجدنا لکم فی آل حم آیه

تأوّلها منَّا تقی و معربُ

و عن جابر بن عبدالله قال: جاء إعرابی إلی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم).

قال: یا محمد أعرض علیَّ الإسلام.

فقال: تشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شریک له. و أن محمداً عبده و رسوله.

قال: تسألنی علیه أجراً؟

قال: لا، إلاَّ الموده فی القربی.

قال: قرابتی أو قرابتک؟

قال: قرابتی.

قال: هات أبایعک، فعلی من لایحبّک و لایحب قرابتک لعنه الله.

فقال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): آمین.

رواه الکنجی فی (کفایه الطالب) ص ۳۱.

و ذکر ابن حجر فی الصواعق ص ۱۰۱ هذین البیتین لابن العربی:

رأیت و لائی آل طه فریضه

علی رغم أهل البعد یورثنی القربا

فما طلب المبعوث أجراً علی الهدی

بتبلیغه إلاَّ الموده فی القربی

و ذکر هذین البیتین للإمام الشافعی:

یا أهل بیت رسول الله حبّکم

فرض من الله فی القرآن أنزله

کفاکم من عظیم القدر أنکُمُ

مَن لم یصلّ علیکم لا صلاه له

و قد ذكر شيخنا الأمينى (عليه الرحمه) فى الجزء الثالث من الغدير خمسه و أربعين من اسماء المحدثين والحافظو المفصرين من العامه الذين رووا نزول هذه الآيه فى شأن على و فاطمه و الحسن و الحسين (عليهم السلام) و هم:

الإمام أحمد، ابن المنذر، ابن أبى حاتم، الطبرى، ابن مردويه، الثعلبى،

ص: ۱۷۶

أبوعبدالله الملا، أبوالشيخ النسائى، الواحدى، أبونعيم، البغوى، البزاز، ابن المغازلى، الحسكانى، محب الدين، الزمخشرى، ابن عساكر، أبوالفرج، الجوينى، النيسابورى، ابن طلحه، الرازى، أبوالسعود، أبوحيان، ابن أبى الحديد،البيضاوى، النسفى، الهيثمى، ابن الصباغ، الكنجى، المناوى، القسطلانى، الزرندى، الخازن، الزرقانى، ابن حجر، السمهودى، السيوطى، الصفورى، الصبان، الشبلنجى، الحضرمى، النبهانى.

ص: ١٧٧

فاطمه الزهراء فی آیه المباهله

قال الله تعالی: «فمن حاجّک فیه من بعد ما جاءک من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا و أبناءکم و نساءنا و نساءکم و أنفسنا و أنفسکم ثم نبتهل فنجعل لعنه الله علی الکاذبین» (۱) تعتبر هذه الواقعه من الوقائع المشهوره، و الحوادث المعروفه عند المسلمین من یوم وقوعها إلی یومنا هذا، و لا أرانی بحاجه إلی ذکر المصادر و المدارک لها.

و یکفی أن أقول: إن جمیع المفسرین و المحدّثین- إلاَّ من شذَّ و ندر- قد اتفقت کلمتهم علی نزول هذه الآیه علی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) حینما جری الحوار بینه و بین النصاری حول عیسی ابن مریم (علیه السلام) و إلیک الواقعه بصوره موجزه مرویه عن أمیرالمؤمنین علی بن أبی طالب (علیه السلام):

قدم علی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) و فد من نصاری نجران (۲) و یتقدمهم ثلاثه من کبارهم: العاقب، و محسن، و الأسقف، و رافقهم رجلان من مشاهیر الیهود، جائوا لیمتحنوا رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)

فقال له الأسقف: یا أبا القاسم فذاک موسی من أبوه؟.

النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): عمران.

الأسقف: فیوسف من أبوه؟

۱- ۱۳۷. آل عمران: ۶۰.

۲- ۱۳۸. نجران منطقه تقع علی الحدود بین الحجاز و الیمن.

النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): یعقوب.

الأسقف فداک أبی و أمی: فأنت من أبوک؟

النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): عبدالله بن عبدالمطلب.

الأسقف: فعیسی مَن أبوه؟

فسکت النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): «إن مثل عیسی عندالله کمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له کن فیکون» فوثب الأسقف و ثبه إعظام لعیسی أن یقال له من تراب ثم قال: ما نجد هذا- یا محمد- فی التوراه و لا فی الإنجیل و لا فی الزبور، و لا نجد هذا إلا عندک.

فأوحی الله إلیه: «فقل تعالوا ندع.. الی آخره».

فقالوا: أنصفتنا یا أباالقاسم فمتی موعدک؟

قال: بالغداه إن شاءالله.

فلما صلی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) الصبح أخذ بید علی و جعله بین یدیه، و أخذ فاطمه (علیهاالسلام) فجعلها خلف ظهره، و أخذ الحسن و الحسین عن یمینه و شماله، و قال لهم: إذا دعوتُ فأمِّنوا. ثم برک لهم بارکاً. فلما رأوه قد فعل ذلک ندموا و تآمروا فیما بینهم و قالوا: و الله إنه لَنبی، و لئن بَاهَلَنا لیستجیب الله له علینا، فیهلکنا، ولا ینجینا شی ء منه إلاَّ أن نستقیله (۱) .

و ذکر الرازی فی تفسیره: قال أسقف نجران: یا معشر النصاری! إنی لأری وجوهاً لو سألوا الله أن یزیل جبلًا لأزاله بها، فلا تباهلوهم فتهلکوا،

۱- ۱۳۹. بحارالانوار ج ۱۶.

و لا يبقى على وجه الأرض نصرانى إلى يوم القيامه.

فأقبلوا حتى جلسوا بين يديه ثم قالوا: يا أباالقاسم أقِلنا.

قال: نعم. قد أقلتكم، أما والذى بعثنى بالحق لو باهلتكم ما ترك الله على ظهر الأرض نصرانياً إلّا أهلكه.

ذكرنا هذه الواقعه مع رعايه الاختصار، و قد ذكرنا ما تيسّر حول الآيه فى كتاب (على من المهد إلى اللحد).

و يكون حديثنا- هنا- حول قوله تعالى: «و نساءنا و نساءكم» فقد أجمع المسلمون أن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يأخذ معه من الرجال إلاَّ علياً، و من الأبناء إلاَّ الحسن و الحسين، و من النساء إلاَّ ابنته فاطمه الزهراء، و لم يأخذ معه أحداً من زوجاته، و هنَّ فى حجراته و لم يأخذ معه إحدى عمّاته كصفيه بنت عبدالمطلب التى كانت شقيقه أبيه عبدالله، و لم يصطحب معه أم هانى بنت أبى طالب، و لا دعى غيرهن من الهاشميات و لا من نساء المهاجرين و الأنصار.

فلو كانت فى نساء المسلمين امرأه كفاطمه الزهراء فى الجلاله و العظمه و القداسه و النزاهه لدعاها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لترافقه للمباهله، مع العلم أن الله تعالى أمر نبيه أن يدعو نساءه بقوله تعالى: (و نساءنا) و لكنه (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يجد امرأه تليق بالمباهله سوى ابنته الصدّيقه الطاهره. و لهذا انتخبهِا.

و قد روى القندوزى الحنفى عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) انه قال:«لو علم الله تعالى ان فى الارض عبادا اكرم من على و فاطمه و الحسن و الحسين لامرنى ان اباهل بهم، و لكن امرنى بالمباهله بهولاء، و هم افضل الخلق» (1) .

١- ١۴٠. ينابيع الموده ص ٢۴۴ طبقه اسلامبول.

فاطمه الزهراء فی سوره هل أتی

قال الله تبارک و تعالی:

«إن الأبرار یشربون من کأس کان مزاجها کافوراً، عینا یشرب بها عبادالله یفجرونها تفجیراً الی قوله: و کان سعیکم مشکوراً». (۱) نزلت هذه الآیات حینما تصدّقت السیده فاطمه الزهراء و زوجها الإمام أمیرالمؤمنین و ولداها الإمامان: الحسن و الحسین (علیهم السلام». و قد ذکر الواحدی فی کتابه (البسیط) و الثعلبی فی تفسیره الکبیر و أبوالمؤید موفق فی کتاب الفضائل و غیرهم أن الآیات نزلت فی علی و فاطمه و الحسن و الحسین (علیهم السلام).

و نکتفی هنا بما ذکره الزمخشری فی تفسیره (الکشاف) ما لفظه: و عن ابن عباس (رض): إن الحسن و الحسین مرضا. فعادهما رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فی ناس معه فقالوا: یا أباالحسن لو نذرت علی و لدیک. فنذر علی و فاطمه و فضه (جاریه لهما): إن برئا (الحسن و الحسین) مما بهما أن یصوموا ثلاثه أیام. فشفیا، و ما معهم شی ء (طعام) فاستقرض علی من شمعون الخیبری الیهودی ثلاثه أصوع من شعیر، فطحنت فاطمه صاعاً و اختبزت خمسه أقراص علی عددهم فوضعوها بین أیدیهم لیفطروا، فوقف علیهم سائل فقال: السلام علیکم أهل بیت محمد، مسکین من

۱- ۱۴۱. سوره الدهر.

مسـاكين المسـلمين، أطعمونى أطعمكم الله من موائـد الجنه. فـآثروه و باتوا لم يـذوقوا إلاّ الماء، و أصـبحوا صـياماً، فلما أمسوا و وضـعوا الطعـام بين أيـديهم وقف عليهم يتيم فـآثروه. و وقف عليهم أسـير فى الثـالثه ففعلوا مثـل ذلك. فلما أصـبحوا أخـذ على (رض) بيد الحسن و الحسـين. و أقبلوا إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فلما أبصرهم و هم يرتعشون كالفراخ من شده الجوع قال: ما أشدَّ ما يسوءنى ما أرى بكم.

و قـام فـانطلق معهم فرأى فاطمه فى محرابها قـد التصق بطنها بظهرها، و غارت عيناها فساءه ذلك، فنزل جبرئيل (عليه السـلام) و قال: خذها يا محمد، هنَّاك الله فى أهل بيتك. فأقرأه السوره.

و أما تفسير الآيات مع رعايه الاختصار و الإيجاز:

«إن الأبرار» الأبرار: جمع بارّ أو برّ، و هم على و فاطمه و الحسن و الحسـين (عليهم السـلام) «يشـربون من كأس» هى الزجاجه إذا كان فيها الشـراب أو المراد من الكأس نفس الشـراب لا الزجاجه «كان مزاجها» الذى تمزج به من عين فى الجنه تسـمى «كافوراً» لأن ماءها فى بياض الكافور و برودته لا فى خواصه و آثاره، و من الممكن أن كافور اسم عين فى الجنه بـدليل قوله تعالى «عيناً» كأنها عطف أو بـدل من كافور أى تفسـير له «يشـرب بها عباد الله» الكاملون فى العباده الـذين ذكر هم فى كتابه «و عباد الرحمن الـذين يمشون على الأرض هوناً و إذا خاطبهم الجاهلون قالوا سـلاماً و الذين يبيتون لربهم سـجداً و قياماً» إلى آخر الآيات الداله على الصفات الكامله.

«يفجرونها» يفجرونها حيث شاءوا (تفجيراً» سـهلًا يسـيراً «يوفون بالنذر» إنهم اسـتحقوا هذا الجزاء بسـبب وفائهم بالنذر، لأن النذر هو ما

یوجبه الإنسان علی نفسه فإذا و فی بالنذر فهو بما أوجب الله علیه کان أوفی «و یخافون یوماً کان شره مستطیراً» منتشراً «و یطعمون الطعام علی حبه» أی بالرغم من حبِّهم للطعام لشدَّه جوعهم بسبب الصوم، و قیل «علی حبه» ای حب الله و قربه الیه «مسکیناً و یتیماً و أسیراً» کل ذلک حباً للخیر و إیثاراً علی أنفسهم، و إشفاقاً علی المسکین و رأفه بالیتیم و عطفاً علی الأسیر «إنما نطعمکم لوجه الله لا نرید منکم جزاءً» بفعل تفعلونه «و لا شکوراً» بقول تقولونه.

قال مجاهد: إنهم لم یقولوا حین أطعموا الطعام شیئاً، و إنما علمه الله منهم فأثنی به علیهم.

«إنا نخاف من ربنا یوماً عبوساً قمطریراً» شدید العبوس تشبیهاً له فی تخویفه بالأسد العبوس أو الحاکم المتنمر العبوس.

«فوقاهم الله شر ذلک الیوم» تأمیناً لهم من شره و ضره «و لقَّاهم نضرهً» فی وجوههم «و سروراً» فی قلوبهم «و جزاهم بما صبروا» علی الإیثار مع شده الجوع «جنه و حریراً» ثم ذکر الله أحوالهم فی الجنه «متکئین فیها علی الأرائک» فی منتهی الراحه و الرفاهیه «لا یرون فیها شمساً» یؤذی حرّها «و لا زمهریراً» یؤذی برده.

«و دانیه علیهم ظلالها و ذلّلت قطوفها تذلیلاً» یسهل علیهم اقتطاف فواکه الجنه «و یطاف علیهم بآنیه من فضه و أکواب» خلقها الله بإرادته «کانت قواریراً قواریر من فضه قدَّروها تقدیراً» علی حسب ما تشتهی أنفسهم و تتمنی قلوبهم فی التکیف بالکیفیات المخصوصه... إلی آخر السوره التی فی وصف نعم الجنه و نعیمها و عیون تسمی زنجبیلاً و سلسبیلا.

و الخدم الذین یخدمونهم و المُلک الکبیر الذی یکون لهم مع النعیم و الملابس

ص: ۱۸۳

الخُضر من الإستبرق، و الزينه التی یتزینون بها، و الشراب الطهور الذی یشربونه.

و العجیب أن الله تعالی ذکر فی هذه السوره الکثیر من نعم الجنه، و لم یذکر- هنا- الحور العین، لأن الآیه نزلت فی حق علی و فاطمه و ولدیهما، فحفظ الله لفاطمه الزهراء جلالتها إذ لم یذکر- (عز و جل)- الحور العین کرامه لسیده نساء العالمین.

فاطمه الزهراء فی آیه النور

قال تعالی: «الله نور سموات و الارض، مثل نوره المشکاه فیها مصباح، المصباح فی زجاجه، الزجاجها کانها کوکب دری....» (۱) .

روی الحافظ ابن المغازی الشافعی فی کتاب المناقب- بالاسنادالی علی بن جعفر قال: سالت اباالحسن (الکاظم) (علیه السلام)عن قوله (عز و جل): «کمشکاه فیها مصباح»؟

قال (علیه السلام): المشکاه: فاطمه، و المصباح: الحسن، و الحسین: الزجاجه:

«کانها کوکب دری»: قال: کانت فاطمه کوکبا دریا بین نساء العالمین... «یکاد زیتها یضیء» قال: یکاد العلم ان ینطق منها (۲) .

اقول: لقد مرت علیک بعض الاحادیث التی تتحدث عن نور الزهراء الزاهره المشرق.

و عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) انه قال: «... و نور ابنتی فاطمه من نور الله...» (۳) .

۱- ۱۴۲. النور: ۳۵.

۲- ۱۴۳. المناقب ص ۳۱۷.

۳- ۱۴۴. بحار الانوار ج ۱۵ ص ۱۰.

مکانه فاطمه الزهراء عند ابیها الرسول

ان من الصعب المستصعب تحدید مکانه السیده فاطمه الزهراء عند ابیها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و من الصحیح ان یقال: انه خارج عن قدره القلم و اللسان، و التحلیل و البیان.

و یمکن لنا ان نجمل القول و نوجزه فنقول:

کانت السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) قد حلت فی اوسع مکان من قلب ابیها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و وقعت فی نفسه الشریفه احسن موقع.

فکان النبی یحبها حبا لایشبه محبه الاباء لبناتهم، اذ کان الحب مزیجا بالاحترام و التعظیم، فلم یعهد من ای اب فی العالم ما شوهد من رسول الله تجاه السیده فاطمه الزهراء.

و لم یکن ذلک منبعثا من العاطفه الابویه فحسب، بل کان الرسول ینظر الی ابنته بنظر الاکبار و الاجلال، و ذلک لما کانت تتمتع به السیده فاطمه من المواهب و المزایا و الفضائل، و لعله (صلی الله علیه و آله و سلم) کان مامورا باحترامها و تجلیها، فما کان یدع فرصه او مناسبه تمر به الا و ینوه بعظمه ابنته، و یشهد بمواهبها و مکانتها السامیه عندالله تعالی و عند رسوله (صلی الله علیه و آله و سلم).

مع العلم انه لم یسمع من الرسول ذلک الثناء المتواصل الرفیع

ص: ۱۸۶

و لا معشاره فی حق بقیه بناته.

و لم یکن ثناوه علیها اندفاعا للعاطفه و الحب النفسـی فقط، بل ما کان یسع له السکوت عن فضائل ابنته و درجتها السامیه عندالله تعالی. و لو لم یکن لها عنـدالله فضل عظیم لم یکن رسول الله (صـلی الله علیه و اله و سـلم) یفعل معها ذلک اذ کانت ولده و قد امر الله بتعظیم الولد للوالد، و لا یجوز ان یفعل معها ذلک، و هو بضد ما امر به امته عن الله تعالی.

و کان ذلک کله لاسباب منها:

کشفا للحقیقه، و اظهارا لمقام ابنته عندالله و عند الرسول، و کان (صلی الله علیه و آله) یعلم ما سیجری علی ابنته العزیزه من بعده من انواع الظلم و الاضطهاد و الایذاء و هتک الحرمه، و لهذا اراد الرسول ان یتم الحجه علی الناس، حتی لایبقی لذی مقال مقال او عذر، و الیک هذه الاحادیث التی تدل علی ما کانت تتمتع به السـیده فاطمه من المکانه فی قلب الرسول (صـلی الله علیه و اله و سلم):

روی عن الامام الصادق عن آبائه (علیهم السلام) عن السیده فاطمه (علیها السلام) قالت: لما نزلت «لا تجعلوا دعاء الرسول بینکم کدعاء بعضکم بعضا» هبت رسول الله ان اقول له: یا ابه. فجعلت اقول: یا رسول الله. فاقبل علی فقال:یا فاطمه انما لم تنزل فیک و لا فی اهلک و لا فی نسـلک، انت منی و انا منک، انما نزلت فی اهل الجفاء و البـذخ و الکبر من قریش قولی: یا ابه. فانها احیی للقلب و ارضی للرب، ثم قبل النبی جبهتی...» (۱) .

۱– ۱۴۵. المناقب لابن المغازلی الشافعی ص ۳۶۴.

کلاما و حدیثا برسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) من فاطمه، کانت اذا دخلت علیه رحب بها و قبل یدیها و اجلسها فی مجلسه، فاذا دخل علیها قامت الیه فرحبت به و قبلت یدید... الی آخره.

و سال بزل الهروی الحسین بن روح قال: کم بنات رسول الله (صلی الله علیه و اله و سلم)؟

قال: اربع.

فقال: ایتهن افضل؟

قال: فاطمه.

قال: و لم صارت افضل و کانت اصغرهن سنا و اقلهن صحبه لرسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)؟

قال: لخصلتین خصها الله بهما.

۱- انها ورثت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

۲- و نسل رسول الله منها، و لم یخصها بذلک الا بفضل اخلاص عرفه من نیتها.

و عن حذیفه قال: کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) لا ینام حتی یقبل عرض وجه فاطمه.... (۱) .

و عن ابن عمر: ان النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) قبل راس فاطمه و قال: فداک ابوک، کما کنت فکونی. (۲) .

و فی روایه: فداک ابی و امی. (۳) .

و عن عائشه: قبل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) نحر فاطمه.

۱- ۱۴۶. مقتل الحسین للخوارزمی الحنفی ص ۶۶.

۲- ۱۴۷. مقتل الحسین للخوارزمی الحنفی ص ۶۶.

۳- ۱۴۸. مستدرک الحصیحین للحاکم النیشابوری الشافعی ج ۳ ص ۱۶۵.

و فی روایه: فقلت: یا رسول الله فعلت شیئا لم تفعله؟

فقال: یا عائشه انی اذا اشتقت الی الجنه قبلت نحر فاطمه. (۱) .

و عن عائشه قالت: کان النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) اذا قدم من سفر قبل نحر فاطمه و قال: منها اشم رائحه الجنه. (۲) .

اقول: قد ذکرنا شیئا من هذه الاحادیث فی اوائل الکتاب.

و عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: «رائحه الانبیاء: رائحه السفر جل، و رائحه الحور العین: رائحه الاس، و رائحه الملائکه: رائحه الورد،و رائحه ابنتی فاطمه الزهراء: رائحه السفر جل و الاس و الورد». (۳) .

و عنه (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: «.. و لو کان الحسن شخصا لکان فاطمه، بل هی اعظم، ان ابنتی فاطمه خیر اهل الارض عنصرا و شرفا و کرما» (۴) .

و عن الامام الحسین بن علی (علیهاالسلام) عن جده رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: «فاطمه بهجه قلبی، و ابناها ثمره فوادی، و بعلها نور بصری، و الائمه من ولدها امناء ربی، و حبله الممدود بینه و بین خلقه، من اعتصم به نجا، و من تخلف عنه هوی (۵) .

و روی ان النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) ناول الزهراء ماءا، فشربت فقال لها: «هنیئا مریئا یا ام الابرار الطاهرین» الی آخر الحدیث (۶) .

۱- ۱۴۹. ذخائر العقبی للمحب الطبری ص ۳۶، وسیله المال للحضرمی ص ۷۹ طبعه المکتبه الظاهریه بدمشق.

۲- ۱۵۰. ینابیع المواد للقندوزی الحنفی ص ۲۶۰.

۳- ۱۵۱. بحارالانوار، کتاب الاطعمه و الاشربه، باب السفر جل.

۴- ۱۵۲. فرائد المسطین للجوینی الشافعی ج ۲ ص ۶۸.

۵- ۱۵۳. فرائص المسطین للجوینی الشافعی ج ۲ ص ۶۶.

۶- ۱۵۴. بحار الانوار ج ۷۶ ص ۵۷.

و عن فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) قالت: قال لی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): «الا ابشرک؟ اذا اراد الله ان یتحف زوجه ولیه فی الجنه، بعث الیک تبعثین الیها من حلیک» (۱) .

و بهذا الاحادیث الاتیه- الصحیحه عند الفریقین- یمکن لنا ان نطلع علی المزید من الاسباب و العلل التی کونت فی سیده نساء العالمین تلک القداسه و العظمه و الجلاله:

۱- قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): افضل نساء اهل الجنه: خدیجه بنت خویلد، و فاطمه بنت محمد، و آسیه بنت مزاحم (امراه فرعون) و مریم بنت عمران. (۲) .

۲- و قال ایضا: حسبک من نساء العالمین: مریم بنت عمران و آسیه بنت مزاحم و خدیجه بنت خویلد و فاطمه بنت محمد (۳) .

۳- و قال ایضا: حسبک من نساء العالمین: مریم بنت عمران و خدیجه بنت خویلد، و فاطمه بنت محمد و آسیه امراه فرعون (۴)
.

هذه احادیث ثلاثه تصرح بتفضیل هذه السیدات الاربع علی سائر

۱- ۱۵۵. دلائل الامامه ص ۲.

۲- ۱۵۶. مسند احمد بن حنبل ج ۱ ص ۲۹۳، الاستیعاب لابن عبدالبر الاندلسی ج ۲ ص ۷۵۰ فی ترجمه السیده خدیجه، مستدرک الحصیحین للحاکم ج ۳ ص ۱۶۰، الاعتقاد للحافظ البیهقی ص ۱۶۵، تاریخ الاسلام للذهبی ج ۳ ص ۹۲ اسد الغابه لابن الاثیر الجزری ج ۵ ص ۴۳۷ و غیرها.

۳- ۱۵۷. المصدر السابق.

۴- ۱۵۸. الاستیعاب، لابن عبدالبر الاندلسی ج ۲ ص ۷۵۰، مشکل الاثار للطحاوی ج ۱ ص ۴۸، مستدرک الحصیحین للحاکم ج ۳ ص ۱۵۷، معالم التنزیل للحافظ البغوی الشافعی ج ۱ ص ۲۹۱ و غیرها.

نساء العالم، الا ـ انها لاتصرح ببيان الافضل من تلك الاربع، و لكن الاحاديث المتواتره المعتبره تصرح بتفضيل السيده فاطمه الزهراء عليهن و على غيرهن.

و نحن لانشک فى ذلک، بل نعتبره من الامور المسلمه المتفق عليها، لانها بضعه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و لا نعدل بها احدا.

و لم ننفرد بهذه الحقيقه، بل وافقنا على ذلک الكثير الكثير من العلماء و المحدثين المنصفين، من المتقدمين منهم و المتاخرين و المعاصرين، بل صرح بذلک بعضهم، و اليک بعض اقوال اولئک الاعلام:

عن مسروق قال: حدثتنى عائشه ام المومنين قالت: انا كنا ازواج النبى عنده لم تغادر منا واحده، فاقبلت فاطمه تمشى، لا والله ما تخفى مشيتها من مشيه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)، فلما رآها رحب بها و قال: مرحبا بابنتى، ثم اجلسها عن يمينه او عن شماله، ثم سارها (۱) .

فبكت بكاء شديدا، فلما راى حزنها سارها الثانيه! فاذا هى تضحک، فقلت لها- انا من بين نسائه-: خصک رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بالسر من بيننا، ثم انت تبكين؟

فلما قام رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) سالتها: عما سارک؟

قالت: ما كنت لافشى على رسول الله سره، فلما توفى قلت لها: عزمت عليک بما لى عليک من الحق(!!) لما اخبرتينى!

قالت: اما الان فنعم، فاخبرتنى قالت: سارنى فى الامر الاول فانه اخبرنى ان جبرائيل كان يعارضه (القرآن) كل سنه (۲) و انه قد عارضنى به

۱- ۱۵۹. اى: اسراليها.

۲- ۱۶۰. هكذا وجدنا فى المتن، و الاصح: يعارضنى، كما فى مصادر اخرى.

العام مرتین، و لا اری الاجل الا قد اقترب، فاتقی الله و اصبری فانی نعم السلف انا لک، قالت: فبکیت بکائی الذی رایت، فلما رای جزعی سارنی الثانیه قال: یا فاطمه الا ترضین ان تکونی سیده نساء المومنین او سیده نساء هذه الامه؟ (۱) .

و فی روایه البغوی فی (مصابیح السنه): الا ترضین ان تکونی سیده نساء العالمین و سیده نساء هذه الامه، و سیده نساء المومنین؟

و الاحادیث التی تصرح بسیادتها و تفضیلها علی نساء العالمین کثیره جدا، و جلها مرویه عن عائشه، و عن عمران بن حصین، و عن جابر بن سمره و عن ابن عباس و ابی بریده الاسلمی و غیرهم، و قد روی البخاری هذا الحدیث فی الجزء الرابع ص ۲۰۳ من صحیحه، و عدد کثیر من علماء العامه کالقسطلانی و القندوزی و المتقی و الهیثمی و النسائی و الطحاوی و غیرهم ممن یطول الکلام بذکرهم.

و لقد ورد هذا الحدیث بطرق عدیده، و فی بعضها: ان سبب ضحکها هو اخبار النبی لها بانها اول اهل بیته لحوقا به، و فی بعضها ان سبب ضحکها او تبسمها هو اخبار النبی لها انها سیده نساء العالمین.

ولکن روی احمد بن حنبل حدیثا یجمع بین هاتین الطائفتین من الاحادیث: باسناده عن عائشه قالت: اقبلت فاطمه تمشی کان مشیتها مشیه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فقال: مرحبا بابنتی، ثم اجلسها عن یمینه او عن شماله، ثم انه اسر الیها حدیثا فبکت، ثم اسر الیها حدیثا

۱- ۱۶۱. طبقات ابن سعد ج ۲، و رواه باختلاف یسیر کل من مسلم فی صحیحه ج ۷ ص ۱۴۲، و البلاذری فی انساب الاشراف ص ۵۵۲، و السیوطی فی الخصائص ص ۳۴ و الحافظ البیهقی فی الاعتقاد ص ۱۲۵، و الطبری فی ذخائر العقبی ص ۳۹، و سبط ابن الجوازی فی التذکره ص ۳۱۹، و غیرهم.

فضحكت، فقلت: ما رايت كاليوم فرحا اقرب من حزن، فسالتها عما قال؟ فقالت: ما كنت لافشی سر رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

حتی اذا قبض النبی سالتها؟

فقالت: انه اسر الی فقال: ان جبرئیل کان یعارضنی بالقرآن فی کل عام مره، و انه عارضنی به العام مرتین و لا اراه الا قد حضر اجلی، و انک اول اهلی لحوقا بی و نعم السلف انا لک، فبکیت لذلک، ثم قال: الا ترضین ان تکونی سیده نساء هذه الامه او نساء المومنین؟

قالت: فضحکت لذلک. (۱) .

و قد روی البخاری فی صحیحه ج ۵ ص ۲۱ و ۲۹: ان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: فاطمه بضعه منی، فمن اغضبها فقد اغضبنی.

و روی البخاری عن ابی الولید: ان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: فاطمه بضعه منی من آذاها فقد آذانی.

و قد ورد هذا الحدیث بالفاظ متنوعه و معانی متحده کقوله (صلی الله علیه و آله و سلم):

فاطمه بضعه منی، یوذینی ما آذاها، و یغضبنی ما اغضبها.

فاطمه بضعه منی، یقبضنی ما یقبضها، و یبسطنی ما یبسطها. (۲) .

فاطمه شجنه منی (۳) فاطمه مضغه منی فمن آذاها فقد آذانی.

فاطمه مضغه منی، یسرنی ما یسرها.

یا فاطمه ان الله یغضب لغضبک و یرضی لرضاک.

۱- ۱۶۲. مسند احمد ج ۶ ص ۲۸۲.

۲- ۱۶۳. ای: یسرنی ما یسرها، لان الانسان اذا سر انبسط وجهه.

۳- ۱۶۴. الشجنه ای: القطعه و البضعه.

فمن عرف هذه فقد عرفها، و من لم يعرفها فهی بضعه منی.

هی قلبی و روحی التی بین جنبی، فمن آذاها فقد آذانی، و من آذانی فقد آذی الله.

ان الله يغضب لغضب فاطمه و یرضی لرضاها.

و قد روی هذه الاحادیث اکثر من خمسین رجلا من رجال الحدیث و السنن، کاحمد بن حنبل، و البخاری، و ابن ماجه و السجستانی و الترمذی و النسائی و ابوالفرج و النیسابوری و ابونعیم و البیهقی و الخوارزمی و ابن عساکر و البغوی و ابن الجوزی و ابن الاثیر و ابن ابی الحدید و السیوطی و ابن حجر و البلاذری و غیرهم ممن یعسر احصاوهم، و قد ذکرنا شیئا من تلک الاحادیث مع مصادرها فی اوائل الکتاب.

و قد وقعت هذه الاحادیث موقع الرضا و القبول من الصحابه و التابعین لتواترها و صحه اسنادها و شهرتها فی الملا الاسلامی.

اما الصحابه فلنا فی المستقبل مجال واسع لاعتراف بعضهم بصحه هذا الحدیث و سماعه من الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم).

و اما التابعون فقد روی ابوالفرج فی الاغانی ج ۸ ص ۳۰۷ باسناده قال: دخل عبدالله بن حسن علی عمر بن عبدالعزیز و هو حدیث السن و له و فره، فرفع مجلسه، و اقبل علیه و قضی حوائجه، ثم اخذ عکنه من عکنه (۱) فغمز (بطنه) حتی اوجعه و قال له: اذکرها عندک للشفاعه.

فلما خرج (عبدالله بن حسن) لامه اهله (۲) و قالوا: فعلت هذا بغلام حدیث السن، فقال: ان الثقه حدثنی حتی کانی اسمعه من فی رسول

۱- ۱۶۵. العکنه- بضم العین- اللحم المنثی من البطن.

۲- ۱۶۶. ای: لام الناس عمر بن عبدالعزیز.

الله (صلی الله علیه و آله و سلم) (۱) قال: (انما فاطمه بضعه منی یسرنی ما یسرها) و انا اعلم ان فاطمه لو کانت حیه لسرها ما فعلت بابنها.

قالوا: فما معنی غمزک بطنه و قولک ما قلت؟

قال: انه لیس احد من بنی هاشم الا و له شفاعه، فرجوت ان اکون فی شفاعه هذا.

قال السمهودی- بعد ایراده حدیث فاطمه بضعه منی یوذینی ما آذاها و یریبنی ما ارابها-: فمن آذی شخصا من اولاد فاطمه او ابغضه جعل نفسه عرضه لهذا الخطر العظیم، و بضده (و بالعکس) من تعرض لمرضاتها فی حبهم و اکرامهم.

و قال السهیلی: هذا الحدیث یدل علی ان من سبها کفر، و من صلی علیها فقد صلی علی ابیها، و استنبط ان اولادها مثلها لانهم بضعه مثلها، و فک الفرع من اصله هو فک الشی ء من نفسه و هو غیر ممکن و محال، باعتبار ان ذلک الفرع هو الشخص المعمول من ماده ذلک الاصل و نتیجته المتولده منه- انتهی کلامه-.

اقول: لعل المقصود من الخطر العظیم الذی ذکره السمهودی هو اشاره الی قوله تعالی: (ان الذین یوذون الله و رسوله لعنهم الله فی الدنیا و الاخره و اعد لهم عذابا مهینا) و قوله (و الذین یوذون رسول الله لهم عذاب الیم).

ایها القاری ء الذکی: بعد الانتباه الی هذه الایات، و بعد الامعان و التدبر فی هذه الاحادیث و الروایات ما تقول فیمن آذی فاطمه الزهراء؟؟!!

اعود الی حدیثی عن مدی حب النبی (صلی الله علیه و آله و سلم)

ص: ۱۹۵

۱- ۱۶۷. ای: من فم رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

لابنته السیده فاطمه الزهراء:

من الصعب احصاء الاحادیث التی تصرح بان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) اذا اراد سفرا کان آخر عهده بانسان من اهله فاطمه (علیهاالسلام) و اول من یدخل علیها- بعد رجوعه من السفر- فاطمه (۱) .

کان (صلی الله علیه و آله) اذا رجع من سفره دخل علی ابنته فاطمه اولا، ثم ذهب الی داره و التقی بزوجاته. (۲) .

انه کان یفضل الزهراء علی زوجاته و نسائه، و ما ذاک الا لان الله فضلها علیهن و علی نساء العالمین.

فقدم من غزاه، و قد علقت مسحا او سترا علی بابها، و حلت (۳) الحسن و الحسین قلبین من فضه، فقدم و لم یدخل، فظنت ان ما منعه ان یدخل دارها ما رای، فهتکت الستر، و فکت القلبین من الصبیین، و قطعته منهما، و دفعته الیهما، فانطلقا الی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و هما یبکیان، فاخذه منهما فقال: یاثوبان اذهب بهذا الی فلان، ان هولاء اهلی اکره ان یاکلوا طیباتهم فی حیاتهم الدنیا، یاثوبان (۴) اشتر لفاطمه قلاده من عصب و سوارین من عاج.

روی هذا الحدیث الخطیب العمری فی (مشکاه المصابیح) و الطبری فی (ذخائر العقبی) و النویری فی (نهایه الارب) و القندوزی فی (ینابیع الموده) و الطبرانی فی (المعجم الکبیر) و الزبیدی فی (اتحاف الساده) و غیرهم.

---

۱ – ۱۶۸. السنن الکبری للبیهقی ج ۱ ص ۲۶، ذخائر العقبی للطبری ص ۳۷، مستدرک الصحیحین للحاکم ج ۳ ص ۱۵۶ و غیرها.

۲- ۱۶۹. الاستیعاب للاندلسی ج ۲ ص ۷۵۰، مستدرک الصحیحین ج ۳ ص ۱۵۵.

۳- ۱۷۰. حلت- من التحلیه- و هی التجمیل و لبس الحلی. قلبین- تثنیه قلب- و هو السوار.

۴- ۱۷۱. ثوبان: اسم غلام.

و قـد روی هـذا الحدیث من علمائنا: الشـیخ الکلینی فی (الکافی) و الطبرسـی فی (مکارم الاخلاق) اکثر تفصـیلا و توضـیحا مع اختلاف یسیر:

عن زراه عن ابی جعفر (الباقر) (علیه السـلام) قال: کان رسول الله (صـلی الله علیه و آله و سـلم) اذا اراد سـفرا سـلم علی من اراد التسـلیم علیه من اهله، ثم یکون آخر من یسـلم علیه فاطمه (علیهاالسلام) فیکون وجهه الی سفره من بیتها، و اذا رجع بدا بها (ای یزورها قبل کل احـد) فسافر مره، و قـد اصاب علی (علیه السـلام) شـیئا من الغنیمه فـدفعه الی فاطمه فخرج، فاخذت سوارین من فضه، و علقت علی بابها سترا، فلما قدم رسول الله (صـلی الله علیه و آله و سـلم) دخل المسـجد، فتوجه نحو بیت فاطمه کما کان یصـنع، فقامت فرحه الی ابیها صـبابه و شوقا الیه، فنظر فاذا فی یـدها سواران من فضه و اذا علی بابها ستر، فقعد رسول الله (صـلی الله علیه و آله و سلم) حیث ینظر الیها، فبکت فاطمه و حزنت و قالت: ما صنع هذا بی قبلها.

فـدعت ابنیهـا، فنزعت الستر عن بابهـا، و خلعت السوارین من یـدیها ثم دفعت السوارین الی احـدهما و الستر الی الاخر ثم قالت لهما: انطلقا الی ابی، فاقرئاه السلام و قولا له: ما احدثنا بعدک غیر هذا، فشانک به.

فجاءاه، فابلغاه ذلک عن امهما، فقبلهما رسول الله (صـلی الله علیه و آله و سلم) و التزمهما و اقعد کل واحد منهما علی فخذه، ثم امر بـذینک السوارین فکسـرا فجعلهمـا قطعا، ثم دعا اهل الصـفه و هم قوم من المهاجرین، لم یکن لهم منازل و لا اموال فقسـمه بینهم قطعا... الی آخره.

ان هـذا الحـدیث الـذی تراه مشـهورا عنـد الفریقین، مرویـا بطرق عدیـده لعله یحتـاج الی شـرح و تعلیـق، مـع العلم ان رواه هـذا الحدیث لم یتطرقوا الی

شرح ما يلزم:

اقول: ليس المقصود من هـذا الستر هو الستر المرخى على مـدخل البيت عنـد فتح باب البيت، لان هذا امر مسـتحب للمبالغه على التستر و الحجاب، و حاشا رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ان يغضب من ستر قد علق على مدخل بيت فاطمه.

بل المقصود ان السـيده فاطمه (عليهاالسـلام) كانت قـد علقت على باب البيت (لامـدخل البيت) سترا يستر الباب الخشبى، للزينه، المسـمى فى زماننا ب(الـديكور)تجملا او تجميلا للباب و بعباره اخرى: البست الباب ثوبا- اى سترا-، و ليس هـذا بحرام بل لانه لايتفن مع التزهد او الزهد المطلوب من آل محمد (عليهم السلام) و المواساه المترقبه المتوقعه منهم، و نفس هذا الكلام ياتى فى موضوع السوار و القلاده.

و بناء على صحه هذا الحديث كان الافضل للسيده الزهراء (عليهاالسلام) ان تنفق ذلك الستر فى سبيل الله بسبب الحاجه الماسه اليه، لكثره الفقراء، و شده الفقر المدقع عند فقراء المهاجرين و من باب المواساه و الايثار.

و روى ابن شـاهين فى (مناقب فاطمه) عن ابى هريره و ثوبان هـذا الحـديث مع تغيير يسـير، الى ان قال: قال رسول الله (صـلى الله عليه و آله و سـلم):- بعـد ما دفعت الزهراء الستر و السوار الى ابيها-: فعلت، فـداها ابوها- ثلاث مرات- ما لال محمـد و للـدنيا؟ فانهم خلقوا للاخره، و خلقت الدنيا لهم.

و فى روايه احمد بن حنبل: فان هولاء اهل بيتى، و لا احب ان ياكلوا طيباتهم فى حياتهم الدنيا.

و يستفاد من هذا التعليل ان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لايحب ان ينقص حظ ابنته فاطمه الزهراء من الاجر و الثواب فى الاخره،

ص: ۱۹۸

لان مراره الحیاه و خشونه العیش فی الدنیا لهما تعویض فی الاخره.

و بهذا الحدیث الاتی یتضح ما قلنا:

عن تفسیر الثعلبی عن الامام جعفر بن محمد (علیه السلام) و عن جابر بن عبدالله الانصاری قالا: رای النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فاطمه و علیها کساء من اجله الابل، و هی تطحن بیدیها، و ترضع ولدها، فدمعت عینا رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فقال: یابنتاه تعجلی مراره الدنیا بحلاوه الاخره.

فقالت: یا رسول الله الحمدلله علی نعمائه، و الشکر لله علی آلائه.

فانزل الله: (و لسوف یعطیک ربک فترضی) (۱) .

۱- ۱۷۲. بحارالانوار ج ۴۳.

زهدها و إنفاقها فی سبیل الله

كانت السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) علی جانب كبیر من الزهد، و معنی الزهد، التخلی عن الشی ء و تركه و عدم الرغبه فیه، و كلما ازداد الإنسان شوقاً إلی الآخره ازداد زهداً فی الدنیا، و كلما عظمت الآخره فی نفس الإنسان صغرت الدنیا فی عینیه و هانت، و هكذا كلما ازداد الإنسان عقلاً و علماً و إیماناً بالله ازداد تحقیراً و استخفافاً لملّذات الحیاه.

أرأیت الأطفال كیف یلعبون، و یفرحون، و یحزنون و یتسابقون و یتنازعون علی أشیاء تافهه یلعبون بها، فإذا نضجت عقولهم و تفتحت مشاعرهم تراهم یبتعدون عن تلك الألاعیب، و یستنكفون من التنازل إلی ذلك المستوی، و یعتبرونه منافیاً للوقار، و مُخلاًّ للشخصیه، كل هذا بسبب تطوُّر مداركهم، و انتقالهم من دور الصبا إلی مرحله الرجوله و النضج.

نعم، هكذا كان أولیاء الله، كانوا ینظرون إلی حطام الدنیا نظره تحقیر و استهانه، و لا تتعلق قلوبهم بحب الدنیا و ما فیها، و لا یحبون الدنیا للدنیا، بل یحبون الدنیا للآخره، یحبون البقاء فی الدنیا لیعبدوا الله تعالی، یریدون المال لینفقوه فی سبیل الله (عز و جل)، لإشباع البطون الجائعه و إكساء الأبدان العاریه و إغاثه الملهوف و إعانه المضطر.

بعد هذه المقدمه یسهل علیك أن تدرك أسس الزهد السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) فهی عرفت الحیاه الدنیویه، و ادركت الحیاه الأخرویه، فلا عجب إذا قنعت بالیسیر الیسیر من متاع الحیاه، و اختارت

لنفسها فضیله المواساه و الإیثار، و هانت علیها الثروه، و کرهت الترف و السرف.

و لا غرو من ذالک، فهی بنت أزهد الزهاد، و حیاتها العقائدیه ملازمه للزهد و حیاتها الاجتماعیه أیضاً تتطلب منها الزهد، فهی أولی الناس بالسیر علی منهاج أبیها الرسول الزاهد العظیم (صلی الله علیه و آله و سلم).

و حیاتها الزوجیه تبلورت بالزهد و القناعه، فلقد کان زوجها الإمام علی (علیه السلام) أول الناس و أکثرهم اتباعاً للرسول فی زهده، ولم یشهد التاریخ الإسلامی رجلًا من هذه الأمه أکثر زهداً من علی بن أبی طالب (علیه السلام).

و هو الذی کان یخاطب الذهب و الفضه بقوله: یا صفراء یا بیضاء غریا غیری. و قد امر علی (علیه السلام) لأعرابی بألف. فقال الوکیل: من ذهب أو فضه؟

فقال علی: کلاهما عندی حَجَران، فأعطوا الأعرابی أنفعهما له.

و قد ذکرنا بعض ما یتعلق بهذا الموضوع فی کتابنا: (علی من المهد إلی اللحد) و إنما تطرقنا هنا إلی زهد علی (علیه السلام) بمناسبه حدیثنا عن زهد السیده فاطمه الزهراء.

و قد مرّ علیک فیما مضی- بعض الأحادیث عن زهدها و إنفاقها فی سبیل الله فی باب زواجها و نزول سوره هل أتی و غیرهما.

و إلیک نبذه من الأحادیث التی تشیر إلی نفس الموضوع:

فی کتاب (بشاره المصطفی) عن الإمام الصادق عن أبیه (علیهماالسلام) عن جابر بن عبد الله الأنصاری قال:

صلَّی بنا رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) صلاه العصر، فلما

انفتل جلس فی قبلته و الناس حوله. فبینما هم کذلک إذ أقبل شیخ من العرب مهاجره العرب، علیه سمل قد تهلل و أخلقِ (۱) و هو لا یکاد یتمالک کِبَراً و ضعفاً، فأقبل علیه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) یستحثه الخبر، فقال الشیخ: یا نبی الله أنا جائع الکبد فأطعمنی، و عاری الجسد فاکسنی و فقیر فارشنِی (۲) .

فقال (صلی الله علیه و آله و سلم): ما أجد لک شیئاً، و لکن الدال علی الخیر کفاعله، انطلق إلی منزل مَن یحب الله و رسوله، و یحبه الله و رسوله، یؤثر الله علی نفسه، انطلق إلی حجره فاطمه.

و کان بیتها ملاصق بیت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) الذی یتفرد به لنفسه من أزواجه، و قال: یا بلال قم فقف به علی منزل فاطمه.

فانطلق الإعرابی مع بلال، فلما وقف علی باب فاطمه نادی بأعلی صوته: السلام علیکم یا أهل بیت النبوه و مختلف الملائکه، و مهبط جبرئیل الروح الأمین بالتنزیل من عند رب العالمین.

فقالت فاطمه: و علیک السلام، فمن أنت یا هذا؟

قال: شیخ من العرب، أقبلت علی أبیک سید البشر مهاجراً من شقه، و أنا- یا بنت محمد- عاری الجسد، جائع الکبد، فواسینی یرحمک الله.

و کان لفاطمه و علی- فی تلک الحال- و رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) ثلاثاً ما طعموا فیها طعاماً، و قد علم رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) من شأنهما.

۱- ۱۷۳. السمل الثوب الخلق.تهلل الثوب: انخرق.

۲- ۱۷۴. ارشنی: احسن الی.

فعمدت فاطمه إلى جلد كبش مدبوغ بالقرظِ (١) كان ينام عليه الحسن و الحسين، فقالت: خذ هذا يا أيها الطارق، فعسى الله أن يرتاح لک ما هو خير منه.

فقال الإعرابى: يا بنت محمد شكوت إليک الجوع، فناولتنى جلد كبش؟ ما أنا صانع به مع ما أجد من السغب؟ (٢) .

قال: فعمدت فاطمه- لما سمعت هذا من قوله- إلى عقد كان فى عنقها أهدته لها فاطمه بنت عمها حمزه بن عبدالمطلب، فقطعته من عنقها، و نبذته إلى الأعرابى فقالت: خذه و بِعهُ، فعسى الله أن يعوِّضک به ما هو خير منه.

فأخذ الإعرابى العقد، و انطلق إلى مسجد رسول الله، والنبى (صلى الله عليه و آله و سلم) جالس فى أصحابه فقال: يا رسول الله أعطتنى فاطمه بنت محمد هذا العقد فقالت: بِعه فعسى الله أن يصنع لک.

قال: فبكى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فقال: و كيف لا يصنع الله لک، و قد أعطته فاطمه بنت محمد سيده بنات آدم.

فقام عمار بن ياسر (رحمهالله عليه) فقال: يا رسول الله أتأذن لى بشراء هذا العقد؟

قال: اشتر يا عمار، فلو اشترک فيه الثقلان ما عذبّهم الله بالنار.

فقال عمار: بكَمْ العقد يا أعرابى؟ قال: بشبعه من الخبز و اللحم، و برده يمانيه استر بها عورتى و أصلّى فيها لربى، و دينار يبلغنى إلى أهلى.

و كان عمار قد باع سهمه الذى نفله رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) من خيبر و لم يبق منه شيئاً فقال: لک عشرون ديناراً و ماتا درهم

١- ١٧٥. لقرظ: شى ء يدبغ به الجلد.

٢- ١٧٦. السغب: الجوع.

هجريه، و بُرده يمانيه، و راحلتى تبلغک أهلک، و شبعک من خبز البر و اللحم.فقال الإعرابى: ما أسخاک بالمال أيها الرجل؟ و انطلق عمار فوفّاه ما ضمن له.و عاد الإعرابى إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فقال له رسول الله:أشبعت و اكتسيت؟!

قال الأعرابى: نعم، و استغنيت بأبى أنت و أمى.

قال: فأجزِ فاطمه بصنيعها.

فقال الأعرابى: اللهم أنت إله ما استحدثناک، و لا إله لنا نعبده سواک، فأنت رازقنا على کل جهات، اللهم اعط فاطمه مالا عين رات و لا اذن سمعت...

و الى ان قال: فعمد عمار الى العقد فطيبه بالمسک، و لفه فى برده بمانيه،و کان له عبد اسمه سهم ابتاعه من ذالک السهم الذى اصابه بخيبر، فدفع العقد الى المملوک.

فضحک المملوک فقالت: ما يضحک يا غلام؟

فقال اضحکنى عظم برکه هذا العقد، و اعتقت المملوک.

فضحک المملوک فقالت: ما يضحک يا غلام؟

فقال: اضحکنى عظم برکه هذا العقد، اشبع جائعا، و کسى عريانا و اعنى فقيرا واعتق عبدا، و رجع الى ربه اى الى صاحبه.

و فى کتاب البحار ج ۴۳ عن تفسير فرات بن ابراهيم عن ابى سعيد الخذرى قال:

أصبح علی بن أبی طالب (علیه السلام) ذات یوم ساغباً (۱) و قال: یا فاطمه هل عندک شی ء تغذّینیه؟

قالت: لا، و الذی أکرم أبی بالنبوه، و أکرمک بالوصیه ما أصبح الغداه شی ء، و ما کان شی ء أطعمناه مذیومین إلاَّ شی ء کنت أؤثرک به علی نفسی، و علی ابنی هذین: الحسن و الحسین.

فقال علی: یا فاطمه! ألا کنتِ أعلَمتِنی فأبغیکم شیئاً؟

فقالت: یا أباالحسن إنی لأستحیی من إلهی أن أکلّف نفسک ما لا تقدر علیه.

فخرج علی بن أبی طالب من عند فاطمه (علیهماالسلام) واثقاً بالله بحسن الظن، فاستقرض دیناراً فبینما الدینار فی ید علی بن أبی طالب (علیه السلام) یرید أن یبتاع لعیاله ما یصلحهم، فتعرَّض له المقداد بن الأسود، فی یوم شدید الحر، قد لوّحته الشمس من فوقه، و آذته من تحته فلما رآه علی بن أبی طالب (علیه السلام) أنکر شأنه فقال: یا مقداد ما أزعجک هذه الساعه من رحلک؟

قال: یا أباالحسن خلّ سبیلی ولا تسألنی عما ورائی!!

فقال: یا أخی إنه لا یسعنی أن تجاوزنی حتی أعلم علمک.

فقال: یا أباالحسن رغبه إلی الله و الیک أن تخلّی سبیلی، و لا تکشفنی عن حالی!!!

فقال له: یا أخی إنه لا یسعک أن تکتمنی حالک.

فقال: یا أباالحسن! أمّا إذا أبیتَ! فوالذی أکرم محمد بالنبوه و أکرمک بالوصیه ما أزعجنی من رحلی إلاَّ الجهد و قد ترکت عیالی

۱- ۱۷۷. ای: جائعا.

يتضاعون جوعاً، فلما سمعت بكاء العيال لم تحملنى الأرض، فخرجت مهموماً، راكب رأسى، هذه حالى و قصتى!!

فـانهملت عينا على بالبكاء حتى بلّت دمعته لحيته فقال له: أحلفُ بالـذى حلفتَ: ما أزعجنى إلاَّ الـذى أزعجك من رحلك، فقد استقرضت ديناراً، فقد آثرتك على نفسى.فدفع الدينار إليه و رجع حتى دخل مسجد النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) فصلَّى فيه الظهر و العصر و المغرب، فلما قضى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) المغرب مرَّ بعلى بن أبى طالب و هو فى الصف الأول فغمزه برجله، فقام على متعقباً خلف رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حتى لحقه على باب من أبواب المسجد، فسلَّم عليه فردَّ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) السلام، فقال: يا أباالحسن هل عندك شى ء نتعشاه فنميل معك؟

فمكث مطرقاً لا يحير جواباً، حياءً من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و كان النبى يعلم ما كان من أمر الدينار، و من أين أخذه و أين وجّهه، و قد كان أوحى الله تعالى إلى نبيه محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) أن يتعشى تلك الليله عند على بن أبى طالب.

فلما نظر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) إلى سكوته فقال: يا أباالحسن ما لَک لا تقول: لا. فانصرف؟ أو تقول: نعم. فأمضى معک؟

فقال:- حياءً و تكرماً-: فاذهب بنا!!

فأخذ رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يد على بن أبى طالب فانطلقا حتى دخلا على فاطمه (عليهاالسلام) و هى فى مصلاّها قد قضت صلاتها، و خلفها جفنه تفور دخاناً.

ص: ۲۰۶

فلما سمعت كلام رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) خرجت من مصلّاها فسلّمت عليه و كانت أعزّ الناس عليه، فردّ عليهاالسلام، و مسح بيده على رأسها و قال لها: يا بنتاه كيف أمسيت؟

قالت: بخير.

قال: عشّينا، رحمك الله، و قد فعل.

فأخذت الجفنه فوضعتها بين يدى النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) و على بن أبى طالب....

فقال على لها: يا فاطمه أنّى لك هذا الطعام الذى لم أنظر إلى مثل لونه قط، و لم أشمّ ريحه قط، و ما آكل أطيب منه؟؟

قال: فوضع رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) كفّه الطيبه المباركه بين كتفى على بن أبى طالب (عليه السلام) فغمزها، ثم قال: يا على! هذا بدل دينارك، و هذا جزاء دينارك من عندالله، إن الله يرزق من يشاء بغير حساب.

ثم استعبر النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) باكياً، ثم قال: الحمد لله الذى أبى لكم أن تخرجا من الدنيا حتى يجزيكما و يجريك- يا على- مجرى زكريا، و يجرى فاطمه مجرى مريم بنت عمران، كلما دخل عليها زكريا المحراب و جد عندها رزقاً.

ص: ۲۰۷

فاطمه الزهرا و العباده

العباده لها معنيان: معنى عام و معنى خاص.

فالعبـاده بمعناهـا العـام هى: كـل مـا يتغرب الانسـان به الى الله سـبحانه، من النوايـا الطيبه و الاقوال الحسـنه و الاعمال الصالحه و الاخلق الحميده و غيرها.

و العباده بمعناها الخاص هى الصلاه الخاص هى الصلاه و الصوم و الحج و الزكاه و غيرها مما هو واضح للجميع.

و قد تجلت العباده- بكل معانيها و ابعادها فى حياه السيده الطاهره فاطمه (عليه السلام).

فحياتهـا كلهـا عبـاده، منـذ البـدايه حتى النهـايه، فمن حمـل المـاء الى بيوت الفقراء و المساكين و اطعام الطعام و الايثار، و تعليم الاحكام الشريعه،و تحمل متاعب الاعمال المنزليه و الزهد و الحرمان و البساطه فى العيش، و حسن التبعل، و الدفاع عن الامامه و الولايه، و مـا اصابهـا من الالام و المصـائب بعـد وفاه ابيها الرسول (صـلى الله عليه و آله) و غيرها مما قراته و تقرا فى صـفحات حياتها المشرقه- كلها عباده خالصه لوجه الله سبحانه.بالاضافه الى الصلاه و الخشوع و المناجاه و غيرها.

و قـد روى عن ابن عباس- فى قوله تعالى: «كانو قليلا من الليل ما يهجعون و بالاسـحارهم يسـتغفرون» (١) - قال: نزلت فى على بن ابى طالب

ص: ٢٠٨

١- ١٧٨. الذاريات

و فاطمه و الحسن و الحسين (۱) .

و فیما یلی نذکر بعض الاحادیث المرویه فی هذا المجال:

۱- روی عن الإمام الحسن (علیه السلام) قال: رأیت أمِّی فاطمه (علیهاالسلام) قامت فی محرابها لیله جُمعتها فلم تزل راکعه ساجده حتی اتَّضح عمود الصبح، و سمعتها تدعو للمؤمنین و المؤمنات و تُسمّیهم، و تکثر الدعاء لهم و لا تدعو لنفسها بشی ء.

فقلت: یا أمَّاه لِمَ لا تدعین لنفسک کما تدعین لغیرک؟

فقالت: یا بنی! الجار ثم الدار» (۲) .

۲- عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: «و أمَّا ابنتی فاطمه فإنها سیده نساء العالمین من الأولین و الآخرین، و هی بضعه منی و هی نور عینی، و هی ثمره فؤادی، و هی روحی التی بین جنبیَّ، و هی الحوراء الإنسیه.

متی قامت فی محرابها بین یدی ربها (جل جلاله) زَهَر نورها لملائکه السماء کما یزهر نور الکواکب لأهل الأرض، و یقول الله (عز و جل) لملائکته: یا ملائکتی انظروا إلی أَمَتی فاطمه، سیده إمائی قائمه بین یدی، ترتعد فرائصها من خیفتی، و قد أقبلت بقلبها علی عبادتی، أشهدکم أنی قد أمنت شیعتها من النار...» الی آخر حدیث.

۳- و فی کتاب عده الداعی لابن فهد الحلی: و کانت فاطمه (علیهاالسلام) تنهج فی الصلاه من خیفه الله. و النهج- بفتح النون والهاء- تتابع النَفَس.

۱- ۱۷۹. شواهد التنزیل للحسکانی الحنفی ج ۲ ص ۱۹۴.

۲- ۱۸۰. بحارالانوار ج ۴۳.

۴- و روی الحسن البصری قال: ما کان فی هذه الامه اعبد من فاطمه، کانت تقوم حتی تور مت قدماها.

۵- و روی عن الامام جعفر الصادق (علیه السلام) انه قال: «من صلی اربع رکعات، یقرا- فی کل رکعه (۱) - خمسین مره «قل هو الله احد» کانت صلاه فاطمه، و هی صلاه الاولین (۲) .

۶- و عنه (علیه السلام) قال: کانت لامی فاطمه رکعتان تصلیها، علمها جبرئیل (علیه السلام) فاذا سلمت سبحت التسبیح (۳) ثم تقول:

«سبحان ذی العز الشامخ المنیف، سبحان ذی الجلال الباذخ العظیم، سبحان ذی الملک الفاخر القدیم، سبحان من لبس البهجه و الجمال، سبحان من تردی بالنور و الوقار، سبحان من یری اثر النمل علی الصفا، سبحان من یری وقع الطیر فی الهواء، سبحان من هو هکذا، لا هکذا غیره» (۴) .

۷- و روی ان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال لامیر المومنین و ابنته فاطمه (علیهماالسلام): اننی ارید ان اخصکما بشی من الخیز مما علمنی الله (عز و جل) و اطلعنی الله علیه، فاحتفظابه.

قالا: نعم یا رسول الله فما هو؟

قال: یصلی احدکما رکعتین، یقراء فی کل رکعه: فاتحه الکتاب و آیه الکرسی- ثلاث مرات- و «قول هو الله احد»- ثلاث مرت- و آخر الحشر- ثلاث مرات- من قوله: «و لو انزلنا هذا القران علی جلا...» الی آخره.

۱- ۱۸۱. بعد الحمد.

۲- ۱۸۲. من لا یحضره الفقیه ج ۱ ص ۵۶۴.

۳- ۱۸۳. ای: تسبیح الزهراء (علیهاالسلام).

۴- ۱۸۴. بحار الانوار ج ۸۹ و رویت الصلاه بصوره اخری ایضا.

فاذا جلس فلیتشهد و لیثن عل الله (عز و جل) و لیصل علی النبی و لیدع للمومنین و المومنات، ثم یدعو صلی الله علیه و آله و سلم علی اثر ذالک صلی الله علیه و آله و سلم فیقول:

«الهم انی اسالک بحق کل اسم هو لک، یحق علیک فیه اجابه الدعا اذا دعیت به، و اسالک بحق کل ذی حق علیک، و اسالک بحقک علی جمیع ما هو دونک ان تفعل بی...» کذا و کذا (۱) .

۸- و عن الامام جعفر الصادق (علیه السلام) قال: للامر اللمخوف العظیم تصلی رکعتین، و هی التی کانت الزهرا (علیهاالسلام) تصلیها، تقرا فی الاولی الحمد و قل هو الله احد خمسین مره، و فی الثانیه مثل ذالک، فاذا سلمت صلیت علی النبی (صلی الله علیه و آله) ثم ترفع یدیک و تقول:

اللهم اتوجه الیک بهم، و اتوسل الیک بحقهم (بحقک- خ ل) العظیم الذی لا یعلم کنهه سواک، و بحق من حقه عندک عظیم، و باسمائک الحسنی و کلماتک التامات التی امرتنی ان اعودک بها، و اسالک باسمک العظیم الذی امرت ابراهیم (علیه السلام) ان یدعو به الطیر فاجابته، و باسمک العظیم الذی قلت للنار: «کونی بردا و سلاما علی ابراهیم» فکانت، و باحب اسمائک الیک و ارفها عندک، و اعظمها لدیک، و اسرعها اجابه، و انجحها طلبه، و بما انت اهله و مستحقه و مستوجبه؛ و اتوسل الیک، و ارغب الیک، و اتصدق منک، و استغفرک، و استمنحک، و اتضرع الیک، و اخضع بین یدیک، و اخشع لک، و اقر لک بسوء صنیعتی، و اتملق والح علیک، و اسالک بکتبک التی انزلتها علی انبیائک و رسلک صلواتک علیهم اجمعین من التوراه الانجیل و القرآن العظیم من اولها الی آخرها، فان فیها اسمک الاعظم، و بما فیها من اسمائک العظمی، اتقرب الیک، و اسالک ان

۱- ۱۸۵. قوله: کذا و کذا. ای: تذکر حاجتک/ الحدیث فی بحار الانوارج ۸۹ ص ۳۶۵.

تصلی علی محمد و آله، و ان تفرج عن محمد و آله، و تجعل فرجی مقرونا بفرجهم،و تبدا بهم فیه، و تفتح ابواب السماء لدعائی فی هذا الیوم، و تاذن فی هذا الیوم و هذه اللیله بفرجی و اعطاء سولی و املی فی الدنیا و الاخره، فقد مسنی الفقر و نالنی الضر و شملتنی الخصاصه، و الجاتنی الحاجه، و توسمت بالذاه و غلبتنی المسکنه، و حقت علی الکلمه، و احاطت بی الخطیئه، و هذا الوقت و عدت اولیائک فیه الاجابه.

فصل علی محمد و آله، و امسح ما بی بیمینک الشافیه، و انظر الی بعینک الراحمه، و ادخلنی فی رحمتک الواسعه، و اقبل الی بوجهک الذی اذا قبلت به علی اسیر فککته، و علی خائف آمنته؛ و لا تخلفنی لقا لعدوک و عدوی، یا ذالجلال و لاکرام.

یا من لا یعلم کیف هو، و حیث هو، و قدرته الا هو، یا من سد الهواء بالسماء، و کبس الارض علی الماء، و اختار لنفسه احسن الاسماء، یا من سمی نفسه بالاسم الذی به یقضی حاجه کل طالب یدعوه به، اسالک بذالک الاسم، فلا شفیع اقوی لی منه، و بحق محمدا و آل محمد ان تصلی علی محمد و آل محمد، و ان تقضی لی حوائجی، و تسمع محمدا و علیا و فاطمه و الحسن و الحسین و علیا و محمدا و جعفرا و موسی و علیا و محمدا و علیا و الحسن و الحجه صلوات الله علیهم و برکاته و رحمته (۱) - صوتی، فیشفعوا لی الیک و تشفعهم فی، و لا تردنی خائبا، بحق لا اله الا انت، و بحق محمد و آل محمد، و افعل بی کذا و کذا یا کریم (۲) .

۱- ۱۸۶. و فی نسخه: صلواتک علیهم و برکاتک و رحمتک.

۲- ۱۸۷. مصباح المتجهد: ص ۲۶۶.

و قال السید ابن طاووس الحلی: روی صفوان قال: دخل محمد ابن علی الحبلی علی ابی عبدالله الصادق (علیه السلام) فی یوم الجمعه فقال له: تعلمنی افضل ما اصنع فی مثل هذا الیوم؟

فقال (علیه السلام): یا محمد ما اعلم احدا کان اکبر عند رسول الله من فاطمه، و لا افضل مما علمها ابوها محمد بن عبدالله (صلی الله علیه و آله و سلم).

قال (صلی الله علیه و آله): من اصبح یوم الجمعه فاغتسل و صف قدمیه و صلی اربع رکعات مثنی مثنی، یقرا فی اول رکعه الحمد و الاخلاص خمسین مره، و فی الثانیه فاتحه الکتاب و العادیات خمسین مره، فی الثالثه فاتحه الکتاب و اذا زلزلت الارض خمسین مره، و فی الرابعه فاتحه الکتاب و اذا جاء نصرالله و الفتح خمسین مره- و هذه سوره النصر و هی آخر سوره نزلت- فاذا فرغ منها دعا، فقال (۱) :

«الهی و سیدی، من تهیا او تعبا او اعد او استعد لوفاده الی مخلوق رجاء رفده و فوائده و نائله و فواضله و جوائزه، فالیک یا الهی کانت تهیئتی و تعبیتی و اعدادی و استعدادی رجاء رفدک و معروفک ونائلک و جوائزک، فلا تحرمنی ذالک، یا من لا یخیب علیه مساله السائل، و لا تنقصه عطیه نائل فانی لم آتک بعمل صالح قدمته، و لا شفاعه مخلوق رجوته، اتقرب الیک بشفاعه محمد و اهل بیته صلواتک علیهم اجمعین، ارجو عظیم عفوک الذی عفوت به علی الخاطئین عند عکوفهم علی المحارم فلم یمنعک طول عکوفهم علی المحارم ان عدت علیهم بالمغفره، و انت سیدی العواد بالنعماء، و انا العواد بالخطاء، اسسالک بمحمد و آله الطاهرین ان تغفر لی

۱- ۱۸۸. جزاء الشرط محذوف لدلاله الکلام علیه.

الذنب العظیم، فانه لایغفر ذنبی العظیم، یا عظیم یا عظیم یا عظیم یا عظیم یا عظیم یا عظیم یا عظیم (۱) .

و الاحادیث فی عباده السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) کثیره، خاصه الادعیه التی کانت تناجی بها ربها، و لا ارانی بحاجه الی المزید من التحدث عن عبادتها، و کثره شوقها و رغبتها الی الصلاه، و مدی اقبال قلبها الی المناجاه مع الله تعالی، فهی بنت اول العابدین، الذی کان یقف علی قدمیه للعباده طیله ساعات طوال حتی نزل علیه قوله تعالی: «طه ما انزلنا علیم القران لتشقی».

و هی التی عرفت معنی العباده و قیمه العباده بمقدار معرفتها بعظمه الله تعالی فلا عجب اذا کانت السیده فاطمه تستلذ من العباده، و ترتاح نفسها حین الوقوف بین یدی الله (عز و جل) و التذلیل و الخضوع لربها، و کانها لا تتعب من القیام و الرکوع و السجود.

۱- ۱۸۹. «جمال الاسبوغ» ۱۳۲- ۱۳۳.

تَسبیح فاطمه الزهراء

روی عن الامام علی (صلوات الله علیه) أنه قال لرجل من بنی سعد: ألا أحدثک عنی و عن فاطمه؟ إنها کانت عندی و کانت أحب أهله إلیهِ (۱) .

و أنها استقت بالقربه حتی أثَّر فی صدرها، و طحنت بالرحی حتی مجلتِ (۲) .

یداها، و کسحت البیت حتی اغبرت ثیابها، و أوقدت النار تحت القدر حتی دکنتِ (۳) .

ثیابها، فأصابها من ذلک ضرر شدید، فقلت لها: لو أتیتِ أباک فسألتیه خادماً یکفیک حرَّ ما أنتِ فیه من هذا العمل.

فأتت النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فوجدت عنده حُدّاثاً فاستحت فانصرفت.

قال: فعلم النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) أنها جاءت لحاجه، فغدا علینا و نحن فی لفاعِنا (۴) فقال: السلام علیکم. فسکتنا ثم قال: السلام علیکم. فخشینا إن لم نردّ علیه أن ینصرف، و قد کان یفعل ذلک یسلّم ثلاثاً فإن أُذن له وإلاَّ انصرف. فقلت: و علیک السلام یا رسول الله أُدخل.

۱- ۱۹۰. احب اهله ای اهل رسول الله بقرینه المقام.

۲- ۱۹۱. مجلت: ثحن جلدها.

۳- ۱۹۲. دکنت: اغبرت و اتسخت.

۴- ۱۹۳. لفاع: لحاف.

فلم یعد أن جلس عند رؤوسنا فقال: یا فاطمه ما کانت حاجتک أمس عند محمد؟

قال (علیه السلام): فخشیت إن لم نجبه أن یقوم فأخرجت رأسی فقلت: أنا- والله-أخبرک یا رسول الله! إنها استقت بالقربه حتی أثَّر فی صدرها و جرّت بالرحی حتی مجلت یداها، و کسحت البیت حتی اغبرت ثیابها، و أوقدت تحت القدر حتی دکنت ثیابها، فقلت لها: لو أتیت أباک فسألتیه خادماً یکفیک حرّ ما أنت فیه من العمل.

فقال (صلی الله علیه و آله و سلم): أفلا أعلکما ما هو خیر لکما من الخادم؟

إذا أخذتما منامکما فسبّحا ثلاثاً و ثلاثین، و احمدا ثلاثه و ثلاثین، و کبّرا أربعاً و ثلاثین.

قال: فِأخرجت (علیهاالسلام) رأسها فقالت: رضیت عن الله و رسوله، رضیت عن الله و رسوله رضیت عن الله و رسوله (۱) و روی عن الامام علی (علیه السلام) قال: أهدی بعض ملوک الأعاجم رقیقاً (۲) فقلت لفاطمه: اذهبی إلی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فاستخدمیه خادماً. فأتته فسألته ذلک......

فقال لها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): یا فاطمه أعطیک ما هو خیر من لک من خادم و من الدنیا بما فیها: تکبّرین الله بعد کل صلاه أربعاً و ثلاثین تکبیره، و تحمدین الله ثلاثاً و ثلاثین تحمیده، و تسبّحین الله ثلاثاً و ثلاثین تسبیحه، ثم تختمین ذلک بلا إله إلاّ الله، و ذلک خیر لک من الذی أَردت و من الدنیا و ما فیها.

۱- ۱۹۴. بحارالانوار ج ۴۳.

۲- ۱۹۵. الرقیق: ابلعبید و الجواری یطلق علی المفرد و الجمع.

فلزمت (صلوات الله علیها) هذا التسبیح بعد کل صلاه، و نسب إلیها هذا التسبیح، فیقال: تسبیح فاطمه (۱) .

و روی عن الإمام الصادق (علیه السلام) أنه قال: یا أباهارون إنا نأمر صبیاننا بتسبیح فاطمه (علیهاالسلام) کما نأمرهم بالصلاه فألزمه، فإنه لم یلزمه عبد فشقی (۲) .

و فی مکارم الأخلاق: أن فاطمه بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) کانت سُبحتها من خیط صوف مفتّل، معقود علیه عدد التکبیرات، فکانت تدیرها بیدها، تکبّر و تسبّح، إلی أن قتل حمزه بن عبدالمطلب (رضی الله عنه) سیدالشهداء،فاستعملت تربته، و عملت التسابیح فاستعملها الناس، فلما قتل الحسین (صلوات الله علیه) عُدل بالأمر إلیه، فاستعملوا تربته لما فیها من الفضل و المزیه.

و عن الإمام ابی عبدالله (الصادق) (علیه السلام) قال: و تکون السبحه بخیوط زرق،أربعاً و ثلاثین خرزه، و هی سبحه مولاتنا فاطمه (علیهاالسلام) لما قتل حمزه عملت من طین قبره سبحه تسبّح بها بعد کل صلاه.

عن الامام أبی عبدالله (الصادق) (علیه السلام) قال: من سبَّح تسبیح فاطمه (علیهاالسلام) فقد ذکر الله ذکراً کثیراً (۳) .

۱- ۱۹۶. کتاب دعائم الاسلام، و فی البحار ج ۴۳.
۲- ۱۹۷. کتاب قرب الاسناد و فی البحار ج ۴۳.
۳- ۱۹۸. تفسیر مجمع البیان ج ۸ فی تفسیر قوله تعالی: «یا ایها الذین آمنوا ذکروا الله ذکرا کثیرا». و ذکره العلامه المجلسی فی بحارالانوار ج ۴۳.

هـذا... و الروايات فی فضل تسبیح فاطمه (علیهاالسـلام) کثیره و مختلفه فی کیفیتها، و فی بعض الروایات: التکبیر ثم التسبیح، ثم التحمید، و هذا هو الأشهر و الأقوی عند فقهائنا.

و قد ذکر شیخنا المجلسی أقوال الفقهاء و آرائهم حول الترتیب و التقدیم و التأخیر بصوره مفصله (۱) .

لقد اتضح لنا من هذه الأحادیث أن السـیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) مع جلاله قدرها و عظم شأنها و شرف نسبها کانت تقوم بأعمال البیت، و تدیر أمور البیت بنفسـها، و کان علی (علیه السلام) یعینها و یتعاون معها، فقد روی عن الامام علی (علیه السلام) قال: دخل علینا رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و فاطمه جالسه عند القدر و أنا أنقی العدس.

قال: یا أباالحسن.

قلت: لبّیک یا رسول الله

قال: اسـمع منی، و ما أقول إلاّ من أمر ربی: ما من رجل یعین امرأته فی بیتها إلاّ کان له بکل شـعره علی بـدنه عباده سـنه، صـیام نهارها، و قیام لیلها..... إلی آخر الحدیث (۲) .

۱- ۱۹۹. بحارالانوار ج ۸۵.
۲- ۲۰۰. جامع الاخبار، و فی البحار ج ۴۳.

فاطمه الزهراء و العلم

لقد عرفت- من مجموع الاحاديث الماضيه- ان السيده الزهراء (عليه السلام) كانت اقرب انسان الى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و إن اتصالها و ارتباطها بالنبى هو اتصال الجزء بالكل، و ارتباط بعض الشى ء بالبعض الآخر، فالحب و العطف و الانسجام و العلاقات الودّيه قد بلغت إلى أقصى درجه..

فلا عجب إذا كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يعلم ابنته أفضل الأعمال، و يرشدها إلى أحسن الأخلاق، و يفيض عليها أحسن المعارف و أرقاها.

و الزهراء (عليهاالسلام) تلتهم تلك العلوم الربانيه من ذلك النبع العذب الزلال، و تمتص رحيق الحقيقه من مهبط الوحى، فيمتلئ قلبها الواعى الواسع بأنواع الحكمه، و يساعدها عقلها الوقّاد، و ذكاؤها المفرط على فهم المعانى و درك المفاهيم، و حفظ المطالب على أتمّ وجه و أكمل صوره.

لقد سمعتْ من أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) الكثير الكثير من العلوم، و تعلّمت منه القسط الوافر من الأحكام و الأدعيه و الأخلاق و الحِكَم. هذا كله... بالاضافه الى ما الهمها الله تعالى من العلم و المعرفه.

و قد مر عليك بعض التفصيل عند التحدث عن اسمها: «المحدثه».

و روى جابر بن عبدالله الانصارى عن رسول الله (صلى الله عليه

و آله و سلم) انه قال: «ان الله جعل عليا و زوجته و ابناءه حجج الله على خلقه، و هم ابواب العلم فى امتى، من اهتدى بهم هدى الى صراط مستقيم (۱) .

و لكن الموسف حقا انه قد روى عنها القليل، حسب ظروفها الخاصه و لما ستعرف قريباً.

و لو كانت الزهراء (عليهاالسلام) تعيش أكثر مما عاشت- مع فسح المجال أمامها لملأت الدنيا علماً و ثقافه و معرفه.

و ليس هذا إدّعاءً فارغاً، بل هو الواقع الذى لا شك فيه.

فقد وجدت السيده الزهراء المجال فى حياتها ساعتين فقط: ساعه خطبت فيها فى مسجد أبيها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و ساعه خطبت فى بيتها فى جمع النساء اللاتى حضرن لعيادتها.

و ستعرف قريباً مدى مواهبها وسعه اطلاعها، و كثره معلوماتها و مقدار قدرتها على الأداء و الشرح و البيان.

ولكنها- أسفى عليها- ما عاشت إلا يسيراً، و قد عرفت تاريخ ميلادها و ستعرف تاريخ وفاتها، و ستعرف أنها ماتت و لم تبلغ العشرين من العمر!!

فما تقول لو كانت الزهراء تعيش حتى تبلغ الخمسين و الستين من العمر مع فسح المجال؟!

لكانت تترك للامه الاسلاميه اعظم ثروه فكريه و علميه فى شتى المواضيع و الفنون!!

و لكن...؟!

۱- ۲۰۱. شواهد التنزيل للحسكانى الحنفى ج ۱ ص ۵۸.

ایها القاری الکریم: الیک الآن بعض ما روی عنها من الاحادیث الشریفه:

۱- عن تفسیر الإمام العسکری (علیه السلام) قال: حضرت امرأه عند الصدیقه فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) فقالت: إن لی والده ضعیفه و قد لبس- أی: اشتبه-علیها فی أمر صلاتها شی ء، و قد بعثتنی إلیک أسألکِ... فأجابتها فاطمه (علیهاالسلام) عن ذلک، فثنّت (۱) فأجابت: (الزهراء)، ثم ثلثت إلی أن عشرت (۲) فأجابت، ثم خجلت من الکثره فقالت: لا أشقّ علیکِ یا ابنه رسول الله.

قالت فاطمه: هاتی و سلی عما بدا لکِ، أرأیت من أکتُرِیَ (أی استؤجِر) یوماً یصعد إلی سطح بحمل ثقیل، و کراه (أی أجرته) مائه ألف دینار یثقل علیه؟

فقالت: لا.

فقالت: أکتُریتُ أنا لکل مسأله بأکثر من ملی ء ما بین الثری إلی العرش لؤلؤاً، فأحری أن لا یثقل علیَّ سمعت أبی (صلی الله علیه و آله و سلم) یقول: إن علماء شیعتنا یُحشرون، فیُخلع علیهم من خلع الکرامات علی قدر کثره علومهم و جِدّهم فی إرشاد عبادالله حتی یخلع علی الواحد منهم ألف ألف حلّه من نور.

ثم ینادی منادی ربنا (عز و جل): أیها الکافلون لأیتام محمد (صلی الله علیه و آله) الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذین هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتکم و الأیتام الذین کفلتموهم و نعشتموهم، فاخلعوا

۱- ۲۰۲. أی: جاءت مره ثانیه أو سألت مره اخری.

۲- ۲۰۳. أی: جاءت مره عاشره أو: سألت عشر مرات.

علیهم خلع العلوم فی الدنیا، فیخلعون علی کل واحد من أولئک الأیتام- علی قدر ما اخذو عنهم من العلوم، حتی ان فیهم- یعنی فی الایتام- کمن یُخلع علیه مائه ألف خلعه، و کذلک یخلع هؤلاء الأیتام علی من تعلّم منهم.

ثم إن الله تعالی یقول: أعیـدوا علی هؤلاء العلماء الکافلین للأیتام، حتی تتموا لهم خلعهم، و تضـعّفوها لهم، فیتمّ ما کان لهم قبل أن یخلعوا علیهم و یضاعف لهم، و کذلک من یلیهم ممن خلع علی من یلیهم.

ثم قالت فاطمه (علیهاالسلام): (یا أمه الله إن سلکهً من تلک الخِلَع لأفضل مما طلعت علیه الشمس ألف ألف مره» (۱) .

۲- و عن دعوات الراوندی عن سوید بن غفله قال: أصابت علیّاً (علیه السـلام) شدّه، فأتت فاطمه (علیهاالسـلام) رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فدقّت الباب،فقال: أسمع حسّ حبیبتی بالباب یا أم أیمن قومی و انظری! ففتحت لها الباب فدخلت.

فقـال (صـلی الله علیه و آله و سـلم): لقـد جئتِنـا فی وقت ما کنتِ تأتینا فی مثله؟فقالت فاطمه: یا رسول الله ما طعام الملائکه عند ربنا؟

فقال: التحمید.

فقالت: ما طعامنا؟

فقال رسول الله (صـلی الله علیه و آله و سلم): و الذی نفسی بیده ما اقتبس فی آل محمد شهرٍا ناراً (۲) و أعلمک خمس کلمات علّمنیهن جبرئیل (علیه السلام)

۱- ۲۰۴. بحارالانوار کتاب العلم عن تفسیر الامام العسکری (علیه السلام).

۲- ۲۰۵. ای: ما اشتعلت نار للطبخ فی بیوت رسول الله منذ شهر

قالت: یا رسول الله ما الخمس کلمات؟

قال: «یا رب الأولین و الآخرین، یا ذا القوه المتین و یا راحم المساکین و یا أرحم الراحمین».

فرجعتْ فلما أبصرها علی (علیه السلام) قال: بأبی أنت و أمی ما وراءک یا فاطمه؟قالت: ذهبت للدنیا و جئت للآخره!

فقال علی: خیر أمامک، خیر أمامکِ.

۳- و فی الکافی عن الإمام الصادق (علیه السلام) قال: جاءت فاطمه تشکو إلی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) بعض أمرها، فأعطاها رسول الله (صلی الله علیه و آله) کَربهً (۱) و قال: تعلّمی ما فیها، و إذا فیها: من کان یؤمن بالله و الیوم الآخر فلا یؤذی جاره، و من کان یؤمن بالله و الیوم الآخر فلیکرم ضیفه و من کان یؤمن بالله و الیوم الآخر فلیقل خیراً أو لیسکت.

۴- و قالت فاطمه (علیه السلام): من اصعد الی الله خالص عبادته، اهبط الله الیه افضل مصلحته (۲) .

۵- و عن فاطمه بنت رسول الله قالت: سمعت ابی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)- فیمرضه الذی قبض فیه یقول- و قد امتلات الحجره من اصحابه-: ایها الناس یوشک ان اقبض قبضا یسیرا، و قد قدمت الیکم القول معذره الیکم، الا انی مخلف فیکم: کتاب ربی (عز و جل)، و عترتی اهل بیتی.

۱- ۲۰۶. کربه: اصل السعف، و قیل: ما یبقی فی اصوله فی النخله.

۲- ۲۰۷. بحارالانوار ج ۷۱ ص ۱۸۴.

ثم اخذ بید علی فقال: هذا علی مع القرآن، و القرآن مع علی، لایفترقان حتی یردا علی الحوض، فاسالکم ما تخلفونی فیهما.

قال القندوزی الحنفی: روی هذاالحدیث ثلاثون صحابیا، و ان کثیرا من طرقه صحیح و حسن. (۱) .

۶- و قالت (علیهاالسلام): قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) «من تختم بالعقیق لم یزل یری خیرا» (۲) .

۷- و عن فاطمه بنت رسول الله قالت:ما یصنع الصائم بصیام اذالم یصن لسانه و سمعه و بصره و جوارحه؟! (۳) .

۸- و روی عن الشهید زیدبن علی بن علی بن الحسین عن آبائه (علیهم السلام) عن فاطمه بنت النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) قالت: سمعت النبی یقول:«ان فی الجمعه لساعه لا یوافقها رجل مسلم یسال الله (عز و جل) فیها خیرا الا اعطاها ایاها».

قالت فقلت:یارسول الله ای ساعه هذه؟

قال:اذا تدلی نصف عین الشمس للغروب».

قال: و کانت فاطمه (علیه السلام) تقول لخادمها:اصعدی علی السطح، فاذا رایت نصف عین الشمس قد تدلی للغروب فاعلمینی حتی ادعو (۴) .

۹- و روی حسن بن حسن عن امه فاطمه بنت الحسین، عن فاطمه الکبری بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قالت:قال رسول الله:

۱- ۲۰۸. ینابیع الموده للقندوزی الحنفی ص ۴۰.

۲- ۲۰۹. امالی الطوسی ج ۱ ص ۳۱۸.

۳- ۲۱۰. مستدرک الوسائل کتاب الصوم.

۴- ۲۱۱. دلال الامامه للطبری ص ۵، و رواه فی معانی الاخبارص ۳۹۹ باختلاف یسیر.

«لایلو من الا نفسه من باب و فی یده غمر» (۱) .

۱۰- و روی عن عبدالله بن الحسن عن ابیه عن فاطمه الکبری (علیهاالسلام) قالت:قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): ما التقی جندان ظالمان الا تخلی الله عنهما، و لم یبال ایها غلب، و ما التقی جندان ظالمان الا کانت الدائره اعتاهما» (۲) .

۱۱- عن فاطمه بنت الحسین عن فاطمه الکبری (علیهاالسلام) قالت: قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): «کل بنی ام ینتمون الی عصبتهم» (۳) .

اقول: عصبه جمع عاصب، مثل: طلبه جمع طالب، و عصبه الرجل: بنوه و قرابته لابیه، و انما سموا عصبه لانهم عصبوا به، ای: احاطوا به.

۱- ۲۱۲. الغمر: الدسم و الزهومه من اللحم، و الحدیث فی کتاب کشف الغمه ج ۱ ص ۵۵۴.

۲- ۲۱۳. کشف الغمه ج ۱ ص ۵۵۳.

۳- ۲۱۴. بحارالانوار ج ۴۳ ص ۲۲۸.

حدیث اللوح

۱۲- فی الکافی بسنده عن ابی بصیر، عن ابی عبدالله (الصادق) (علیه السلام) قال: قال ابی- الجابر بن عبدالله الانصاری-: ان لی الیک حاجه، فمتی یخفف علیک ان اخلو بک فاسلک عنها؟

فقال له جابر: ای الاوقات احببته.

فخلا به فی بعض الایام، فقال له: یا جابر! اخبرنی عن اللوح الذی رایته فی ید امی فاطمه (علیهاالسلام) بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله) و ما اخبرتک به امی انه فی ذلک اللوح مکتوب؟

فقال جابر: اشهد بالله انی دخلت علی امک، فاطمه (علیهااسلام) فی حیاه رسول الله (صلی الله علیه و آله) فهنئتهابولاده الحسین، و رایت فی یدیها لوحا اخضر ظننت انه من زمرد، و رایت فیه کتابا ابیض، شبه لون الشمس؛

فقلت لها: بابی انت و امی یا بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله) ما هذا اللوح؟

فقالت: هذا اللوح اهداه الله الی رسوله (صلی الله علیه و آله) فیه اسم ابی و اسم بعلی، و اسم ابنی، و اسم الاوصیاء من ولدی، و اعطیانیه ابی لیشربنی بذالک.

قال جابر: فاعطتنیه امک فاطمه (علیها السلام)فقراته و استنسخته.

ص: ۲۲۶

فقال له ابی (الامام الباقر) فهل لک یا جابر ان تعرضه علی؟

قال: نعم.

فمشی معه ابی الی منزل جابر، فاخرج صحیفه من رق (۱) فقال: یا جابر! انظر فی کتابک لاقرا انا علیک.

فنظر جابر فی نسخه، فقراه ابی، فما خالف حرف حرفا.

فقال جابر: فاشهد بالله انی هکذا رایته فی اللوح مکتوبا:

«بسم الله الرحمن الرحیم»

هذا کتاب من الله العزیز الحکیم

لمحمد نبیه و نوره و سفیره و حجابه و دلیله، نزل به الروح الامین من عند رب العالمین:

عظم- یا محمد- اسمائی، و اشکر نعمائی، و لا تجحد آلائی؛

انی انا الله، لا اله الا انا، قاصم الجبارین، و مدیل المظلومین، و دیان یوم الدین

انی انا الله لا اله الا انا، فمن رجا غیر فضلی، او اخاف غیر عدلی عذبته عذابا لا اعذبه احدا من العالمین؛

فایای فاعبد، و علی فتوکل، انی لم ابعث نبیا فاکلمت ایامه، و انقضت مدته الا جعلت له وصیا، و انی فضلتک علی الانبیاء و فصلت وصیک علی الاوصیاء، و اکرمتک بشبلیک و سبطیک: حسن و حسین.

فجعلت حسنا معدن علمی بعد انقضاء مده ابیه.

و جعلت حسینا خازن وحیی، و اکرمته بالشهاده، و ختمت له بالسعاده، فهو افضا من استشهد، و ارفع الشهداء درجه،

۱- ۲۱۵. الرق: الجلد.

جعلت کلمتی التامه معه، و حجتی البالغه عنده، بعترته اثیت و اعاقب؛ اولهم: علی سید العابین، و زین اولیائی الماضین؛

و ابنه شبه جده المحمود: محمد الباقر علمی، و المعدن لحکمتی؛

سیهلک المرتابون فی جعفر، الراد علیه کالراد علی، حق القول منی لاکرمن مثوی جعفر، و لا سرنه فی اشیاعه و انصاره و اولیائه.

انتجبت بعده موسی، فتنه عمیاء حندس، لان خیط فرضی لا ینقطع و حجتی لا تخفی، و ان اولیائی یسقون بالکاس لا اوفی؛

من جحد و احدا منهم فقد جحد نعمتی، و من غیر آیه من کتابه فقد افتری علی، و یل للمفترین، الجاحدین؛

عند انقضاء مده موسی عبدی و حبیبی و خیرتی فی علی ولیی و ناصری و من اضع علیه اعباء النبوه، و امتحته بالاضطلاع بها، یقتله عفریت مستکبر یدفن فی المدینه التی بناها العبد الصالح (۱) الی جنب شر خلقی؛ و اختم بالسعاده لابنه علی، ولیی وناصری، والشاهد فی خلقی، و امینی علی وحیی،

اخرج منه الداعی الی سبیلی، و الخازن لعلمی، الحسن؛

ص: ۲۲۸

۱- ۲۱۶. المقصود: طوس، فقد دفن فیه الامام علی الرضا (علیه السلام) جنب قبر هارون العباسی.

واکمل ذلک بابنه: «م ح م د» رحمه العالمین، علیه کمال موسی، و بهاء عیسی، و صبر ایوب، فیذل اولیائی فی زمانه، و تتهادی رووسهم کما تتهادی رووس الترک والدیلم، فیقتلون، و یحرقون، و یکونون خائفین، مرعوبین، و جلین تصبغ الارض بدمائهم، و یفشو الویل و الرنه فی نسائهم، اولئک اولیائی حقا.

بهم ادفع کل فتنه عمیاء حندس، و بهم اکشف الزلازل، و ادفع الآصار و الاغلال،او لئک علیهم صلوات من ربهم ورحمه واولئک هم المهتدون».

قال عبدالرحمن بن سالم: قال ابوبصیر: لو لم تسمع فی دهرک الا هذا الحدیث لکفاک، فصنه الا عن اهله (۱) .

ایها القاری ء الکریم:

بعدما قرات و عرفت من علم الزهراء وکثره اتصالها بالرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) هلم معی و استمع الی ما یذکره العقاد ثم اصحکک او ابکک:

ذکر العقاد فی کتابه: (فاطمه و الفاطمیون) احادیث سقیمه استحسنها هو، و کانه اعجب بها، و من جملتها هذه الخرفه:

«و من فطره التدین فی وریثه محمد و خدیجه انها کانت شدیده التحرج فیما اعتقدته من اوامر الدین، حتی وهمت ان اکل الطعام المطبوخ یوجب الوضوء، یظهر ذلک من حدیث الحسن بن الحسن عن فاطمه حیث قالت: «دخل علی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فاکل عرقا (۲) فجاء

۱- ۲۱۷. الکافی ج ۱ ص ۵۲۷.

۲- ۲۱۸. العرق- بکسر العین و سکون الراء- اللحم الذی علی العظم.

بلال بالأذان فقام ليصلى، فأخذت بثوبه فقلت: يا أبه ألا تتوضأ؟ فقال: مم أتوضأ يا بنيه؟ فقلت: مما مسَّتِ النار. فقال لى: أو ليس أطيب طعامكم ما مسّت النار».

فهى فيما تجهله تتحرج و لا تترخص، و تؤثر الشده مع نفسها على الهواده معها» (۱) .

لا أدرى كيف أزيف هذه الأكذوبه التى اختلقتها يد الهوى، و صاغتها ألسنه الكذب و الدجل؟!

و لا أطالب العقاد عن مصدر هذه الأسطوره، و لا عن كتاب ذكر هذه الأضحوكه، فالحديث منه عليه شواهد أنه كذب و افتراء بصرف النظر عن المصدر و الكتاب.

و لكنى اتساءل: ممن كانت الزهراء تأخذ معالم الدين؟!

و ممن كانت تتعلم أحكام الإسلام؟

أليس المصدر الأول لعلومها هو أبوها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟!و زوجها باب مدينه علم الرسول على بن أبى طالب؟!

و قبل هذين هو القرآن العظيم الذى نزل شى ء منه فى بيتها؟

فمن أين جاءها هذا التوهم؟

من القرآن؟

من أبيها؟

من زوجها؟

و كيف كانت تجهل سيده نساء العالمين هذا الحكم الذى تكثر إليه

ص: ۲۳۰

۱- ۲۱۹. ص ۵۳.

الحاجه، و يعم به الابتلاء؟

فهل كانت السيده فاطمه تأخذ الأحكام من الكذابين الدجالين فتعلمت هذا الحكم منهم؟ و لهذا أخذت بثوب أبيها لتمنعه عن الصلاه بلا وضوء؟

أنا ما أدرى، و لعل العقاد يدرى، و لعل الذين اختلقوا هذه الأسطوره يدرون!

ص: ٢٣١

فاطمه الزهرا و الحجاب

ان من جمله التعاليم الإسلاميه التی كانت السيده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) تهتم بها غايه الاهتمام- هی المحافظه علی شرف المرأه و حفظ كيانها، عن طريق الحجاب و التستر، فالزهراء (علیهاالسلام) تعلم- حسب علم الاجتماع- أن ملايين الفضائح و الجرائم و المآسی تأتی عن طريق السفور و التبذّل و الخلاعه و الاختلاط، المسمیّ فی زماننا هذا بالحريه و التقدم!!. فإن كنت لا تصدق فأقرأ الجرائد و المجلات التی تصدر يومياً و أسبوعياً، فی البلاد الإسلاميه و غير الإسلاميه، كی تعرف عدد الضحايا التی تقدّمها الحضاره!.. و التقدم! و الحريه!

و لا تنس أن معشار هذه الفجائع و المآسی ما كانت تحدث للمرأه المسلمه يوم كانت تؤمن بالحجاب و العفاف و الحياء!

يوم كانت تؤمن بالحلال والحرام!

يوم كانت تأبی و ترفض أن ينظر إليها رجل أجنبی و احد!

ص: ۲۳۲

فکیف أن تجعل جسمها و رأسها و وجهها محلاً لأنظار المئات بل الألوف من الرجال الأجانب، علی اختلاف أدیانهم و أهوائهم.

و لما ضاعت المفاهیم و القیم سقطت المرأه المسلمه إلی حیث سقطت، و بلغ بها الأمر إلی ما بلغ!.

و إلیک هذین الحدیثین اللذین تضمّنا إعجاب الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) بکلام ابنته الطاهره العفیفه فاطمه الزهراء حول المرأه، و تصدیقه لها، و تقدیره لرأیها:

روی أبونعیم فی (حلیه الأولیاء) ج ۲ ص ۴۰ عن أنس بن مالک قال: قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): ما خیرٌ للنساء؟

فلم ندرِ ما نقول، فسار علیٌّ إلی فاطمه فأخبرها بذلک، فقالت: فهلّا قلت له: خیر لهن أن لا یرین الرجال و لا یرونهن، فرجع- علی إلی رسول الله- فأخبره بذلک.

فقال النبی... صدقت إنها بضعه منی.

الروایه بصوره أخری:

عن علی (علیه السلام) أنه قال لفاطمه: ما خیر للنساء؟

قالت: لا یرین الرجال و لا یرونهن.

فذکر ذلک للنبی فقال: إنما فاطمه بضعه منی.

و ذکر ابن المغازلی فی مناقبه عن علی بن الحسین بن علی (علیهم السلام) أن فاطمه بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) استأذن علیها أعمی فحجبته فقال لها النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) لم حجبتِه و هو لا یراک؟

فقالت: یا رسول الله إن لم یکن یرانی فأنا أراه و هو یشمّ الریح.

فقال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم): أشهد أنکَ بضعه منی.

فاطمه الزهرا و الدعاء

لاشک ان للدعاء اهمیه کبری و اثرا بالغا فی حیاه الانسان و سعادته، و قضاء حوائجه و استجابه دعائه و تحقق آماله.

و خاصه حینما تنسـد الابواب فی وجه الانسان و تفشل الوسائل و الطرق المادیه، فانه یفزع الی الدعاء و المناجاه بین یدی الخالق العظیم الذی هو علی کل شی ء قدیر، کما قال سبحانه: «ادعونی استجب لکم».

بـل ان الـدعاء لا یختص بوقت الحاجه فقط، بل یجب ان یکون برنامجا یومیا فی حیاط الانسان، لانه یودی الی توثیق علاقته بربه سبحانه، و یمنح الانسان صفاءا معنویا و نورانیه قلبیه تحلق به الی سماء الکمال الانسانی.

من هنا... و فقد کان اولیاء الله سبحانه یستانسون بالدعاء و یرتاحون الیه و ینسجمون معه تمام الانسجام.

هذا... و قد رویت عن السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) ادعیه کثیره، کانت تدعو بها ربها سبحانه.

و فیمایلی نذکر نماذج منها، تتمیما للفائده:

فی کتاب مهج الدعوات للسیدابن طاووس:

(ذکر ما نختاره من الدعوات عن سیدتنا و امنا المعظمه: فاطمه سیده نساء العالمین، بنت سید المرسلین (صلوات الله علیهماو علی عترتهما الطاهرین):

۱- فمن ذالک دعاء علمها ایاه رسول الله (صلی الله علیه و آله) رویناه باسنادنا الی ابی المفضل محمد بن المطلب الشیبانی فی الجزء الثالث من امامیه،باسناد نسبه الی مولانا الحسن بن مولانا علی بن ابی طالب (علیهماالسلام) عن امه فاطمه بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) وجدناه باسناد صحیح:

ان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال- للزهراء (علیهاالسلام)-: یا بنیه الا اعلمک دعاء لا یدعو به احد الا استجیب له، و لایعرض لک الشیطان، و لا یعرض عنک الرحمن، و لایزیغ قلبک، و لاترد لک دعوه، و یقضی حوائجک کلها؟

قالت یاابت! لهذااحب الی من الدنیا و ما فیها.

قال: تقولین:

«یا اعز مذکور و اقدمه قدما فی العز و الجبروت، یا رحیم کل مسترحم، و مفزع کل ملهوف الیه، یا راحم کل حزین یشکو بثه و حزنه الیه، یا خیر من سئل المعروف و اسرعه اعطاء، یا من یخاف الملائکه- المتوقده بالنور- منه؛

اسالک بالاسماء التی یدعوک بهاجبرئیل و میکائیل و اسرافیل الا اجبتنی و کشفت- یا الهی- کربتی، و سترت ذنوبی؛

یا من امر بالصیحه فی خلقه فاذا هم بالساهره یحشرون، و بذالک الاسم الذی اخییت به العظام و هی رمیم، احی قلبی، و اشرح صدری،

یامن خصه نفسه بالبقاء و خلق لبریته الموت و الحیاه و الفناء یامن فعله قول،و قوله امر، و امره ماض علی مایشاء؛

اسالک بالاسم الذی دعاک به خلیلک حین القی فی النار، فدعاک به فاستجبت له، و قلت: یا نار کونی بردا و سلام علی ابراهیم؛

و بالاسم الذی دعاک به موسی من جانب الطور الایمن فاستجبت له؛ و بالاسم الذی خلقت به عیسی من روح القدس، و بالاسم الذی تبت علی داود، و بالاسم الذی وهبت لزکریا یحیی، و بالاسم الذی کشفت به عن ایوب الضر، و تبت به علی داود، و سخرت به لسلیمان الریح تجری بامره، و الشیاطین و علمته منطق الطیر؛

و بالاسم الذی خلقت به العرش و بالاسم الذی خلقت به الکرسی، و بالاسم الذی خلقت به الروحانیین و بالاسم الذی خلقت به جن و الانس، و بالاسم الذی خلقت به جمیع خلقک، و بالاسم الذی خلقت به جمیع ما اردت من شی ء و بالاسم الذی قدرت به علی کل شی ء؛

اسالک بهذه الاسماء الاما اعطیتنی سولی، و قضیت حوائجی یا کریم».

فانه یقال لک: یافاطمه! نعم، نعم (۱) .

۲- و من ذالک دعاء آخر عن مولاتنا فاطمه الزهراء (صلوات الله علیها):

«اللهم قنعنی بما رزقتنی، و استرنی و عافنی ابدا ما ابقیتنی، و اغفرلی و ارحمنی اذا توفیتنی؛

اللهم لاتعینی فی طلب ما لا تقدرلی، و ما قدرته علی فاجعله میسرا سهلا؛

ص: ۲۳۶

۱- ۲۲۰. مهج الدعوات: ۱۳۹.

اللهم! کاف عنی والدی- و کل من له نعمه علی- خیرمکافاه؛

اللهم! فرغنی لما خلقتنی له، و لا تشغلنی بما تکفلت لی به، و لا تعذبنی و انا استغفرک، و لا تحرمنی و انا اسالک؛

اللهم! ذلل نفسی فی نفسی، و عضم شانک فی نفسی، و الهمنی طاعتک، و العمل بما یرضیک، و التجنب عما یسخطک، یا ارحم الراحمین» (۱) .

۳- و من ذالک للحمی دعاء آخر لمولاتنا فاطمه الزهرا (علیهاالسلام): دخل النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) علی فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) فوجد الحسن (علیه السلام) موعوکا (۲) فشق ذالک علی النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فنزل جبرئیل (علیه السلام) فقال یامحمد! الا اعلمک معاذه تدعوبها فینجلی عنه (الحسن) ما یجده؟

قال (النبی): بلی.

قال: قل:

«اللهم! لا اله الا انت العلی العظیم، ذو السلطان القدیم و المن العظیم، و الوجه الکریم، لا اله الا انت العلی العظیم، ولی الکلمات التامات و الدعوات المستجابات، حل ما اصبح بفلان».

فدعا النبی (صلی الله علیه و آله و سلم)، ثم وضع یده علی جبهته (الحسن) فاذا هو- بعون الله- قد آفاق (۳) .

۱- ۲۲۱. مهج الدعوات: ۱۴۱.

۲- ۲۲۲. موعوکا: مریضا.

۳- ۲۲۳. مهج الدعوات: ۱۴۱.

۴- دعاء النور: العلاج العجيب لمكافحه الحُمّی

لقد اشتهر بین الشیعه- بکافه طبقاتهم من أهل العلم و غیرهم:- دعاء النور المروی عن سیدتنا فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) و فی خلال هذه القرون ثبت بالتجارب- علی مرّ التاریخ- أن لهذا الدعاء تأثیراً خاصاً للاستشفاء من الحمّی، و قد ذکره کثیر من علمائنا فی کتب الأدعیه و الأحادیث، و منهم السید ابن طاووس فی کتابه (مهج الدعوات).

و خلاصه الحدیث ان السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) علّمت سلیمان الفارسی (رضوان الله علیه) هذا الدعاء و قالت له: إن سَرَّک أن لا یمسَّک أذی الحمّی ما عشت فی دار الدنیا، فواظب علی هذا الکلام الذی علّمنیه أبی: محمد (صلی الله علیه و آله و سلم) کنت أقوله غدوه و عشیه:

بِسمِ الله الرّحْمنِ الرَّحیمِ

بسم الله النور، بسم الله نور النور، بسم الله نور علی نور، بسم الله الذی هو مدبّر الأمور، بسم الله الذی خلق النور من النور، الحمد لله الذی خلق النور من النور، و أنزل النور علی الطُور، فی کتاب مَسطور فی رَقٍّ منشور، بَقَدر مقدور، علی نبیٍّ مَحبُور، الحمد لله الذی هو بالعز مذکور، و بالفخر مشهور، و علی السَّرَّاء و الضَّرَّاء مشکور، و صلی الله علی سیدنا محمد و آله الطاهرین.

قال سلمان: و الله لقد علّمتُ أکثر من ألف إنسان فی مکه و المدینه کانوا مصابین بالحمّی، فبرئوا بإذن الله.

ص: ۲۳۸

۵- و فی (کشف الغمه): و عن عبدالله بن الحسن، عن امه فاطمه بنت الحسین، عن فاطمه (علیهاالسلام) قالت:

«کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) اذ دخل المسجد قال: «بسم الله، و الحمدلله، و صلی الله علی رسول الله، اللهم اغفرلی ذنوبی، و سهل لی ابواب رحمتک».

و اذا خرج قال مثل ذلک الا انه یقول: «اللهم اغفرلی ذنوبی، و سهل لی ابواب رحمتک».

و اذا خرج قال مثل ذلک، الا انه یقول: «اللهم اغفرلی لی ذنوبی، و سهل ابواب (رحمتک) و فضلک». (۱) .

۶- و عن زین العابدین (علیه السلام) قال: ضمنی والدی (علیه السلام) الی صدره یوم قتل، و الدماء تغلی، و هو یقول: یا بنی احفظ عنی دعاء علمتنیه فاطمه (علیه السلام) و علمها رسول الله (صلی الله علیه و آله) و علمه جبرئیل (علیه السلام) فی الحاجه و الهم و الغم و النازله اذا نزلت، و الامرالعظیم الفادح قال: ادع:

«بحق و القرآن الحکیم، و بحق طه و القرآن العظیم، یا من یقدر علی حوائج السائلین، یا من یعلم ما فی الضمیر، یا منفس عن المکروبین یا مفرج عن المغمومین یا راحم الشیخ الکبیر، یا رازق الطفل الصغیر، یا من لا یحتاج الی التفسیر صل علی محمد و آل محمد، و افعل بی...» تذکر الحاجه (۲) .

۷- و عن الامام الصادق (علیه السلام) قال:... ان فاطمه اتت اباها (صلی الله علیه و آله) سبابته الیمنی فوضعها علی سنها التی تضرب و قال:«بسم الله و بالله، اسالک بعزتک و جلالک و قدرتک علی کل شی ء، ان مریم

۱- ۲۲۴. کشف الغمه ج ۱ ص ۵۵۳.

۲- ۲۲۵. الدعوات للراوندی.

لم تلد غیر عیسی روحک و کلمتک، ان تکشف ما تلقی فاطمه بنت خدیجه من الضر کله» فسکن مابها...» الی آخرحدیث (۱)
.

۸- و روی ان فاطمه (علیهاالسلام) زارت النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فقال لها: الا ازودک؟

قالت: نعم.

قال: قولی: (اللهم ربنا و رب کل شی ء، مُنزل التوراه و الإنجیل و الفرقان، و فالق الحب و النوی، أعوذ بک من کل دابه أنت آخذ بناصیتها، أنت الأول فلیس قبلک شی ء، و أنت الآخر فلیس بعدک شی ء، و أنت الظاهر فلیس فوقک شی ء، و أنت الباطن فلیس دونک شی ء، صل علی محمد و علی أهل بیته علیه و علیهم السلام، واقض عنی الدَین و أغننی من الفقر، و یسّرلی کل أمر یا أرحم الراحمین) (۲) .

۹- و عن علی (علیه السلام) قال ان فاطمه شکت الی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) الارق (۳) فقال لها: قولی یا بنیه: (یا مشبع البطون الجائعه، و یا کاسی الجسوم العاریه، و یا ساکن العروق الضاربه، و یا منوم العیون الساهره، سکن عروقی الضاربه، و اذن لعینی نوما عاجلا).

قال (علیه السلام): فقالته، فذهب عنها ما کانت تجده (۴) .

۱- ۲۲۶. مکارم الاخلاق ص ۴۰۶.

۲- ۲۲۷. مهج الدعوات ص ۱۴۲، ذخائر العقبی للطبری ص ۴۹ و فی: ان فاطمه (علیه السلام) سالت اباها خادما، فعلمها هذا الدعاء.

۳- ۲۲۸. الارق السهر.

۴- ۲۲۹. بحارالانوار ج ۷۶ ص ۲۱۳.

۱۰- و روی هذا دعاء عن السیده فاطمه (علیهاالسلام):

«اللهم بعلمک الغیب، و قدرتک علی الخلق، احینی ما علمت الحیاه خیرا لی، و توفنی اذا کانت الوفاه خیرا لی، اللهم انی اسالک کلمه الاخلاص، و خشیتک فی الرضا و الغضب، و القصد فی الغنی و الفقیر، و اسالک نعیما لا ینفذ، و اسالک قره عین لا تنقطع، و اسالک الرضا بالقضاء، و اسالک برد العیش بعد الموت، و اسالک نظر علی وجهک (۱) و الشوق الی لقائک، من غیر ضراء مضره، و لا فتنه مظلمه،اللهم زینا بزینه الایمان، و اجعلنا هداه مهدیین یا رب العالمین» (۲) .

۱- ۲۳۰. من الثابت عقائدیا و عقلا. ان رویه الله مستحیله فی الدنیا و الاخره، لان الرویه لا تکون الا للاجسام، و الله تعالی لیس بجسم و لا مرکب و لا یشغل حیزا و لا مکانا. فقول الزهرا (علیهاالسلام): «و اسالک النظر الی وجهک» معناه: النظر الی رحمه الله سبحانه و جمیل صنعه و لطفه و احسانه.

۲- ۲۳۱. بحارالانوارج ۹۴ ص ۲۲۵.

النبی یخبر الزهراء عن احداث المستقبل

من الطبیعی أن السیده فاطمه (علیهاالسلام) مع منزلتها القریبه و مکانتها الخاصه عند ابیها الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم)- کان النبی یخبرها عن المستقبل الخاص و العام.

ان النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) الذی کان یخبر الناس عما سوف یجری من بعده و یخبرهم عن أشراط الساعه، و علائم آخر الزمان و مشاهد القیامه.

أتراه لا یعلم بما سوف یجری علی أهل بیته من بعده، و علی ابنته العزیزه: فاطمه الزهراء؟!

أو تراه یعلم ذلک و لا یخبر هم بما یتعلق بمستقبلهم و مصیرهم؟!

نعم... کان النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) یخبراهل بیته بما سیجری علیهم من الناس من بعد وفاته مباشره و بعد ذلک علی طول خط التاریخ، فکم أخبر النبی (صلی الله علیه و آله) أصحابه و زوجاته بشهاده الحسین (علیه السلام)؟

و من الیقین أنه (صلی الله علیه و آله و سلم) أخبر ابنته الحبیبه فاطمه بمصائبها و نوائبها و اضطهادها و ما یجری علیها من المآسی.

و خاصه فی الأیام الأخیره من حیاته الشریفه، و علی الأخص فی اللیله الأخیره و الیوم الأخیر من حیاته فقد ضاق المجال و حضرت الساعه الحرجه

ليكشف رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) النقاب عن الواقع لابنته و يخبرها بكل صراحه فيبشرّها أنها لا تلبث بعده إلا قليلاً ثم تلتحق بأبيها الرسول فی الدرجات العلی و الرفيق الأعلی، ثم يخبرها بتبدل الأحوال و تغيّر الأوضاع:

فقد روی عن عبدالله بن العباس قال: لما حضرت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) الوفاه بکی حتی بلّت دموعه لحيته.

فقيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟

فقال: أبكی لذريتی، و ما تصنع بهم شرار أمَّتی من بعدی، كانی بفاطمه بنتی و قد ظلمت بعدی و هی تنادی يا ابتاه فلا يعينها أحد من أمتی.

فسمعت ذلک فاطمه (عليهاالسلام) فبکت، فقال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): لا تبكينّ يا بنيّه.

فقالت: لست أبكی لما يصنع بی من بعدک، و لكننی أبكی لفراقک يا رسول الله

فقال لها: أبشری يا بنت محمد بسرعه اللحاق بی فإنک أول من يلحق بی من أهل بيتی. (۱) و عن ابن عباس عن رسول الله (صلى الله عليه و آله) أنه قال:... و إنی لما رأيتها (فاطمه) ذكرت ما يصنع بها بعدی، كأنی و قد دخل الذل بيتها و انتهكت حرمتها، و غُصب حقُّها، و مُنعت إرثها، و كسر جنبها، و أسقطت جنينها، و هی تنادی: يا محمداه. فلا تجاب، و تستغيث فلا تغاث، فلا تزال بعدی محزونه مكروبه باكيه، تتذكر انقطاع الوحی عن بيتها مره، و تتذكر فراقی أخری، و تستوحش إذا جنّها الليل لفقد صوتی

۱- ۲۳۲. بحارالانوار جلد ۴۳ ص ۱۵۶ عن الامالی للشيخ المفيد.

الذی کانت تستمع إلیه إذا تهجّدت بالقرآن ثم تری نفسها ذلیله بعد أن کانت فی أیام أبیها عزیزه.... الی آخره (۱) .

هـذا و الأخبـار و الأحادیث الوارده عن رسول الله (صـلی الله علیه و آله و سـلم) فی إخباره أهل بیته بما یجری علیهم من بعـده- کثیره جـداً- و آخر مره أخبر النبی أهـل بیته (و هم علیّ و الزهراء و الحسن و الحسـین) فی مرض موته، و قبـل وفـاته (صـلی الله علیه و آله و سلم) بساعات قلائل.

فقـد روی عن جـابر بن عبـدالله الأنصـاری قـال: قـال رسول الله (صـلی الله علیه و آله و سـلم) فی مرضه الـذی قبض فیه، لفاطمه (علیهاالسلام): بأبی و أمی أنتِ! أرسلی إلی بعلک فادعیه لی.

فقالت فاطمه للحسین أو الحسن: انطلق إلی أبیک فقل: یدعوک جدی.

فـانطلق إلیه الحسـین فـدعاه. فأقبـل علیّ بن أبی طـالب (علیه السـلام) حتی دخل علی رسول الله (صـلی الله علیه و آله و سـلم) و فاطمه عنده و هی تقول:

و اکرباه لکربک یا أبتاه!

فقال رسول الله (صـلی الله علیه و آله و سـلم): لا کرب علی أبیک بعـد الیوم یا فاطمه، و لکن قولی کما قال أبوک علی إبراهیم (۲) : تدمع العینان و قد یوجع القلب، و لا نقول ما یسخط الرب، و إنا بک یا إبراهیم لمحزونون (۳) .

و روی أن النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) دعا علیاً و فاطمه و الحسن و الحسین (علیهم السلام) و قال- لمن فی بیته-: أخرجوا عنی. و قال- لأم

۱- ۲۳۳. بحارالانوار ج ۴۳ ص ۱۷۲ عن امالی الصدوق/ ۹۹.

۲- ۲۳۴. ابراهیم بن رسول الله،و امه ماریه القبطیه، تو فی و له من العمر سنه و نصف.

۳- ۲۳۵. تفسیر فرآت بن ابراهیم، رواه عنه فی البحار ج ۲۲.

سلمه-: کونی علی الباب فلا یقربه أحد.

ثم قال لعلی-: أُدنُ منی. فدنا منه فأخذ بید فاطمه فوضعها علی صدره طویلًا و أخذ بید علیّ بیده الأخری، فلما أراد رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)الکلام غلبته عبرته، فلم یقدر علی الکلام، فبکت فاطمه بکاءً شدیداً و علیّ و الحسن و الحسین (علیهم السلام) لبکاء رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)فقالت فاطمه: یا رسول الله قد قطعت قلبی، و أحرقت کبدی لبکائک یا سید النبیین من الأولین و الآخرین، و یا أمین ربه و رسوله، و یا حبیبه و نبیّه.

مَن لولدی بعدک؟

و لذُلٍّ ینزل بی بعدک؟ مَن لعلیّ أخیک و ناصر الدین؟

من لوحی الله و أمره؟

ثم بکت و أکبّت علی وجهه فقبلته، و أکبَّ علیه علیّ و الحسن و الحسین (علیهم السلام) فرفع رأسه (صلی الله علیه و آله و سلم) إلیهم، و ید فاطمه فی یده فوضعها فی ید علیّ و قال له: یا أباالحسن ودیعه الله و ودیعه رسوله محمد عندک، فاحفظ الله واحفظنی فیها، و إنک لفاعل هذا.

یا علیّ هذه- و الله- سیده نساء أهل الجنه من الأولین و الآخرین، هذه- و الله- مریم الکبریِ (۱) .

أما- والله- ما بلغت نفسی هذا الموضع حتی سألت الله لها و لکم، فأعطانی ما سألته.

یا علیّ أنفذ ما أمرتک به فاطمه، فقد أمرتها بأشیاء أمر بها جبرئیل.

۱- ۲۳۶. ای منحیث الشبه او المنزله.

و اعلم یا علیّ أنی راضٍ عمّن رضیت عنه ابنتی فاطمه، و کذلک ربی و ملائکته.

یا علیّ: ویل لمن ظلمها، ویل لمن ابتزّها حقها، و ویل لمن هتک حرمتها...

ثم ضمّ (صلی الله علیه و آله و سلم) فاطمه إلیه و قبّل رأسها و قال: فداک أبوک یا فاطمه... الی آخره (۱) .

و روی عن الامام الصادق (علیه السلام)- فی حدیث طویل-: ان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال- لا بنته فاطمه (علیهاالسلام):....

«اما ترضین ان تنظری الی الملائکه علی ارجاء السماء ینظرون الیک و الی ما تامرین به.

و ینظرون الی بعلک قد حضر الخلائق و هو یخاصمهم عندالله، فما ترین الله صانعا بقاتل ولدک و قاتلیک و قاتل بعلک....» الی آخر الحدیث (۲) .

ان النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) یخبر ابنته- بکل صراحه- بانها سوف تقتل، کما یقتل زوجها و ولدها ایضا.

و سوف تقرا- فی فصل قادم- ما جری علی سیده النساء من المصائب و آلالام، التی ادت الی شهادتها و وفاتها.

و روی عن الامام موسی بن جعفر (علیه السلام) قال: قلت- لابی عبدالله (الصادق)(علیه السلام): الیس کان امیرالمومنین کاتب الوصیه، و رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) المملی علیه، و جبرئیل و الملائکه المقربون (علیهم السلام) شهودا؟

قال: فاطرق (الامام الصادق) طویلا (۳) ثم قال (الامام) یا اباالحسن

۱- ۲۳۷. بحارالانوار ج ۲۲/ ۴۸۴.

۲- ۲۳۸. بحار الانوار ج ۴۴ ص ۲۵۶.

۳- ۲۳۹. و فی نسخه: ملیا.

(الکاظم) قد کان ما قلت، و لکن حین نزل برسول الله (صلی الله علیه و آله) الامر [(۱)](#) نزل الوصیه من عند الله کتابا مسجلا نزل به جبرئیل مع امنا الله (تبارک و تعالی) من الملائکه.

فقال جبرئیل: یا محمد! مر باخراج من عندک. الا و صلیت، لیقبضها منا، و تشهدنا بد فعل ایاها الیه، ضامنا لها- یعنی علیها (علیه السلام).

فامر النبی (صلی الله علیه و آله) باخراج من کان فی البیت ما خلا علیا و اشهدت به علیک ملائکتی، و کفی بی- یا محمد- شهیدا؛

(قّال الامام الصادق): فارتعدت مفاصل النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فقال: یا جبرئیل؛ ربی هو السلام، و منه السلام، و الیه و یعود السلام، صدق (عزوجل) و بر، هات الکتاب.

فدفعه الیه، و امره بدفعه الی امیرالمومنین (علیه السلام) فقال له: اقراه. فقراه حرفا حرفا؛

فقال النبی: یا علی! هذا عهد ربی (تبارک و تعالی) الی، و شرطه علی، و امانته، و قد بلغت و نصحت و ادیت!

فقال علی (علیه السلام): و انا اشهد لک- بابی و امی انت- بالبلاغ و النصیحه و التصدیق علی ما قلت، و یشهد لک سمعی و بصری و لحمی و دمی!

فقال جبرئیل: و انا لکما علی ذالک من الشاهدین.

۱- ۲۴۰. لعل المقصود من الامر- هنا-: الموت.

فقال رسول الله (صلی الله علیه و آله): یا علی! اخذت و صیتی و عرفتها، و ضمنت لله ولی الوفاء بما فیها؟

فقال علی (علیه السلام): نعم بابی انت و امی، علی ضمانها، و علی الله عونی و توفیقی علی ادائها.

فقال رسول الله (صلی الله علیه و آله): یا علی! انی ارید ان اشهد علیک بموافاتی بها یوم القیامه!!

فقال علی (علیه السلام): نعم، اشهد.

فقال النبی (صلی الله علیه و اله): ان جبرئیل و میکائیل فیما بینی و بینک آلان، و هما حاضران، معهما الملائکه المقربون، لاشهد هم علیک!

فقال: نعم، لیشهدو، و انا- بابی انت و امی- اشهدهم!

فاشهدهم رسول الله (صلی الله علیه و آله).

و کان فیما اشترط علیه النبی- بامر جبرئیل (علیه السلام) فیما امر الله به (عزوجل) ان قال له:

«یا علی! تفی بما فیها من موالاه من والی الله و رسوله، و البرائه و العداوه لمن عادی الله و رسوله، و بالبرائه منهم علی الصبر منک (و) علی کظم الغیظ، و علی ذهاب حقی، و غصب خمسک (۱) و انتهاک حرمتک؟

فقال: نعم، یا رسول الله.

قال امیرالمومنین (علیه السلام): و الذی فلق الحبه، و برا النسمه. لقد سمعت جبرئیل (علیه السلام) یقول للنبی:

«یا محمد! عرفه انه ینتهک الحرمه، و هی حرمه الله، و حرمه رسول الله (صلی الله علیه و آله) و علی ان تخضب لحیته من راسه بدم عبیط!».

ص: ۲۴۸

۱- ۲۴۱. و فی نسخه: غصبک.

قال امیرالمومنین (علیه السلام) فصعقت حین فهمت الکلمه من الامین جبرئیل حتبی تسقط علی وججهی، و قلت:

«نعم، قبلت و رضیت، و ان انتهکت الحرمه! و عطلت السنن، و مزق الکتاب (القران) و هدمت الکعبه، و خضبت لحیتی من راسی بدم عبیط، محتسباابدا، حتی اقدم علیک».

ثم دعا رسول الله (صلی الله علیه و آله): فاطمه و الحسن و الحسین و اعلمهم مثل ما اعلم امیرالمومنین فقالوا مثل قوله؛

فختمت الوصیه بخواتیم من ذهب لم تمسه النار، و دفعت ای امیرالمومنین (علیه السلام).

قال الراوی: فقلت لابی الحسن (الکاظم) (علیه السلام): بابی انت و امی! الا تذکر ما کان فی الوصیه؟

فقال: سنن الله و سنن رسوله.

فقلت: اکان فی الوصیه توثبهم (۱) و خلافهم علی امیرالمومنین (علیه السلام)؟

فقال: نعم، والله، شیئا شیئا، و حرفا حرفا، اما سعت قول الله (عزوجل): «انا نحن الموتی و نکتب ما قدمنوا و آثارهم و کل شی احصیناه فی امام مبین»؟

والله لقد قال رسول الله (صلی الله علیه و اله) لامیرالمومنین و فاطمه (علیهماالسلام): الیس قد فهمتما ما تقدمت به الیکما و قبلتماه؟

فقالا: بلی، و صبرنا علی ما ساءنا و غاظنا (۲) کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فی تلک الساعه الاخیره

۱- ۲۴۲. التوثب: الاستیلاء علی الشی ظلما.

۲- ۲۴۳. الکافی ج ۱ ص ۲۸۱.

واضعاً رأسه على صدر علىّ (عليه السلام) و قلبه لا يطاوعه إلاّ أن يضمّ فاطمه إلى صدره مره بعد مره و دموعه تجرى كالمطر حتى ابتلت لحيته الشريفه و ابتلت الملاءه التى كانت عليه، و أقبل الحسن و الحسين يقبلان قدميه و يبكيان بأعلى أصواتهما

و أراد علىّ (عليه السلام) أن يرفعهما، فقال النبى (صلى الله عليه و آله و سلم): دَعهما يشمّانى و أشمّهما، و يتزوّدا منى و أتزوّد منهما، فسيلقيان من بعدى زلزالاً، و أمراً عضالاً، فلعن الله من يحيفهما، اللهم إنى أستودعكهما و صالح المؤمنين.

و لا تسأل عن بكاء السيده فاطمه الزهراء فى تلك اللحظات و هى ترى أباها الرسول العظيم و والدها البار العطوف الحنون على أعتاب المنيّه، فكانت تخاطب أباها بدموع جاريه: نفسى لنفسك الفداء و وجهى لوجهك الوقاء.

يا أبتاه ألا تكلمنى كلمه فإنى أنظر إليك و أراك مفارق الدنيا، و أرى عساكر الموت تغشاك شديداً.

فقال لها: بُنيه إنى مفارقك، فسلام عليك منى.

و فى كشف الغمه. ثم قال (صلى الله عليه و آله و سلم): يا بنيه أنتِ المظلومه بعدى! و أنت المستضعفه بعدى، فمن آذاك فقد آذانى، و من جفاكِ فقد جفانى، و من وصلك فقد وصلنى، و من قطعك فقد قطعنى، و من أنصفك فقد أنصفنى، لأنك منى و أنا منك، و أنت بضعه منى و روحى التى بين جَنبىّ.

ثم قال: إلى الله أشكو ظالميك من أمتى.

فما مضت سوى فتره قصيره إذ قام علىّ (عليه السلام) قائلاً: أعظم الله أجوركم فى نبيكم فقد قبضه الله إليه.

ص: ۲۵۰

فارتفعت الأصوات بالضجه و البكاء، فكان أعظم يوم فى تاريخ البشر، و أوجع صدمه على قلوب المسلمين، و لم ير يوم أكثر باكياً و باكيه من ذلك اليوم.

و هكذا مرّت تلك الساعه المُره العصيبه التى كانت أصعب ساعه فى حياه الزهراء. فكيف انقضت تلك الدقائق على قلب فاطمه و هى ترى أباها مسجّى لا حراك به؟!

فكانت الزهراء تقول: يا أبتاه من ربه ما أدناه!

وا أبتاه جنه الفردوس مأواه!

وا أبتاه إلى جبرئيل ننعاه!

وا أبتاه أجاب ربّاً دعاهِ (۱) .

و كان علىّ يقول: يا رسول الله!

و الحسنان يبكيان و يقولان: واجدّاه واجدّاهِ (۲) .

و قام علىّ (عليه السلام) بتغسيل الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و تحنيطه و تكفينه و حضر وقت الصلاه عليه، فكانت السيده فاطمه الزهراء من جمله المصلّين على جثمان أبيها العظيم فى الوجبه الأولىِ (۳) .

و إلى أن دفن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) كان بكاء الزهراء مستمراً متصلاً و رجعت إلى بيتها و اجتمعت النساء فقالت: إنا لله و إنا إليه راجعون، انقطع عنا خبر السماء.

ثم قالت فى مرثيه أبيها أبياتاً نذكرها قريباً.

ص: ۲۵۱

۱- ۲۴۴. البخارى ج ۵ ص ۱۵.

۲- ۲۴۵. المنتقى ص ۱۷۸.

۳- ۲۴۶. الاحتجاج،للطبرسى.

و قالت لأنس بن مالک-: أطابت نفوسکم أن تحثّوا علی رسول الله التراب؟

و فی کشف الغمه عن الإمام الباقر (علیه السلام): ما رؤیت فاطمه (علیهاالسلام)ضاحکه مستبشره منذ قُبض رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) حتی قُبضت.

و فی روایه أخری: إلاّ یوماً افترت بطرف نابها (۱) .

و عن عمران بن دینار: إن فاطمه لم تضحک بعد النبی حتی قُبضت لِما لحقها من شده الحزن علی أبیها (صلی الله علیه و آله و سلم).

ص: ۲۵۲

۱- ۲۴۷. ای ابتسمت ابتسامه خفیفه.

فاطمه الزهراء بعد وفاه الرسول

فی کل یوم من أیام الدنیا آباء یموتون، و بناتهم یُفجعن بهم، و یبکین فی مصابهم، و یحزنّ لفقدهم إلَّا أن نسبه الحزن و البکاء و ألم المصیبه تختلف باختلاف الآباء و البنات، و باختلاف العلاقات الودیه بین الأب و ابنته، فهناک العدد الکثیر من البنات اللاتی لا نصیب لهن من الآباء إلّا الأبوه، فلا عطف و لا حنان و لا عطف، فکأنه لا معرفه بینهما و لا صله.

و هناک آباء یمطرون بناتهم بالعطف و الدلال و الاحترام و المحافظه علی البنت لئلا تنخدش عواطفها. و لئلا یحدث شی ء یمس بکرامتها.

و یجد الأب من ابنته نفس الشعور المتبادل و الاحترام و التقدیر.

و فی هذه الصوره تکون العلاقات الودیه بین الأب و ابنته و ثیقه جداً، و علی هذا تکون مصیبه الأب علی قلب ابنته ألیمه و عمیقه.

و قد مر علیک موقف رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) من ابنته الطاهره فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) و سوف یسهل علیک أن تدرک بان علاقه السیده فاطمه الزهراء بأبیها الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) و محبتها إیاه لم تکن بدافع الأبوه و النبوه فقط، بل کانت السیده فاطمه تعتبره أباً عطوفاً، و والداً رؤوفاً، شفیقاً رحیماً.

و فی الوقت نفسه تعتبره رسول الله، و سید الأنبیاء و المرسلین، فهی تحترم أباها کما تحترم المرأه المسلمه المومنه العارفه نبیّها، و تعظّمه أقصی

ص: ۲۵۳

أنواع التعظيم، و أعلى درجات التفخيم و التجليل.

و السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) أعلم امرأه فى الإسلام، و أعرف أنثى بعظمه نبى الإسلام.

و بعد هذه المقدمه يتضح لنا أن مصيبه وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) سلبت عن ابنته البّاره كل قرار و استقرار، و كل هدوء و سكون.

فالزهراء تعرف عِظم المصاب، و مدى تأثير الواقعه فى الموجودات كلها.

و هنا تحدثنا فضّه خادمه الزهراء عن الحزن المسيطر على السيده فاطمه بسبب وفاه أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) قالت:

«و لما توفى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) افتجع له الصغير و الكبير و كثر عليه البكاء، و عظُم رزؤه على الأقرباء و الأصحاب و الأولياء و الأحباب، و الغرباء و الأنساب.

و لم تلق إلاّـ كل باكٍ و باكيه، و نادب و نادبه، و لم يكن فى أهل الأرض و الأصحاب و الأقرباء و الأحباب أشدّ حزناً و أعظم بكاءًا و انتحاباً من السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) و كان حزنها يتجدد و يزيد، و بكاؤها يشتد، فجلست سبعه أيام لا يهدأ لها أنين، و لا يسكن منها الحنين، و كل يوم كان بكاؤها أكثر من اليوم الذى قبله.

فلما كان اليوم الثامن أبدت ما كتمت من الحزن، فلم تطق صبراً، إذ خرجت و صرخت، و ضجَّ الناس بالبكاء، فتبادرت النسوه، و أطفئت المصابيح لكيلا تتبين وجوه النساء.

كانت السيده فاطمه تنادى و تندب أباها قائله:

وا أبتاه! وا صفياه، وا محمداه! وا أباالقاسماه! وا ربيع الأرامل و اليتامى!مَن للقبله و المصلّى؟

و مَن لا بنتک الوالهه الثکلی؟

ثم أقبلت تعثر فی أذیالها، و هی لا تبصر شیئاً من عبرتها، و من تواتر دمعتها،حتی دنت من قبر أبیها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فلما نظرت إلی الحجره و وقع طرفها علی المئاذنه أغمی علیها، فتبادرت النسوه، فنضحن الماء علیها و علی صدرها، و جبینها حتی أفاقت، فقامت و هی تقول:

رُفعت قوتی، و خاننی جَلَدی، و شمت بی عدوی، و الکمد قاتلی. یا أبتاه بقیت و الهه وحیده، و حیرانه فریده.

فقد انخمد صوتی، و انقطع ظهری، و تنغَّص عیشی، و تکدَّر دهری. فما أجد- یا أبتاه- بعدک أنیساً لوحشتی، و لا راداً لدمعتی، و لا معیناً لضعفی، فقد فنی بعدک محکم التنزیل، و مهبط جبرئیل، و محل میکائیل.

انقلبت- بعدک- یا أبتاه الأسباب.

و تغلَّقت دونی الأبواب.

فأنا للدنیا بعدک قالیه، و علیک- ما تردّدت أنفاسی- باکیه.

لا ینفد شوقی إلیک، و لا حزنی علیک.

إنّ حزنی علیک حزن جدید

و فؤادی و الله صبّ عنید

کل یوم یزید فیه شجونی

و اکتیابی علیک لیس یبید

جلّ خطبی، فبان عنی عزائی

فبکائی فی کل وقت جدید

ان قلبا علیک یألف صبراً

أو عزاء فإنه لجلید

ثم نادت:

یا أبتاه، انقطعت بک الدنیا بأنوارها، و ذوتْ زهرتها.

و كانت ببهجتك زاهره.

يا أبتاه! لا زلت آسفه عليك إلى التلاق.

يا ابتاه! زال غمضى منذ حقَّ الفراق.

يا أبتاه! مَن للأرامل و المساكين؟

و مَن للأمه إلى يوم الدين؟

يا أبتاه! أمسينا بعدک من المستضعفين!

يا أبتاه! أصبحت الناس عنا معرضين!

و لقد کنَّا بک معظَّمين فى الناس غير مستضعفين!

فأى دمعه لفراقک لا تنهمل؟

و أى حزن بعدک لا يتصل؟

و أى جفن بعدک بالنوم يکتحل؟

و أنت ربيع الدين، و نور النبيين

فکيف بالجبال لا تمور؟ و للبحار بعدک لا تغور؟

و الأرض کيف لم تتزلزل؟

رُميتُ- يا أبتاه- بالخطب الجليل

و لم تکن الرزيه بالقليل

و طُرِقتُ- يا أبتاه- بالمصاب العظيم، و بالفادح المهول

بکتک- يا أبتاه- الأملاک

و وقفتِ الأفلاک

فمنبرک بعدک مستوحش

و محرابک خال من مناجاتک

و قبرک فرِحٌ بمواراتک

و الجنه مشتاقه إلیک و إلی دعائک و صلاتک

یا أبتاه ما أعظم ظلمه مجالسک!!

فوا أسفاه علیک إلی أن أقدم عاجلاً علیک

ص: ۲۵۶

و أَثكل أبوالحسن المؤتمن، أبوولديك الحسن و الحسين.

و أخوك و وليك، و حبيبك، و من ربيّته صغيراً و آخيته كبيراً.

و أحلى أحبابك و أصحابك إليك

من كان منهم سابقاً و مهاجراً و ناصراً

و الثكل شاملنا! و البكاء قاتلنا! و الأسى لازمنا

ثم زفرت، و أنَّت أنيناً يخدش القلوب ثم قالت:

قلَّ صبرى و بان عنى عزائى

بعد فقدى لخاتم الأنبياء

عين يا عين اسكبى الدمع سحاً

و يك لا تبخلى بفيض الدماء

يا رسول الإله يا خيره الله

و كهف الأيتام و الضعفاء

قد بكتك الجبال و الوحش جمعاً

و الطير والأرض بعد بكى السماء

و بكاك الحجون و الركن و المشعر

يا سيدى، مع البطحاء

و بكاك المحراب و الدرس

للقرآن فى الصبح معلناً و المساء

و بكاك الإسلام إذ صار فى الناس

غريباً من سائر الغرباء

لو ترى المنبر الذی کنت تعلوه

علاه الظلام بعد الضیاء

یا إلهی عجّل وفاتی سریعاً

(فلقد عِفْتُ الحیاه یا مولائی)

و أخذت فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) شیئاً من تراب قبر أبیها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و جعلت تشمّه و هی تقول:

ماذا علی من شمّ تربه أحمد

إن لا یشمّ مدی الزمان غوالیا

قل للمغیّب تحت أطباق الثری

إن کنت تسمع صرختی و ندائیا

صُبَّت علیَّ مصائب لو أنها

صُبَّت علی الأیام صرن لیالیا

قد کنت ذات حمی بظلّ محمد

لا أخش من ضیم و کان حمیً لیا

فالیوم أخضع للذلیل و أتّقی

ضیمی، و أدفع ظالمی بردائیا

فإذا بكت قمريه فى ليلها

شجناً على غصن بكيت صباحيا

فلأ جعلن الحزن بعدك مؤنسى

و لأ جعلن الدمع فيك وِ شاحيا (١) .

و روى زينى دحلان فى السيره النبويه هذه الأبيات لها فى رثاء أبيها بعد دفنه (صلى الله عليه و آله و سلم):

اغبرَّ آفاق السماء و كوّرت

شمس النهار و أظلم العصران

و الأرض من بعد النبى كئيبه

أسفا عليه كثيره الرجفان

فليبكه شرق البلاد و غربها

و ليبكه مضر و كل يمانى

و ليبكه الطود المعظم جوّه

و البيت ذو الأستار و الأركان

يا خاتم الرسل المبارك ضوؤه

صلّى عليك منزّل القرآن

ثم رجعت إلى منزلها، و أخذت بالبكاء و العويل.

و كانت (سلام الله عليها) معصبه الرأس، ناحله الجسم منهدّه الركن، باكيه العين،محترقه القلب، يغشى عليها ساعه بعد ساعه.

و تقول لولديها: أين أبوكما الذى كان يكرمكما و يحملكما مره بعد مره؟

أين أبوكما الذى كان أشد الناس شفقه عليكما، فلا يدعكما تمشيان على الأرض؟

لا أراه يفتح هذا الباب أبداً، و لا يحملكما على عاتقه، كما لم يزل يفعل بكما!!

و لما توفی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) امتنع بلال من الأذان قال:لا أؤذان لأحد بعد رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

و إن فاطمه (علیهاالسلام) قالت ذات یوم: إنی أشتهی أن أسمع

۱- ۲۴۸. بحارالانوار ج ۴۳.

صوت مؤذن أبی (صلی الله علیه و آله و سلم) بالأذان.

فبلغ ذلک بلالاً فأخذ فی الأذان فلما قال: الله أکبر الله أکبر ذکرت أباها و أیامه، فلم تتمالک من البکاء.

فلما بلغ إلی قوله: أشهد أن محمداً رسول الله شهقت فاطمه (علیهاالسلام) و سقطت لوجهها و غشی علیها.

فقال الناس لبلال: أمسک یا بلال فقد فارقت ابنه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) الدنیا، و ظنوا أنها قد ماتت؟ فقطع أذانه، و لم یتمّه،

فأفاقت فاطمه (علیهاالسلام) و سألته أن یتمّ الأذان فلم یفعل و قال لها: یا سیده النسوان إنی أخشی علیک مما تنزلینه بنفسک إذا سمعت صوتی بالأذان. فأعفته عن ذلکِ (۱) .

قال أمیرالمؤمنین (علیه السلام): غسلت النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) فی قمیصه. فکانت فاطمه تقول: أرنی القمیص. فإذا شمّته غشی علیها. فلما رأیت ذلک غیّبتهِ (۲) .

و روی عن الامام جعفر صادق (علیه السلام) انه قال عاشت فاطمه بعد رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) خمسه و سبعین یوما، لم ترکا شره و لا ضاحکه،تاتی قبور الشهداء فی کل جمعه مرتین: الاثنین و الخمیس، فتقول: ها هنا کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) کانت فاطمه (علیهاالسلام) تاتی قبور الشهداء و تاتی قبر حمزه

۱- ۲۴۹. بحارالانوار جلد ۴۳ عن من لا یحضره الفقیه.

۲- ۲۵۰. مقتل الحسین للخوارزمی.

و تبکی هناک.

فلما کان فی بعض الایام اتیت قبر حمزه فوجدتها تبکی هناک، فامهلتها حتی سکنت، فاتیتها و سلمت علیها و قلت: یا سیده النسوان قد-

و الله- قطعت نیاط قلبی من بکائک.

فقالت: یا اباعمرو، و یحق لی البکاء، فلقد اصبت بخیر الاباء: رسول الله.

و اشوقاه الی رسول الله.

ثم انشات تقول:

اذا مات یوما میت قل ذکره

و ذکر ابی مذمات، والله، اکثر (۱) .

اقول: المستفاد من التاریخ و الاحادیث انا السیده فاطمه (علیهاالسلام) کانت تبکی- علی ابیها- فی بیتها، فلما منعوها عن البکاء، خرجت الی احد، فلما اشتد بها المرض صعب علیهاالخروج الی احد،فکانت تخرج الی البقیع و بیت الاحزان- کما ستقرا ذالک-.

ص: ۲۶۰

۱- ۲۵۱. بیت الاحزان للقمی ص ۱۴۱.

فاطمه الزهراء فی مهب الأعاصیر

أیها القارئ:

لقد وصلنا- فی حدیثنا هذا- إلی موضع حساس جداً، حساس تاریخیاً و دینیاً و عقائدیاً، و لا أعلم ما یکون صدی هذه الجملات التی سأذکرها هنا؟!

و لا أعلم ردود الفعل التی تنشأ من مطالعه هذه الکلمات؟!

و لا أعرف نوعیه الحکم الذی سیحکم به القارئ علیَّ؟!

و ما هی التهم التی سیوجّهها إلیَّ؟

الطائفیه؟ التفرقه؟ إثاره الفتنه؟ المسّ بکرامه الصحابه؟ و غیرها من الکلمات التی سأحظی بها من حضرات المطالعین!!

و لعلک- أیها القارئ- لا ترضی بهذه الحقائق، و تظنها کذباً و افتراءً ثم تحکم علیَّ حکماً غیابیاً بما جاد به لسانک و قلمک.

لا- یهمنی هذا بمقدار ما یهمنی أن تعلم أننی لا أذکر لک- هنا- شیئاً من المصادر الشیعیه، و لا من کتب الإمامیه و إنما أذکر لک بعض القضایا من مصادر سُنیه بحته محضه فقط، معتبره عند أهل السنه و الجماعه.

فإن کانت هذه الأخبار صحیحه و صادقه فنعم المطلوب.

و إن کانت سقیمه أی غیر صحیحه فلیست المسؤولیه علیَّ.

و إنما المسؤولیه علی تلک المصادر.

و بعباره أخری: لیس الذنب ذنبی، بل الذنب ذنب التاریخ الذی ذکر

ص: ۲۶۱

هذه الوقائع

و لو لا ثبوتها عند علماء السنه القدامى لما ذكروها فى صحاحهم المعتبره عندهم، المعتمده لديهم.

أيها القارئ:

أعود لأقول كلمتى الأخيره، ثم أدخل فى صميم الموضوع:

أقول: إننى أذكر لك المصادر و المدارك التاريخيه، فا لأفضل أن تراجعها كى تتأكد من صحه القول و النقل.

و بعد مطالعه هذا الفصل لك الحريه فى اختيار موقفك تجاه هذه الأحداث و تبقى أنت و ضميرك الحى، و وجدانک- و هو الذى تجده فى قراره نفسک- و ديانتک التى أنت معتنقها، و إيمانك بالله الذى أنت لاقيه، و الحق الذى هو فوق العاطفه و الميول و التقاليد.

و كم يؤسفنى أنى لا أملك حريه القلم و البيان لأسجل على هذه الصفحات الأحداث المؤلمه، و الظروف العصبيه، و العواصف الزعازع، و الساعات الحرجه التى مرت بآل الرسول و عترته الطيبه فى أقل من أسبوع من بعد وفاه (صلى الله عليه و آله و سلم).

نعم.. الحريه ممنوحه لكل أحد و لكل فئه إلا لآل رسول الله!!

و حريه الصحافه المتعارفه فى زماننا، و حريه الدفاع المسموح بها فى جميع المحاكم فى العالم، و حريه الرأى و الفكر المغترف بها فى الدول، هذه الحريات بكافه أنواعها موجوده، و لكن التحدث عن مصائب آل الرسول و تسجيل آلامهم و مآسيهم يعتبر ذنباً لا يغفر..

و الآن استمع إلى مايلى:

ذكر الأستاذ الفذ عبد الفتاح عبد المقصود فى كتابه (الإمام علىّ بن أبى طالب) ص ۲۲۵:

ص: ۲۶۲

(... و اجتمعت جموعهم- آونه فى الخفاء و آخرى على ملاء- يدعون إلى ابن أبى طالب لأنهم رأوه أولى الناس بأن يلى أمور الناس، ثم تألبوا حول داره يهتفون باسمه و يدعونه أن يخرج إليهم ليردوا عليه تراثه المسلوب... فإذا المسلمون أمام هذا الحدث محالف أو نصير، و إذا بالمدينه حزبان، و إذا بالوحده المرجوَّه شقان أوشكا على انفصال، ثم لا يعرف غير الله ما سوف تؤول إليه فى نظر ابن الخطاب بالقتل حتى لا تكون فتنه و لا يكون انقسام؟!

كان هذا أولى بعنف عمر إلى جانب غيرته على وحده الإسلام، و به تحدّث الناس و لهجت الألسن كاشفه عن خلجات خواطر جرت فيها الظنون مجرى اليقين، فما كان لرجل أن يحزم أو يعلم سريره ابن الخطاب، و لكنهم جميعاً ساروا وراء الخيال، و لهم سند مما عرف عن الرجل دائماً من عنف و من دفعات و لعل فيهم مّن سبق بذهنه الحوادث على متن الاستقراء، فرأى بعين الخيال قبل رأى العيون، ثبات علىّ أمام و عيد عمر لو تقدم هذا منه يطلب رضاءه و إقراره لأبى بكر بحقه فى الخلافه، و لعله تمادى قليلاً فى تصور نتائج هذا الموقف و تخيّل عقباه فعاد بنتيجه لازمه لا معدّى عنها، هى خروج عمر عن الجاده، و أخذ هذا المخالف العنيد بالعنف و الشدَّه!

و كذلك سبقت الشائعات خطوات ابن الخطاب ذلك النهار، و هو يسير فى جمع من صحبه و معاونيه إلى دار فاطمه، و فى باله أن يحمل ابن عمّ رسول الله- إن طوعاً و إن كرهاً- على إقرار ما أباه حتى الآن.

و تحدث أناس بأن السيف سيكون وحده متن الطاعه!... و تحدث آخرون بأن السيف سوف يلقى السيف!..

ثم تحدث غير هؤلاء و هؤلاء بأن «النار» هى الوسيله المثلى إلى حفظ الوحده و إلى (الرضا) و الإقرار!... و هل على ألسنه الناس عقال يمنعها أن

تروی قصه حطب أمر به ابن الخطاب فأحاط بدار فاطمه، و فیها علیّ و صحبه، لیکون عده الإقناع أو عده الإیقاع؟....

علی أن مثل الأحادیث جمیعها و معها الخطط المدبره أو المرتجله کانت کمثل الزبد، أسرع إلی ذهاب و معها دفعه ابن الخطاب!...

أقبل الرجل، محنقاً مندلع الثوره علی دار علیّ و قد ظاهر معاونوه و من جاء بهم فاقتحموه أو أوشکوا علی فاقتحموها او او شکوا علی اقتحام، فإذا وجه کوجه رسول الله یبدو بالباب حائلًا من حزن، علی قسماته خطوط آلام، و فی عینیه لمعات دمع، و فوق جبینه عبسه غضب فائر و حنق ثائر...

و توقف عمر من خشیه و راحت دفعته شعاعاً. و توقف خلفه- أمام الباب- صحبه الذین جاء بهم، إذ رأوا حیالهم صوره الرسول تطالعهم من خلال وجه حبیبته الزهراء و غضوا الأبصار من خزی أو من استحیاء، ثم ولت عنهم عزمات القلوب، و هم یشهدون فاطمه تتحرک کالخیال، وئیداً وئیداً بخطواتها المحزونه الثکلی، فتقترب من ناحیه قبر أبیها... و شخصت منهم الأنظار و أرهفت الأسماع إلیها، و هی ترفع صوتها الرقیق الحزین النبرات، تهتف بمحمد الثاوی بقربها، تنادیه باکیه مریره البکاء:

یا أبت یا رسول الله!... یا أبت یا رسول الله!...

فکأنما زلزلت الأرض تحت هذا الجمع الباغی، من رهبه النداء...

و راحت الزهراء و هی تستقبل المثوی الطاهر، تستنجد بهذا الغائب الحاضر: «یا أبت یا رسول الله!... ماذا لقینا بعدک من ابن الخطاب، و ابن أبی قحافه!؟...».فما ترکت کلماتها إلاّ قلوباً صدعها الحزن، و عیوناً جرت دمعاً و رجالاً و دّوا لو استطاعوا أن یشقوا مواطئ أقدامهم لیذهبوا فی طوایا الثری مغیّبین...) الی آخر کلامه.

ص: ۲۶۴

اقتطفنا هذه الجملات من كتاب الأستاذ عبدالفتاح الكاتب المصرى المعاصر.

و أما ما ذكره المؤرخون القدامى، و المحدّثون المتقدمون فهاك بعض أقوالهم حول الموضوع:

فى العقد الفريد ج ۲ ص ۲۵۰ و تاريخ أبى الفداء ج ۱ ص ۱۵۶ و أعلام النساء ج ۳ ص ۱۲۰۷: «و بعث إليهم أبوبكر عمر بن الخطاب و قال لهم: فإن أبوا فقاتلهم. و أقبل عمر بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمه فقالت: يا بن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟

قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمه».

و فى تاريخ الطبرى ج ۳ ص ۱۹۸ و الإمامه و السياسيه ج ۱ ص ۱۳ و شرح ابن أبى الحديد ج ۱ ص ۱۳۴: دعا بالحطب و قال: و الله لتحرقن عليكم أو لتخرجنّ إلى البيعه-: أو: لتخرجنّ إلى البيعه أو لأ حرقنها على من فيها- فيقال للرجل: إن فيها فاطمه فيقول: و إن!!

و ذكر ابن قتيبه (۱) فى (الإمامه والسياسه) ص ۱۹: كيف كانت بيعه علىّ بن أبى طالب (كرم الله وجهه).

قال: و إن! أبابكر (رضى الله عنه) تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علىّ (كرم الله وجهه) فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم و هم فى دار علىّ، فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب و قال: والذى نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنها على من فيها

---

۱ – ۲۵۲. هو الامام الفقيه ابومحمد عبدالله بن مسلم بن قتيبه الدينورى، من علماء القرن الثالث هجرى، له كتب كثيره، و من اشهرها هو هذا الكتاب المعروف بتاريخ الخلفاء و قد طبع عده مرات فى مصر و العراق و لبنان.

فقيل له: يا أباحفص إن فيها فاطمه!

قال: و إن!

فخرجوا فبايعوا إلاّـ علياً فإنه زعم أنه قال: حلفت أن لا أخرج و لا أضع ثوبى (۱) على عاتقى حتى أجمع القرآن. فوقفت فاطمه (رضى الله عنها) على بابها و قالت: لا عهد لى بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) جنازه بين أيدينا و قطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا و لم تردوا (۲) تروا- لنا حقاً؟!

و يقول محمد حافظ إبراهيم (شاعر النيل) فى قصيدته العمريه:

و قوله لعلىّ قالها عمر

أكرم بسامعها أعظم بملقيها

حرّقت دارك لا بقى عليك بها

إن لم تبايع و بنت المصطفى فيها

ما كان غير أبى حفصٍ يفوه بها

أمام فارس عدنان و حاميها

و ذكر مصطفى بك الدمياطى فى شرحه على هذه القصيده ص ۳۸: و فى روايه لابن جرير الطبرى قال: حدثنا جرير عن مغيره عن زياد بن كليب قال: أتى عمر بن الخطاب منزل علىّ و به طلحه و الزبير و رجال من المهاجرين فقال: و الله لأحرقن عليكم أو لتخرجن إلى البيعه فخرج عليه الزبير معلناً بالسيف فسقط السيف من يده، فوثبوا عليه فأخذوه.... الى آخر كلامه.

و قد روى الشهرستانى (۳) عن النّظام قال: إن عمر ضرب بطن فاطمه

۱- ۲۵۳. و فى نسخه: ردائى.

۲- ۲۵۴. و فى نسخه: ردائى.

۳- ۲۵۵. هو الامام الفقيه محمد بن عبدالكريم الشهرستانى، الشافعى، المذهب، من علماء القرن السادس الهجرى، و له كتب كثيره، و من اشهرها: كتاب الملل و النحل، و قد طبع عده مرات فى مصر و لبنان و العراق و غيرها.

یوم البیعه حتی ألقت الجنین (المحسن) من بطنها، و کان یصیح: أحرقوا دارها بمن فیها. و کان فی الدار غیر علیّ و فاطمه و الحسن و الحسین (۱) .

و روی مثل ذلک البلاذری فی (أنساب الأشراف) ج ۱ ص ۴۰۴.، و الصدفی الشافعی فی کتاب الوافی بالوفیات ج ۵ ص ۳۴۷.

و ذکر ابن خذابه- أو خرذابه-: قال زید بن أسلم: کنت ممن حمل الحطب مع عمر إلی باب فاطمه حین امتنع علیّ و أصحابه عن البیعه، فقال عمر لفاطمه: أخرجی من البیت أو لأ حرقنه و مَن فیه!!!

قال: فی البیت علیّ و فاطمه و الحسن و الحسین و جماعه من أصحاب النبی.

فقالت فاطمه: أفتحرق علیَّ وُلدی؟

فقال: أی والله أو لیخرجنَّ ولیبایعنَّ!!

هذا ما ظفرت به من المصادر المذکوره فی کتب أهل السنه و الجماعه، و لعل غیری یجد أکثر من هذه المصادر فی کتب التواریخ.

بعد استعراض هذه النصوص التاریخیه انکشف لنا موقف بعض المسلمین تجاه أهل بیت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و اتضح لنا أن بعض الأفراد لم یراعوا حرمه السیده فاطمه الزهراء و لا حرمه بیتها، و لا راقبوا کرامه زوجها أمیرالمؤمنین علیّ، و لا کرامه ولدیها، الحسن و الحسین (علیهماالسلام) و لم یحفظوا فیهم حرمه الرسول الأعظم.

۱- ۲۵۶. الملل و النخل، الباب الاول، الفرقه النظامیه ص ۸۳.

فقد عرفنا من هذه النصوص أن العصابه جاءت لإخراج الإمام علیّ من بیته لیبایع أبابکر، و قد سمعنا منهم التهدید بإحراق البیت و کل من فیه من آل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

ما کانت السیده فاطمه الزهراء تنتظر أن تری فی حیاتها یوماً کذلک الیوم، و مأساه کتلک المأساه، و إن کان أبوها الرسول قد أخبرها بذلک إجمالاً أو تفصیلاً، و لکن السماع شی ء و الرؤیه شی ء آخر، و تأثیر المصیبه یختلف سماعاً و رؤیه.

إن کانت السیده فاطمه قد سمعت من أبیها الرسول أن الأمور سوف تنقلب علیها، و أن الأحقاد سوف تظهر بعد وفاه (صلی الله علیه و آله و سلم) فإنها قد شاهدت بعینها تلک الأحداث فقد هجم القوم علی عرینها لیخرجوا زوجها من ذلک البیت الذی ما کان الرسول یدخله إلا بعد الاستئذان من فاطمه.

لا تستطیع الزهراء أن تسکت و تقف موقف المتفرجه.

و أیه عائله تسکت أو تهدأ إذا رأت عصابه ترید الهجوم علی بیتها لإخراج رئیس العائله؟

فالخوف و الذعر و الاضطراب یبلغ أشدّه، و یسلب من العائله کلّ استقرار و هدوء،فا لأطفال یصرخون باکین من هول الموقف، و الأصوات ترتفع فی تلک اللحظات الرهیبه.

کانت السیده فاطمه- قبل هجوم القوم خلف الباب و قد عصّبت رأسها بعصابه، و لم یکن علیها خمار، فلما هجم القوم لاذت السیده فاطمه خلف الباب لتستر نفسها عن أولئک الرجال، فعصروها عصره شدیده، و کانت حاملاً فی الشهر السادس من حملها.

و هنا صرخت السیده صرخه من شده الألم، لأن جنینها قُتل من

صـدمه الباب، و لا تسأل عن مسـمار الباب الـذی نبت فی صدرها بسـبب عصـره الباب. و فی تلک اللحظات کان القوم قد ألقوا القبض علی الإمام علی و هم یریدون إخراجه من البیت، و هنا حالت السیده فاطمه بین القوم و بین أن یُخرجوا زوجها بالرغم من الألم الشدید و اضطراب الجنین فی أحشائها.

و هنا صدر الأمر بضرب فاطمه حبیبه رسول الله و عزیزته.

إن أولاد فاطمه الزهراء الذین شاهدوا المعرکه هکذا یقولون:

لقد قد خاطب الإمام الحسن (علیه السـلام) المغیره بن شـعبه فی مجلس معاویه بقوله: «و أنت ضـربت فاطمه بنت رسول الله حتی أدمیتهـا، و ألقت مـا فی بطنها، اسـتذلالاً منک لرسول الله، و مخالفه منک لأمره، و انتهاکاً لحرمته، و قـد قال لها رسول الله: «أنت سیده نساء أهل الجنه» و الله مصیّرک إلی النار... الی آخر کلامه (۱) .

و فی کتاب سلیم بن قیس «... فاقبل عمر و ضرب الباب و نادی:

یابن ابی طالب افتح الباب.

فقالت فاطمه (علیهاالسلام): یا عمر مالنا و لک، لا تدعنا و ما نحن فیه؟

فقال:افتحی الباب، و الا احرقنا علیکم!

فقالت (علیهاالسلام):یاعمر اما تتقی الله (عز و جل) تدخل علی بیتی و تهجم علی داری؟!

فابی ان ینصـرف، ثم دعی عمر بالنار فاضـرمها فی الباب ثم دفعه عمر،فاسـتقبلته فاطمه (علیهاالسلام) و صاحت: یا ابتاه یا رسول الله!!

۱- ۲۵۷. الاحتجاج ۱۳۷ والبحار ج ۴۳.

فرفع عمرسیف- و هو فی غمده- فوجابه جنبها، فصرخت.

فرفع السوط فضرب به ذرعها، فصاحت: یا ابتاه لبئس ما خلفک ابوبکر و عمر.

فوثب علی بن ابی طالب (علیه السلام)فاخذ بتلابیب عمر (۱) ثم هزه فصرعه و وجا انفه و رقبته (۲) و هم بقتله، فذکر قول رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و ما اوصاه من الصبر و الطاعه فقال: «والذی کرم محمدا بالنبوه- یا بن صحاک!- لو لا کتاب من الله سبق،و عهد عهد الی رسول الله لعنمت انک لا تدخل بیتی...

فارسل عمریستغیث، فاقبل الناس حتی دخلو الدار، فکاثروه (۳) و القو فی عنقه حبلا.

فحالت بینهم و بینه فاطمه (علیهاالسلام) عند باب البیت،- فضربها قنفذ بالسوط، فماتت- حین ماتت- و إن فی عضدها کمثل الدملج (۴) من ضربته، فألجأها إلی عضاده بیتها و دفعها، فکسر ضلعاً من جنبها، فألقت جنیناً من بطنها.

فلم تزل صاحبه فراش، حتی ماتت من ذالک شهیده).

و فی کتاب ارشاد القلوب: عن الزهرا (علیهاالسلام) قالت: «... فجمعوا الحطب علی الباب و اتو بالنار لیحرقوه و یحرقوناه، فوقفت بعضاده الباب، و ناشدتهم الله و بابی، ان یکفوا عنا،فاخذ عمرالسوط من ید قنفذ

۱- ۲۵۸. تلابیب جمع تلبیب- و هو موضع الطوق و القلاده من الصدر، یقال: اخذ بتلابیبه ای: امسکه متمکنامنه.
۲- ۲۵۹. و جا: عصر و ضرب.
۳- ۲۶۰. فکاثروه ای: اجتمعوا علی الامام (علیه السلام).
۴- ۲۶۱. الدملج:السوار فی المعصم.

فضرب به عضدی حتی صار کالدملج، و رکل الباب برجله فرده علی و انا حامل، فسقطت لوجهی و النار تسعر، فضربنی بیده حتی انتثر قرطی من اذنی، و جاء نی المخاض، فاسقطت محسنا، بغیر جرم».

و قال الإمام الصادق (علیه السلام)... و کان سبب وفاتها أن قنفذاً مولی عمر لکزها بنعل السیف بأمره، فأسقطت محسناً، و مرضت من ذلک مرضاً شدیداً... الی آخر کلامه (علیه السلام).

و هکذا یستفاد أن أکثر من واحد ضرب بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و ان الضرب کان بالسوط تاره و بالسیف و هو فی غمده- تاره اخری، مما سبّب إجهاض الجنین.

و تری الشعراء یتألّمون من هذه المأساه المروّعه و یتحدثون عنها.

یقول أحدهم:

فأسقطت بنت الهدی و احَزَنا

جنینها ذاک المسمّی محسنا

و یقول الآخر:

و الداخلین علی البتوله بیتها

و المسقطین لها أعزَّ جنین

و یقول الآخر:

أو تدری ما صدر فاطم ما المسمار

ما حال ضلعها المکسور

ما سقوط الجنین؟ ما حمره

العین و ما بال قرطها المنثور

و یقول الآخر:

و لست أدری خبر المسمار

سل صدرها خزانه الأسرار

استنجدت السيده فاطمه بخادمتها فضه و صاحت يا فضه! إليك فخذينى و إلى صدرك فاسندينى، و الله لقد قتلوا ما فى أحشائى!!

أسرعت فضه واحتضنت السيده فاطمه لتحملها إلى الحجره، و لكن الجنين سقط قبل وصول الزهراء إلى الحجره.

ص: ٢٧١

و المعروف أن آلام الإ جهاض أشـد من آلام الولاده، فكانت حبيبه رسول الله فاطمه تئن أنيناً يوجع كل قلب، و يُبكى كل عين، فالطفل فارق الحياه و أمه تنظر إليه.

و لكن القوم لم يعيروا اهتماماً بما جرى على سـيده النساء و ابنه سيد الأنبياء، بل أخذوا زوجها العظيم، بعد أن نزعوا عنه السلاح، و تركوه أعزلاً و ألقوا حبل سيفه فى رقبته يقودونه من بيته إلى المسجد بكل عنف و قسوه ليبايعِ (١) .

هنـا يقف القلم عن الجرى، و يخرس اللسـان عن بيان و شـرح تلك اللحظات التى مرّت بـذلك الرجل الغيور، صاحب الحميه و الإباء.

ذلك البطل الإسلامى المجاهد العظيم.

ذلك الإمام الذى كانت الزهراء أغلى عنده من كل غال و نفيس و أعز من كل موجود، و أشرف من كل إنسان بعد الرسول.

و ينظر سلمان إلى ذلك المنظر المذهل و يقول: أيُصنع ذا بهذا؟ و الله لو أقسم على الله لانطبقت ذه على ذهِ (٢) .

ص: ٢٧٢

١- ٢۶٢. و العجب: ان معاويه يشمت با لامام على (عليه السلام) بهذا الماساه و يكتب اليه: و تقاد الى كل منهم كما يقاد الجمل المخشوش حتى تبايع كارها...الى آخره كلامه/ شـرح ابن ابى الحديـد ج ۴. فاجابه الامام (عليه السـلام)... و قلت انى كنت اقاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى ابايع، و لعمر والله لقـد اردت ان تـذم فمـدحت، و ان تفضح فافتضـحت، و ما على المسـلم من غضاضه فى ان يكون مضـلوما، لم يكن شاكا فى دينه، و لا مرتابا بيقينه، و هـذه حجتى الى غيرك قصـدها، و لكنى اطلقت لك بقدر ما سنح من ذكرها... الى آخر كلامه (عليه السلام)/ نهج البلاغه باب كتبه (عليه السلام).

٢- ٢۶٣. اى انطبقت السماء على الارض. و الحديث فى بحارالانوار ج ۴٣.

قف بنا لنبکی علی علی، و هو یسمع صرخات زوجته فاطمه!! و یسمع أصوات ولدیه و بنتیه الصغار و هم یولولون، ینظرون إلی أمهم تاره و إلی أبیهم أخری، لا یدرون ما یصنعون؟ هل یلتفون حول أمهم و یسمعون أنینها من صدمه الباب و سقط الجنین؟

أو یرافقون أباهم و قد ازدحم حوله الرجال یدفعونه فی ظهره و یقاومون امتناعه.

حیره و أیه حیره؟!

یرید علیّ أن یسعف زوجته ینظر إلیها و هی فی تلک الحاله، و لکن حبل السیف فی رقبته، و لکن الرجال یدافعونه، و صرخات الأطفال قد سلبته کل قرار.

ینظر یمیناً و شمالاً، ینادی: واحمزتاه، و لا حمزه لی الیوم، وا جعفراه و لا جعفر لی الیوم!!

ارتفعت أصوات النساء- الواقفات فی الطریق- بالبکاء و العویل، و ما الفائده من صیاح النساء أمام القوه؟ و هل تلین تلک القلوب من صرخات النساء و صیاحهن.فتحت السیده فاطمه عینها حینذاک، و لعلها أفاقت علی صراخ أطفالها المذعورین!و قالت: یا فضه! أین علیّ؟!!

قالت- و هی باکیه-: أخذوه للمسجد!!

نسیت فاطمه آلامها، و قامت و کلها آلام و أوجاع، و لکنها استعادت شجاعتها لهول الموقف و لذلک الظرف العصیب.

فلنترک السیده فاطمه تستعد للخروج لإنقاذ زوجها من تلک الورطه

و لتدارك ذلك الموقف، و لنذهب إلى المسجد النبوى لنرى. ما جرى على الإمام علىّ؟؟

نعود إلى ما ذكره ابن قتيبه فى (الإمامه والسياسه) ص١١:

و ذكروا أن علياً أتى أبوبكر و هو يقول: أنا عبدالله و أخو رسوله.

فقيل له: بايع أبوبكر.

فقال:

أنا أحق بهذا الأمر منكم.

لا أبايعكم، و أنتم أولى بالبيعه لى.

أخذتم هذا الأمر من الأنصار و احتججتم عليهم بالقرابه من النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)

و تأخذونه من أهل البيت غصباً؟؟

ألستم زعمتم للأنصار أنكم أولى بهذا الأمر لمكان محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) منكم؟؟ فأعطوكم المقاده، و سلّموا إليكم الإماره؟

و أنا أحتجُّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار:

نحن أولى برسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حياً و ميتاً.

فأنصفونا- إن كنتم تخافون- من أنفسكم.

فقال له عمر: أنت لست متروكاً حتى تبايع.

فقال له علىّ: احلب حلباً لك شطره!!

اشدد له اليوم ليرده عليك غداً.

و الله يا عمر لا أقبل قولك و لا أبايعه.

فقال له أبوبكر: فإن لم تبايعنى فلا أُكرهك.

فقال علىّ: يا معشر المهاجرين الله! الله! لا تُخرجوا سلطان محمد فى العرب من داره و قعر بيته إلى دوركم و قعور بيوتكم، و تدفعوا أهله عن

مقامه فی الناس و حقه.

فو الله یا معشر المهاجرین! لنحن أهل البیت أحقّ بهـذا الأمر منکم ما کان فیه القارئ لکتاب الله، الفقیه فی دین الله، العالم بسـنن رسول الله...).

هذا ما یرویه ابن قتیبه فی کتابه (الإمامه والسیاسه).

و أما ما یرویه العیاشی فی تفسیره ۲/ ۶۷:

«... أخرجوه من منزله ملبّباً، و مرّوا به علی قبر النبی (صـلی الله علیه و آله و سـلم) فقال: (یا بن أم أن القوم استضـعفونی و کادوا یقتلوننی) فقال له عمر: بایع.

قال علیّ: فإن أنا لم أفعل فَمَه؟

قال له عمر: إذن و الله أضرب عنقک!

قال علیّ: إذن- و الله- أکون عبدالله المقتول و أخا رسول الله.

و فی روایه: إذن و الله تقتلون عبدالله و أخا رسول الله.

فقال عمر: أما عبدالله فنعم، و أما أخو رسول الله فلا.

و فی روایه: و أما أخو رسول الله فما نقر لک بهذا.

فقال (علیه السلام): أتجحدون أن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) آخی بینی و بینه؟

قال: نعم.

و جری- هناک- حوار شدید و کلام طویل بین خلیفه رسول الله علیّ (علیه السلام) و بین تلک الزمره.

و عنـد ذلک وصـلت فاطمه إلی المسـجد، و قـد أخـذت بیـد ولدیها: الحسن و الحسـین، و ما بقیت هاشـمیه إلاّ و خرجت معها، فنظرت السیده فاطمه إلی زوجها أبی الحسن و هو تحت التهدید بالقتل، فأقبلت تعدو

و تصیح: خلّوا عن ابن عمّی!!

خلّوا عن بعلی!! و الله لأ کشفن عن رأسی و لأضعنَّ قمیص أبی علی رأسی و لأدعونَّ الله علیکم.

و فی روایه: فوالذی بعث محمداً بالحق لئن لم تخلوا عنه لأنشرن شعری و لأضعنَّ قمیص رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) علی رأسی، و لأصرخن إلی الله تبارک و تعالی، فما ناقه صالح بأکرم علی الله منی. و لا الفصیل بأکرم علی الله من ولدیِ (1) .

و فی روایه العیاشی: قالت: یا أبابکر أترید أن ترملنی من زوجی؟ والله لئن لم تکفّ عنه لأنشرنَّ شعری، و لأشقنَّ جیبی، و لآتین قبر أبی، و لأصیحنَّ إلی ربی!!فأخذت بید الحسن و الحسین و خرجت ترید قبر النبی (صلی الله علیه و آله و سلم).

و فی روایه أخری: قالت: ما لی ولک یا أبابکر؟ ترید أن تُوتم ابنیّ، و ترملنی من زوجی؟

و الله لو لا أن تکون سیئه لنشرت شعری و لصرخت الی ربی.

بهذا الفعل؟ أترید أن تنزّل العذاب علی هذه الأمه؟

فقال علیّ لسلمان: أدرک ابنه محمد....

أقبل سلمان و قال: یا بنت محمد إن الله بعث أباک رحمه فارجعی!

فقالت: یا سلمان یریدون قتل علی!! ما علیَّ صبر، فدعنی حتی آتی قبر أبی فانشر شعری، واشق حیبی و لصیح الی ربی.

۱- ۲۶۴. بحارالانوار ج ۴۳/ تاریخ الیعقوبی/ الاحتجاج للطبرسی.

فقال سلام: انی اخاف ان یخسف بالمدینه، و علی بعثنی الیک یامرک ان ترجعی الی بیتک و تنصرفی.

فقالت (علیه االسلام): اذن ارجع و اصبر، و اسمع له و اطیع (۱) .

و فی کتاب (احتجاج الزهراء) للرضوی النجفی ص ۱۴۰: فاقبل علی مهر و لا الی السیده فاطمه، فلما وصل الیها لجعلت فاطمه تقبل اکتافه و تقول له- بدموع جاریه-:

«روحی لروحک الفداء، و نفسی لنفسک الوقاء، یا اباالحسن ان کنت فی خیر کنت معک، و ان کنت فی شر کنت معک».

و خلاصه الحدیث ان السیده فاطمه ما رجعت الی البیت الا و اخذت زوجها معها و انقذته من تلک الزمره، و خلصته من اخذه البیعه منه.

۱- ۲۶۵. بیت الاحزان للقمی ص ۸۷.

مدخل خطبه فاطمه الزهراء مأساه فدک و العوالی

اشاره

أحسن كلام نفتتح به هـذا البحث، و أصـدق حـديث نبـدأ به هذا الموضوع هو كلام الله تعالى، و مَن أصدق من الله قيلًا؟ و مَن أصدق من الله حديثاً؟

قال تعالى: «فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَ الْمِسْكِينَ وَ ابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (۱) .

هذه الآيه كما تراها خطاب من الله (عز و جل) إلى حبيبه محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) يأمره أن يؤتى ذاالقربى حقه، فمن ذو القربى؟ و ما هو حقه؟

لقد ذكرنا- فى آيه القربى أو آيه الموده- أن المقصود من القربى هم أقرباء الرسول و هم علىّ و فاطمه و الحسن و الحسين (عليهم السلام) فيكون المعنى: و أعطِ ذوى قرباك حقوقهم.

روى عن أبى سعيد الخدرى و غيره أنه لما نزلت هذه الآيه على النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أعطى فاطمه فدكاً و سلّمه إليها، و هو المروى عن الإمام الباقر و الإمام الصادق (عليهماالسلام) و هو المشهور بين جميع علماء الشيعه.و قد ذكر ذلك من علماء السنه عدد كثير بطرق عديده، فمنها:

صرَّح فى (كنز العمال) و فى مختصره المطبوع فى الهامش من كتاب

ص: ۲۷۸

۱- ۲۶۶. الروم ۳۸.

(المسند) لأحمد بن حنبل فی مسأله صله الرحم من کتاب (الأخلاق) عن أبی سعید الخدری قال: لما نزلت: (وآت ذاالقربی حقه) قال النبی (ص): یا فاطمه لک فدک. قال: رواه الحاکم فی تاریخه.

و فی ص ۱۷۷ من الجزء الرابع من تفسیر (الدر المنثور) للسیوطی أنه أخرج البزار و أبویعلی وابن أبی حاتم و ابن مردویه عن أبی سعید الخدری قال: لما نزلت هذه الآیه: (فآت ذاالقربی حقه) أقطع رسول الله (ص) فاطمه فدکاً.

قال ابن أبی الحدید المعتزلی فی شرح النهج: و قد روی من طرق مختلفه غیر طریق أبی سعید الذی ذکره صاحب الکتاب: أنه لما نزل قوله تعالی: (فآت ذاالقربی حقه)دعا النبی (ص) فاطمه فأعطاها فدک.

ما هی فدک؟

التحدث عن فدک یشمل الموارد الآتیه:

ما هی فدک؟

۲- هل کانت فدک لرسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) خاصه أم للمسلمین عامه؟

۳- هل دفع الرسول فدکاً إلی ابنته فاطمه الزهراء نحله و عطیه فی حیاته أم لا؟ ۴- هل یورّث رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أم لا؟

۵- هل کانت السیده فاطمه الزهراء تتصرف فی فدک فی حیاه أبیها الرسول أم لا؟ ۱- أما الأبه علی السوال الاول: فقد ذکر اللغویون أقوالهم فی فدک:

فی القاموس: فدک قریه بخیبر.

و فی المصباح: فدک- بفتحتین- بلده بینها و بین مدینه النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) یومان، و بینها و بین خیبر دون مرحله، و هی مما أفاء الله علی رسوله (صلی الله علیه و آله و سلم).

و فی معجم البلدان للحموی، باب الفاء و الدال-: فدک:- بالتحریک، و آخره کاف - قریه بالحجاز، بینها و بین المدینه یومان، و قیل ثلاثه، أفاءها الله علی رسوله (صلی الله علیه و آله و سلم) فی سنه سبع صلحاً، و ذلک أن النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) لما نزل خیبر و فتح حصونها و لم یبق إلا ثلاث، و اشتد بهم الحصار أرسلوا إلی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) یسألونه أن ینزلهم علی الجلاء، و فعل، و بلغ ذلک أهل فدک فأرسلوا إلی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أن یصالحهم علی النصف من ثمارهم و أموالهم، فأجابهم إلی ذلک فهو مما لم یوجف علیه بخیل و لا رکاب فکانت خالصه لرسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

۲- و اما الاجابه علی السوال الثانی- و هو: هل کانت فدک خالصه لرسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)؟ فقد قال تعالی: (و ما أفاء الله علی رسوله منهم فما أوجفتم علیه من خیل و لا رکاب و لکن الله یسلّط رسله علی من یشاء و الله علی کل شی ء قدیر، ما أفاء الله علی رسوله منهم فما اوجفتم علیه من خیل و لا رکاب، و لکن الله یسلط رسله علی من یشاء و الله علی کل شی قدیر،ما افاء الله علی رسوله من أهل القری فلله و للرسول و لذی القربی و الیتامی و المساکین و ابن السبیل) (۱) .

قوله تعالی: «أفاء الله» أی: ردّ الله ما کان للمشرکین علی رسوله بتملیک الله إیاه، «منهم» أی من الیهود الذین أجلاهم.

«فما أو جفتم علیه من خیل و لا رکاب» أو جف خیله أی أزعجه فی

۱- ۲۶۷. الحشر: ۶.

السیر، و الرکاب هنا- الإبل، و المعنی ما استولیتم علی تلک الأموال بخیولکم أی ما رکبتم خیولکم و إبلکم لأجل الاستیلاء علیها.

«و لکن الله یسلّط رسله علی من یشاء» أی یمکّن الله رسله من عدوهم من غیر قتال، بأن یقذف الرعب فی قلوبهم، فجعل الله أموال بنی النضیر لرسوله خالصه یفعل بها ما یشاء، و لیست من قبیل الغنائم التی توزّع علی المقاتلین.

«ما أفاء الله علی رسوله من أهل القری» أی من أموال کفار أهل القری «فلله» «و للرسول» أی جعل تلک الأموال ملکاً لرسوله «و لذی القربی» یعنی قرابه النبی «و الیتامی و المساکین و ابن السبیل» من القربی.

روی الطبرسی عن ابن عباس قال: نزل قوله: «ما أفاء الله علی رسوله من أهل القری...» فی أموال کفار أهل القری، و هم بنوقریظه و بنوالنضیر و هما بالمدینه و فدک و هی من المدینه علی ثلاثه أمیال، و خیبر و قری عرینه و ینبع جعلها الله لرسوله، یحکم فیها ما أراد، و أخبر أنها کلها له، فقال أناس: فهلّا قسَّمها؟ فنزلت الآیه.

و قد مر علیک کلام الحموی فی معجم البلدان حول فدک أنها مما لم یوجف علیه بخیل و لا رکاب فکانت خالصه لرسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

و اما الاجابه علی السوال الثالث، فقد مرّ علیک ما ذکره المحدثون فی تفسیر قوله تعالی: «و آت ذاالقربی حقه» إن النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) أعطی فاطماً فدکاً.

و هاک مزیداً من الأدله حول الموضوع تأکیداً لهذا البحث:

ذکر ابن حجر فی الصواعق المحرقه، و الشیخ السمهودی فی تاریخ المدینه أن عمر قال: إنی أحدثکم عن هذا الأمر: إن الله خصَّ نبیّه فی هذا

الفی ء بشی ء لم یعطه أحداً غیره فقال: «ما أفاء الله علی رسوله منهم فما أو جفتم علیه من خیل و لا رکاب و لکن الله یسلّط رسله علی من یشاء و الله علی کل شی ء قدیر» فکانت هذه خالصه لرسول الله... الی آخره.

اذا: فالمستفاد من مجموع الآیات و الروایات أن فدک کانت لرسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) خالصه، و أن النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) أعطی فاطمه فدکاً بعنوان النحله و العطیه بأمر الله تعالی حیث أمره بقوله: «و آت ذاالقربی حقه».

والجواب علی السوال الرابع یاتیک بعد قلیل.

۵- و اما الاجابه علی السوال الخامس: فیستفاد من تصریحات المؤرخین و المحدّثین أنَّ السیده فاطمه الزهراء کانت تتصرف فی فدک، و أنَّ فدک کانت فی یدها.

فمنها تصریح الإمام أمیرالمؤمنین بن أبی طالب (علیه السلام) فی الکتاب الذی أرسله إلی عثمان بن حُنیف و هو عامله علی البصره فإنه ذکر فیه «... بلی کانت فی أیدینا فدک، من کل ما أظلّته السماء، فشحّت علیها نفوس قوم و سخت عنها نفوس آخرین، و نعم الحَکَم الله... الی آخره (۱) .

و ذکر ابن حجر فی (الصواعق المحرقه) فی الباب الثانی: إن أبابکر انتزع من فاطمه فدکا... الی آخر کلامه.

و معنی کلام ابن حجر أن فدک کانت فی ید الزهراء (علیهاالسلام) من عهد أبیها الرسول فانتزعها أبوبکر منها.

و قد روی العلامه المجلسی عن کتاب (الخرائج): فلما دخل رسول

۱- ۲۶۸. نهج البلاغه باب المختار من رسائله (علیه السلام).

الله (صلی الله علیه و آله و سلم) المدینه- بعد استیلائه علی فدک- دخل علی فاطمه (علیهاالسلام) فقال: یا بنیه إن الله قد أفاء أبیک علی أبیک بفدک، و اختصَّه بها، فهی له خاصه دون المسلمین، أفعل بها ما أشاء، و إنه قد کان لأُمّک خدیجه علی أبیک مهر، و إن أباک قد جعلها لک بذلک، و أنکحها لک و لولدک بعدک.

قال: فدعا بأدیم و دعا بعلی بن أبی طالب فقال: أکتب لفاطمه بفدک نِحله من رسول الله.

فشهد علی ذلک علی بن أبی طالب و مولیً لرسول الله و أم أیمن».

و لما توفی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و استولی أبوبکر علی منصه الحکم و مضت عشره أیام. و استقام له الأمر بعث إلی فدک مَن أخرج وکیل فاطمه بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

کانت فدک للسیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) من ثلاثه وجوه:

الوجه الأول: أنها کانت ذات الید، أی کانت متصرفه فی فدک، فلا یجوز انتزاع فدک من یدها إلا بالدلیل و البیّنه، کما قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) «البیّنه علی المدعی، و الیمین علی من أنکر» و ما کان علی السیده فاطمه أن تقیم البیّنه لأنها ذات الید.

الوجه الثانی: أنها کانت تملک فدک بالنحله و العطیّه و الهبه من أبیها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

الوجه الثالث: أنها کانت تستحق فدک بالإرث من أبیها الرسول.

و لکن القوم خالفوا هذه الوجوه الثلاثه، فقد طالبوها بالبینه، و طالبوها بالشهود علی النحله، و أنکروا و راثه الأنبیاء.

و بإمکان السیده فاطمه أن تطالب بحقها بکل وجه من هذه الوجوه.

ص: ۲۸۳

و لهذا طالبت بفدک عن طریق النحله أوّلاً، ثم طالبت بها عن طریق الإرث ثانیاً کما صرّح بذلک الحلبی فی سیرته ج ۳ ص ۳۹ قـال: إن فـاطمه أتت أبـابکر بعـد وفـاه رسول الله (ص) و قالت: إن فـدک نحله أبی، أعطانیها حال حیاته. و أنکر علیها أبوبکر و قال: أُرید بذلک شهوداً فشهد لها علی، فطلب شاهداً آخر فشهدت لها أُم أیمن فقال لها: أبِرَجُلٍ و امرأه تستحقینها؟؟

و ذکر الطبرسـی فی الاحتجـاج: فجـاءت فـاطمه (علیهاالسـلام) إلی أبی بکر ثـم قـالت: لِمَ تمنعنی میراثی من أبی رسـول الله؟ و أخرجت وکیلی من فدک و قد جعلها لی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) بأمر الله تعالی؟

فقال: هاتی علی ذلک بشـهود، فجاءت أُم أیمن فقالت: لا أشـهد یا أبابکر حتی أحتج علیک بما قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أنشدک بالله ألست تعلم أن رسول الله قال: أم أیمن امرأه من أهل الجنه؟

فقال: بلی.

قالت: فاشـهد أن الله (عز و جل) أوحی إلی رسول الله (صـلی الله علیه و آله و سلم) «و آت ذاالقربی حقه» فجعل فدک لها طعمه بأمر الله تعالی.

فجاء علیّ (علیه السلام) فشهد بمثل ذلک، فکتب لها کتاباً و دفعه إلیها، فدخل عمر فقال: ما هذا الکتاب؟

فقـال: إن فـاطمه ادَّعـت فی فـدک و شـهدت لهـا أُم أیمـن و علیّ، فکتبته لهـا. فأخـذ عمر الکتـاب من فـاطمه، فتفـل فیه فمزَّقه، فخرجت فاطمه (علیهاالسلام) تبکی.

و فی سیره الحلبی ج ۳ ص ۳۹۱ أن عمر أخذ الکتاب فشقّه.

و روى عن الامـام الصـادق (عليه السـلام)ان السـيده فـاطمه (عليه السـلام) جائت الى ابى بكر- بامر من الامام اميرالمومنين (عليه السلام)- و قالت له: ادعيت مجلس ابى و انک خليفه، و جلست مجلسه، و لو کانت فدك لك و استوهبتها منك لوجب عليك ردها على.

فقال صدقت.

و دعا بكتاب فكتب فيه بارجاع فدک، فخرجت و الكتاب معها، فلقيها عمر فقال: يا بنت محمد ما هذا الكتاب الذى معك؟

قالت:كتاب كتب لى ابوبكر برد فدك.

فقال:هلميه الى.

فابت ان تدفعه اليه، فرفسها برجله.. ثم لطمها، ثم اخذ الكتاب فخرقه (1) .

فقالت: بقرت كتابى بقر الله بطنك (2) .

حوار ساخن بين الامام على و ابى بكر

نعود إلى ما ذكره الطبرسى قال: فلما كان بعد ذلك جاء علىّ (عليه السلام) إلى أبى بكر و هو فى المسجد و حوله المهاجرون و الأنصار فقال: يا أبابكر لِمَ منعت فاطمه ميراثها من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و قد مَلَكته فى حياه رسول الله؟

فقال أبوبكر: هذا فى ء للمسلمين، فإن أقامت شهوداً أن رسول الله جعله لها و إلا فلا حق لها فيها فيه!

---

۱ - ۲۶۹. الاختصـاص للشـيخ المفيـد، الشـافى للسـيد المرتضـى ص ۲۳۶/ تلخيص الشـافى للطوســى ص ۴۸، و ذكرابــن حجر العسقلانى- فى لسان الميزان ج ۱ ص ۲۶۸، و الذهبى فى ميزان الاعتدال ج ۱ ص ۱۳۹: ان عمر رفس فاطمه...

۲- ۲۷۰. وفاه الصديقه الزهراء للمقرم ص ۷۸.

فقال علیّ: یا أبابکر تحکم بیننا بخلاف حکم الله فی المسلمین؟

قال: لا.

قال (علیه السلام): فإن کان فی ید المسلمین شی ء یملکونه فادَّعیت أنا فیه مَن تسأل البینه؟

قال: إیاک أسأل.

قال (علیه السلام): فما بال فاطمه سألتها البینه علی ما فی یدیها، و قد مَلَکته فی حیاه رسول الله و بعده، و لم تسأل المسلمین البینه علی ما ادَّعوها شهوداً کما سألتنی علی ما ادَّعیت علیهم؟؟

فسکت أبوبکر فقال: یا علی دعنا من کلامک، فإنّا لا نقوی علی حجتک، فإن أتیت بشهود عدول، و إلاّ فهی فی ء للمسلمین، لا حقَّ لک و لا لفاطمه فیه!!

فقال علیّ (علیه السلام): یا أبابکر تقرأ کتاب الله؟

قال: نعم.

قال: أخبرنی عن قول الله (عزّ و جلّ) «إنّما یریـد الله لیذهب عنکم الرجس أهل البیت و یطهّرکم تطهیرا». فیمن نزلت؟ فینا أو فی غیرنا؟

قال: بل فیکم!

قال: فلو أن شهوداً شهدوا علی فاطمه بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) بفاحشه ما کنت صانعاً بها؟

قال: کنت أُقیم علیها الحد کما أُقیم علی نساء المسلمین!!!

قال علیّ: کنت إذن عندالله من الکافرین!

قال: و لِمَ؟

قال: لأنک رددت شهاده الله بالطهاره و قبلت شهاده الناس علیها،

كما رددت حكم الله و حكم رسوله أن جعل لها فدك و زعمت أنها فى ء للمسلمين و قد قال رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم): البينه على المدعى، و اليمين على من ادُّعى عليه.

قال: فدمدم الناس، و أنكر بعضهم بعضاً، و قالوا: صدق- و الله- علىّ.

و قد روى العلامه فى كشكوله عن المفضَّل بن عمر عن أبى عبدالله (الصادق) (عليه السلام) روايه لا تخلو من فائده نذكرها بصوره موجزه قال:

لما قام أبوبكر بن أبى قحافه بالأمر نادى مناديه: من كان له عند رسول الله دين أو عده فليأتنى حتى أقضيه.

و جاء جابر بن عبدالله و جرير بن عبدالله البجلى، و ادَّعى كلٌّ منهما على رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فأنجز أبوبكر لهما.

فجاءت فاطمه إلى أبى بكر تطالب بفدك و الخمس و الفى ء فقال: هاتى بينه يا بنت رسول الله.

فاحتجت فاطمه (عليهاالسلام) بالآيات و قالت: قد صدّقتم جابراً بن عبدالله و جرير بن عبدالله البجلى و لم تسألوهما البيّنه و بَيّنتى فى كتاب الله. و أخيراً طالبوها بالشهود، فبعثت إلى علىّ و الحسن و الحسين و أُم أيمن و أسماء بنت عميس و كانت تحت أبى بكر (أى زوجه أبى بكر) و شهدوا لها بجميع ما قالت. فقالوا: أما على فزوجها، و أما الحسن و الحسين فابناها وأما أُم أيمن فمولاتها، و أما أسماء بنت عميس فقد كانت تحت جعفر بن أبى طالب فهى تشهد لبنى هاشم، و قد كانت تخدم فاطمه و كل هؤلاء يجرّون إلى أنفسهم.

فقال عليّ: أما فاطمه فبضعه من رسول الله و مَن آذاها فقد آذى رسول الله، و من كذَّبها فقد كذَّب رسول الله.

و أما الحسن و الحسين فابنا رسول الله و سيدا شباب أهل الجنه، من كذَّبهما فقد كذّب رسول الله، إذ كان أهل الجنه صادقين.

و أما أنا فقد قال رسول الله: أنت منى و أنا منك، و أنت أخى فى الدنيا و الآخره، و الراد عليك هو الراد عليَّ من أطاعك فقد أطاعنى، و من عصاك فقد عصانى.

و أما أُم أيمن فقد شهد لها رسول الله بالجنه، ودعى لأسماء بنت عميس و ذريتها. فقال عمر: أنتم كما و صفتم به أنفسكم، و لكن شهاده الجارّ إلى نفسه لا ـ تقب ل! فقال عليّ: إذا كنا نحن كما تعرفون و لا تنكرون و شهادتنا لأنفسنا لا تقبل و شهاده رسول الله لا ـ تقبل فإنا لله و إنا إليه راجعون، إذا ادَّعينا لأنفسنا تسألنا البيّنه فما من معين يعين، و قد و ثبتم على سلطان الله و سلطان رسوله فأخرجتموه من بيته إلى بيت غيره من غير بينه و لا حجه، و سيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون.

ثم قال لفاطمه: انصرفى حتى يحكم الله و هو خير الحاكمين.

و لما رأت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) أن القوم أبطلوا شهودها الذين شهدوا لها بالنحله و لم تنجح مساعيها، جاءت تطالب حقها عن طريق الإرث،و اتخذت التدابير اللازمه لتقوم بأكبر حمله دعائيه واسعه النطاق و هى تعلم أن السلطه لا تخضع للدليل الواضح و البرهان القاطع، فقد قال الشاعر: و آيه السيف تمحو آيه القلم.

و کل قوم تحکم فیهم الدکتاتوریه فإن المنطق فاشل و لا یجدی فائده.

و کل للسیده فاطمه هدف آخر، و هو یتحقق قطعاً، و هدفها تسجیل مظلومیتها فی سجل التاریخ، و کشف الغطاء عن أعمال القوم و نوایاهم، فقررت أن تذهب إلی المسجد و تخطب خطبه تتحقق بها أهدافها الحکیمه.

ص: ۲۸۹

السر فی مطالبه فاطمه الزهرا بفدک

من الممکن ان یقال: ان السیده فاطمه الزهرا الزاهده عن الدنیا و الحیاه ما الذی دعاها إلی هذه النهضه و إلی هذا السعی المتواصل و الجهود المستمره فی طلب حقوقها؟

و ما سبب هذا الإصرار و المتابعه بطلب فدک و الاهتمام بتلک الأراضی و النخیل مع ما کانت تتمتع به السیده فاطمه من علوّ النفس و سمو المقام؟

و ما الداعی إلی طلب الدنیا التی کانت أزهد عندهم من عفطه عنز، و أحقر من عظم خنزیر فی فم مجذوم، و أهون من جناح بعوضه؟

و ما الدافع بسیده نساء العالمین أن تتکلّف هذا التکلیف، و تتجشّم هذه الصعوبات المجهده للمطالبه بأ راضیها و هی تعلم أن مساعیها تبوء بالفشل و أنها لا تستطیع التغلب علی الموقف، و لا تتمکن من انتزاع تلک الأراضی من المغتصبین؟؟

هذه اسئله یمکن أن تتبادر إلی الأذهان حول الموضوع.

الجواب: أولاًـ إن السلطه حینما صادرت أموال السیده فاطمه الزهراء و جعلتها فی میزانیه الدوله (بالاصطلاح الحدیث) کان هدفهم تضعیف جانب أهل البیت، أَرادوا أن یحاربوا علیاً محاربه اقتصادیه، أرادوا أن یکون علیّ فقیراً حتی لا یلتف الناس حوله، و لا یکون له شأن علی الصعید الاقتصادی، و هذه سیاسه أراد المنافقون تنفیذها فی حق رسول الله

(صلی الله علیه و آله و سلم) حین قالوا: لا تنفقوا علی من عند رسول الله حتی ینفضّوا (۱) .

ثانیا: لم تکن أراضی فدک قلیله الإنتاج، ضئیله الغلات بل کان لها وارد کثیر یعبأ به، بل ذکر ابن أبی الحدید أن نخیلها کانت مثل نخیل الکوفه فی زمان ابن أبی الحدید.

و ذکر الشیخ المجلسی عن کشف المحجه أن وارد فدک کان أربعه و عشرین ألف دینار فی کل سنه، و فی روایه أُخری سبعین ألف دینار و لعل هذا الاختلاف فی واردها حسب اختلاف السنین.

و علی کل تقدیر فهذه ثروه طائله واسعه، لا یصح التغاضی عنها.

ثالثاً: إنها کانت تطالب (من وراء المطالبه بفدک) بالخلافه و السلطه لزوجها علی بن أبی طالب، تلک السلطه العامه و الولایه الکبری التی کانت لأبیها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

فقد ذکر ابن أبی الحدید فی شرحه قال: سألت علیّ بن الفارقی، مدرّس المدرسه الغربیه ببغداد فقلت له: أکانت فاطمه صادقه؟

قال: نعم

قلت: فلم لم یدفع إلیها أبوبکر فدک و هی عنده صادقه؟

فتبسم، ثم قال کلاماً لطیفاً مستحسناً مع ناموسه و حرمته و قله دعابته قال: لو أعطاها الیوم فدک، بمجرد دعواها لجاءت إلیه غداً وادّعت لزوجها الخلافه و زحزحته عن مقامه، و لم یکن یمکنه الاعتذار، و الموافقه بشی ء، لأنه یکون قد سجل علی نفسه بأنها صادقه فیما تدّعی، کائناً ما کان من غیر حاجه إلی بینه و شهود.

۱- ۲۷۱. المنافقون: ۷.

رابعاً: الحق يُطلب و لاـ يُعطى، فلا بـد للإنسان المغصوب منه ماله أن يطالب بحقه، لأنه حقه، حتى و إن كان مستغنياً عن ذلك المال و زاهداً فيه، و ذلك لا ينافى الزهد و ترك الدنيا، و لا ينبغى السكوت عن الحق.

خامساً: إن الإنسان و إن كـان زاهـداً فى الـدنيا راغباً فى الآخره فإنه مع ذلك يحتاج إلى المال ليصلح به شأنه، و يحفظ به ماء وجهه و يصل به رحمه، و يصرفه فى سبيل الله كما تقتضيه الحكمه.

أما ترى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و هو أزهـد الزهاد كيف انتفع بأموال خـديجه فى سبيل تقويه الإسلام؟ كما مرَّ كلامه (صلى الله عليه و آله و سلم) حول أموال خديجه.

سادساً: قد تقتضى الحكمه أن يطالب الإنسان بحقه المغصوب، فإن الأمر لا يخلو من أحد وجهين:

إما أن يفوز الإنسان و يظفر بما يريد و هو المطلوب و به يتحقق هدفه من المطالبه.

و إما أن لا يفوز فى مطالبته فلن يظفر بالمال، فهو إذ ذاک قد أبدى ظلامته، و أعلن للناس أنه مظلوم، و أن أمواله غصبت منه.

هـذا و خـاصه إذا كـان الغـاصب ممن يـدّعى الصلاح و الفلاح، و يتظاهر بالـديانه و التقوى، فإن المظلوم يعرّفه للأجيال أنه غير صادق فيما يدَّعى.

سابعاً: إن حمله المبادئ يتشـبثون بشتى الوسائل الصحيحه لجلب القلوب إليهم، فهناک من يجلب القلوب بالمال أو بالأخلاق أو بالوعود و أشباه ذلک.

و لكن أفضـل الوسائـل لجلب القلوب (قلوب كـافه الطبقات) هو التظلّم و إظهار المظلوميه فإن القلوب تعطف على المظلوم كائناً من كان، و تشمئز من الظالم كائناً من كان.

و هذه خطه ناجحه و ناجعه لتحقيق أهداف حمله المبادئ الذين يريدون إيجاد الوعى فى النفوس عن طريق جلب القلوب إليهم.

و هناك أسباب و دواع أُخرى لا مجال لذكرها.

لهذه الأسباب قامت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) و توجهت نحو مسجد أبيها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لأجل المطالبه بحقها.

إنها لم تذهب إلى دار أبى بكر ليقع الحوار بينها و بينه فقط، بل اختارت المكان الأنسب و هو المركز الإسلامى يومذاك، و مجمع المسلمين حينذاك، و هو مسجد رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

كما و أنها اختارت الزمان المناسب أيضاً ليكون المسجد غاصّاً بالناس على اختلاف طبقاتهم من المهاجرين و الأنصار و لم تخرج وحدها إلى المسجد، بل خرجت فى جماعه من النساء، و كأنها فى مسيره نسائيه، و قبل ذلك تقرر اختيار موضع من المسجد لجلوس بضعه رسول الله و حبيبته، و علّقوا ستراً لتجلس السيده فاطمه خلف الستر، إذ هى فخر المخدرات و سيده المحجبات.

كانت هذه النقاط مهمه جداً، و استعد أبوبكر لاستماع احتجاج سيده نساء العالمين، و ابنه أفصح من نطق بالضاد و أعلم امرأه فى العالم كله. خطبت السيده فاطمه الزهراء خطبه ارتجاليه، منظمه، منسقّه، بعيده عن الاضطراب فى الكلام، و منزّهه عن المغالطه و المراوغه، و التهريج و التشنيع.

بل و عن كل ما لا يلائم عظمتها و شخصيتها الفذّه، و مكانتها الساميه.

و تُعتبر هذه الخطبه معجزه خالده للسيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام)

و آيه باهره تدل على جانب عظيم من الثقافه الدينيه التى كانت تتمتع هذه الصدّيقه

و أما الفصاحه و البلاغه، و حلاوه البيان، و عذوبه المنطق، و قوه الحجه، و متانه الدليل، و تنسيق الكلام، و إيراد أنواع الاستعاره بالكنايه، و علو المستوى، و التركيز على الهدف، و تنوّع البحث، فالقلم وحده لا يستطيع استيعاب الوصف، بل لا بدَّ من الاستعانه بذهن القارئ.

كانت السيده فاطمه مسلّحه بسلاح الحجه الواضحه و البرهان القاطع، و الدليل القوى المقنع، و كان المسلمون الحاضرون فى المسجد ينتظرون كلامها، و يتلهّفون إلى نتيجه ذلك الحوار و الاحتجاج الذى لم يسبق له مثيل إلى ذلك اليوم.

جلست السيده فى المكان المعدّ لها خلف الستر، و لعل دخولها يومذاك كان لأول مره بعد وفاه أبيها الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم).

فلا عجب إذا هاجت بها الأحزان، و أنَّت أنَّه.

إننى أعجز عن التعبير عن تحليل تلك الأنَّه، و مدى تأثيرها فى النفوس.

أنَّه واحده فقط- بلا كلام- تهيّج عواطف الناس، فيجهش القوم بالبكاء.

أنا ما أدرى ما كانت تحمل تلك الأنَّه من المعانى؟

و لماذا أجهش الناس بالبكاء؟

و هل الأنَّه الواحده تُبكى العيون، و تُجرى الدموع و تُحرق القلوب؟

هذه ألغازٌ لا أعرف حلَّها، و لعل غيرى يستطيع حلّ هذه الألغاز!!!

مصادر خطبه الزهرا

قبل ان تذكر خطبه الزهرا (عليهاالسـلام) لاباس ان تذكر رواه الخطبه و مصادرها من كتب الشيعه و اهل السنه، لنعلم مدى اهميه هذه الخطبه لدى اهل البيت (عليهم السلام) باعتبارها وثيقه تاريخيه تثبت مظلوميه اهل البيت (عليهم السلام) و مدى الاضطهاد و العنف و الكبت الذى قام به بعض الافراد تجاه اسره رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

و لا ندعى اننا استوعنا جميع المصادر، بل ذكرنا ما عثرنا عليه من الوثائق التاريخيه:

۱- السيد المرتضى علم الهدى- المتوفى سنه ۴۳۶ ه- فى كتاب الشافى، يروى هذه الخطبه باسناده عن عروه عن عائشه.

۲- السيد ابن طاووس فى كتاب (الطرائف) باسناده عن الزهرى عن عائشه.

۳- الشيخ الصدوق باسناده عن زينب بنت على (عليهماالسلام).

۴- و يروى بطريق آخر باسناده عن زيد بن على الشهيد عن عمته زينب بنت على عن امها فاطمه الزهراء (عليهم السلام).

۵- و هكذا يروى باسناده عن احمد بن محمد بن جابر عن زينب بنت على (عليهما السلام).

۶- ابن ابى الحديد فى شرحه على نهج البلاغه يروى عن كتاب (السقيفه) تاليف احمد بن عبدالعزيز الجوهرى باربعه طرق:

أ- باسناده عن رجال من اهل البيت عن زينب بنت على (عليهماالسلام).

ب- باسناده عن الامام الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام).

ج- باسناده عن الامام الباقر محمد بن على (عليه السلام).

د- باسناده عن عبدالله بن الحسن بن الحسن (عليه السلام).

۷- على بن عيسى الاربلى فى كتابه (كشف الغمه) يروى عن كتاب (السقيفه) للجوهرى.

۸- المسعودى فى (مروج الذهب) يشير الى هذه الخطبه.

۹- الطبرسى فى كتاب (الاحتجاج).

۱۰- احمد بن ابى طاهر فى كتاب (بلاغات النساء).

الى غير هولاء ممن يطول الكلام بذكرهم.

و اسناد هذه الخطبه الى السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) من الامور المسلمه عند اهل العلم من المورخين و غيرهم.

و نقل ابن ابى الحديد فى شرحه على نهج البلاغه عن السيد المرتضى انه قال: و اخبرنا ابوعبدالله المرزبانى عن على بن هرون عن عبيدالله بن احمد عن ابيه قال ذكرت لابى الحسين زيد (الشهيد) بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب (عليهم السلام) كلام فاطمه عند منع ابى بكر اياها فدك و قلت له: ان هولاء يزعمون انه مصنوع و انه من كلام ابى العيناء، لان الكلام منسوق البلاغه.

فقال لى: رايت مشائخ آل ابى طالب يروونه عن آبائهم، و يعلمونه اولادهم، و قد حدثنى ابى عن جدى يبلغ بها فاطمه على هذه الحكايه، و قد رواه مشائخ الشيعه و تدارسوه قبل ان يوجد جد ابى العيناء.

و قد حدث الحسين بن علوان عن عطيه العوفى انه سمع عبدالله بن

الحسن بن الحسن یـذکر عن ابیه هـذا الکلام ثم قـال ابوالحسـسین زیـد: و کیف ینکرون هـذا من کلام فاطمه و هم یروون من کلام عائشه عند موت ابیها

ما هو اعجب من کلام فاطمه و یحققونه؟ لو لا عداوتهم لنا اهل البت!!

هذا بعض ما ظفر به من المصادر لخطبه سیده النساء، و لعل غیرنا من الباحثین یجد المزید من المصادر لهذه الخطبه.

ص: ۲۹۷

رؤوس نقاط الخطبه

اختارت السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) لخطبتها هذا الأُسلوب للبدایه و النهایه

إنها لم تکتف بالترکیز علی مطالبه حقها فقط، بل انتهزت الفرصه لتفجر للمسلمین عیون المعارف الإلهیه، و تکشف لهم محاسن الدین الإسلامی، و تبیِّن لهم علل الشرائع و الأحکام و ضمناً تهیئ الجو لکلامها المقصود و هدفها المطلوب.

و هذه رؤوس أقلام الخطبه و مواضیعها:

الحمد و الثناء علی الله.

التوحید الاستدلالی.

النبوه.

التحدث عن العهد الجاهلی.

إنجازات الرسول.

توجیه الخطاب إلی الحاضرین.

التحدث عن القرآن.

بیان علل الشرائع و فلسفه الإسلام.

الدخول فی صمیم الموضوع.

حوادث فتره الرساله.

موقف زوجها العظیم من تلک الأحداث.

ص: ۲۹۸

بیان انقلاب الحکم ضد آل الرسول.

بیان تخاذل المسلمین تجاه أهل البیت

توجیه الخطاب إلی رئیس الدوله حول الإرث.

إقامه الأدله و البراهین.

توجیه العتاب إلی الأنصار و توبیخهم.

جواب رئیس الدوله.

تزییف کلامه و تفنید مغالطاته.

اعتذار رئیس الدوله.

توجیه الخطاب إلی الحاضرین.

شکوی إلی رسول الله.

و سوف نذکر الخطبه فی الخطبه فی حلقات یتخللها شرح موجزها.

الخطبه الخالده

روی عبدالله بن الحسن بإسناده عن آبائه، أنه لما أجمع أبوبکر علی منع فاطمه فدک، و بلغها ذلک.

لاثت خمارها علی رأسهاِ (۱) . و اشتملت بجلبابها.

و أقبلت فی لمهٍ من حفدتها و نساء قومهاِ (۲) .

تطأُ ذیولهاِ (۳) .

ما تخرم مشیتها مشیه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) (۴) .

حتی دخلت علی أبی بکر.

و هو فی حشد من المهاجرین و الأنصار و غیرهمِ (۵) فنیطت دونها ملاءهِ (۶) .

فجلست ثم أنَّت أنَّهً أجهش القوم بالبکاء فارتجَّ المجلس ثم أمهلت هنیئه (۷) حتی إذا سکن نشیج القوم و هدأت فورتهمِ (۸) .

ص: ۳۰۰

۱- ۲۷۲. لاثت: شدت و الخمار: ثوب یغطی به الراس.

۲- ۲۷۳. اللمه -بضم اللام و تخفیف المیم -: الجماعه، الحفده، الخدم.

۳- ۲۷۴. کنایه عن شده التستر.

۴- ۲۷۵. ما تنقص مشیتها عن مشیه ابیها من حیث الوقار و الکفیه.

۵- ۲۷۶. الحشد: الجماعه.

۶- ۲۷۷. نیطت: علقت و الملاءه: الازار و الثوب اللین الرقیق.

۷- ۲۷۸. و فی شرح النهج لابن أبی الحدید ج ۱۶ ص ۲۱۱: ثم أمهلت طویلاً.

۸- ۲۷۹. النشیج: صوت البکاء مع التوجع. و الفوره: الشده.

افتتحت الكلام بحمد الله و الثناء عليه، و الصلاه على رسوله، فعاد القوم فی بكائهم، فلما أمسكوا عادت فی كلامها.

فقالت (عليهاالسلام):

الحمد لله على ما أنعم.

و له الشكر على ما ألهمْ.

و الثناء بما قدّم.

من عموم نعمٍ ابتداها.

و سبوغ آلاءٍ أسداهاِ (۱) .

و تمام مننٍ و الاها.

جمَّ عن الإحصاء عددُهاِ (۲) .

و نأى عن الجزاء أمدهاِ (۳) .

و تفاوت عن الإدراک أبدها.

و ندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالهاِ (۴) .

و استحمد إلى الخلائق بإجزالها.

و ثنّى بالندب إلى أمثالهاِ (۵) .

و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريک له.

كلمهٌ جعل الإخلاص تأويلها.

و ضمَّن القلوب موصولهاِ (۶) .

۱- ۲۸۰. سبوغ النعم: اتساعها.

۲- ۲۸۱. جم: كثر.

۳- ۲۸۲. نای: بعد، و هکذا تفاوت.

۴- ۲۸۳. ندبهم: دعاهم و الاستنراده:طلب زیاده الشکر. و هکذا استحمد.

۵- ۲۸۴. ثنی بالندب: ای کما انه ندبهم لاستزادهم کذالک ندبهم الی امثالها من موجبات الثواب.

۶- ۲۸۵. جعل القلوب محتویه لمعنی کلمها التوحید.

و أنار فی التفکیر معقولها.

الممتنع من الأبصار رؤیته.

و من الألسن صفته.

ومن الأوهام کیفیته.

ابتدع الأشیاء لا من شی ء کان قبلهاِ (۱) .

و أنشأها بلا احتذاء أمثله امتثلهاِ (۲) .

کوَّنها بقدرته، و ذرأها بمشیئتهِ (۳) .

من غیر حاجه منه إلی تکوینها.

و لا فائده فی تصویرها.

إلا تثبیتاً لحکمته و تنبیهاً علی طاعته.

و إظهاراً لقدرته، و تعبّداً لبریته.

و إعزازاً لدعوته.

ثم جعل الثواب علی طاعته.

و وضع العقاب علی معصیته.

ذیاده لعباده من نقمتهِ (۴) .

و حیاشهً لهم إلی جنتهِ (۵) .

و أشهد أن أبی محمداً عبده و رسوله.

اختاره و انتجبه قبل أن اجتبلهِ (۶) .

ص: ۳۰۲

۱- ۲۸۶. ابتدع: احدث.

۲- ۲۸۷. الاحتذاء: الاقتداء.و حذو النعل بالنعل ای قطع النعل علی مثال النعل و قدرها.

۳- ۲۸۸. ذراها: خلقها.

۴- ۲۸۹. ذیاده: منعا.

۵- ۲۹۰. حیاشه لهم: سوقهم.

۶- ۲۹۱. اجتبله: فطره.

و اصطفاه قبل أن ابتعثه.

إذ الخلائق بالغيب مكنونه.

و بستر الأهاويل مصونه.

و بنهايه العدم مقرونه.

علماً من الله تعالى بمآئل الأُمورِ (۱) .

و إحاطه بحوادث الدهور.

و معرفه بمواقع المقدور.

ابتعثه الله إتماماً لأمره.

و عزيمهً على إمضاء حكمه.

و إنفاذاً لمقادير حتمه.

فرأى الأُمم فِرَقاً فى أديانها.

عُكَّفاً على نيرانها.

و عابده لأوثانها.

منكره لله مع عرفانها.

فأنار الله بمحمد (صلى الله عليه و آله و سلم) ظُلَمَهاِ (۲) .

و كشف عن القلوب بُهمهاِ (۳) .

و جلى عن الأبصار غُمَمهاِ (۴) .

و قام فى الناس بالهدايه.

و أنقذهم من الغوايه.

۱- ۲۹۲. المائل: جمع مآل- ای المرجع.

۲- ۲۹۳. ظلم: جمع ظلمه.

۳- ۲۹۴. البهم: جمع بهمه و هی مشکلات الامور.

۴- ۲۹۵. الغمم- جمع غمه- الشی ء الملتبس المستور.

و بصَّرهم من العمايه.

و هداهم إلى الدين القويم.

و دعاهم إلى الصراط المستقيم.

ثم قبضه الله إليه قبض رأفه و اختيار. و رغبهٍ و إيثار.

فمحمَّد (صلى الله عليه و آله و سلم) من تعب هذه الدار فى راحه.

قد حفَّ بالملائکه الأبرار.

و رضوان الرب الغفَّار.

و مجاوره الملک الجبَّار.

صلى الله على أبى.

نبيّه، و أمينه على الوحى و صفيّه.

و خيرته من الخلق و رضيّه.

و السلام عليه و رحمه الله و برکاته.

شرح الخطبه

الحمـد لله على مـا أنعم» إن شـكر المنعم واجب شـرعاً و عقلًا و عرفاً، يسـتحق الحمـد على ما أنعم الظاهريه كالحياه و الصـحه و نحوها.

«و له الشـكر على مـا ألهم» من النعم البـاطنيه، كالعلم و المعرفه، و الغرائز التى ألهم الإنسان و غير الإنسان إيّاها، فإن الإلهام إلقاء فى القلب و النفس كالتلقين، و هو تعليم على وجه لا سبيل لأحد للوقوف عليه.

«و الثناء بما قـدّم» لله تعالى نعم قـد أخّرها إلى الـدار الآخره، و هى الجنه و نعميها و غير ذلک و لله تعالى نعم قـد قـدّمها فى هذه الدنيا، قدّمها على بقيه النعم، و إليک بعض التفصيل:

«من عموم نعم ابتـداها» النعم العـامه التى ابتـداها الله تعالى كالماء و الهواء و التراب و النار، و قبلها نعمه الإيجاد و الخلق، و النعم الابتـدائيه كالجـاذبيه فى الأـرض، و المسـافه المعينه المحـدوده بين الأـرض و القمر، و بين الأـرض و الشـمس و الغطـاء الجـوى المحيـط بـالكره الأرضـيه المسـمى بالطبقه النتروجينيه، و غير ذلک ممّا علم به البشـر و ما لم يعلمه، ابتـداها الله قبل أن يسـتحقها البشر.

«و سـبوغ آلاـء أسـداها» الآلاء السابغه أى النعم الشامله الكامله التامه، و أسـداها: أعطاها، كنعمه الأعضاء و الجوارح و المشاعر و المدارک التى يشعر و يدرک بها الإنسان و غير الإنسان.

«و تمام منن و الاها» المنن: جمع منّه. و هى النعمه و العطيه و الإحسان،

و ليس المقصود- هنا- المنّه بمعنى المنّ و هو عدّ الإحسان الذى نهى الله تعالى عنه بقوله: «وَ لاٰ تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ» و قال: «و لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَ الأَذى» و والاها من الموالاه و هى المتابعه فى الإعطاء، أى نعمه بعد نعمه، فالنعم الإلهيه متواصله متواتره.

«جم عن الاحصاء عددها»اى كثرت نعم الله سبحانه، فعجز الناس عن احصائها و عدها،كما قالب سبحانه:«و ان تعدوا نعمه الله لا تحصوها».

«و ناى عن الجزاء امدها» الامد: الغايه و منتهى الشى ء، فلعل المعنى: ان الانسان لا يستطيع ان يجارى ربه على نعمه و اياديه.

«و ناى عن الجزاء امدها» الامد: الغايه و منتهى الشى ء، فلعل المعنى: ان الانسان لا يستطيع ان يجازى ربه على نعمه و اياديه.

«و تفاوت عن الادراك ابدها» كذالك لا يملكن للانسان ان يدرك النعم الالهيه. «و ندبهم لا ستزادتها بالشكر لا تصالها» ان الشكر يوجب زياده النعمه و دوامها و اتصالها، كما قال سبحانه: «لئن شكرتم لا زيدنكم».

«و استحمد الى الخلائق باجزالها» كذلك الحمد يوجب المزيد من الخيرات و البركات الالهيه.

«و ثنى بالندب الى امثالها» اى: انه تعالى ندب عباده و دعاهم الى الاستزاده من موجبات الخير والرحمه،كالانفاق فى سبيل الله و العطف

«و أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريک له، كلمه جعل الإخلاص تأويلها» المقصود أن كلمه: (لا إله إلا الله) يعود معناها إلى الإخلاص، كما قال أميرالمؤمنين (عليه السلام): «و كمال توحيده الإخلاص له، و كمال الإخلاص له نفى الصفات عنه» فقد قيل: إن المقصود من الإخلاص هو جعله خالصاً من النقائص كالجسم و العرض، و ما شاكلهما من النقائص، و كمال الإخلاص له نفى الصفات، أى الصفات الزائده على ذاته لأن كل موجود متصف بصفه، و صفته غير ذاته، فالإنسان غير العلم، و العلم

ص: ۳۰۶

غیر الإنسان و لکن الله تعالی علمه عین ذاته، و بقیه صفاته کلها عین ذاته، و لهذا الموضوع بحث مفصّل عند العلماء مذکور فی الکتب الکلامیه.

«و ضمّن القلوب موصولها» أی إن الله تعالی ألزم القلوب المعنی الذی تصل إلیه کلمه (لا- إله إلا- الله) و هو معنی التوحید الفطری، أی جعل القلوب علی هذه الفطره، قال تعالی: «فِطْرَتَ اللهِ الَّتِی فَطَرَ النَّاسَ عَلَیْها» و الفطره: المله، و هی الدین الإسلام و التوحید، و هی التی خلق الناس علیها و لها و بها، و معنی ذلک أن الله تعالی خلقهم و رکّبهم و صوّرهم علی وجه یدل علی أن لهم صانعاً قادراً عالماً حیاً قدیماً واحداً، لا یشبه شیئاً، و لا یشبهه شی ء.

«و أنا فی الفکر معقولها» أی بسبب التفکیر و التعقل أوضح الله المعنی الذی یوصل إلیه بعد التدبر و التعمّق، أی معنی کلمه التوحید، و المقصود منه التوحید النظری، و قد مضی الکلام عن التوحید الفطری، و معنی التوحید النظری:التفکّر فی الدلائل و البیّنات، و النظر فی الآیات فی الآفاق و فی أنفسهم.

«الممتنع عن الأبصار رؤیته» حیث أن الله تعالی لیس بجسم، و لا- جوهر و لا- عرض، و العین لا تدرک و لا تری إلا الأجسام و الأعراض، و هی الأمور التی تعرض الجسم، کالألوان و الطول و العرض و ما شابه ذلک، و بما أن الإدراک بالبصر إنما یتحقق بانعکاس صوره المرئی فی عدسه العین، أو اتصال أشعه العین إلی ذلک الشی ء المرئی، و حیث أن الله تعالی لیس بجسم فلا یمکن انعکاسه فی العین، و لهذا من المستحیل أن تدرکه العیون و لا یمکن لأی موجود أن یری الله تعالی و یدرکه بالعین، لا فی الدنیا و لا فی الاخره، کما قال تعالی: «لا تُدْرِکُهُ الْأَبْصارُ وَ هُوَ یُدْرِکُ الْأَبْصارَ وَ هُوَ اللَّطِیفُ الْخَبِیرُ» و قال سبحانه «لن ترانی» و «لن» لنفی الابد. و لیس هذا الامتناع خاصاً بالرؤیه، بل بجمیع الحواس الظاهره کالسامعه و الشامه و الذائقه و اللامسه.

ص: ۳۰۷

و من المؤسف جداً أن بعض طوائف المسلمين يعتقدون أن الله تعالى جسم، و يصرّحون بهذا الاعتقاد الفاسد الساقط عبر الإذاعات، رافعين أصواتهم: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا و هو راكب على حمار!!

و ليس هذا ببعيد من طائفةٍ أصول دينهم و فروعه محمول على أكتاف رجل يصفونه بالكذب و التزوير و التلاعب، و اختلاق الروايات و إسنادها إلى رسول الله و غيره، و يكتبون أن عمر بن الخطاب ضربه بالدرّه و منعه عن الحديث لكثره الأكاذيب التى كان يختلقها و يصوغها فى بوتقه الدجل و التزوير.

و سمعت أيضاً من بعض مدّعى العلم- عبر الإذاعه-: أن الرسول رأى ربه ليله المعراج رؤيه عين.

يا للكفر، يا للإلحاد، يا للزندقه، يا للجهل.

القرآن يقول: لا تدركه الأبصار، و الجهال يقولون: تدركه الأبصار، يتركون كلام الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، و يخأخذون بقول مخلوق إن لم نقل إنه كذاب فهو جاهل يخطئ و يصيب.

و إذا كان بعض المسلمين يجهلون أو ينحرفون عن التوحيد- الذى هو أصل الدين- فكيف بالنبوه و الإمامه و المعاد؟

و كيف بفروع الدين و الأحكام الفقهيه و الأمور الدينيه و القضايا الشرعيه؟

«و من الألسن صفته» أى لا- يمكن و صف الله تعالى كما لا يمكن رؤيته، و كيف يستطيع الإنسان أن يصف شيئاً لم يره، و لم يحط به إحاطه؟! كما قال على (عليه السلام): «ليس لصفته حد محدود، و لا نعت

موجود» لأن صفائه عين ذاته، فكما إنه لا يمكن إدراك ذاته كذلك لا يمكن إدراك صفاته التى هى عين ذاته.

«و من الأوهام كيفيته» إن الله تعالى جعل للإنسان قوى باطنيه، و هى الحواس الخمس الباطنيه، و هى الذاكره و الحافظه و الواهمه و المفكره و الحس المشترک و الواهمه هى القوه التى تدرک بها الأشياء الجزئيه، کأن يتصوّر الإنسان امرأه جميله، أو قصراً شاهقاً أو حديقه غنّاء، أو ما شابه، و كل ما تصوّره الإنسان أو توهمه فهو مخلوق، و لا يستطيع الإنسان أن يتصوّر الخالق تصوّراً صحيحاً حقيقياً، أى لا يستطيع أن يعلم كيف هو؟ و هو تعالى لا يكيّف بكيف؟أى لا يمكن تصوّر الكيفيه فى ذاته.

«ابتدع الأشياء لا من شى ء كان قبلها» أى خلق الله الكائنات لا من ماده، أى أوجدها و ما كانت موجوده.

و يقول الماديون: لا يمكن أن يوجد شى ء إلا من ماده، و الماده أصل الأشياء.

فإذا سألتهم: و الماده من أى شـى ء وجدت؟ و أين وجدت؟ و من أوجدها؟ تراهم يسكتون و لا يحيرون جواباً، لأنهما إذا قالوا: إن الماده وجدت من غير ماده. قلنا لهم: فما المانع أو توجد الموجودات الأخرى من غير ماده؟ و إذا قالوا: إن الماده وجدت من ماده أخرى نسألهم: الماده الأخرى من أى شى ء وجدت؟ و هكذا و هلمّ جراً.

فالاعتقاد بأن الله تعالى خلق الأشياء لا من شى ء أفضل و أسلم من نظريات الماديين.

«و أنشأها بلا احتذاء أمثله امتثلها» أو جد الله تعالى الأشياء لا من ماده و لا من شى ء بلا اقتداء بأحد فى تصويرها.

ص: ۳۰۹

انظر إلى الاختراعات الحديثه إنما اقتدى مخترعوها بأشياء أخرى، صنعوا الطائره حينما نظروا إلى الطيور و كيفيه طيرانها، و كيف تلصق رجليها إلى بطنها وقت الطيران، و ترسل رجليها حين الهبوط.

و صنعوا الغواصه البحريه حينما نظروا إلى السمكه تغوص فى الماء متى شاءت، و تطفو على الماء متى أرادت.

و هكذا التطورات فى المصانع و المعامل كلها من احتذاء أمثالها، و الاقتداء بأشباهها و لكن الله تعالى أو جد الكائنات بلا احتذاء و لا اقتداء و لا اتباع بموجودات أخرى مماثله و مشابهه لتلك الكائنات.

«كوّنها بقدرته» أوجد الله تعالى الأشياء بقدرته الجامعه الكامله، بدون مشاركه من أحد، بقدرته و قوته و تمكّنه على الإيجاد و التكوين، لا باستعمال الأدوات و الآلات.

«و ذرأها بمشيئته» أى خلقها بإرادته دون قوله: و حسب إرادته فى الكيفيه و الصوره و الشكل و الهيئه و العدد، و بقيه الخصوصيات، خلقها بمشيئته بلا إجبار، و بإرادته التى إذا أراد شيئاً يقول له كن فيكون.

و قد جاء فى دعاء الامام زين العابدين (عليه السلام): «... و مضت على ارادتك الاشياء، فهى بمشيتك- دون قولك- موتمره، و بارادتك- دون نهيك- منزجره...». «من غير حاجه منه إلى تكوينها» أى إن الله تعالى خلق الكائنات بلا حاجه منه إلى إيجادها و تكوينها مثل أن يستأنس بهم، أو يستعين بهم فى الأمور، فله تعالى الكمال الكامل بجميع معنى الكلمه، و لا طريق للاحتياج إلى ذاته المقدسه.

«و لا فائده له فى تصويرها» أى لم تكن لله تعالى فائده فى إحداث

تلك الصور و الأشكال و الهيئات، فإذا نفينا الحاجه و الفائده فی التكوين و التصوير ينبغی أن نعلم السبب فی ذلك، لأن الفعل بلا سبب لغو، و تعالی الله عن ذلك.

«إلا تثبيتاً لحكمته» و فی نسخه (تبييناً) و علی كل تقدير، فالمعنی أن المقصود من الإنشاء و التكوين و الإيجاد هو إظهار الحكمه الإلهيه، و هو تعالی يعلم تلك الحكمه البالغه التی اقتضت إيجاد الكائنات، و لعل من تلك الحكمه إن الله تعالی خلق الكائنات لكی يعرف.

«و تنبيهاً علی طاعته» أی خلق الخلائق. كی يتبّههم علی وجوب طاعته، و الانقياد لأوامره، لقوله تعالی: «وَ ما خَلَقْتُ الْجِنَّ وَ الإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ» و الإطاعه و العباده إنما تحصل بعد المعرفه و ما قيمه العباده بغير معرفه؟ و ما قيمه المعرفه بدون إطاعه و عباده؟

«و إظهاراً لقدرته» قدره الله تعالی كانت موجوده، و إنما أراد إظهار شی ء من قدرته فخلق الجمادات و النباتات و الحيوانات و الإنسان، و أودع فی كل واحد من هذه الموجودات آيات من القدره، فخلق الكواكب و المجرّات، و الأفلاك و السماوات، و خلق الكريات الحمر و البيض فی الدم، و خلق الذره و جعل لها قوائم، إلی غير ذلك ممّا يطول الكلام بذكره.

و ملخص القول: إن كل موجود من الموجودات تتجلی و تظهر فيه قدره الله علی الإبداع.

«و تعبداً لبريته» خلق الله الموجودات كی ينقادوا لأوامره، و ينزجروا عن نواهيه، و العباده هی الانقياد و الطاعه.

«و إعزازاً لدعوته» أی خلق الله الأشياء لتكون تقويه للبراهين و الحجج التی يستدلّ بها الداعون إلی الله تعالی من الأنبياء و غيرهم.

(ثم جعل الثواب على طاعته) الإنسان لا ينـدفع نحو العمل إلا بـدافعين: دافع الرغبه و هو الطمع لجلب الخير، و دافع الرهبه و هو الخوف من المكروه، فالتـاجر يتجر طلبـاً للمنـافع و خوفـاً من الفقر، و الطـالب يتعلم و يـدرس طلبـاً للثقافه أو الوظيفه، و هرباً من الجهل الذى يحول بينه و بين الصعود إلى مدارج الكمال.

و الإنسان لا ينقاد و لا يطمع إلا طمعاً فى الأجر و الثواب، و خوفاً من العذاب و العقاب.

و انطلاقاً من هذه الحكمه جعل الله الثواب و هو الأجر مع التقدير و الاحترام جزاء للطاعه و الانقياد.

«و وضع العقاب على معصيته» أى جعل قانون العقوبه للعاصين، المخالفين لأوامره المتجاوزين لأحكامه.

لماذا؟

«ذيـادةً لعبـاده من نقمته» وضع الله تعـالى قـانون العقوبـاه لفى الـدنيا،و العـذاب فى الاخره لاجل ردع العباد و منعهم عن ارتكاب الأعمال التى توجب نقمته أى عقوبته.

«و حياشةً لهم إلى جنته» أى جعل الثواب و العقاب لمنع العباد عن المعاصى، و سوقهم إلى طريق الجنه، أى الأعمال التى يستحق الإنسان بها الجنه، و قد مرّ معنى الحياشه فى شرح الكلمات.

«و أشـهد أن محمـداً عبده و رسوله» أقرّت السـيده فاطمه الزهراء (عليهاالسـلام) بالشـهادتين بعد أن شـرحت كلامها شـرحاً كافياً حول التوحيـد، فانتقلت إلى ذكر النبوه و ما يدور فى هذا الفلك، فاعترفت لأبيها- أولاً- بالعبوديه الكامله أى الانقياد و الخضوع لله تعالى، و هى درجه يبلغها الإنسان باختياره مع العلم أن النبوه مرتبه تحصل للنبى بغير سعى

ثم اعترفت له بالرساله، أی إنه نبی مرسل من عندالله تعالی إلی الخلائق بشریعه سماویه.

و من المؤسف أن کلمه (الرساله) صارت تستعمل- فی زماننا- فی کل مبدأ حق أو باطل، و فی کل فکره صحیحه أو سقیمه.

«اختاره و انتجبه قبل أن أرسله» انتقاه الله من أهل العالم کما ینتقی أحدنا الفرد الکامل الممتاز من أفراد عدیده، فالفاکهه الواحده نختارها من مئات أمثالها بعد أن نری فیها المزایا المتوفره المستجمعه فیها، المفقوده فی غیرها، من حیث الحجم و اللون و النضج و الطعم و النوع و ما شابه ذلک.

و هکذا اختار الله محمدا (صلّی الله علیه و آله و سلم) قبل أن یرسله، أی إن أهلیه الرسول- و استحقاقه لهذا المنصب الخطیر و هو النبوه- کانت ثابته و معلومه عندالله تعالی قبل أن ینزل الرسول إلی ساحه العمل و الجهاد و الدعوه إلی الله، و ما کانت- هناک- حاجه للاختبار و الامتحان حتی تظهر مواهبه و استعداده و تقبّله للمسؤولیه، بل کان الله یعلم کفاءه الرسول لهذا العب ء الثقیل.

«و سمّاه قبل أن اجتبله» أی سماه الله محمداً قبل أن یخلقه أو سمّاه (کالخطیبه)یقال فی حقها: (سمّیت لفلان) أی تقرّر تزویجها من فلان، فالمعنی- و لا مناقشه فی الأمثال- أن الله تعالی قد قرّر فی سابق علمه أن یکون محمد (صلّی الله علیه و آله و سلم) رسول الله، أو سمّاه الله لأنبیائه قبل أن یخلقه.

«و اصطفاه قبل أن ابتعثه» أی اختاره الله تعالی قبل أن یرسله نبیّاً.

«إذ الخلائق بالغیب مکنونه» إن الله تعالی اصطفی محمداً و اختاره و اجتبله فی الوقت الذی کانت الخلائق و هم الناس غیر موجودین، بل کانوا فی الغیب مختفین مستورین، أی کانوا فی علم غیب الله، و ما کان

لهم وجود فی الخارج بحیث ما کان یمکن إدراکهم.

«و بستر الأهاویل مصونه» هـذه الجمله تفسـیر لما قبلها، و الأهاویل: جمع أهوال و هی جمع هول، و هو الخوف و الأمر الشدید و المقصود: وحشه ظلمات الغیب.

«و بنهایه العدم مقرونه» نهایه الشی ء حدوده و آخره، و المقصود أن الخلائق کانت بعیده عن الوجود أی کانت معدومه.

«علماً من الله بمآئل الأمور» من ذلک الوقت اختار الله محمداً (صلّی الله علیه و آله و سلم) بسب علمه بعواقب الأمور و ما ترجع إلیه الأمور، کان الله یعلم عواقب البشر، و عواقب حالاتهم و شؤونهم، و عواقب رساله النبی و بعثته، و مواهبه و کفاءته للرساله بسبب اتصافه بالأخلاق الحمیده و الصفات الجمیله، و لهذا اختاره للرساله من ذلک الوقت.

و قد صرحت أحادیث کثیره جداً مرویه عن رسول الله (صلّی الله علیه و آله و سلم):أن أول ما خلق الله نور محمد (صلّی الله علیه و آله و سلم) و هکذا قوله (صلّی الله علیه و آله و سلم): إن الله خلق نوری و نور علی قبل أن یخلق آدم أو قبل أن یخلق السماوات و الأرض باثنتی عشر ألف سنه أو أربعه و عشرین ألف سنه،و غیرها من الروایات الوارده فی الکتب المعتبره.

«و إحاطه بحوادث الأمور» و بسبب إدراکه تعالی جمیع ما یدرک من الوقائع التی تحدث و تتجدد علی مر الأعوام و القرون.

«و معرفه بمواقع المقدور» و بسبب معرفته بأزمنه الأمور و أمکنتها التی قضاها، و المصالح التی رآها تعالی.

ص: ۳۱۴

«ابتعثه الله إتماماً لأمره» بعث الله محمداً (صلّى الله عليه و آله و سلم) إتماماً للحكمه التی خلق الله الأشیاء لأجلها، و لعل المقصود هو ختم النبوه برسول الله (صلّی الله علیه و آله و سلم).

«و عزیمه علی إمضاء حکمه» و إراده قویه أکیده لإنفاذ حکمه و قضائه، و تقدیره فی خلقه.

«و إنفاذاً لمقادیر حتمه» و إجراء لمقدوراته الواجبه التی لا یمکن إسقاطها، و هی المقادیر المحتومه التی لا تتغیر و لا تتبدل.

و هنا تتحدث السیده فاطمه الزهراء عن الحیاه الدینیه و التفسّخ العقائدی فی ذلک العهد:

«فرأی الأمم فرقاً فی أدیانها» رأی رسول الله (صلّی الله علیه و آله و سلم) أهل الأرض علی أدیان متفرقه، من یهود و نصاری و مجوس، و صابئه و ملاحده و زنادقه.

«عُکّفاً علی نیرانها» ملازمه علی عباده النار، و مواظبه علیها، و هم المجوس الذین کانوا یقدّسون النار إلی حد العباده، بل ویبنون بیوتاً للنار، و یحافظون علی إبقائها کی لا تنطفئ.

«عابده لأوثانها» جمع وثن و هم الصنم المصنوع من خشب أو حجاره أو غیرها من التماثیل فی کنائسهم و بیعهم، ینحنون أمامها، و یرکعون و یسجدون لها بقصد العباده.

«منکره لله مع عرفانها» جاحده لله تعالی مع معرفتهم به تعالی کما قال (عزّ و جلّ): (یَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللهِ ثُمَّ یُنْکِرُونَها) و المقصود أنهم کانوا یعرفون الخالق و الصانع بالفطره و الوجدان و العقل، إذ أنهم کانوا یعلمون أن کل مصنوع لابدّ له من صانع، و یعلمون أن الکائنات مخلوقه و لم یدّع أحد من المخلوقین أنه خلق الشمس و القمر و السماء و الأرض، فلابدّ من

الاعتقاد بوجود صانع لها.

«فأنـار الله بمحمـد (صلّى الله عليه و آله و سـلم) ظلمها» أزال الله تعالى- بجهود الرسول و جهاده- تلك الظلمات- ظلمات تلك الأمم، ظلمات الكفر و الشرك و الجهل، أى إن الأدله و البراهين التى احتج بها الرسول كانت كفيله للقضاء على تلك النظريات التى تأسـست عليها عباده النيران و الأوثان، و ليس المقصود أن الرسول قضـى على جميع الأديان الباطله و العقائد الفاسده بمعنى إزالتها عن الوجود، بل أثبت أن الإسلام هو الحق و غيره باطل.

«و كشف عن القلوب بهمها» كشف الله- بمحمد (صلّى الله عليه و آله و سلم) عن القلوب مشكلاتها، و الأمور المخفيه المستوره عنهـا، كالاعتقـاد بالتوحيـد و الحشـر و النشـر فى القيـامه، إذ كانت تلك الأمور من المشاكل الغامضه عنـدهم، و لكنها انحلّت و انكشفت ببركه الرسول.

«و جلى عـن الأبصـار غممهـا» و كشـف و أوضـح عـن العيـون الظلمـه المبهمـه المسـتوليه عليهـا، و المقصـود من الظلمه- هنـا- الانحرافات العقائديه التى كانت كالظلمه على أعينهم و لهذا ما كانوا يبصرون الحقائق بسبب تلك الظلمه.

«و قام فى الناس بالهدايه» قام رسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلم) بإراءه الطريق للناس و نصب لهم العلامات الداله على الحق و الحقيقه، على التوحيد و النبوه و المعاد.

«و أنقـذهم من الغوايه» أنقـذهم من الضـلاله الـتى كـانوا يعيشون فيهـا، و يموتون عليهـا، الضـلاله فى العقائـد، فى الأخلاق، فى الآداب و السلوك، فى العادات و التقاليد فكأنهم مغرقون فى البحر، فأنقذهم الرسول من الغرق، و أسعفهم من الهلاك.

«و بصّرهم من العمايه» جعلهم أصـحاب بصـر و بصـيره، فالأعمى- لغهً- هو الـذى لا يرى شـيئاً، و الأعمى- مجازاً- هو الـذى لا يدرك الحقائق كما هى، فإذا تعلم صار بصيراً.

«و هداهم إلی الدین القویم» للهدایه معانی عدیده، منها إراءه الطریق لمن لا یعرف الطریق، و منها الإیصال إلی المطلوب، و لقد قام رسول الله (صلّی الله علیه و آله و سلم) بالهدایه بکلا المعنیین: أراهم طریق السعاده و أوصلهم إلی سعاده الدنیا والآخره.

«و دعاهم إلی الصراط المستقیم» أی الطریق الذی لا اعوجاج فیه، و هو الإسلام.«ثم قبضه الله إلیه قبض رأفه و اختیار، و رغبه و إیثار» أی توفّاه الله و أخذه إلی عالم الآخره بسبب الرأفه لا الغضب و السخط، و باختیار منه لا بإجبار و إکراه أو باختیار من الله تعالی له الآخره و إراده منه تعالی، و فضّل له الآخره علی الدنیا کما قال (عزّ و جلّ): (وَ لَلآخِرَهُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ الأُولی». «فمحمد (صلّی الله علیه و آله و سلم) من تعب هذه الدار فی راحه» من مشاکلها و نوائبها، و ما کان یری فیها من أنواع الأذی و المخالفه، فإن الموت راحه لأولیاء الله، و إن حیاه الأنبیاء حیاه متعبه لأنها جهود و جهاد، و مشقه و عناء.

«قد حُفّ بالملائکه الأبرار» الذین حفّوا به والتفوا حوله، و رافقوا روحه الطاهره إلی الرفیق الأعلی إلی أعلی علیین.

«و رضوان الرب الغفار» الذی شمله فی ذلک العالم بصوره أوسع، لأن الدنیا تضیق عن ظهور جمیع آثار رضی الله، ولکن الآخره واسعه المجال.

«و مجاوره الملک الجبار» فهو فی حفظ الله و ذماره و قریب من ثوابه و ألطافه.«صلی الله علی أبی، نبیه و أمینه علی الوحی و صفیّه» الأمین الذی أُؤتمن علی الوحی و الرساله و صفیّه الذی اصطفاه من خلقه.

«و السلام علیه و رحمه الله و برکاته».

و فی نسخه: «فمحمد (صلّی الله علیه و آله و سلم) فی راحهٍ من تعب هذه الدار، موضوعاً عنه أعباء الأوزار، محفوفاً بالملائکه الأبرار».

خطبه فاطمه الزهرا

ثم انتقلت الی اهل المجلس و قالت:

أنتم- عباد الله- نصب أمره و نهيِهِ (۱) و حَمَله دينه و وحيه.

و أُمناءُ: الله على أنفسكمِ (۲) .

و بلغاؤه إلى الأُممِ (۳) .

زعيم حقّ له فيكم.

و عهد قدّمه إليكم.

و بقيّه استخلفها عليكم.

كتاب الله الناطق.

و القرآن الصادق.

و النور الساطعِ (۴) .

و الضياء اللامعِ (۵) .

بيّنه بصائره، منكشفه سرائرهِ (۶) .

۱- ۲۹۶. منصوبون لا وامره و نواهيه.

۲- ۲۹۷. امناء: جمع امين.

۳- ۲۹۸. البلغاء- جمع بليغ، و المقصود- هنا-: المبلغ.

۴- ۲۹۹. الساطع: المرتفع.

۵- ۳۰۰. اللامع: المضی ء.

۶- ۳۰۱. البصائر: جمع بصيره، و المراد- هنا-:الاسرار الخفيه و اللطائف الدقيقه.

متجلّيه ظواهرهِ (۱) .

مغتبط به أشياعهِ (۲) .

قائد إلى الرضوان اتّباعه.

مؤدٍّ إلى النجاه استماعه.

به تُنال حجج الله المنوّره.

و عزائمه المفسَّرهِ (۳) .

و محارمه المحذَّره.

وبيّناته الجاليهِ (۴) .

و براهينه الكافيه.

و فضائله المندوبهِ (۵) .

و رُخَصُه الموهوبه.

وشرائعه المكتوبهِ (۶) .

فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك.

والصلاه تنزيها لكم من الكبر.

والزكاه تزكيه للنفس و نماء فى الرزق.

والصيام تثبيتا للاخلاص.

والحج تشييدا للدين.

۱- ۳۰۲. متجليه: منكشفه.

۲- ۳۰۳. الغبطه: ان تتمنى مثل حال المغبوط اذا كان بحاله حسنه.

۳- ۳۰۴. الغرائم- جمع عزیمه- الفریضه التی افترضها الله.

۴- ۳۰۵. الجالیه: الواضحه.

۵- ۳۰۶. المندوبه: المدعو الیها.

۶- ۳۰۷. المکتوبه- هنا-: الواجبه.

و العدل تنسيقاً للقلوبِ (۱) .

و إطاعتنا نظاماً للملّه.

و إمامتنا أماناً للفرقه.

و الجهاد عزّاً للإسلام.

و الصبر معونه على استيجاب الأجر.

و الأمر بالمعروف مصلحه للعامّه.

و برَّ الوالدين وقايهً من السخط.

و صِلَه الأرحام منماةً للعددِ (۲) .

و القصاص حقناً ِ(۳) للدماء.

و الوفاء بالنذر تعريضاً ِ(۴) للمغفره.

و توفيه المكاييلِ (۵) و الموازين تغييراً للبخس.

و النهى عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس.

و اجتناب القذف حجاباً عن اللعنه.

و ترك السرقه إيجاباً للعفّه.

و حرّم الشرك إخلاصاً له بالربوبيه.

فاتقوا الله حق تقاته، و لا تموتن إلّا و أنتم مسلمون.

و أطيعوا الله فيما أمركم به و نهاكم عنه.

فإنه إنما يخشى الله من عباده العلماء.

۱- ۳۰۸. التنسيق: التنظيم.

۲- ۳۰۹. منماه- على وزن مسحاه-: اسم آله للنمو، و لعلها مصدر ميمى للنمو.

۳- ۳۱۰. حقنا: حفظا.

۴- ۳۱۱. تعريضا: اذا جعلته فى عرضه الشى ء.

۵- ۳۱۲. المكاييل- جمع مكيال-: و هو ما يكال به و الموازين جمع ميزان. و البخس: النقص.

خطابها الى الحاضرين فى المسجد

شرح انتقلت (عليهاالسلام) من ذكرالنبوه الى ذكر ما تركه الرسول الاعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) من الثقلين: الكتاب و العتره الذين يقومان مقام النبى فقالت:- و هى مخاطبه للحاضرين فى المسجدالنبوى حينذاك:

«انتم- عبادالله- نصب امره و نهيه» كلمه: (عباد الله) جمله معترضه بين المبتدا و الخبر، و المعنى: اخص بالخطاب عباد الله أنتم نصب أمره و نهيه، أى أنتم منصوبون لأوامره الله تعالى و نواهيه، لأ نكم كنتم موجودين عند ورود الأوامر و النواهى، و الخطاب موجّه إليكم.

«وحَمله دينه و وحيه» أى الحاملون لأحكام الدين لمشاهدتكم سيره الرسول و الأحكام التى كان (صلى الله عليه و آله و سلم) يصدّرها، و أنتم الحاملون لآيات القرآن حينما كان جبرئيل ينزل بها على الرسول يعلّمكم إيّاها.

«و أُمنا الله على أنفسكم» أنتم الذين ائتمنكم الله على دينه حتى تتلقوا الأحكام من الرسول ثم تلقوها إلى الأفراد الذين لم يتعلّموا تلك الأحكام.

«و بلغاؤه إلى الأمم» لا شك أن العلوم تنتقل من جيل إلى جيل على مرّ القرون، و حيث أنكم عاصرتم الرسول و سمعتم أحاديثه و تعلَّمتم سُنّته يجب عليكم أن تبلّغوا تلك الأوامر و التعاليم و الأحاديث و السنن إلى

الأجيال القادمه، فأنتم مبلّغو الـدين الإسـلامى إلى الأمم القادمه و عليكم اداء هذه المسؤوليه العظمى تجاه الإسـلام و المسـلمين، فيجب عليكم أداء الأمانه سـليمه من التلاعب، و تبليغ الأحكام كما أنزلها الله بـدون تحريف أو تغيير. لأنكم الوسائل بين الرسول (صـلى الله عليه و آله و سـلم) و بين بقيه المسـلمين فإن أحسـنتم الأداء فلكم الأجر الجزيل، و إن خنتم فى الأداء و التبليغ فعليكم أوزار كل انحراف يحدث فى الدين و فى المسلمين.

«زعيم حق له فيكم، و عهـد قـدمه إليكم، و بقيه اسـتخلفها عليكم» هـذه الجملاـت ذكرها أكثر رواه الخطبه، و لكنها لا تخلو من الاضـطراب و الغموض، و لعل فى الكلام سقطاً و حذفاً و قد ذكر شرّاح الخطبه وجوهاً محتمله لهذه الكلمات لا تخلو من تكلّف و تعسّف، و لكن النتيجه و المقصود أن الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) عهد إليكم بما يجب عليكم، و ترك فيكم بقيه منه جعلهـا خليفه له عليكم، و معنى البقيه هو مـا يخلفه الإنسـان فى أهله من الآثار و اللوازم، و المراد أن الرسول ترك فيكم ما يسـدّ الحـاجه و يكفى الأمه الإسـلاميه مهامّها، و فى بعض النسـخ: «و بقيه اسـتخلَفَنا عليكم، و معنا كتاب الله» و هـذه الجمله تشـير إلى الحـديث المشـهور المعتبر عند المسـلمين و هو قوله (صـلى الله عليه و آله و سـلم): «إنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتى أهـل بيتى، و إنهمـا لن يفترقـا حتى يردا علىَّ الحوض (۱) » و هنـا تتحـدث السـيده فاطمه الزهراء عن أحـد الثقلين و هو القرآن الكريم فقالت: «كتاب الله الناطق» أى المبيّن الموضّح، كالإنسان الذى يتكلم بكل وضوح.

«و النور الساطع» قد ورد فى القرآن الكريم التعبير عن القرآن بالنور

۱- ۳۱۳. صحيح مسلم و غيره.

كقوله تعالى: «فآمنوا بالله و رسوله و النور الذى أنزلنا و الله بما تعملون خبير» (۱) .

«و الضياء اللامع» و هو النور المشرق، لا النور الضئيل الخفى.

«بيّنه بصائره» أى واضحه حججه و براهينه فأدلّه التوحيد و النبوه و الإمامه و البعث فى يوم القيامه و غير ذلك من الأدله و البراهين تجدها واضحه عند أهلها، و عند كل من يعرف منطق القرآن، و يفهم المناسبه بين الدليل و المدلول، و العله و المعلول، استمع إلى قوله تعالى:

«لو كان فيهما آلهه إلا الله لفسدتا» و قوله: «و ضرب لنا مثلاً و نسى خلقه قال من يحيى العظام و هى رميم قل يحييها الذى أنشأها أول مره و هو بكل خلق عليم» و قوله: «و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون» و قوله: «قل لئن اجتمعت الجن و الإنس على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله و لو كان بعضهم لبعض ظهيراً» و غيرها من الآيات التى هى أدله و براهين و حجج على ما ذكره الله تعالى.

«منكشفه سرائره» فى القرآن آيات واضحه الدلاله، ظاهره المعنى، و آيات تشتمل على معانى دقيقه و أسرار خفيه كأسرار الكيمياء الغيبيّه، أو الآيات المتشابهات، و هى كلها منكشفه و معلومه عند أولى الألباب، و الراسخين فى العلم.

«متجليه ظواهره» ظواهر القرآن واضحه كمال الوضوح.

«مغتبط به أشياعه» أى إن أتباع القرآن يبلغون منزله عند الله بحيث يغبطهم الناس، أى يتمنى الناس الوصول إلى تلك الدرجات التى نالها

۱- ۳۱۴. التغابن: ۷.

الذين اتبعوا القرآن.

«قائد إلى الرضوان إتباعه» القرآن يقود إلى رضوان الله تعالى أو اتّباع القرآن يقود إلى الرضوان و النتيجه واحده.

«مؤدٍّ إلى النجاه استماعه» أى الاستماع إلى القرآن يؤدى إلى النجاه كما قال تعالى: «و إذا قُرئ القرآن فاستمعوا له و أنصتوا لعلكم ترحمون» سيّما إذا كان مع الاستماع تدبّر و تعقّل، لأن الخوف من الله يحصل باستماع القرآن، و كذلك الرجاء به، و هكذا ينجو الإنسان من عذاب الله تعالى، فكم من كافرٍ أسلم بسبب استماع القرآن؟ و كم من مذنب تاب؟ وكم من منحرف اعتدل و كم من شاكٍ استقام و تيقّن؟

«به تُنال حجج الله المنوَّره» الحجه ما يحتج به الإنسان و يمكن الاستدلال و الاحتجاج به فى القضايا العقليه و الأحكام الشرعيه، و الأمور العرفيه.

«و عزائمه المفسَّره» أى الواجبات التى فسرها القرآن نفسه، أو النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) أو أئمه أهل البيت (عليهم السلام) لأن القرآن نزل فى بيوتهم، و أهل البيت أدرى بما فى البيت، فسّروا أحكام العبادات و كيفيتها و الخصوصيات المتعلقه بها من الوضوء إلى الغسل إلى الصلاه إلى الصوم و الحج و الجهاد و غير ذلك من الواجبات.

«و محارمه المحذّره» حذّرّ الله تعالى فى القرآن عباده عن ارتكاب المحرّمات، حذَّرهم بالعذاب الأليم فى الدنيا أو الآخره.

«و بيناته الجاليه» أى المحكمات الواضحه التى لا تحتاج إلى تأويل.

«و براهينه الكافيه» وفى نسخه: «و جُمَله الكافيه» أى المتشابهات المعلومه عند الراسخين فى العلم.

«وفضائله المندوبه» و هى الأمور المستحبه التى ندب الله تعالى عباده

ص: ۳۲۴

إليها أى دعاهم إليها بدون إلزام كصلاه الليل و أمثالها.

«وَّ رُخصه الموهوبه» فى القرآن أحكام واجبه كما تقدم الكلام عنها، و مخيّره و هى المستحبات التى يتخير الإنسان فيها.

«و شـرائعه المكتوبه» شـرائع: جمع شريعه، و هى ما شرّع الله أى قرّره لعباده من الدين تشبيهاً بمورد الماء، و المكتوبه هى الواجبه المفروضه.

ص: ۳۲۵

كلامها حول فلسفه الأحكام

ثم انتقلت (عليهاالسلام) إلى ذكر الفلسفه الإسلاميه، أو علل الأحكام فى الشريعه الإسلاميه و ما هناك من فوائد و أسرار، و حكَم فى التشريع الإسلامى التى هى للوقايه أكثر مما هى للعلاج، و قد قيل: «الوقايه خير من العلاج» و سيتضح لك ذلك، قالت (عليهاالسلام):

«فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك» و فى نسخه: «ففرض الله الإيمان» الآيات الوارده فى القرآن الكريم، الآمره بالإيمان بالله وحده، إنما هى لغرض التطهير من أرجاس الشرك بالله، فالشرك بمنزله المكروبات الضاره، و الإيمان تعقيم لها، فالشرك قذاره متعلقه با لأذهان، ملتصقه بالعقول، قد تلوثت بها القلوب، و الإيمان تطهير عام لإزاله تلك القذاره.

«والصلاه تنزيهاً لكم عن الكبر» المقصود من تشريع الصلاه هو القضاء على رزيله الكبر، لأن الصلاه خضوع و خشوع لله و ركوع و سجود و تذلل، و أكثر المصابين بداء الكبرياء هم التاركون للصلاه.

«و الزكاه تزكيه للنفس و نماءً فى الرزق» و فى نسخه: «و الزكاه تزييداً لكم فى الرزق» إنّما سُميت الزكاه لأنها تزكى الإنسان، استمع إلى قوله تعالى: «خُذ من أموالهم صدقه تطهرهم و تزكيهم بها» و قد جعل الله تعالى البركه و النمو فى إعطاء الزكاه، فيأذن الله للأرض أن تجود ببركاتها فيكثر الزرع و يمتلئ الضرع،و تتراكم الخيرات، و تتضاعف الثمار.

«و الصـيام تثبيتاً للإخلاص» قد يمكن أن يصلى الإنسان قصد الرياء، و لا يمكن أن يصوم و يطوى نهاره جائعاً عطشاناً، و يتحمل المشقه- لسبب الإمساك و الامتناع عما يشتهى- بقصد الرياء، فالصوم من أظهر العبادات الخالصه لوجه الله الكريم.

«و الحج تشييداً للدين» للحج فوائد و منافع معنويه لا تتحقق بغير الحج، فالحج عباره عن عدد كبير من المسلمين من بلاد بعيده و أقطار عديـده، من شـرق الأرض و غربها و عن كل قطر يسـكن فيه مسـلم يسـتطيع الحـج، فى أيام محـدوده و أماكن معينه، على هيئات خاصه و كيفيات مخصوصه، فيلتقى بعضـهم ببعض، و يتعرّف المسـلم الأفريقى بالمسـلم الآسيوى، و يطلّع المسلم الشرقى على أحوال المسلم الغربى و ما هناك من فوائد تحصل من تلك اللقاءات، أضف إلى ذلك الفوائد التى تعود إلى نفس الإنسان الحاج من الخضوع و التذلل لله، و التوبه و الاستغفار و غير ذلك مما يطول الكلام بذكره.

«و العـدل تنسـيقاً للقلوب» و فى نسـخه: «و تنسـيكاً للقلوب» لا أعرف لتعليل العـدل تعريفاً أحسن و أكمل من هذا التعريف، لأن تنسـيق القلوب تنظيمها كتنسـيق خرز السـبحه، و تنظيمها بالخيط، فلو انقطع الخيط تفرقت الخرز و تشـتتت، و اختل التنظيم و زال التنسيق.

إن العدل فى المجتمع بمنزله الخيط فى السبحه، فالعدل الفردى و الزوجى و العائلى و الاجتماعى و العدل مع الأسره و مع الناس يكون سـبباً لتنظيم القلوب و انسـجامها بل و انـدماجها، و إذا فقد العدل فقد الانسـجام، و جاء مكانه التنافر و التباعد و التقاطع، و أخيراً التقاتل.

و ليست العداله من خصائص الحكّام و الولاه و القضاه، بل يجب على كل إنسان أن يسـير و يعيش تحت ظلال العداله، و يعاشـر زوجته و عائلته

و أسرته و مجتمعه بالعداله إبقاءً لمحبه القلوب.

«و إطاعتنا نظاماً للمله» و فى نسخه: «و طاعتنا» كل أمه إذا أرادت أن تعيش لا بدَّ لها من اختيار نظام حاكم سائد، و النظام كلمه واسعه النطاق، كثيره المصداق غزيره المعانى.

فالحكومات، و تشكيل الوزارات، و تنظيم الدوائر، و سنّ القوانين، و إصدار التعاليم فى شتى المجالات يقال لها: نظام. و لا بدّ- طبعاً- من تنفيذ النظام، و الخضوع و الانقياد له، و يقال له: التنظيم.

فإذا كان النظام صالحاً انتشر الصلاح فى العباد و البلاد، و إذا كان النظام فاسداً ظهر الفساد فى البر و البحر.

و الأمه الإسلاميه التى تعتبر نفسها فى طليعه الأمم الراقيه المتحضره لا بدّ و أن يكون لها نظام، و إن الله تعالى جعل إطاعه أهل البيت (عليهم السلام) نظاماً للمله الإسلاميه، و معنى ذلك أن الله جعل القياده العامه المطلقه العليا، و السلطه لأئمه أهل البيت الاثنى عشر (عليهم السلام) و هم عتره الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) فقط، لا كل من يستلم زمام الحكم، أو يجلس على منصه القياده تجب إطاعته و تنفيذ أوامره.

و إنما جعل الله إطاعه أئمه أهل البيت نظاماً للمسلمين لأن الله تعالى زوَّدهم بالمواهب، و منحهم الأهليه، و أحاطوا علماً بكل ما ينفع المجتمع و يضرّه، و بكل ما يُصلح الناس و يفسدهم.

و جعلهم الرسول عدل القرآن بقوله (صلى الله عليه و آله و سلم): إنى تارك فيكم الثقلين: كتاب الله و عترتى أهل بيتى، و إنهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، و إنكم لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما.

و لقد سبق أن تحدثت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) عن القرآن و أنه بقيه استخلفها عليكم، ثم ذكرت بعض ما يتعلق بعظمه القرآن. ثم

انتقلت إلى ذكر فلسفه الإسـلام ثم انتقلت إلى ذكر الثقل الثانی، و هم العتره،و هم أهل البيت، و هم أولو الأمر الذين أوجب الله إطاعتهم على العباد بقوله تعالى: «أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أُولی الأمر منكم».

فو الله لو أن المسـلمين فسـحوا المجـال- من أول يوم- لأهل البيت و أطاعوهم لكانت الـدنيا روحاً و ريحاناً و جنه نعيم، و كانت السـعاده شـامله لجميع طبقـات البشـر على مرّ القرون، و ما كانت تحـدث المفاسـد و المجازر و المذابـح على وجه الأرض، و ما كـانت الأـموال تسـلب، و الأـعراض تُهتک، و النفوس تزهق ظلماً، و ما كان الجهل و الأميه و التأخير و التفسـخ منتشـراً بين الأمه الإسلاميه، و ما كان فی الأرض فقر و لا حرمان، و لا اضطهاد و لا جوع.

نحن لاـ نزال فی شـرح كلمـات السـيده فـاطمه الزهراء (عليهاالسـلام) و قـد طـال بنـا الكلاـم هنـا، لأن الموضوع يتطلب شـيئاً من التفصيل مع العلم أننا لم نؤد حق المقام.

فالبحث عن القياده الإسلاميه أو الإمامه الصحيحه بحث واسع يحتاج إلى موسوعه كبرى، و تحليل و تحقيق شاملين كاملين.

«و إمامتنـا أمانـاً للفرقه» و فی نسـخه: «لمّاً للفرقه» إمـام على وزن كتـاب هـو المقتـدى، انظر إلى إمـام الجمـاعه كيف يقتـدى به المأمومون فی أفعال الصـلاه من قيام إلى ركوع و سـجود و هكـذا، فهو مقتـدى فی أفعال محـدوده، و لهـذا يقال له: إمام صـلاه الجماعه، أو إمام الجماعه فی الصلاه.

و الإمامه الكبرى التی هی الخلافه العظمی، منصب سـماوی، و منزله تتعيّن من عند الله تعالى، لأنها تاليه للنبوه من حيث العظمه و الأهميه، انظر إلى أولياء الله كيف يسألون الله تعالى أن يبلغهم تلک المنزله الرفيعه و الدرجه الساميه.

فهذا إبراهيم الخليل (عليه السلام) يأتيه النداء من عند الله تعالى: «إنى جاعلك للناس إماماً» أى المقتدى به فى أفعاله و أقواله، و أنه الذى يقوم بتدبير الأمه و سياستها و القيام بأمورها، و تأديب جناتها، و توليه و لاتها،و إقامه الحدود على مستحقيها و محاربه من يكيدها و يعاديها، و ليس المقصود من الإمامه- هنا- النبوه، لأن إبراهيم كان نبياً حينذاك و إنما أضاف الله له الإمامه إلى النبوه.

و أنت إذا أمعنت النظر فى قوله تعالى: «إنى جاعلك» يتضح لك أن تعيين الإمام يجب أن يكون من عند الله، و لا يحق للناس أن يعينوا لأنفسهم إماماً حسب آرائهم الشخصيه و هو اياتهم الفرديه.

و إذا تدبرت بقيه الآيه تنكشف لك حقائق أخرى و هى قوله: «و من ذريتى قال لا ينال عهدى الظالمين» أى لما أخبر الله إبراهيم بالإمامه قال إبراهيم: «و من ذريتى» أى و اجعل من ذريتى من يوشّح بالإمامه و بهذه الكرامه. قال تعالى: «لا ينال عهدى الظالمين» قال مجاهد: العهد الإمامه، و قد روى ذلك عن الإمامين: الباقر و الصادق (عليهماالسلام) أى لا يكون الظالم إماماً للناس، و هذا يدل على عصمه الأئمه، لأن الله سبحانه نفى أن ينال عهده (الذى هو الإمامه) ظالم، و من ليس بمعصوم فقد يكون ظالماً إما لنفسه و إما لغيره.

و إذا تأملت فى هذه الآيات البينات يتضح لك أن المناصب السماويه و الوظائف الإلهيه ينبغى أن تكون من عند الله تعالى و تعيينه و جعله، تدبّر فى قوله تعالى:

يا داود إنا جعلناك خليفه فى الأرض (1) .

۱- ۳۱۵. الانعام: ۲۶.

و جعلنا فی ذریته النبوه و الکتاب﴾.

و لقد آتینا موسی الکتاب و جعلنا معه أخاه هارون وزیراً﴾.

و جعلناهم أئمه یهدون بأمرنا﴾ (۱) .

إنی جاعلک للناس إماماً﴾ (۲) .

«و اجعلنا للمتقین إماماً﴾ (۳) .

«و اجعل لی وزیراً من أهلی هارون أخی﴾ (۴) .

و غیرها من الآیات التی تتجلی فیها کلمه: (جعلنا) و (اجعلنا) و (جعلناهم) و ما أشبه ذلک.

و هنا تقول الزهراء (علیهاالسلام): «و إمامتنا» إنها تقصد إمامه الأئمه الاثنی عشر، و شخص زوجها العظیم أباالأئمه علیاً (علیه السلام).

«و الجهاد عزاً للإسلام» العزه لا تحصل إلا بالقوه، و تظهر القوه باستعمال السلاح و استعراض الجیش، و إظهار المعدات الحربیه، و تجلّی البطولات و غیر ذلک.

و أحسن استعراض للقوه و إثبات الشخصیه هو الجهاد فی سبیل الله، فالقوه و القدره و الإمکانیه و التضحیه، و مدی تعلق المسلمین بالمبدأ، و المواهب التی تظهر فی جبهات القتال، و تظهر النتیجه بالانتصار و الظفر و الغلبه علی أعداء الدین، و استیلاء الخوف علی کل مناوئ للإسلام، و القوی لا یخضع إلا للقوه، لا للإنسانیه فقط، و لا للثروه فقط، بل للقوه، و هکذا تجتمع العزه للأمه القویه، و للمبدأ الذی یعتنقه الأقویاء.

«و الصبر معونه علی استیجاب الأجر» الصبر علی المکاره من فقر

۱- ۳۱۶. الانبیاء۷۳.

۲- ۳۱۷. البقره.

۳- ۳۱۸. الفرقان.

۴- ۳۱۹. طه: ۲۹.

إلی مرض إلی دَین إلی سجن إلی مصیبه، یدل علی التسلیم لإراده الله تعالی، و التسلیم فضیله سامیه و منزله عالیه یستعین بها الإنسان الصابر علی تحصیل الاجر الجزیل، و الثواب الأوفی، و بالصبر یتم فعل الطاعات و ترک السیئات.

«و الأمر بالمعروف مصلحه للعامه» فرض الله الأمر بالمعروف علی کل مکلف فی حدود القدره و الإمکانیه بشروط معینه مذکوره فی محلها، و یعتبر نوعاً من الجهاد، و معنی ذلک أن کل فرد من أفراد المسلمین یعتبر نفسه مسؤولاً عن الدین مرتبطاً به، غیر منفصل عنه، و هو تفسیر عملی لقوله (صلی الله علیه و آله و سلم): «کلکم راع و کلکم مسؤول عن رعیته» لأن الإسلام لا یؤمن باللامبالاه و بالانعزال عن المجتمع الدینی، لأن الإسلام یعتبر المسلمین أسره واحده مترابطه، و أمه واحده یربطها رباط الدین و العقیده.

«و بر الوالدین وقایه من السخط» و فی نسخه: «و البر بالوالدین و قایه من السخطه» و معنی ذلک أن عقوق الوالدین یُسبب سخط الله و غضبه علی العاق لوالدیه، إذن یکون الإحسان إلیهما سبباً للوقایه من غضب الله تعالی، و بعد إلقاء نظره علی الآیات التی توصی برعایه حقوق الوالدین تتضح لنا أهمیه هذا الجانب الأخلاقی:

«و وصینا الإنسان بوالدیه حسناً...» (۱) .

«و یسئلونک ماذا ینفقون قل ما أنفقتم من خیر فللوالدین....» (۲) .

«و اعبدوا الله و لا تشرکوا به شیئاً و بالوالدین إحساناً...» (۳) .

«قل تعالوا أتل ما حرم ربکم علیکم ألّا تشرکوا به شیئاً و بالوالدین

۱- ۳۲۰. العنکبوت.

۲- ۳۲۱. البقره ۲۱۵.

۳- ۳۲۲. النساء.

إحساناً... (۱) .

«و قضـی ربک ألّا تعبـدوا إلّا إیاه و بالوالدین إحساناً إما یبلغن عندک الکبر أحدهما أو کلاهما فلا تقل لهما أفٍّ و لا تنهر هما و قل لهما قولاً کریماً و اخفض لهما جناح الذل من الرحمه و قل ربِّ ارحمهما کما ربیانی صغیراًِ» (۲) .

«و وصـینا الإنسان بوالـدیه حملته أُمه و هناً علی و هن و فصاله فی عامین أن أشـکر لی و لوالدیک إلیَّ المصـیر. و إن جاهداک علی أن تشـرک بی ما لیس لک به علم فلا تطعهما و صاحبهما فی الـدنیا معروفاً... (۳) .«و وصینا الإنسان بوالدیه إحساناً حملته أُمه کرهاً و وضـعته کرهاً و حمله و فصاله ثلاثون شـهراً حتی إذا بلغ أشده و بلغ أربعین سـنه قال رب أوزعنی أن أشـکر نعمتک التی أنعمت علیَّ و علی والـدی و أن أعمـل صالحـاً ترضـیه و أصـلح لی فی ذریتی إنی تبت إلیک و إنی من المسـلمین أُولئک الذین نتقبل عنهم أحسن ما عملوا و نتجاوز عن سیئاتهم فی أصحاب الجنه وعد الصدق الذی کانوا یوعدون (۴) .

بعد الانتباه إلی هذه الآیات ینکشف لنا معنی کلامها (علیهاالسـلام): و برّ الوالدین و قایه من السخط، و هذا البحث یتطلب مزیداً من الشرح و التفصیل، و لکننا اکتفینا بما تیسر.

«و صـله الأرحـام منمـاه للعـدد» و فی نسـخه: «و صـله الأرحـام منسأه للعمر، و منمـاه للعـدد» إن للأعمال آثار طبیعیه و لا یمکن التخلف عنها- فالذی یصل رحمه- أی أقربائه الذین تجمعه و إیاهم رحم من أرحام

۱- ۳۲۳. الانعام: ۱۵۱.

۲- ۳۲۴. الاسراء: ۲۳ و ۲۴.

۳- ۳۲۵. لقمان: ۱۴- ۱۵

۴- ۳۲۶. الاحقاف: ۱۵- ۱۶.

الأمهات- باللسان أو باليد أو بالمال لا بد و أن يكون طويل العمر، كثير النسل و العدد، كثير المال، و لقد وردت أحاديث كثيره متواتره جداً حول صله الرحم، و إنها تزيد فی الثروه و تؤخر الأجل (أجل الموت).

و كذلك قطع الرحم يسبب قصر العمر و زوال المال.

و لقد شاهدنا فی عصرنا الكثير من الناس الذين و صلوا أرحامهم فدرّت عليهم الأيام خيرها و بركاتها، و كثير عددهم و نسلهم مع العلم أن مؤهلات التكاثر لم تكن متوفره فيهم.

و قد رأينا الكثيرين من أبناء زماننا الذين قطعوا أرحامهم- أی قطعوا العلاقات الوديه (بجميع أنواعها) مع أقربائهم- فكأنهم قطعوا جذور أعمارهم، و هدموا أُسس حياتهم و بقائهم- بأيديهم فانقرضوا بعد أن افتقروا.

«و القصاص حقناً للدماء» لا يوجد فی سجلات القوانين فی العالم كله قانون المحافظه على حياه الناس كقانون القصاص، و لهذا قال تعالى: «و لكم فی القصاص حياه يا أُولی الألباب لعلكم تتقونِ» (۱) .

و العجب أن القضاء على حياه القاتل يعتبر إبقاءً و حفظاً لحياه الآخرين، إذ أن الإنسان- إذا يعزم على قتل أحد ظلماً- إذا علم أنه سوف يُقتص منه، و يُقتل، فإنه بالقطع و اليقين سيمتنع من الإقدام على الجريمه، و لكنه إذا علم أن جزاءه السجن، و فی السجن الراحه و الأكل و الشرب، و رجاء شمول العفو، و التخفيف، أو دفع العوض و ما شابه ذلك من الرشوه و شفاعه الشافعين لدى السلطه الحاكمه، فعند ذلك تهون عنده الجريمه، و يستسهل الجنايه، و يقدم على إراقه الدماء البريئه ظلماً و عدواناً.

ص: ۳۳۴

۱- ۳۲۷. البقره ۱۷۹.

إن قانون الكفار السائد فى البلاد الإسلاميه لا يؤمن بالقصاص من القاتل، و يزعم القانون أن القصاص لا يحيى المقتول فلا فائده فى تكرار القتل، فوضعوا السجون و الأعمال الشاقه عقوبه للقاتل، و مع ذلك تجد السجون فى العالم مليئه بالمجرمين المرتكبين لجريمه القتل، و تجد جرائم القتل فى التزايد و التكاثر فى كل زمان و كل مكان.

و العجب أن الله تعالى يخاطب العقلاء بقوله: «يا أُولى الألباب» و يعقبه بجمله: «لعلكم تتقون» يخاطب الله تعالى العقلاء الذين يفهمون و يعقلون أن القصاص أحسن رادع و أقوى مانع عن القتل، و القصاص أفضل و أحسن من السجن و التعذيب و ما شابه ذلك.

و لكن القانون الإلهى أصبح مهجوراً متروكاً، و القانون الغربى هو القانون المفضل على أحكام الله تعالى، و بذلك فلتقر عيون المسلمين!!

و كيف يرجو المسلمون لأنفسهم السياده و العزه و الاستقلال و هم أذناب و أتباع لليهود و النصارى فى أحكامهم و قوانينهم بل و حتى فى تاريخهم فالتاريخ الهجرى الإسلامى صار نسياً منسياً، و التاريخ الميلادى هو المعروف المتبع فى البلاد الإسلاميه حكومات و شعوباً؟!

هذا و الكلام طويل يحتاج إلى مجال أوسع و تفصيل أكثر و بعد ذلك ما الفائده فى بث هذه الآلام و المآسى؟

فهل يحصل تغيير فى الأنظمه الحكوميه و القوانين المستورده عندهم؟

لا أظن ذلك!!

«و الوفاء بالنذر تعريضاً للمغفره» و فى نسخه: «بالنذور» النذر هو المعاهده مع الله تعالى على فعل من الأفعال، فالوفاء بالنذر يعتبر وفاء بالمعاهده كما قال تعالى: «و من أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً

عظیماً» و الإنسان یجعل نفسه فی معرض المغفره عن طریق النذر و الوفاء بالنذر.«و توفیه المکاییل و الموازین تغییراً للبخس» أوجب الله تعالی علی البائع و المشتری أن یراعیا حقوق الناس، و أن لا یبخسا الناس أشیاءهم، و أن یعاملا الناس بالأمانه و العداله، لا بالظلم و الخیانه، و ذلک بعدم التلاعب فی المکیال الذی یکال به الشی ء من طعام و غیره أو المیزان الذی یوزن به الشی ء. «والنهی عن شرب الخمر تنزیهاً عن الرجس» وفی نسخه: «والانتهاء عن شرب الخمور»لقد ذکرنا حول آیه التطهیر معانی عدیده للرجس، و الخمر تعتبر من أفراد الرجس و مصادیقه کما قال تعالی: «إنما الخمر و المیسر و الأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشیطان فاجتنبوه لعلکم تفلحون» و قد کتب الکثیر من المسلمین و غیرهم کتباً و مقالات حول أضرار الخمر، و الجرائم المتولده منها، و الویلات التی تتکون منها، و نکتفی- هنا- أن نقول: بعد مراجعه معانی الرجس یتضح لک جانب کبیر من مضار الخمره من الناحیه الصحیه و العقلیه و الاجتماعیه و غیر ذلک.

«و اجتناب القذف حجاباً عن اللعنه» و فی نسخه: «و اجتناب قذف المحصنات» إن الإسلام هو الدین الذی یحافظ علی کرامات الناس، و یعتبر الإسلام المس بالکرامه نوعاً من أنواع الجریمه، و قد جعل لهذه الجریمه عقوبه دنیویه، و عذاباً فی الآخره.

إن إسناد الفجور إلی أهل العفه و الشرف من رجال أو نساء لیس بالشی ء الهین و لا یسمح الإسلام أن یطلق الإنسان لسانه لهدر کرامه الناس، و هتک أعراضهم و نوامیسهم.

و إذا نسب الإنسان نوعاً من أنواع الفجور إلی ما لیس معروفاً

بالفجور فلا بد من إثبات ذلک بإقامه البینه و الشهود، فإن عجز عن ذلک فسوف ینفذ فی حقه قانون العقوبات.

قال الله تعالی: «و الذین یرمون المحصنات ثم لم یأتوا بأربعه شهداء فاجلدوهم ثمانین جلده و لا تقبلوا لهم شهاده أبداً و أولئک هم الفاسقون، إلّا الذین تابوا من بعد ذلک و أصلحوا فإن الله غفور رحیم» (۱) .

و قال أیضاً: «إن الذین یرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لُعنوا فی الدنیا و الآخره و لهم عذاب عظیمٍ» (۲) .

و هنا یتضح معنی کلامها (علیهاالسلام): «و اجتناب القذف حجاباً عن اللعنه» أی انا لذی یجتنب قذف الناس أی إسناد الفجور إلیهم فهو محجوب عن اللعنه و معنی اللعنه: البعد عن رحمه الله تعالی.

«و ترک السرقه إیجاباً للعفه» و فی نسخه: «و مجانبه السرقه» إن الید تعتبر ثمینه غالیه ما دامت أمینه عفیفه، فإذا سرقت فقد خانت فصارت رخیصه لا کرامه لها، لأنها تجاوزت الحدود.

سأل أبوالعلاء المعری من السید المرتضی علم الهدی (رضوان الله علیه):

یدٌ بخمس مئینٍ عسجد أودیت

ما بالها قطعت فی ربع دینار؟

أی أن الید التی دیتُها خمسمائه دینار ذهب، لماذا تقطع إذا سرقت شیئاً قیمته ربع دینار؟

فأجابه السید المرتضی قائلًا:

عز الأمانه أغلاها، و أرخصها

ذل الخیانه، فافهم حکمه الباری

إذن فالسرقه تسلب العفه من الید، أی صاحب الید، و ترک السرقه

ص: ۳۳۷

۱- ۳۲۸. النور:۴- ۵.

۲- ۳۲۹. النور:۲۳.

يوجب بقاء العفه و الأمانه.

و فى كتاب (كشف الغمه) بعد قوله: «و مجانبه السرقه إيجاباً للعفه» هكذا: «و التنزّه عن أكل أموال الأيتام و الاستيثار بفيئهم إجازه من الظلم. و العدل فى الأحكام إيناساً للرعيه» اليتيم هو الذى فقد أحد أبويه أو كليهما و هو صغير، و يرثهما التركه، و نظراً لصغر سنه لا يستطيع المحافظه على أمواله و تدبير أموره، و هنا يطمع فى أمواله ذوو الأطماع لأنهم استضعفوه، و لم يجدوا فيه القوه و القدره على المقاومه، فهناك الظلم الواضح و الاعتداء البغيض، و لكن الله تعالى قد قدّر مصير هؤلاء الظالمين و جزاءهم فى الآخره، فقال تعالى: «الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً و سيصلون سعيراً» فجعل الله الاجتناب عن أكل أموال اليتامى حفظاً من الوقوع فى الظلم الذى هذا جزاؤه و عقابه.

و أما جمله: «و الاستئثار بفيئهم» فالمقصود من الفى ء- هنا-: الغنيمه، أى خمس الغنائم أو ما أفاء الله على رسوله، و قد تقدم الكلام حول ذلك فى مدخل الخطبه و الآيات الوارده حول فدك.

«و عدل الحكام إيناساً للرعيه» لقد تقدم فى كلامها (عليهاالسلام) شى ء حول العدل بصوره عامه كالعدل بين الزوجات و بين الأولاد و بين الناس، و هنا تشير فى كلامها إلى عدل الحكام، و المقصود من الحكام- هنا- السلطه الحاكمه من الملك إلى الوزراء إلى الأمراء إلى رؤساء الدوائر و المحافظين و القضاه و الحاكمين، و أمثالهم من ذوى السلطه و القدره.

و من الطبيعى: أن أصحاب المناصب الخطيره يشعرون أو يتصورون بهالهٍ من الكبرياء تحيط بهم، و على هذا الأساس يرون أنفسهم أجل قدراً و أعظم شأناً و أرفع مستوى من غيرهم.

ص: ۳۳۸

و أفراد الرعيه يشعرون بشى ء من البعد الواسع و البون الشاسع بينهم و بين الطبقه الحاكمه، فلا يسمح لكل أحد أن يلتقى برئيس الدوله، أو يقابل موظفاً كبيراً، و خاصه إذا كان صاحب حاجه. و على الأخص إذا اعتدى عليه بعض الموظفين،و هذا يسبب التنافر بين الحكومه و بين الشعب. و بين جهاز الحكومه و المواطنين.

و لكن إذا سار الحكام على طريقه العداله و المحافظه على حقوق الضعفاء تجد أن روح الأمل قد تولدت فى نفس المظلوم، بل فى نفوس أفراد الرعيه، و ينظر الإنسان من أفراد الشعب إلى جهاز الحكم كما ينظر الولد إلى أبيه، و كما ينظر الطالب إلى المعلم، و كما ينظر المريض إلى الطبيب و الممرض، من حيث المحبه و التقدير. و بهذا يحصل الاستئناس بين أفراد الشعب و بين الطبقه الحاكمه، و يحصل التعاون و الإخاء و الألفه و المحبه و هكذا و هلم جرّاً.

و لو لا رعايه أسلوب الكتاب لطال بنا الكلام حول هذا الموضوع الذى يشعر به أكثر الناس، و تتلهف إليه النفوس.

«و حرّم الشرك إخلاصاً له بالربوبيه» لأن الشرك نوع من الكفر، و الواجب على العباد أن يعبدوا الله مخلصين له الدين.

ثم أنها ختمت هذا الفصل من كلامها بآيات مناسبه للموضوع، و هى قوله تعالى: «فاتقوا الله حق تقاته و لا تموتن إلّا و أنتم مسلمون».

«و أطيعوا الله فيما أمركم به و نهاكم عنه فإنه «إنما يخشى الله من عباده العلماء».

ص: ٣٣٩

خطبه فاطمه الزهرا

ثم قالت: أيّها الناس!

اعلموا أنی فاطمهّ!

و أبی محمد.

أقول عَوداً و بدءاً (۱) .

و لا أقول ما أقول غلطاً، و لا أفعل ما أفعل شططاً (۲) .

«لقد جاءکم رسول من أنفسکم عزیز علیه ما عنّتم حریص علیکم بالمؤمنین رؤوف رحیم (۳) .

فإن تعزوه و تعرفوه تجدوه أبی دون نسائکمِ (۴) .

و أخا ابن عمّی دون رجالکم.

و لنعم المعزِیُّ إلیهِ (۵) (صلی الله علیه و آله و سلم). فبلّغ بالرساله، صادعاً بالنذارهِ (۶) .

مائلاً عن مدرجه المشرکینِ (۷) .

ص: ۳۴۰

۱- ۳۳۰. عودا و بدءا: آخرا و اولا.

۲- ۳۳۱. شططا: ظلما و جورا.

۳- ۳۳۲. التوبه: ۱۲۹.

۴- ۳۳۳. تعروه: تنسبوه.

۵- ۳۳۴. المعزی الیه.

۶- ۳۳۵. صادعا: مظهره: النذاره: الانذار و التخویف.

۷- ۳۳۶. مدرجه المشرکین: طریقهم و مسلکهم.

ضارباً ثَبجهمِ (۱) ، آخذاً بأكظامهمِ (۲) .

داعياً إلى سبيل ربه بالحكمه و الموعظه الحسنه.

يكسر الأصنام.

و ينكت الهامِ (۳) .

حتى انهزم الجمع و ولّوا الدبر.

حتى تفرّى الليل عن صبحهِ (۴) .

و أسفر الحق عن محضهِ (۵) .

و نطق زعيم الدين.

و خرست شقاشق الشياطينِ (۶) .

و طاح و شيظ النفاقِ (۷) .

و انحلت عُقد الكفر و الشقاقِ (۸) .

و فُهتم بكلمه الإخلاصِ (۹) .

و نفرٌ من البيض الخِماصِ (۱۰) .

ص: ۳۴۱

۱- ۳۳۷. الثبج- بفتح الثاء- و الباء-: الكاهل، و وسط الشی ء.

۲- ۳۳۸. الكظم- بفتح الكاف و الظاء-: الفم او الحق او مخرج النفس.

۳- ۳۳۹. نكته على هامته: اذا القاه على راسه.

۴- ۳۴۰. تفری: انشق.

۵- ۳۴۱. اسفر: اذا انكشف و اضاء. و المحض: الخالص.

۶- ۳۴۲. شقاشق- جمع شقشقه- و هی شی ء يشبه الرئه يخرج من فم البعير اذا هاج يكون بمعنى القديد و هو اللحم المجفف فی الشمس.

۷- ۳۴۳. الوشيظ: الاتباع و الخدم.

۸- ۳۴۴. الشقاق: الخلاف.

۹- ۳۴۵. فهتم: تلفظتم.

۱۰- ۳۴۶. البیض- جمع ابیض- و الخماص- جمع خمیص- و هو الجائع. و فی نسخه: «فی نفر».

و کنتم علی شفا حفره من النارِ (۱) .

مذقه الشاربِ (۲) ، و نهزه الطامعِ (۳) .

و قبسه العجلانِ (۴) .

و موطئ الأقدام.

تشربون الطرقِ، و تقتاتون القِدَّ و الورقِ (۵) .

أذلّهً خاسئين.

تخافون أن یتخطفکم الناس من حولکم.

فأنقذ کم الله تعالی بمحمد (صلی الله علیه و آله و سلم).

بعد اللتیّا و التی.

و بعد أن مُنی بِبُهم الرجالِ. (۶) و ذُؤبان العرب.

و مَرَدَه أهل الکتابِ (۷) .

ص: ۳۴۲

۱- ۳۴۷. شفا حفره: جانبها المشرف علیها.

۲- ۳۴۸. المذقه- بضم المیم- شربه من اللبن الممزوج بالماء.

۳- ۳۴۹. النهزه- بضم النون-: الفرصه.

۴- ۳۵۰. قبسه العجلان: الشعله من النار التی یاخذها الرجل العاجل.

۵- ۳۵۱. تقتاتون: تجعلون قوتکم.القـد- بکسـر القاف-: قطعه-: جلـد غیر مـدبوغ، و یحتمل ان یکون بمعنی القدید و هو اللحم المجفف فی الشمس.

۶- ۳۵۲. منی- فعل ماضی مجهول-: ابتلی. و البهم- علی وزن الغرف- جمع بهمه، و هو الشجاع الذی لا یهتدی من این یوتی.

۷- ۳۵۳. مرده بفتح المیم و الراء و الدال-: جمع مارد و هو العاتی.

كلّما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله.

أو نَجَم (١) قرن للشيطان.

أو فَغرتْ (٢) فاغره من المشركين.

قَذف أخاه فی لهواتها (٣) .

فلا ينكفئ حتی يطأ صِماخها بأخمصهِ (۴) .

و يخمد لهبها بسيفهِ (۵) .

مكدوداً فی ذات اللهِ (۶) .

مجتهداً فی أمر الله.

قريباً من رسول الله.

سيداً فی أولياء الله.

مُشمّراً ناصحاً، مجدّاً كادحاً (٧) .

و أنتم فی رفاهيه من العيشِ (٨) .

و ادعون فاكهون آمنونِ (٩) .

١- ٣۵۴. نجم فعل ماضی: طلع. و قرن الشيطان: اتباعه.

٢- ٣۵۵. فغر: فتح. فاغره فاها: ای فاتحه فمها.

٣- ٣۵۶. اللهوات جمع لهاه-: لحمه مشرفه علی الحلق فی اقصی الفم.

۴- ٣۵٧. ينكفی ء: يرجع. يطا: يدوس.صماخها: اذنها. باخمصه: بباطن قدمه.

۵- ٣۵٨. يخمد: يطفی ء. لهبها: اشتعالها.

۶- ٣۵٩. المكدود: المتعب.

٧- ٣۶٠. شمر ثوبه: رفعه. مجد- بضم الميم و كسرالجيم-: مجتهد و الكادح: الساعی.

٨- ٣۶١. رفاهيه: سعه.

٩- ٣۶٢. مرتاحون. فاكهون: ناعمون.

تتربصون بنا الدوائرِ (۱) .

و تتوكفون الأخبارِ (۲) .

و تنكصون عند النزالِ (۳) .

و تفرّون من القتال.

۱- ۳۶۳. الدوائر: العواقب المذمومه و حوادث الايام.

۲- ۳۶۴. تتوكفون: تتوقعون بلوغ الاخبار.

۳- ۳۶۵. تنكصون: ترجعون و تتاخرون. و النزال: القتال.

فاطمه الزهراء تطالب بحقها المغصوب

الی هنا أنهت السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) حدیثها عن فلسفه الإسلام، و عن علل الشریعه الإسلامیه، ثم عرّجت علی کلامها المقصود و هدفها المنشود، و هو المطالبه بحقها و التظلم من السلطه الحاکمه.

و قبل کل شی ء و جّهت الخطاب إلی الشعب الحاضر فی المسجد، فی المؤتمر الإسلامی لأنهم بایعوا رئیس الدوله، و لم توجّه الخطاب إلی رئیس الدوله لأنه هو أحد طرفی المحاکمه، و هو المقصود بالمخاصمه و الإدانه، و لهذا عرّفت نفسها للحاضرین کما هی الأصول المتبعه فی المحاکمات و لأنها الطرف الآخر للمحاکمه، و لأنها تمثّل آل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و عترته الطیبین بل هی ملکه الإسلام، و المحاکمه وقعت بمحضر من المهاجرین و الأنصار و غیرهم، و هم یومذاک من الشخصیات الإسلامیه البارزه المرموقه و من الوزن الثقیل.

و موضوع المحاکمه هی الأراضی و المقاطعات التی کانت تحت تصرّف السیده فاطمه الزهراء منذ سنوات، ثم استولی علیها ابوبکر و صادرها بدون مبرر شرعی، و لهذا و جّهت السیده فاطمه الزهراء کلامها إلی الحاضرین فی ذلک المؤتمر، فقالت:

«ایها الناس اعلموانی فاطمه» ذکرت اسمها للمستمعین، ذالک الاسم الذی لایجهله احد، ذلک الاسم الذی سمعه الناس مرارا و تکرارا من فم الرسول الاعظم (صلی الله علیه و آله و سلم) مشفوعا بالعواطف النبویه،

مقرونا بكل تجليل و تعظيم و تقدير.

و هـذه الكلمه: «اعلمو انى فاطمه» تشـتمل و تحتوى على عشـرات الصـفحات من الشـرح.«و أبى: محمـد (صـلى الله عليه و آله و سلم)» هذا النسب الشريف الأرفع، النسب الذى ليس فوقه نسب، النسب الذى هو مفخره الكون، و درّه تاج الوجود، و أشـهر من الشمس.

نعم، إن فاطمه هى بنت محمد، سيد الأنبياء، أشرف الخلائق، أطهر الكائنات، أفضل المخلوقين.

نعم، بنت هذا العظيم تتكلم و تخطب. و تحتج و تتظلم.

لقد عرّفت نفسها لئلا يقول قائل: ما عرفناها، و لماذا ما صرّحت باسمها؟ و لماذا لم تعرّف شخصها؟ و لماذا لم تذكر نسبها؟

و بهذا أتمّت الحجه، و لم تُبق لذى مقال مقالاً، ذكرت اسمها الصريح و نسبها الواضح تعريضاً و توبيخاً لهم.

نعم، إن فاطمه بنت محمد (صلى الله عليه و آله و سلم) جاءت تطالب بحقوقها و أموالها التى صودرت و غصبت منها.

«أقول عوداً و بدءاً» أى أتكلم آخراً و أولاً، و أولاً و آخراً، و أنا على يقين بما أقول.

و فى نسخه: «عَوداً على بدء» و المعنى واحد.

«و لا أقول ما أقول غلطاً» و هو الخطأ فى الكلام من كذب و خديعه و مغالطه.

«و لا أفعل ما أفعل شططاً» لا أتكلم جوراً و ظلماً و تجاوزاً عن الحد.

«لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم

بـالمؤمنين رؤوف رحيم» افتتحت هـذا البحث بـذكر أبيهـا الرسول (صـلى الله عليه و آله) و أدمجت كلامهـا بكلامـها الله تعالى، و معنى الآيه: إن الرسول من العرب،يشق و يعزّ عليه و قوعكم فى الشـدّه لأجله، حريص على توفير وسائل السـعاده لكم، بالمؤمنين من هذه الأمه رؤوف رحيم، كلمتان مترادفتان، معناهما العطف و اللطف و الحنان.

«فإن تعزوه و تعرفوه» أى تنسبوه، و تقولوا فيه إنه أبومَن؟ و أخو مَن؟ و فى نسخه: «فإن تعزروه و توقروه» أى تعظموه.

«تجدوه أبى دون نسائكم» نعم، أنا ابنته الوحيده، و هو أبى، و لا تشاركنى نساؤكم فى هذا النسب الطاهر الأعلى.

«و أخـا ابن عمى دون رجـالكم» نعم، إنه أخو زوجى، و لم يشـارك أحـد من رجـالكم أبى فى الأـخوه و ليس المقصود- هنـا- أخوّه النسب، بل الأخوّه التى حصـلت يوم المؤاخاه حينما آخى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بين أصحابه، آخى بينه و بين علىّ و كان الرسول ينوّه بهـذه الأخوه فى شتى المناسـبات و مختلف المجالات، و يركّز على كلمه: (أخى) كقوله (صـلى الله عليه و آله و سلم): ادعوا لى أخى، و أين أخى؟ و أنت أخى، و إنه أخى فى الدنيا و الآخره.

و كان علىّ (عليه السلام) يعتزّ بهذه الأخوه و المؤاخاه، و يذكرها نظماً و نثراً، و منه قوله (عليه السلام):

أنا أخو المصطفى لا شك فى نسبى

معه ربيت، و سبطاه هما ولدى

و قوله:

محمد النبى أخى و صنوى

و حمزه سيد الشهداء عمى

و قوله:

و مَن حين آخى بين من كان حاضراً

دعانى و آخانى و بيّن من فضلى

و قوله: أنا عبدالله و أخو رسول الله، و أنا الصدّيق الأكبر و الفاروق الأعظم لا يقوله غيرى إلّا كذابٍ (۱) .

«و لنعم المعزّى إليه (صلى الله عليه و آله و سلم)» نِعم المنسوب إليه و المنتمى إليه، أنه أشرف من ينتسب إليه، و أطهر من ينتمى إليه، لأنه عله الإيجاد، و بيُمنه رُزق الورى.

«فبلّغ الرساله صادعاً بالنذاره» بلّغ الرسول كل ما أُمر بتبليغه مظهراً بالإنذار و التخويف بعذاب الآخره.

«مائلاً عن مدرجه المشركين» و فى نسخه: «ناكباً عن سنن مدرجه المشركين» أى عدل عن طريقه المشركين و مسلكهم.

«ضارباً ثبجهم» أى كان الرسول ضارباً كواهل المشركين و ظهورهم، و المقصود جهاد الكفار و المشركين.

«آخذاً بأكظامهم» أى ممسكاً على أفواههم، أو مخارج أنفاسهم، و هى كنايه عن إيقافهم عند حدّهم، و إحباط مؤامراتهم، و تفنيد أباطيلهم.

«داعياً إلى سبيل ربه بالحكمه و الموعظه الحسنه» كان يدعو إلى الله، لا إلى الدنيا، إلى سبيل ربه، لا سبيل غيره، و يراعى فى دعوته مستويات الناس، فيدعو بالحكمه و هى المقاله الموضحه للحق و المزيحه للشبهه، هذا بالنسبه للطبقه الواعيه المثقفه، و يدعو بالموعظه الحسنه و هى الخطابات المقنعه للنفوس، و العبر النافعه للحياه، و هذا بالنسبه للطبقه العامه.

و يجادلهم بالتى هى أحسن، و هى أحسن طرق المجادله و التفاهم، و إقامه الأدله و البراهين بالنسبه للمعاندين.

«و يكسر الأصنام» التى كان المشركون يعبدونها و يعتبرونها آلهه من دون الله.

۱- ۳۶۶. راجع كتابنا (على من المهد الى اللحد) للمزيد من المعلومات حول البحث.

«و ينكت الهـام» و فى نسـخه: «ينكس الهـام» إشـاره إلى قتـال رؤساء الكفر، و أقطاب الشـرك و قمعهم و إذلالهم، و هم الـذين كانوا يؤججون نيران الحروب، و يثيرون الفتن أمثال: شـيبه و عتبه و أبى جهل و نظرائهم، أو إذلال المفسدين و المشاغبين، و فى نسخه: «ينكث الهام» أى يلقى الرجل على رأسه.

«حتى انهزم الجمع و ولّوا الـدبر» أى اسـتمر الكفاح و الجهاد سـنوات عديـده، تتكون خلالها الحروب و الغزوات و الاضـطرابات حتى قضـى الرسول على أصول الفتن و جراثيم الفساد فانكسـرت شوكه الكفار، و ضعفت معنوياتهم، و أخيراً حتى انهزم الجمع، أى جماعه الكفار و أدبروا فارّين.

«حتى تفرّى الليل عن صبحه» حتى انجلت ظلمات الكفر السوداء، و تجلى صبح الإسلام الأبيض الناصع.

«و أسـفر الحق عن محضه» أى ارتفعت الحواجز الباطله التى حجبت الحق عن الظهور فأضاء الحق الخالص الذى لا يشوبه شـى ء من الباطل، و كلها كنايات عن تجمّع القوى الدينيه.

«و نطق زعيم الدين» تكلم رئيس الدين فيما يتعلق بأمور الدين و أمور المسلمين بكل حريه و صراحه.

«و خرست شـقاشق الشـياطين» قد ذكرنا فى شرح ألفاظ الخطبه أن الشقاشق- جمع شقشقه- شى ء يشبه الرئه يخرج من فم البعير عند هيجانه، و المقصود من (خرست شقاشق الشياطين) هو تبخّر نشاطات المفسدين، و اختناق أصواتهم.

«و طاح و شيظ النفاق» المقصود سقوط المنافقين عن الاعتبار، و فشل مساعيهم.

ص: ٣۴٩

«و انحلت عُقَد الكفر و الشـقاق» أى فشلت المحاولات و المحالفات و الاتفاقيات التى قام بها الكفار و المخالفون ضد الإسلام و المسلمين كما فى غزوه الأحزاب.

«و فُهتم بكلمه الإخلاص» و تلفظتم بكلمه: (لا إله إلا الله) بألسنتكم.

«فى نفر من البيض الخماص» أى بيض الوجوه من النور، الضامرى البطون من التجوع بسبب الصوم. أو الزهد.

و يمكن أن يكون المقصود من هذين الوصـفين أُناساً معيّنين، و هم الصـفوه من أصـحاب النبى (صـلى الله عليه و آله و سلم) أو أهل البيت (عليهم السلام).

«و كنتم على شفا حفره من النار» بسبب الكفر و الشرك بالله العظيم.

ثم أشـارت (عليهاالسـلام) إلى الحيـاه الاجتمـاعيه التى كـان الناس يعيشونها فى ذلك الوقت و هى الفوضويه و اختلال النظام، و الهرج الذى كان مسـتولياً على كافه جوانب الحياه، فقالت: «مذقه الشارب» إذا مرّ الإنسان الضـمآن من مكان، و وجد ماءً ليس له مالك، أو له مالك و لكنه لا يستطيع الدفاع و المقاومه فانه فيطمع ذلك الإنسان أن يشرب من ذلك الماء و يبرّد غليله.

«و نهزه الطامع» و هكذا إذا مر الإنسان من مكان و وجد هناك طعاماً لا مالك له، أو مالكه ضـعيف فترى الجائع يطمع فى ذلك الطعام. فينتهز الفرصه و يستو فى نصيبه من ذلك الطعام.

«و قبسه العجلان» هى الشعله أو الجذوه من النار يأخذها الرجل المسرع إذا احتاج إليها.

«و موطئ الأقدام» و كنتم أذلّاء، مستضعفين تدوسكم الأقوياء بأقدامها.

«تشربون الطرق» الماء الذى كنتم تشربونه هو الماء المتجمع فى

المستنقعات و الحفائر تدخلها الحيوانات، و تبول فيها الإبل، مع العلم أن النفوس الشريفه تستقذر هذا الماء و تمجّه، و لا ترضى به، و لكنه الجهل، و لكنه الإحساس بالنقص، و الخضوع للمذله و الهوان، كأنهم لم يعرفوا حفر الآبار، أو تفجير العيون، أو إيجاد القنوات تحت الأرض و لا تسأل عن مضاعفات هذه المياه و تلوثها بأنواع الجراثيم و الميكروبات.

هذا و لا تزال الحياه بهذه الصفه موجوده فى بعض البلاد الإسلاميه المتأخره عن ركب الحضاره، كما نقرأ ذلك فى بعض الصحف و المجلات.

«و تقتاتون القدّ و الورق» أى كان قوتكم و طعامكم من القد و هو اللحم أو الجلد اليابس و أوراق الأشجار، فالأراضى الواسعه الشاسعه قاحله جرداء، لا ضرع فيها و لا زرع و مفهوم الزراعه غير موجود عندكم.

«أذّله خاسئين» الخاسئ هو المنبوذ المطرود الذى لا يُترك أن يدنو من الناس لحقارته.

«تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم» إن التفسخ و الانحلال يؤدى إلى اختلال الحياه الاجتماعيه و إلى الفوضويه و فقدان الأمن و الأمان، و سلب القرار و الاستقرار و الطمأنينه فى النفوس، فالقوى يطمع فى الضعيف، و الكثير يأكل القليل، و الغنى يستعبد الفقير، فلا يخاف أحد من القانون، و لا يهاب العقاب،و لا يخشى السلطه.

و نحن نرى أن حوادث الاختطاف و الاغتصاب و الاعتداء إنما تكثر فى البلاد التى لا يطبق فيها القانون على الجميع. و لا ينفذ إلا فى حق الفقير الضعيف فالدماء تراق و الأعراض تهتك، و الأموال تسلب، و الكرامات تُهدر، و هكذا و هلم جرّاً.

و قد اقتبست السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) هذه الآيه من

القرآن و أدمجتها فی حدیثها عن العهد الجاهلی.

«فأنقذکم الله بأبی (محمد) (صلی الله علیه و آله و سلم)» إنه المنقذ الأعظم و المصلح الأکبر الذی أنقذ العباد من تلک الحیاه التی کانت تشبه الجحیم، و أصلح البلاد من تلک المفاسد و الویلات و المصائب و أحدث انقلاباً فی العقائد و النفوس و الأخلاق و العادات.

و لم تتحقق أهدافه إلا:

«بعد اللتیا و التی» هذه الکلمه صارت مثلًا فی هذه المناسبه، أی استطاع الرسول الأعظم (صلی الله علیه و آله و سلم) أن یطهر المجتمع، و ینقذ الناس من مصائب الجاهلیه بعد شق الأنفس، بعد أن تحمّل المشاکل و أنواع الأذی، بعد الضغط و الکبت و الاضطهاد.

«و بعد أن مُنی بِبُهم الرجال» استطاع الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) إنقاذ الناس بعد أن ابتلی بالرجال الأقویاء، و الأبطال الشجعان الذین أججوا نیران الحروب، و حاربوا رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) بکل ما یملکون من حول و قوه و هم أکثر عدداً من المسلمین، و أکثر عدّه و عتاداً.

«و ذُؤبان العرب» إن الإنسان إذا تجرّد عن الإنسانیه و الأخلاق و الفضیله فانه ینزل إلی مرتبه الحیوانات، فإذا فقد الفهم و العلم فإنه یُشبَّه بالحمار، و إذا فقد العاطفه و الرأفه فإنه یُشبَّه بالسباع و الحیوانات المفترسه، فیصح أن یقال فی حقه: إنه ذئب.

و هکذا أولئک السفاکون الذین کانوا یستأنسون بالمذابح و المجازر التی کانوا هم السبب فی تکوینها، أولئک الذین کانت هو ایاتهم إثاره الفتن

و إیجاد الاضطرابات، أمثال أبی جهل و أبی سفیان و من یدور فی فلکهما،

و قیل: المقصود من الذؤبان- هنا- اللصوص و الصعالیک، أی السفله من الناس الساقطین.

ابتلی الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) بهؤلاء المفسدین، ابدءً من غزوه بدر إلی غزوه أحد إلی الخندق إلی حنین و غیرها، تجد هؤلاء المفسدین کانوا فی طلیعه أسباب الفتنه و الاضطرابات و المشاغبات، و حتی الحروب التی خاضها المسلمون مع الیهود کان هؤلاء هم السبب فی إثارتها.

«و مرده أهل الکتاب» إشاره إلی الحروب التی شبّ الیهود و النصاری نیرانها، أمثال: بنی النضیر، و بنی قریظه و بنی قینقاع، و بنی الأصفر فی مؤته؛

إن أهل الکتاب- و هم الیهود و النصاری- لو کانوا یتبعون الکتاب السماوی الذی أنزل علیهم لما حاربوا الرسول؛ بل کانوا یسلمون علی یدیه فی المرحله الأولی، لأن أوصاف الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) مذکوره فی کتبهم، و کان من السهل علیهم المقارنه بین تلک الصفات و العلائم و بین الرسول، و عند ذلک کانوا یجدون تلک الصفات تنطبق علی الرسول مائه بالمائه، و لکن مرده أهل الکتاب و هم العتاه المتجبرون الذین منعهم الکبریاء من الخضوع للحق استمروا علی عتّوهم و عنادهم و جحودهم.

«کلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله» کانوا یحیکون المؤامرات ضد الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) و یجمعون الجیوش و العساکر و یحضّون القبائل و العشائر علی محاربه الرسول، فکانت المساعی فاشله، و کان الانتصار و الغلبه و الظفر حلیفاً للرسول.

و لو استعرضنا تاریخ حیاه الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) منذ

البعثه حتی الوفاه لظهر لنا جانب کبیر من إحباط المؤامرات و الفشل الذریع الذی أحاط بأعداء الرسول.

«أو نَجَم قرن للشیطان» لو انکسر قرن الحیوان نبت له قرن آخر، و تقول السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام): إذا نهض أحد المفسدین للقیام بالأعمال الشیطانیه، و هی المعاکسات و المقاومات التی کانت المشرکون یقومون بها ضد رسول الله

هذه الجمله علی جمله: «کلما أوقدوا» أی کلما نجم قرن للشیطان أو «فغرت فاغره» أو فتحت حیه الکفر فمها لتلسع و تلدغ المجتمع الإسلامی.

«قذف أخاه فی لهواتها» أی کان الرسول یقضی علی تلک النشاطات الجهنمیه، و النعرات الشیطانیه، یقضی علیها بأخیه علیّ بن أبی طالب (علیه السلام).

کان الرسول یأمر علیهاً أن یردّ عنه کتائب المشرکین و عصابات المنافقین فکان علیّ (علیه السلام) یخاطر بحیاته، و یغامر بنفسه، و یستقبل أولئک الذئاب المفترسه، کان یقاتلهم وحده، و یخوض غمار الحرب، فیصح التعبیر بقولها: «قذف أخاه فی لهواتها» فی فم الموت بین أنیاب السباع تحت سیوف الأعداء، و الرماح الشارعه و السهام الجارحه.

«فلا ینکفئ حتی یطأ صماخها بأخمصه» لا یرجع علیّ (علیه السلام) من جبهه القتال حتی یسحق رؤوس الأعداء، و یدوس هامات الرؤساء بباطن قدمه، کالمصارع الذی ینزل إلی ساحه المصارعه فإذا تغلّب علی خصمه و صرعه فلا بدّ من أن یلصق المصارع ظهر خصمه أو رأسه علی الأرض لیثبت أنه أنهی المصارعه بأوفی صوره.

کذلک علیّ (علیه السلام) کان یهرول نحو الأعداء لا یعرف معنی

الخوف، و كأنه مستميت، و كأنّ غريزه الحياه قد سُلبت عنه، و بيده صحيفه يقطر منها الموت، تراها راكعه ساجده، على الرؤوس، و الخواصر و كان يقدّ الأبدان نصفين طولاً أو عرضاً، و يفرى و يكسر و يهشم فى طرفه عين، و قبل أن تنفجر الدماء من العروق كانت العمليه قد انتهت.

«و يخمد لهبها بسيفه» كان يقضى على جراثيم الفساد، و يقلع الأشواك عن طريق المجتمع البشرى، و يطفئ لهيب الحروب بسيفه السماوى، و يمهّد الطريق لكلمه: (لا إله إلا الله محمد رسول الله).

«مكدوداً فى ذات الله» قد أخذ التعب و العناء منه كل مأخذ، كل ذلك لله و فى الله و لوجه الله و فى سبيل الله.

«مجتهداً فى أمر الله» المجتهد- فى اللغه- الذى يجهد نفسه أى يتعبها، كان علىّ (عليه السلام) يبذل ما فى وسعه و طاقته و جميع إمكانياته لتحقيق أهدافه الساميه، و تحصيل أمنياته، و هى إعلاء كلمه الله.

«قريباً من رسول الله» ليس المقصود القرب المكانى، بل القرب المعنوى، من حيث قرابه النسب، و انسجام الروح، و اندماج النفس و اتحاد الاتجاه، و وحده النفس، فعلىّ (عليه السلام) نفس الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) بنص القرآن الكريم بقوله تعالى: «و أنفسنا و أنفسكم» و هل هناك قرابه أو نسب أقوى من هذا؟

«سيداً فى أولياء الله» و فى نسخه: «سيد أولياء الله» فيكون المقصود هو رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

«مشمّراً ناصحاً، مجدّاً كادحاً» هكذا تصف السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) زوجها العظيم، كأنه يشمّر عن ثيابه نشاطاً و استعداداً للعمل للإسلام و لصالح الإسلام، فى سبيل إسعاد المسلمين. و بذل النصح، و هو حب الخير لهم، كان مجداً فى العمل، ساعياً فيه، لا يمنعه التعب عن

استمرار العمل.

نعم، كانت حياه الإمام أميرالمؤمنين (عليه السـلام) كلها جهوداً و جهاداً، و نشاطاً و إنتاجاً و إنجازاً و خدمه للإسلام و المسلمين، فمواقفه فی جبهات القتال مشهوره، و أعماله الفدائيه فی سبيل الإسلام مذكوره، و تفانيه و تضحياته فی سبيل الله معروفه.

«و أنتم فی رفاهيه من العيش و ادعون فاكهون آمنون» كان علیّ (عليه السـلام) يسـتقبل الأخطار و الأهوال فی الوقت الـذی كان المسـلمون بعيدين عن تلك الأخطار، مشغولين بأنفسهم يتمتعون بالراحه، و يتفكرون فی تحصيل الملذات، و إشباع الرغبات، لا يعرفون معنی الخوف.

أين كـان المسـلمون ليله المـبيت؟ تلـك الليله التی طوّق المشـركون دار رسول الله (صـلی الله عليه و آله و سـلم) و هم يريـدون الهجوم عليه ليقتلوه؟ أما بات علیّ (عليه السلام) علی فراش رسول الله (صلی الله عليه و آله و سلم) يفديه بنفسه و حياته و شبابه.

أين كـان المسـلمون يوم أحـد حين انهزموا و تركوا الرسول فی جبهه القتـال، تحمـل عليه عصابات الكفار و المشـركين؟ و بقی علیّ (عليه السلام) يقاوم الأعداء حتی ضرب الرقم القياسی فی المواساه و التضحيه، حتی هتف جبرئيل بفُتُّوته و بسالته يوم هتف بين الأرض و السماء: لا فتی إلا علیّ و لا سيف إلا ذو الفقار.

و هكذا يوم حُنين، و هكذا يوم الخندق، و هكذا يوم خيبر. و هكذا هلم جراً.

قـال علیّ (عليه السـلام): «و لقـد واسـيته بنفسـی فی المواطن التی تنكص فيهـا الابطـال، و تتاخر فيها الأقـدام، نجـده أكرمنی الله بها...».

«تتربصون بنا الدوائر» كان بعض أولئك الأفراد مندسين فی صفوف

المسلمين يتوقعون هلاك الرسول، و ينتظرون نزول المكاره و حلول الكوارث، برسول الله، و الدوائر و صروف الزمان، و العواقب السيئه، و تحوّل النعمه و زوالها و نزول البلاء.

«و تتوكفون الأخبار» تتوقعون وصول الأخبار الداله على هلاكنا.

«و تنكصون عند النزال، و تفرون من القتال» ففى يوم أُحد كانت المأساه من فرار المسلمين، و يوم حُنين كانت الفضيحه و يوم خيبر كان العار منطبعاً على جبهات المنهزمين،

و لا تسأل عن يوم الخندق حين استولى الرعب على القلوب، و الفزع على النفوس حينما برز عمرو بن عبد ودّ، فكفى الله المؤمنين القتال بعلى (عليه السلام).

هذا و لو أردنا استعراض الأحداث التاريخيه بهذا الشأن لطال بنا الكلام و خرج الكتاب عن أسلوبه.

و خلاصه القول هذا موقف علىّ (عليه السلام) تجاه الإسلام و الرسول، و هذه مواقف غيره من أولئك الشخصيات التى ظهرت شجاعتهم بعد وفاه الرسول! و برزت مواهبهم حين خلا لهم الجو، و ساعدتهم الظروف على ما يحبون!.

ص: ۳۵۷

خطبه فاطمه الزهراء

فلّما اختار الله لنبيّه (صلى الله عليه و آله و سلم) دار أنبيائه.

و مأوى أصفيائه.

ظهر فيكم حسكه النفاقِ (۱) .

و سمل جلباب الدينِ (۲) .

و نطق كاظم الغاوينِ (۳) .

و نَبَغَ خامل الأقلِّين (۴) .

و هدَرَ فنيق المبطلينِ (۵) .

فخطر فى عرصاتكمِ (۶) .

و أطلع الشيطان رأسه من مغرزهِ (۷) هاتفاً بكم.

فألفا كم لدعوته مستجيبين.

و للغرّه فيه ملاحظينِ (۸) .

ص: ۳۵۸

۱- ۳۶۷. الحسكه و الحسكيه: الشوكه.

۲- ۳۶۸. سمل الثوب: صارخلقا. و الجباب. ثوب واسع.

۳- ۳۶۹. كاظم الغاوين:الساكت الضال الجاهل.

۴- ۳۷۰. ظهر من خفى صوته و اسمه من الاذلاء.

۵- ۳۷۱. هدر البعير: ردد صوته فى حنجرته. الفهل من الابل.

۶- ۳۷۲. خطر: اذا حرك ذنبه.

۷- ۳۷۳. المغرز- بكسر الراء-: ما يختفى فيه.

۸- ۳۷۴. الغره- بكسرالغين- الانخداع. و ملاحظين:ناظرين و مراعين.

ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً.

و أحمشكم فألفا كم غضابا ِ(۱) .

فوسمتم غير إبلكم ِ(۲) .

و أوردتم غير شربكم ِ(۳) .

هذا و العهد قريب.

و الكلم رحيب ِ(۴) .

و الجرح لمّا يندمل ِ(۵) .

و الرسول لمّا يُقبَر ِ(۶) .

ابتداراً زعمتم خوف الفتنه ِ(۷) .

ألا فی الفتنه سقطوا و إن جهنَّم لمحیطه بالکافرین.

فهیهات منکم!

و کیف بکم؟

و أنَّی تؤفکون ِ(۸) .

و کتاب الله بین أظهرکم.

اُموره ظاهره.

ص: ۳۵۹

۱- ۳۷۵. احمشکم: اغضبکم.

۲- ۳۷۶. الوسم: الکی، وسمه: کواه.

۳- ۳۷۷. الشرب- بکسر الشین-: النصیب من الماء.

۴- ۳۷۸. الکلم: الجرح. و رحیب: واسع.

۵- ۳۷۹. اندمل: تراجع الی البرء.

۶- ۳۸۰. یقبر: یدفن.

۷- ۳۸۱. ابتدارا: معاجله.

۸- ۳۸۲. توفکون: ای تصرفون.

و أحكامه زاهره.

و أعلامه باهره.

و زواجره لائحه.

و أوامره واضحه.

و قد خلَّفتموه وراء ظهوركم.

أرَغبهً عنه تريدون؟

أم بغيره تحكمون؟

بئس للظالمين بدلاً.

و مَن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه و هو فی الآخره من الخاسرين.

ثم لم تلبثوا إلّا ريث أن تسكن نفرتهاِ (۱) .

و يسلس قيادهاِ (۲) .

ثم أخذتم تورون و قدتها، و تُهيّجون جمرتهاِ (۳) .

و تستجيبون لهتاف الشيطان الغویّ.

و إطفاء أنوار الدين الجلی.

و إخماد سنن النبی الصفی.

تسرّون حسواً فی ارتغاءِ (۴) .

و تمشون لأهله و وُلده فی الخَمَر و الضرَّاءِ (۵) .

ص: ۳۶۰

۱- ۳۸۳. ريث: قدر.

۲- ۳۸۴. يسلس: يسهل.

۳- ۳۸۵. تورون: تخرجون نارها.تهیجون: تثیرون.

۴- ۳۸۶. یاتی المعنی فی شرح الخطبه.

۵- ۳۸۷. الخمر- بفتح الخاء و المیم-: ما یسترک من الشجر و غیره.

و نصبر منكم على مثل حزّ المدیِ (۱) .

و وخز السنان فی الحشیِ (۲) .

و أنتم- الآن- تزعمون أن لا إرث لنا.

أفحکم الجاهلیه یبغون؟

و مَن أحسنُ من الله حکماً لقوم یوقنون؟

أفلا تعلمون؟ بلی تجلّی لکم کالشمس الضاحیه أنی ابنته.

أیها المسلمون! أأُغلب علی إرثیه.

ص: ۳۶۱

۱- ۳۸۸. المدی- بضم المیم- جمع مدیه و هی الشفره.

۲- ۳۸۹. الوخز: الطعن. و السنان: راس الرمح.

التحدث عن فتره الانقلاب

ثم انتلقت الى التحدث عن فتره الانقلاب الذى قام به الافراد بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) فقالت:

«فلما اختار الله لنبيه (صلى الله عليه و آله و سلم) دار أنبيائه».

ما أروع هذه الكلمه!

و ما أحسن هذا التعبير الراقى!

إذ أنها ما قالت: فلما مات النبى. بل قالت: «فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه» و هى الدرجات العلا فى الجنه، فهناك الأنبياء، و هناك «مأوى أصفيائه».

«ظهرت فيكم حسيكه النفاق» و فى نسخه: «حسكيه» و هى الشوكه، و يراد بها العداوه و هى عداوه النفاق، أى العداوه الحاصله بسبب النفاق.

«و سمل جلباب الدين» و فى نسخه: «أسمل» و فى بعض النسخ: «جلباب الإسلام» أى ظهرت آثار الاندراس على ثياب الإسلام، بعد أن كانت فى غايه الحسن و الجمال و الطراوه.

«و نطق كاظم الغاوين» و فى نسخه: «فنطق كاظم، و نبغ خامل» أى تكلم الذى ما كان يتجرأ أن يتكلم من جهه الخوف.

«و نبغ خامل الأقلِّين» و فى نسخه: «الآفلين» و المقصود بروز الأفراد الساقطين غير النابهين.

«و هدر فنیق المبطلین» و فی نسخه: «فنیق الکفر» أی رفع البعیر- الفحل الذی لا یرکب- صوته.

«فخطر فی عرصاتکم» أی مشی ذلک البعیر مشیه المعجب بنفسه، مشیه الکبریاء و الغرور و کلها کنایات عن ظهور النفاق الکامن فی الصدور، و بروز النزعات و الاتجاهات التی کانت مختفیه فی عصر الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) و انقلاب الضعفاء العجزه أقویاء.

«و أطلع الشیطان رأسه من مغرزه هاتفاً بکم» تعتبر السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام). تلک الأحداث نوعاً من التجاوب مع الشیطان الرجیم الذی حلف بقوله: «لأغوینهم أجمعین إلاّ عبادک منهم المخلصین» فالشیطان الذی کان فاشلاً فی عهد الرسول یوم کان الإسلام فی التقدم والقوه، الشیطان أخرج رأسه بعد أن کان مختفیاً، أخرج رأسه کالقنفذ الذی یخرج رأسه عند زوال الخوف، وهتف بکم و دعاکم إلی نقض البیعه التی تمت یوم الغدیر، و سلب الحقوق عن أهلها و أصحابها الشرعیین.

«فألفاکم لدعوته مستجیبین» و فی نسخه: «فوجدکم لدعوته التی دعا إلیها مجیبین»أی حینما هتف بکم الشیطان وجدکم کما یجب، و صدق علیکم ظنه.

«و للغرّه فیه ملاحظین» أی وجد الشیطان فیکم تجاوباً شدیداً، و قبولاً للانخداع کالإنسان الذی یقبل کل شی ء یقال له، و یعمل کل شی ء یؤمر به، بلا تفکر و لا تعقّل فی الأمور.

«ثم استنهضکم فوجدکم خفافاً» أمرکم بالقیام به فوجدکم مسرعین دون تثاقل.

و أحمشکم فألفاکم غضاباً» و فی نسخه: «فوجدکم غضاباً» أی

حملكم على الغضب، و حرّضكم عليه فوجدكم تغضبون لغضبه، أو تندفعون نحو الغضب على حسابه و لمصلحته، و المقصود: وجدكم الشيطان منقادين لأوامره، مطيعين له فى كل الأحوال.

«فوسمتم غير إبلكم» فكانت النتيجه أنكم عملتم ما لا يجوز لكم أن تفعلوه، و انتخبتم من ليس بأهل الانتخاب، و أعطيتم مقاليد الأمور غير أهلها، و خوّلتم القياده إلى غير أكفائها.

«و أوردتم غير شربكم» و فى نسخه: «و أوردتموها شرباً ليس لكم» كالراعى الذى ينزل إبله فى عين ماء ليست له، و المقصود إنكم أخذتم ما ليس لكم بحق من الخلافه، و المراد التصرفات الشاذه التى قام بها الناس فى تعيين الخليفه، و صرف الخلافه عن أهلها و أصحابها الشرعيين، لأن هذه التصرفات ليست من حق الناس، بل هى حق خاص لله سبحانه.

«هذا و العهد قريب» حَدَث كل هذا التغيير و الحال أن العهد قريب، أى لم يمضِ زمن بعيد عن أيام الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) إذ من الممكن أن الدين يتغير، أو المسلمين ينسون الأوامر و التعاليم بسبب مرور الزمان، و لكن- هنا- ليس الأمر كذلك فإنه لم يمضِ على وفاه الرسول أسبوعان.

«و الكلم رحيب» و جراحه القلب بسبب وفاه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) لا يزال فمها واسعاً، و هذا تعبير عن سعه الجراحه، و المقصود عِظَم المصيبه، و فظاعه الخطب.

«و الجرح لما يندمل» أى لم يلتئم جرح مصاب وفاه النبى (صلى الله عليه و آله و سلم).

«و الرسول لما يقبر» أى ظهرت بوادر الانقلاب قبل دفن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم)، بل فى تلك الساعات التى كان على (عليه السلام)

یغسّل الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) و یکفنه، فاجتمعتم و صنعتم ما صنعتم.«ابتداراً زعمتم خوف الفتنه» و فی نسخه: «بداراً» أی أسرعتم إلی تلک الأعمال بکل استعجال، و تزعمون أنکم إنما فعلتم ما فعلتم وقایه عن وقوع الفتنه، و معنی زعم: ادّعی شیئاً و هو یعلم کذبه، و معنی- زعمتم- هنا-: ادّعیتم أنکم فعلتم تلک الأفعال لئلاـ تقع الفتنه، و کنتم تعلمون أنکم کاذبون فی هذا الإ دعاء.

«ألاـ فی الفتنه سقطوا و أن جهنم لمحیطه بالکافرین» الفتنه أنتم، و أنتم الفتنه، و عملکم هو الفتنه المفسده، غصبتم الحقوق عن أهلها لأجل الوقایه من الفتنه حسب ادعائکم، و أیّ محنه أعظم من تغییر مجری الإسلام، و تبدیل أحکامه، و غصب حقوق أهل البیت، و معاملتهم بتلک القسوه و الخشونه؟؟

و کان من المناسب أن تقول السیده فاطمه: إلا فی الفتنه سقطتم. و لکنها ذکرت الآیه الشریفه کما هی.

«فهیهات منکم» کلمه: «هیهات» معناها البُعد، و کأنّها تستبعد تلک الأعمال منهم استبعاداً ممزوجاً بالتعجب من أنهم کیف أقدموا علی تلک الأعمال، و مَن الذی یصدّق أن تلک الحثاله من الناس یقومون بتلک الجرائم العظیمه بالرغم من تصریح القرآن، و تصریحات الرسول الأکرم (صلی الله علیه و آله و سلم) و توصیاته فی حق عترته و أهل بیته؟

«و کیف بکم؟!» تتعجب السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) من ذلک التبدل فی العقائد و السلوک أی کیف فعلتم هذه الأعمال؟ و کیف تلیق بکم تلک الجنایات؟!

ص: ۳۶۵

«و أنّى تؤفكون» أى إلى أين صَرَفكم الشيطان عن طريقتكم المثلى، وحدا بكم إلى هذه الأعمال.

«و كتاب الله بين أظهركم» أى و الحال أن القرآن لاـ يزال موجوداً فيما بينكم، محفوفاً بكم، و فى نسخه: «و كتاب الله- عز و جل- بين أظهركم، قائمه فرائضه، واضحه دلائله، نيّره شرائعه».

«أُموره ظاهره» أى لا يوجد فى القرآن ما يوجب الشك و الارتياب، لأن أموره ظاهره. «و أحكامه زاهره» متلألئه مشرقه.

«و أعلامه باهره» أى العلامات التى يستدل بها على القرآن غالبه النور و الضياء.

«و زواجره لائحه» أى نواهيه التى تزجركم عن اتباع الهوى واضحه.

«و أوامره واضحه» الأوامر التى تأمركم بإطاعتنا، و تعلّم الأحكام منا، و الانقياد لنا ظاهره.

«و قد خلّفتموه وراء ظهوركم» يا للأسف! إن القرآن الموصوف بهذه الأوصاف صار اليوم منبوذاً وراء ظهوركم، لا تعملون به و لا تأخذون بقوله.

«أرَغبه عنه تريدون؟» هذا استفهام توبيخى، لأن الإنسان إذا ألقى الشى ء وراءه فمعناه أنه لا يرغب إليه لهذا يدبر عنه.

تقول (عليهاالسلام) كأنكم رفضتم العمل بالقرآن، أو لا يعجبكم القرآن أى أحكامه التى تزاحم هو اياتكم و أهدافكم.

«أم بغيره تحكمون؟» أى تحكمون بغير القرآن من القوانين؟ إذ القرآن لا يصلح للعمل عندكم؟

«بئس للظالمين بدلاً» بئس ذلك البدل الذى أخذتم به بدل القرآن،

و هو الحكم الباطل.

«ثم لم تلبثوا إلّا ريث أن تسكن نفرتها و يسلس قيادها» و هنا شبهت السيده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) الفتنه بالناقه أو الدابه الشارده التی یصعب قیادها، أی الاستیلاء علیها بالرکوب تقول (علیهاالسلام) بعد استیلائکم علی المقام الأسمی الأرفع الأعلی و هو مقام الخلافه لم تلبثوا حتی استتمت لکم الأمور، وهدأ الاضطراب ثم شرعتم بالأعمال التخریبیه.

«ثم أخذتم تورون و قدتها، و تهیجون جمرتها» أی شرعتم بإثاره الفتن کالذی ینفخ فی الجمره حتی تلتهب، أو یحرک الجمره حتی تشتعل و تظهر نارها، و تحرق الرطب و الیابس، و المقصود من ذلک تلک المآسی التی قام بها أولئک الأفراد من سلب الإمکانیات من أمیرالمؤمنین (علیه السلام) و هجومهم علی الدار، و ما جری علی السیده فاطمه و زوجها و ولدیها، ثم مصادره أملاکها و منعها عن الخمس و الفی ء، و غیر ذلک مما ذکره المؤرخون و ما لم یذکروه...

و خلاصه القول: أنکم قمتم بجرائم متسلسله و متعدده، بعضها أفجع و أفظع من بعض.

«و تستجیبون لهتاف الشیطان الغوی» لأن الشیطان یدعو حزبه لیکونوا من أصحاب السعیر، و یحدثنا القرآن الکریم عن کلام الشیطان الغوی: «و ما کان لی علیکم من سلطان إلّا أن دعوتکم فاستجبتم لیِ» (۱) نعم إن الأعمال التی قامت بها رجال السلطه ضد آل الرسول لم تکن إجابه و استجابه لله و لرسوله، بل کانت استجابه للشیطان الغوی، و قد تقدم کلام

۱- ۳۹۰. ابراهیم: ۲۲.

شبیه بهذا فیما سبق.

«و إطفاء أنوار الـدین الجلی» للدین الإسـلامی أنوار یهتدی بها الناس، و هی محاسن الأحكام و القوانین الروحانیه التی یتمتع بها الدین، و یسعون لإطفاء تلك الأنوار.

«و إخماد سـنن النبی الصفی» و فی نسخه: «إهماد» أی القضاء علی طریقه الرسول و هنا تشبیه السنه النبویه بالنور، و تشبیه القضاء علیه بالإخماد.

«تسرّون حسواً فی ارتغـاء» هـذه الجمله تشـیر إلی قضـیه معروفه و هی إن اللبن- حینما یُحلب تعلوه رغوه فیأتی الرجل فیُظهر أنه یرید شرب الرغوه فقط، و لكنه یشرب الماء سراً، و بهذا یضرب المثل لمن یدّعی شیئاً و یرید غیره.

فهو یشرب اللبن سراً و لكنه یدعی أنه یحسو الرغوه، فیقال: فلان یسرّ حسواً فی ارتغاء. و الارتغاء شرب الرغوه.

هكـذا تخبر السـیده فـاطمه الزهراء (علیهاالسـلام) عن الهـدف الحقیقی لهؤلاء، أنهم یـدّعون شـیئاً و لكنهم یریـدون شـیئاً آخر، یدّعون الوقایه من وقوع الفتنه و لكنهم یریدون غلق بیت آل محمد، و القضاء علی كیان أهل البیت.

«و تمشون لأهله و وُلده فی السـراء و الضراء» و فی نسخه: «فی الخَمَر و الضراء» و الخَمَر- بفتح الخاء و المیم- هو ما یسترك من الشـجر و غیره، و الضـراء- بفتـح الضـاد و تخفیـف الراء-: الشـجر الملتف، أو الأرض المنخفضه، و المقصود: أنكم تؤذون أهل رسول الله و أولاده بالمكر و الخـدیعه و بصوره سـریه غیر مكشوفه، و لهذه الغایه قطعتم عنهم موارد الرزق لیكونوا فقراء ضـعفاء مسلوبی الإمكانیات كی لا یمیل إلیهم أحد.

ص: ۳۶۸

«و نصبر منکم علی مثل حزّ المدی» نحن نصبر منکم علی الأذی و المکاره التی تصلنا منکم کمن یصبر علی تقطع أعضائه بالسکین.

«و وخز السنان فی الحشی» و مثل مَن طعنوه بسنان الرمح فی أحشائه، أی لیست القضیه سهله حتی یمکن التغاضی عنها و التناسی، بل هی مأساه کبیره، و جریمه عظیمه.

«و أنتم الآن تزعمون أن لا إرث لنا» و بعد هذا کله لتبریر موقفکم العدائی، و تغطیه أعمالکم تزعمون أی تدّعون کذباً: أن لا إرث لنا من رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) تنکرون أهم الأمور و أوضح الأشیاء فی الدین الإسلامی، و هو قانون الوراثه فی القرآن و السنه.

«أفحکم الجاهلیه یبغون» و فی نسخه: «تبغون» أدمجت السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) هذه الآیه فی حدیثها کما هی عادتها بسبب استئناسها بتلاوه القرآن، تقول: إن إنکار الوراثه لیس فی الحکم الإسلامی، فهل أعجبکم أن تحکموا بأحکام الجاهلیه التی کانت تبعاً للأهواء الفردیه، منبعثه عن أغراض شخصیه، و هی حرمان البنات من الإرث، و تخصیص الإرث للذکور فقط.

«و من أحسن من الله حکما لقوم یوقنون» آیه أخری أدمجتها فی حدیثها، و هل یوجد حکم أو قانون أحسن من الحکم الصادر من الله تعالی عند الذین یوقنون بالله الحکیم؟ و یعتقدون بالإسلام؟

ألیس القانون الإسلامی قد قضی علی قوانین الجاهلیه؟ فجعل الإرث للبنات و البنین؟

«بلی، تجلّی لکم کالشمس الضاحیه إنی ابنته» بلی.. الأمر واضح عندکم کالشمس التی تظهر فی ضحوه النهار، فی سماء صافیه لا سحاب فیها و لا ضباب، هکذا اتضح عندکم أنی ابنته قطعاً و بلا شک.

«أفلا تعلمون؟» هذه الأمور و هذه الحقائق؟ أو أفلا تعلمون أنی ابنته.

«أيها المسلمون» الحاضرون المستمعون إلى خطابی، يا من رشحتم أبابكر للخلافه!يا أمه محمد أنا بنت محمد، أنا ابنه رسول الإسلام.

«ءأُغلب على إرثيه» يغلبوننی على أخذ إرثی و حقی؟ و فی نسخه: «أأُبتزّ إرث أبيه» أيسلبوننی إرث أبی؟ و الهاء- هنا- للوقف و السكون.

ص: ٣٧٠

خطبه فاطمه الزهراء

يا ابن أبى قحافه!

أفى كتاب الله أن ترث أباك و لا أرث أبى؟؟

لقد جئت شيئاً فرّياً!! (۱) .

أفعلى عمد تركتم كتاب الله و نبذتموه وراء ظهوركم؟

إذ يقول:

«و ورث سليمان داود» (۲) .

و قال- فيما اقتص من خبر زكريا- إذ قال:

«فهب لى من لدنک وليّاً يرثنى و يرث من آل يعقوب» (۳) .

و قال:

«و أُولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله» (۴) . و قال:

«ان ترک خيرا الوصيه للوالدين و الاقربين بالمعروف حقا على المتقين». (۵) .

۱- ۳۹۱. فريا: امرا عظيما او منكرا قبيها.

۲- ۳۹۲. النمل: ۱۶.

۳- ۳۹۳. مريم: ۱۹.

۴- ۳۹۴. الانفال ۷۵.

۵- ۳۹۵. البقره ۱۸۰.

و زعمتم أن لا حظوه لی؟ (۱) .

و لا إرث من أبی!

أفخصّکم الله بآیه أخرج أبی منها؟

أم تقولون: إن أهل ملتین لا یتوارثان؟

أوَلست أنا و أبی من أهل ملَّه واحده؟

أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومه من أبی و ابن عمی؟

فدونکها مخطومه مرحولهِ (۲) .

تلقاک یوم حشرک.

فَنِعم الحَکَم الله.

و الزعیم محمد.

و الموعد القیامه.

و عند الساعه یخسر المبطلون.

و لا ینفعکم إذ تندمون.

و لکل نبأ مستقر، فسوف تعلمون من یأتیه عذاب یُخزیه، و یحلّ علیه عذاب مقیم. ثم رَمَتْ بِطَرفها نحو الأنصار فقالت:

یا معشر النقیبه.

و أعضاد الملَّه.

و حَضَنَه الإسلامِ (۳) .

۱- ۳۹۶. الحظوه: النصیب.

۲- ۳۹۷. ناقه مخطومه و مرحوله، الخطام- بکسر الخلاء- الزمام و مرحوله من الرحل و هو للناقه کالسرج للفرس.

٣- ٣٩٨. حضنه: جمع حاضن بمعنى الحافظ.

ما هذه الغَميزه فی حقی؟ (۱) .

و السِّنَه عن ظلامتی؟

أما کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أبی یقول:

«المرء یُحفظ فی وُلده»؟

سرعان ما أحدثتم.

و عجلان ذا إهاله.

ولکم طاقه بما أُحاول.

و قوه علی ما أطلب و أُزاولِ (۲) .

أتقولون: مات محمد (صلی الله علیه و آله و سلم).

فخطب جلیل.

استوسع و هنهِ (۳) .

واستنهر فتقهِ (۴) .

و انفتق رتقه.

و أظلمت الأرض لغیبته.

و کسفت النجوم لمصیبته.

و أکدت الآمالِ (۵) .

و خشعت الجبال.

و أُضیع الحریمِ (۶) .

۱- ۳۹۹. الغمیزه الضعف او الغفله.

۲- ۴۰۰. ازوال: اقصد.

۳- ۴۰۱. استوسع و هنه: اتسع غایه الاتساع و هنه و فی نسخه:و هیه ای شقه و خرفه.

۴- ۴۰۲. کالمعنی المتقدم.

۵- ۴۰۳. اکدت: انقطعت.

۶- ۴۰۴. الحریم: ما یحمیه الرجل و یقاتل عنه.

و أَزيلت الحرمه عند مماته.

فتلك- و الله- النازله الكبرىِ (۱) .

و المصيبه العظمى.

لا مثلها نازله.

و لا بائقه عاجلهِ (۲) .

أعلن بها كتاب الله- جلّ ثناؤُه- فى أفنيتكمِ (۳) .

فى ممساكم و مصبحكم.

هتافاً و صراخاً.

و تلاوه و ألحاناً.

و لَقبلَه ما حلَّ بأنبيائه و رُسله.

حكم فصل، و قضاء حتم.

«و ما محمد إلّا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً و سيجزى الله الشاكرينِ» (۴) .

۱- ۴۰۵. النازله: الشديده.

۲- ۴۰۶. البائقه: الداهيه.

۳- ۴۰۷. افنيتكم: جمع فناء-بكسر الفاء- جوانب الدار من الخارج او العرصه المتسعه امام الدار.

۴- ۴۰۸. آل عمران: ۱۴۴.

فاطمه الزهراء تخاصم الرئيس

«يا بن أبی قحافه» هنا وجّهت السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) خطابها إلی رئیس الدوله، و لم تقل له: یا خلیفه رسول الله لأن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) لم یستخلفه، و لم تخاطبه بالکنیه «یا أبابکر» لأنه تعظیم له، و إنما قالت له: یا بن أبی قحافه. و سیتضح لک وجه هذا النسب، فی المستقبل فی شرح کلماتها مع زوجها أمیرالمؤمنین (علیه السلام).

«أفی کتاب الله أن ترث أباک و لا ـ أرث أبی؟» بأی قانون ترث أباک إذا مات و لا أرث أبی إذا مات؟؟ هل تعتمد علی کتاب الله فی منعی عن إرث أبی؟

«لقد جئت شیئاً فریاً» لقد جئتَ بافتراء عظیم، و کذب مختلق علی القرآن.

لقد ذکرنا- فیما مضی- أن السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) کانت تستحق فدکاً عن طریق النحله و عن طریق الإرث، فلما طالبت بفدک عن طریق النحله و أقامت الشهود علی ذلک صنعوا ما صنعوا و الآن جاءت تطالب بفدک عن طریق المیراث.

«أفعلی عمدٍ ترکتم کتاب الله و نبذتموه وراء ظهورکم» ألیس هذا القرآن موجوداً عندکم؟ فلماذا ترکتم العمل به و طرحتموه وراءکم؟

«إذ یقول: و ورث سلیمان داود» ألیس هذا تصریحاً بقانون التوارث و الوراثه بین الأنبیاء؟ أما کان سلیمان و ابنه داود من الأنبیاء؟

ص: ۳۷۵

إن السيده فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فهمت من الآيه أن معنى: «و ورث سليمان داود» هو إرث المال، و هكذا فهم أبوبكر و هكذا جميع المسلمين الحاضرين يومذاك و هم يستمعون إلى كلام السيده فاطمه، هؤلاء كلهم قد فهموا أن المقصود من الإرث فى هذه الآيه هو إرث المال، و معنى ذلك أن سليمان ورث أموال أبيه داود، و لم يفهموا غير هذا.

و هكذا الكلام فى قوله تعالى- فيما اقتص من خبر زكريا-: «فهب لى من لدنك وليّاً يرثنى و يرث من آل يعقوب» إن زكريا (عليه السلام) سأل الله تعالى أن يرزقه ولداً يرثه المال.

و لكن بعد قرون عديده جاء المدافعون عن السلطه، فقالوا: فى تفسير الآيتين: ورث سليمان داود العلم لا المال، و هكذا: وليّاً يرثنى العلم لا المال، و هم يقصدون بهذا التفسير تأييد الذين حرموا السيده فاطمه من ميراث أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم).

و لا بأس أن نتحدث- بما تيسر- حول الآيتين لعلنا نصل إلى نتيجه مطلوبه:

أولاً: لفظ الإرث و الميراث يستعمل شرعاً و عرفاً و لغه فى المال، فإذا قلنا: فلان وارث فلان. فالظاهر أنه وارثه فى المال. لا أنه وارثه فى العلم أو المعرفه، إلا إذا كانت هناك قرينه أى دليل يدل على إرث العلم و المعرفه كقوله تعالى: «و أورثنا بنى إسرائيل الكتاب» و قوله: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا».

فأما قوله: «و ورث سليمان داود» فالمقصود إرث المال لا إرث العلم و الملك و ما شابه، لأن سليمان كان نبياً فى حياه أبيه داود، كما قال تعالى- فى قصه الزرع الذى نفشت فيه غنم القوم- «ففهَّمناها سليمان و كلّا آتينا

حکماً و علماً...» (۱) و قد ذکر الزمخشری فی الکشاف ج ۲۳ فی تفسیر قوله تعالی: «إذْ عُرض علیه بالعشی الصافنات الجیاد» روی أن سلیمان غزا أهل دمشق و نصیبین فأصاب ألف فرس، و قیل: ورثها من أبیه، و أصابها أبوه من العمالقه، و قال البیضاوی: و قیل أصابها أبوه من العمالقه فورثها منه فاستعرضها... الی آخر.

فإنک تجد أن سلیمان ورث أباه داود تلک الخیول والأفراس، و ورثه غیرها من الترکه و الأموال التی ترکها داود، و بهذین القولین ثبت أن سلیمان لم یرث العلم و النبوه من أبیه داود لأن سلیمان کان نبیاً فی زمان أبیه داود کما کان هارون نبیاً فی زمان أخیه موسی بن عمران (علیهماالسلام) و ثبت أیضاً أن سلیمان ورث أباه داود المال.

و أما ما یتعلق بدعاء زکریا (علیه السلام) ربه: «فهب لی من لدنک ولیّاً یرثنی» فقد قال بعض الشواذ: یرثنی نبوتی، فهو یرید نفی الوراثه عن الأنبیاء، و لکن الآیه الکریمه بنفسها تکشف الحقیقه عن مراد زکریا. فقوله: «و اجعله رب رضیاً» یدل علی أنه لیس المقصود إرث النبوه لأنه یکون المعنی أن زکریا سأل ربه أن یهب له ولیاً یرثه النبوه و یکون ذلک الولی مرضیاً عند الله، و هذا کقول القائل: اللهم ابعث لنا نبیاً واجعله عاقلاً مرضیاً فی أخلاقه، و هذا لغو و عبث، و لا یستحسن من زکریا أن یسأل ربه أن یجعل ذلک النبی رضیاً أی مرضیاً فی أخلاقه، لأن النبوه أعظم من هذه الصفات، و جمیع هذه الصفات تندرج تحت النبوه، و قد قال فخر الدین الرازی: إن المراد بالمیراث فی الموضعین «الآیتین» هو وراثه المال.

و للمفسرین کلام حول دعاء زکریا (علیه السلام) لا بأس بذکره ملخصاً:

۱- ۴۰۹. الانبیاء: ۷۹.

قال الطبرسی فی «مجمع البیان» فی تفسیر الآیه: و یقوّی ما قلنا أن زکریا صرّح بأنه یخاف بنی عمه بعده بقوله: «و إنی خفت الموالی من ورائی» و إنما یطلب وارثاً لأجل خوفه، و لا یلیق خوفه منهم إلّا بالمال دون النبوه و العلم، لأنه (علیه السلام) کان أعلم بالله تعالی من أن یخاف أن یبعث نبیاً من لیس بأهل للنبوه، و أن یورث علمه و حکمته من لیس لهما بأهل، و لأنه إنما بُعث لإ ذاعه العلم و نشره فی الناس فکیف یخاف من الأمر الذی هو الغرض فی بعثته؟

فإن قیل: إن هذا یرجع فی وراثه المال، لأن فی ذلک إضافه الضن و البخل إلیه، قلنا: معاذ الله أن یستوی الأمران، فإن المال قد یُرزق به المؤمن و الکافر و الصالح و الطالح، و لا یمتنع أن یأسی علی بنی عمه إذا کانوا من أهل الفساد أن یظفروا بماله فیصرفوه فیما لا ینبغی، بل فی ذلک غایه الحکمه، فإن تقویه الفسّاق و إعانتهم علی أفعالهم المذمومه محظوره فی الدین، فمن عدّ ذلک بخلاً و ضناً فهو غیر منصف و قوله: «خفت الموالی من ورائی» یفهم منه أن خوفه إنما کان من أخلاقهم و أفعالهم و معانی فیهم لا من أعیانهم..) انتهی کلامه.

لقد تلخص من مجموع الأقوال أن المقصود من الوراثه فی آیه سلیمان بن داود و آیه زکریا هو وراثه المال، و النتیجه أن الوراثه کانت بین الأنبیاء.

«و قال: و أُولوا الأرحام بعضهم أولی ببعض فی کتاب الله» أی و ذووا الأرحام و القرابه بعضهم أحق بمیراث بعضهم من غیرهم، و هذه الآیه عامه فی التوارث بین الأرحام و الأقارب.

«و قال: یوصیکم الله فی أولادکم للذکر مثل حظ الأُنثیین» أی

یأمركم الله و یفرض علیكم فی توریث أولادكم إذا متّم للابن مثل نصیب البنتین و هذه الآیه أیضاً عامه فی جمیع المسلمین بلا تخصیص للأنبیاء إنهم لا یورّثون أولادهم.

«و قال: إن ترك خیراً الوصیه للوالدین و الأقربین بالمعروف حقاً علی المتقین» إن الآیه هكذا: «كتب علیكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خیراً...» أی إن ترك مالاً، و هذه آیه ثالثه عامه فی الوراثه و لیس فیها تخصیص للأنبیاء أو نفی الوراثه بین الأنبیاء.

«و زعمتم أن لا حظوه لی» أی ادَّعیتم، و فی نفس الوقت تعلمون انكم كاذبون،ادعیتم أن لا نصیب و لا منزله لی «و لا إرث من أبی» رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) «و لا رحم بیننا» و لا قرابه و لا صله، لأنكم أنكرتم الوراثه الثابته بینی و بین أبی، فقد أنكرتم كل صله و علاقه و قرابه بینی و بین أبی.

«أفخصَّكم الله بآیه أخرج منها أبی؟» و فی نسخه: «أَفَحَكَم الله بآیه» إن آیات الإرث عامه و شامله لجمیع المسلمین، فهل استثنی الله أبی من آیات الإرث فلا وراثه بین النبی و أهله؟

«أم تقولون: إن أهل ملَّتین لا یتوارثان» فالكافر لا یرث المسلم؟

«أو لست أنا و أبی من أهل ملَّه واحده؟» هل تشكون فی إسلامی و كونی مسلمه، و علی شریعه الإسلام؟

یا للمصیبه!

لقد بلغ الأمر ببضعه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و ابنته الوحیده و سیده نساء العالمین أن تتكلم هكذا، و تحتج بهذا المنطق؟ فإنا لله و إنا إلیه راجعون.

«أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومه من أبی و ابن عمی؟» إنّ آیات الإرث عامه فإن كانت مخصَّصه للرسول كان الرسول یعلم ذلك،

و يخبر ابنته مع العلم أنه (صلى الله عليه و آله و سلم) لم يخبر ابنته و لا غيرها من الناس بهذا الحكم الخاص، و هل من المعقول أن يُخفى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم). هذا الحكم من ابنته مع شده اتصالها به و كثره تعلقه بها، و شده الحاجه إلى بيان الحكم لها لئلا تطالب بالإرث بعد وفاه أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم).

تقول السيده فاطمه: أم تقولون: أنكم أنتم أعلم بالقرآن و آياته الخاصه و العامه من أبى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) الذى نزل القرآن على قلبه؟

أم أنتم أعلم من ابن عمى على بن أبى طالب باب مدينه علم الرسول؟ إذا لو كان الأمر هكذا لكان زوجى يخبرنى، و ما كان يأمرنى أن أحضر فى المسجد و أطالب بحقوقى و إرث أبى.

هذه جميع الصُور التى يمكن أن يتصورها الإنسان فى هذه المسأله، و كلها منتفيه، و إذن فالقضيه سياسيه، و ليست دينيه، بل هى مؤامره ضد آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و محاربه اقتصاديه لتضعيف جانبهم الاقتصادى.

«فدونكها مخطومه مرحوله» إلى هنا كان الخطاب عاماً لجميع المسلمين الحاضرين فى المسجد و هنا وجهت خطابها إلى رئيس الدوله وحده، و قالت: «فدونكها» أى خذها، خذ فدك و شبّهت فدك بالناقه التى عليها رحلها و خطامها، و الرحل للناقه كالسرج للفرس، و الخطام: الزمام، و المقصود: خذ فدك جاهزه مهيأه، و فى هذا الكلام تهديد، و هذا كما يقال للمعتدى: افعل ما شئت، و انهب ما شئت هنيئاً مريئاً.

و لهذا أردفت كلامها بقولها: «تلقاك يوم حشرك» إشاره إلى أن الإنسان يرى أعماله يوم القيامه قال تعالى: «و وجدوا ما عملوا حاضراً».

«فنِعم الحَكم الله» فی ذلک الیوم الحکم لله الواحد القهار، لا لک، الذی لا یجور، الذی لا یخفی علیه شی ء من مظالم العباد.

«و الزعیم محمد» المحامی الذی یخاصمک هو سید الأنبیاء، و هو أبی، یطالبک بحق ابنته فاطمه.

«و الموعد القیامه» و هو یوم الفصل الذی کان میقاتاً، و عند الله تجتمع الخصوم.

«و عند الساعه یخسر المبطلون» یخسر الذین ادّعوا الباطل، و ادّعوا ما لیس لهم.«و لا ینفعکم إذ تندمون» لا ینفع الندم فی ذلک الیوم، إذ الإنسان قد یندم فی الدنیا علی عمله فینفعه الندم إذ إنه لا یعود إلی ذلک العمل، و لکن فی القیامه لا ینفع الندم إذ لا عمل هناک و إنما هو الحساب.

«و لکل نبأ مستقر، فسوف تعلمون من یأتیه عذاب یخزیه و یحلّ علیه عذاب مقیم» و هذا تهدید بعذاب الآخره، الدائم المستمر.

ثم رَمَتْ بطرفها نحو الأنصار و هم أهل المدینه الذین نصروا رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) لما هاجر من مکه إلی المدینه، و استنصرتهم بعد أن ذکّرتهم بسوابقهم المشرقه فی عهد الرسول.

و قالت: «یا معشر النقیبه» أیتها الطائفه النجیبه، و فی نسخه: «یا معاشر الفتیه» نسبت إلیهم الفتوه و الشهامه کی تهیّج عزائمهم و عواطفهم.

«و أعضاد المله» أعوان الدین.

«و حضَنَه الإسلام» أیها المحافظون علی الإسلام، احتضنتم الإسلام کما تحتضن المرأه ولدها أو کما یحتضن الطائر بیضه.

«ما هذه الغمیزه فی حقی؟» ما هذا التغافل و السکوت عن حقی؟

«و السِنه عن ظلامتی؟» السنه- بکسر السین- الفتور فی أول النوم.

و الظلامه: ما أخذه الظالم منک فتطلبه عنده، و تصف فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) سکوتهم عن إسعافها بالسنه التی هی مقدمه للنوم الذی یفقد النائم فیه الشعور.

نعم، إنه موت الضمیر، و تعطیل الإحساس، و رکود العاطفه، و فقد الإنسانیه.

«أما کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أبی یقول: «المرء یُحفَظ فی ولده؟» أی تحفظ کرامه الإنسان بحفظ کرامه أولاده و رعایه حقوقهم، کما قیل: «لأجل عین ألف عین تُکرم» ألیس رسول الله أبی؟ ألستُ ابنته؟ أما ینبغی لکم أن تحترموا مکانتی لأجل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

و فی نسخه: «أما کان لرسول الله أن یحفَظ فی وُلده؟» أما کان یستحق رسول الله أن تحفظ الامته کرامته فی أولاده و ذریته؟

«سرعان ما أحدثتم» تتعجب السیده فاطمه الزهراء من إسراعهم فی إحداث الأمور، و الاعتداء علی آل الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم).

«و عجلان ذا إهاله» هذه الکلمه تشیر إلی قضیه و یضرب بها المَثَل، و هی أن رجلًا کان له نعجه عجفاء هزیله، یسیل مخاطها من منخریها، فقیل له: ما هذا؟ قال: سرعان ذا إهاله. و الإهاله: الشحم، أو الشحم المذاب، و تستعمل هذه الکلمه لمن یخبر بالشی ء قبل وقته، و المقصود: إنکم دبَّرتم الأمور ضدّنا بکل استعجال و بکل سرعه.

«و لکم طاقه بما أُحاول» عندکم قدره و إمکانیه لإسعافی و مساعدتی و نُصرتی فی استرجاع حقوقی المغصوبه التی أقصد استردادها.

«و قوه علی ما أطلب و أُزاول» لستم ضعفاء عاجزین عن حمایتی و الدفاع عنی، فما عذرکم، ما سبب سکوتکم؟ ما هذا التخاذل؟

ص: ۳۸۲

«أتقولون: مات محمد» و مات دينه، و ماتت كرامته و حرمته، و ماتت المفاهيم المثلى، و خلى الجو؟

أهذا جرّأكم علينا أهل البيت؟

«فخطب جليل» فأمر عظيم شديد، لأن موت العظماء عظيم، و فى نسخه: «أتزعمون مات رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أيتم دينه، ها أن موته لعمرى خطب جليل».

ثم جعلت (عليهاالسلام) تصف فظاعه المصيبه و مدى عظمتها، و تأثيرها فى النفوس، فقالت:

استوسع و هنه» و فى نسخه: «استوسع وهيه» كالحصن الذى اتّسع شقه «و استنهر فتقه» كالطعنه التى توسع الشق فى البدن.

«و انفتق رتقه» انشق المكان الملتئم منه، و الضمائر الثلاثه- فى وهنه و فتقه و رتقه تعود إلى الخطب.

«و أظلمت الأرض لغيبته» من الطبيعى أنه كان نوراً تستضىء به الأرض و من عليها و بوفاته أظلمت الأرض، و تجد فى القرآن آيات كثيره تعبّر عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بالنور كقوله تعالى: (قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين) (1) .

«و كسفت النجوم لمصيبته» إن الضوء الذى تراه على وجه القمر و على بقيه النجوم ما هو إلا انعكاس لنور الشمس على القمر و النجوم، فإذا زال نور الشمس انكسفت النجوم و زال عنها الضوء.

«و أكدت الآمال» أى انقطعت الآمال التى كانت منوطه برسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بسبب وفاته، و ذلك كما يقال: خابت الظنون

ص: ۳۸۳

۱- ۴۱۰. المائده: ۱۵.

و انقطعت الآمال.

«و خشعت الجبال» من هول الفاجعه، و عظم الواقعه حتى الجمادات تتأثّر بالحوادث العظيمه، كما قال تعالى: «لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشيه اللهِ» (۱) .

«و أضيع الحريم» الحريم: ما يحميه الرجل و يقاتل عنه، و المقصود- هنا- حريم آل الرسول و هم عترته الطيبه.

نعم، ضاع حريمه أيّ ضياع! و انتهكت حرمته أى انتهاك!

«و أُزيلت الحرمه عند مماته» و فى نسخه: «أُديلت الحرمه عند مماته» أى غُلبت (بضم الغين و كسر اللام).

«فتلك- و الله- النازله الكبرى، و المصيبه العظمى» إن مصيبه وفاه العظماء تكون عظيمه، فكلما كانت عظمه المتوفى أكثر كانت مصيبه وفاته أعظم و أفجع، و لقد كان رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أشرف مخلوق و أعظم إنسان، و أطهر كائن فبالطبع تكون وفاته نازله كبرى و مصيبه عظمى.

«لا مثلها نازله» لا توجد فى العالم مصيبه كبيره كمصيبه وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) لأنه لا يوجد فى العالم موجود كرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

«و لا- بائقه عاجله» أى لا مثلها داهيه فى القريب العاجل، إذ من الممكن أن تحدث فى العالم حادثه أعظم وقعاً من وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم)و هى حادثه قيام الساعه و قيام القيامه.

و لقد وصف الإمام علىّ أميرالمؤمنين (عليه السلام) مصيبه وفاه

۱- ۴۱۱. الحشر: ۲۱.

الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) بقوله: «فنزل بى من وفاه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) ما لم أكن أظن الجبال لو حملته عنوه كانت تنهض به، فرأيت الناس من أهل بيتى ما بين جازع لا يملك جزعه، و لا يضبط نفسه، و لا يقوى على حمل فادح ما نزل به، قد أذهب الجزع صبره، و أذهل عقله، و حال بينه و بين الفهم و الإفهام، و القول و الاستماع».

«أعلن بها كتاب الله- جل ثناؤه- فى أفنيتكم» أعلن القرآن الكريم بوفاه الرسول فى جوانبكم و نواحيكم، أى القرآن يُتلى آناء الليل و أطراف النهار، و أصوات التلاوه مرتفعه من المسجد و من البيوت و المساكن، و فى نسخه: «فى قبلتكم» و المقصود المسجد أو المصلىّ الذى يتلى فيه القرآن.

«فى ممساكم و مصبحكم» مساءً و صباحاً كنتم تسمعون الآيات التى تخبر عن وفاه الرسول «هتافاً و صراخاً» كان الإعلان بوفاه الرسول بأنواع مختلفه: بالهتاف و هو القراءه مع الصوت و الصراخ و هو القراءه بالصوت الشديد.

«و تلاوه و ألحاناً» بالتلاوه إذا كانت القراءه سريعه و بالألحان إذا كانت بتأمل و تأنّى «و لقبله ما حلَّ بأنبيائه و رسله حكم فصل، و قضاء حتم» إن الموت الذى حلّ بالأنبياء الذين كانوا قبل الرسول الأعظم (صلى الله عليه و آله و سلم) كان من الأحكام المقطوع بها، التى لا شك فيها، و القضاء الذى لا يقبل التغيير، و المقصود: أن الموت هو سُنّه الله فى عباده من أنبياء و غيرهم.ثم استدلت على كلامها بقول الله تعالى: «و ما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً و سيجزى الله الشاكرين» و وجه

الاستدلال بالآیه أن محمداً رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و قد مضت من قبله الأنبیاء، و مات قبله المرسلون، إذا: فالموت لیس بشی ء عجیب بالنسبه للرسول، بل علی هذا جرت سنه الله فی أنبیائه، إنهم یذوقون الموت کبقیه الخلائق، و هذا لا یعنی أنه إذا مات ماتت شریعته و مات دینه، و ذهبت کرامته و حرمته.

«افان مات أو قتل انقلبتم علی أعقابکم» أی فإن أماته الله أو قتله الکفار ارتددتم بعد إیمانکم، فسمّی الارتداد انقلاباً علی العقب، و الرجوع القهقری. «و من ینقلب علی عقبیه» یرتدَّ عن دینه «فلن یضر الله شیئاً» بل المضره عائده علی المرتد «و سیجزی الله الشاکرین» المطیعین.

ص: ۳۸۶

خطبه فاطمه الزهراء

إيهاً بنی قیله! (۱) .

أأُهضم تراث أبیه؟

و أنتم بمرأی منّی و مسمع.

و منتدی و مجمعِ (۲) .

تلبسکم الدعوه.

و تشملکم الخبرهِ (۳) .

و أنتم ذوو العدد و العُدّه.

و الأداء و القوه.

و عندکم السلاح و الجُنّه.

توافیکم الدعوه فلا تجیبون؟

و تأتیکم الصرخه فلا تعینون؟

و أنتم موصوفون بالکفاح، معروفون بالخیر و الصلاح و النخبه التی انتخبت، و الخیره التی اختیرتِ (۴) .

قاتلتم العرب، و تحمَّلتم الکدَّ و التعبِ (۵) .

۱- ۴۱۲. ایها: بمعنی هیهات او مزیدا من الکلام.

۲- ۴۱۳. منتدی: مجلس القوم.

۳- ۴۱۴. الخبره: العلم بالشی ء.

۴- ۴۱۵. الخیره- بکسر الخاء و سکون الیاء- المفضل من القوم.

۵- ۴۱۶. الکد: الشده.

و ناطحتم الأمم.

و كافحتم البُهَمِ (۱) .

لا نبرح أو تبرحون.

نأمركم فتأْتمرون.

حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام.

و دَرَّ حلب الأيامِ (۲) .

و خضعت ثغره الشركِ.

و سكنت فوره الإفک (۳) .

و خمدت نيران الكفرِ (۴) .

و هدأت دعوه الهرج.

و استوسق نظام الدين.

فأنّى حِرتم بعد البيان؟ (۵) .

و أسررتم بعد الإعلان؟

و نكصتم بعد الإقدام؟ (۶) .

و أشركتم بعد الإيمان؟

«ألاـ تقاتلون قوماً نكثوا إيمانهم و همّوا بإخراج الرسول و هم بـدأوكم أوّل مره أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنينٍ» (۷) .

۱- ۴۱۷. البهم- جمع بهمه: الشجاع.

۲- ۴۱۸. و فى نسخه: حلب البلاد.

۳- ۴۱۹. و فى نسخه: فوره الشرک.

۴- ۴۲۰. و فی نسخه: خبث نیران الحرب.

۵- ۴۲۱. و فی نسخه: افتاخرتم بعد الاقدام.

۶- ۴۲۲. و فی نسخه: و ناکصتم بعد الشده، و جبنتم بعد الشجاعه عن قوم نکثوا ایمانهم.

۷- ۴۲۳. التوبه: ۱۳.

ألا: قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفضِ (۱) .

و أبعدتم مَن هو أحقُّ بالبسط و القبض.

و خلوتم إلى الدعهِ (۲) .

و نجوتم من الضيق بالسعهِ (۳) .

فمججتم ما وعيتمِ (۴) .

و دسعتم الذی تسوّغتمِ (۵) .

فـان تكفروا أنتم و مَن فی الأرض جميعاً فإن الله لغنی حميـد ألا: قـد قلتُ ما قلت علی معرفه منی بالخـذله التی خامرتكمِ (۶) و الغدره التی استشعرتها قلوبكمِ (۷) .

و لكنها فيضه النفسِ (۸) .

و نفثه الغيظِ (۹) و خَوَر القناِ (۱۰) .

و بثَّه الصدر.

و تقدمه الحجه.

ص: ۳۸۹

۱- ۴۲۴. الخفض: الراحه.

۲- ۴۲۵. الدعه: حفض العيش.

۳- ۴۲۶. و فی نسخه: الی السعه.

۴- ۴۲۷. مججتم: رميتم و وعيتم:حفظتم.

۵- ۴۲۸. دسعتم: تقياتم و تسوغتم:شربتم بسهوله.

۶- ۴۲۹. خامرتكم: خالطتكم.

۷- ۴۳۰. استشعرتها: لبستها.

۸- ۴۳۱. فاض صدره بالسر: باح به.

۹- ۴۳۲. كالدم الذی يرمی به من الفم و يدل علی القرحه.

۱۰- ۴۳۳. ضعف النفس عن التحمل.

فدونکموها، فاحتقبوها دَبِرَه الظَّهرِ (۱) .

نقبه الخُفِ (۲) .

باقیه العار.

موسومه بغضب الله.

و شنار الأبدِ (۳) .

موصوله بنار الله الموقده التی تطّلع علی الأفئده.

فبعین الله ما تفعلون.

و سیعلم الذین ظلموا أیَّ منقلب ینقلبون.

و أنا ابنه نذیر لکم بین یدی عذاب شدید.

فاعملوا إنا عاملون، و انتظروا إنا منتظرون.

۱- ۴۳۴. دونکموها: خذوها: دبره: مقروحه.

۲- ۴۳۵. نقبه الحف: رقیقه.

۳- ۴۳۶. شنار: العیب و العار.

عتاب و خطاب مع المسلمين

«إيهاً! بنى قيله» إيهاً بمعنى هيهات، و بمعنى الأمر بالسكوت، أو بمعنى طلب الزياده من التحدث. يا أولاد قيله، و هم الأوس و الخزرج، و قد تقدم الكلام عن شرحها.

«أأُهضم تراث أبى؟» و فى نسخه: «أبيه» و قد تقدم أن الهاء- هنا- للوقوف و السكون و المعنى: هل يظلموننى فى إرث أبى؟

«و أنتم بمرأى منى و مسمع» و الحال أنتم فى مجلس و مكان يجمع بينى و بينكم، و المقصود: أنتم حاضرون و تسمعون كلامى و شكايتى، و ترون حالى و مظلوميتى.

«تلبسكم الدعوه» تحيط بكم دعوتى و ندائى.

«و تشملكم الخبره» و يشملكم العلم و تعلمون الخبر، و فى نسخه: «الحيره» أى متحيرون أمام هذه المخاصمه.

«و أنتم ذوو العدد و العده» و أنتم أصحاب العدد الكثير و التأهب و الاستعداد، أى لستم قليلين حتى تعتذروا بقلّه العدد، بل أنتم ذو العدد الكامل.

«و الأداه و القوه» عندكم الوسائل و القدره و الإمكانيه لإسعا فى و نصرتى.

«و عندكم السلاح و الجُنه» و عندكم الأسلحه التى حاربتم بها و جاهدتم فى سبيل الله، و عندكم وسائل الدفاع.

«توافيكم الدعوه فلا تجيبون» تبلغكم دعوتى و استغاثتى فلا تجيبونى؟ «و تأتيكم الصرخه فلا تعينون» تأتيكم صرختى، صرخه المظلوميه و الاضطهاد فلا تعينونى؟

«و أنتم موصوفون بالكفاح» الجهاد فى سبيل الله، و استقبال العدو و مباشره الحرب.

«معروفون بالخير و الصلاح» و الأعمال الحسنه.

«و النخبه التى انتخبت» إن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) انتخب المدينه و انتخبكم لهذه الغايات و الصفات.

«و الخيره التى اختيرت» و اختاركم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لنصرته، و لهذا هاجر إليكم.

«قاتلتم العرب» لأجل نصره النبى، و إعلاء كلمه الإسلام.

«و تحملتم الكد و التعب» فى الحروب و الغزوات، و مضاعفاتها من الحر و البرد،و التضحيه و تحمّل الجراح.

«و ناطحتم الأمم» قاتلتم الملل المختلفه من يهود و نصارى و غيرهم، كل ذلك دافعاً عن الرسول.

«و كافحتم البُهم» قاتلتم الشجعان بدون ضعف و توانى.

«لا نبرح أو تبرحون» أى لا نبرح و لا تبرحون «نأمركم فتأتمرون» أى كنّا لم نزل آمرين و كنتم لأوامرنا مطيعين.

«حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام» أى قاتلتم و تحملتم و ناطحتم و كافحتم بصوره مستمره حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام حتى إذا انتظم أمر الإسلام بمساعينا و سببنا، و دارت رحى الإسلام دوراناً صحيحاً منتظماً.

«و درَّ حلب الأيام» و كثرت الخيرات و الغنائم بسبب الفتوحات كاللبن الذى يدرّ أى يسيل بكثره من الثدى.

ص: ۳۹۲

«و خضعت ثغره الشرك» ذلّت رقاب المشركين و خياشيمهم للإسلام و سقطوا عن الاعتبار.

«و سكنت فوره الإفك» و هی غليان الكذب و هيجانه.

«و خمدت نيران الكفر» أی نيران الحرب التی كان الكفار يؤججونها.

«و هدأت دعوه الهرج» سكنت دعوه الفتنه و الباطل، و هدأت الإضطرابات.

«و استوسق نظام الدين» أی اجتمع و انتظم أمر الدين بعدما كان متشتتاً.

«فأنَّى حرتم بعد البيان؟» و الآن و بعد هذه المقدمات كيف تحيرتم بعد بيان الحاله و وضوحها عندكم، و كيف و قعتم فی وادی الحيره؟

«و أسررتم بعد الإعلان؟» و كيف أخفيتم أشياء كانت معلنه، أو كنتم تتجاهرون بها.

«و نكصتم بعد الإقدام» و كيف رجعتم القهقری بعد إقدامكم علی الإسلام.

«و أشركتم بعد الإيمان؟» أشركتم بالله بمخالفتكم للرسول (صلی الله عليه و آله و سلم) فی أمر عترته.

«ألا تقاتلون قوماً نكثوا إيمانهم و همّوا بإخراج الرسول و هم بدأوكم أول مره أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين». أدمجت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) هذه الآيه فی حديثها، و إن كانت الآيه نزلت فی مشركی مكه الذين أرادوا إخراج رسول الله (صلی الله عليه و آله و سلم) من مكه أو نزلت فی اليهود و النصاری الدين نقضوا عهدهم و همّوا بإخراج الرسول من المدينه و علی كل تقدير فإن السيده

فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) تستنفرهم و تستنهضهم لنصرتها، و لا تقصد بكلامها هذا إثاره الفتنه، و لا إراقه الدماء، و لا تريد أن تقود جيشاً، أو تتزعم حزباً، بل هى عارفه بأحوال الناس و اتجاهاتهم، عالمه بأن الأمر دبّر بليل، و لهذا قالت:

«ألا: قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض» أى أعلم أنكم قد أقمتم على الراحه و سعه العيش.

«و أبعدتم مَن هو أحق بالبسط و القبض» أبعدتم الإمام علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) الذى هو أحق و أولى بولايه الأمور، و التصرف فى قضايا الإسلام من غيره.

«و خلوتم بالدعه» أى انفردتم بالراحه و السكون.

«و نجوتم من الضيق بالسعه» لأن الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) لا يهادن، و لا يصانع، و لا يفضّل أحداً على أحد بالعطاء، و هذا ضيق بالنسبه لكم، و لهذا نجوتم من هذا الضيق، و انتقلتم إلى مَن هو طوع أمركم، سلس القياده، يفعل ما تشاءون، و يحكم بما تريدون.

«فمججتم ما وعيتم» أى رميتم من أفواهكم ما حفظتم.

«و دسعتم الذى تسوّغتم» أى تقيأتم الشى ء الذى شربتموه بسهوله و لذه، و المقصود الانسحاب عن الدين، و رفض الإيمان و لهذا أردفت كلامها هذا بهذه الآيه.

«فان تكفروا أنتم و مَن فى الأرض جميعاً فإن الله لغنى حميد» و لا تضرون إلاَّ أنفسكم، و لا تخسرون إلاَّ دينكم.

«ألا: قد قلت ما قلت على معرفه منى بالخذله التى خامرتكم» تقول: (عليها السلام) أنا أعلم اتجاهاتكم، و أعرف نفسياتكم، و حينما خطبت فيكم و استنهضتكم كنت أعلم بأنكم لا تنصروننى و لا تسعفوننى.

«و الغدره التی استشعرتها قلوبکم» استشعر الثوب إذا جعله شعاراً أی جعله متصلًا لجسده، ملاصقاً لبدنه، تقول (علیهاالسلام) أنا أعرف الغدر الملاصق بقلوبکم، الغدر الذی جعلتها قلوبکم شعاراً لها، و الغدر ضد الوفاء، أی لا أنتظر منکم الوفاء لمعرفتی بالغدره الموجوده فی قلوبکم.

«و لکنها فیضه النفس» أی تعبیر عن الآلام فی النفس، فکما أن الإناء یفیض إذا امتلأ بالماء کذلک النفس تفیض من کثره الحزن و استیلاء الهم.

«و نفثه الغیظ» ظهور آثار الغضب الموجود کالنزیف الذی یدل علی القرحه فی الباطن «و خور القنا» أی ضعف الرمح، و المقصود عدم تحمّل لأکثر من هذه.

«و بثه الصدر» قال یعقوب (علیه السلام): «إنما اشکو بثّی» أی همّی، و هو الهم الذی لا یقدر صاحبه علی کتمانه فیظهره.

«و تقدمه الحجه» إنی خطبتُ فیکم، و قلتُ ما قلت لا طمعاً فی نصرتکم، و لا رجاءً فی حمایتکم، و إنما کان ذلک لأسباب نفسیه و دینیه، أما الأسباب النفسیه فقد ذکرتها، و أما الأسباب الدینیه فهی تقدمه الحجه، أی إعلامکم بکل ما یلزم، و ذکر کل دلیل و برهان و حجه علی ما أقول، لئلا تعتذروا یوم القیامه، إنا کنا عن هذا غافلین أو ناسین، أو جاهلین، ما أبقیتُ لذی عذر عذراً، و لا لذی مقال مقالاً، عرَّفت نفسی و نسبی لکم، و ذکرت ما یتعلق بالإمامه، و ذکرت حقی فی فدک، و استشهدت بالآیات البینات الثابته عندکم حول المیراث بصوره عامه و حول میراث الأنبیاء بصوره خاصه، و استنهضتکم لنصرتی و الطلب بحقی، فلم أجد فیکم مجیباً و لا مُعیناً.

«فدونکموها فاحتقبوها دبره الظهر» خذوا الخلافه و شدّوا علیها حقائبکم، و کأنها ناقه مجروحه الظهر، «نقبه الخف» رقیقه الخف.

ص: ۳۹۵

«باقیه العار» دائمه الخزی فی الدنیا علی مرّ التاریخ، و فی الآخره و إلی الأبد.

«موسومه بغضب الله و شنار الأبد» علی تلک الناقه علامه غضب الله و سخطه، و علیها علامه العار الأبدی الذی ینتهی بکم إلی:

«موصوله بنـار الله الموقـده التی تطلع علی الأفئـده» التی تتوقـد و تؤجـج نارهـا بصوره دائمه، النـار التی تحرق الظاهر و الباطن، و تصـل إلی الأفئـده و القلوب.«فبعین الله مـا تفعلون» إن الله تعـالی یری أعمـالکم و أفعالکم و لا یغیب عنه و لا یخفی علیه شـی ء فکأنَّ أفعالکم هذه بمحضر من الله تعالی.

«و سیعلم الذین ظلموا أی منقلب ینقلبون» و أی جزاء سیجازون و أی جحیم و عذاب سیصیرون إلیه.!!

«و أنا ابنه نـذیر لکم بین یـدی عـذاب شدیـد» إشاره إلی قوله تعالی: «یا أیها النبی إنا أرسـلناک شاهـداً و مبشـراً و نذیراً» أنا ابنه محمد (صلی الله علیه و آله و سلم) الذی أنذرتکم بعذاب الله الذی أعدّه للظالمین.

«فـاعملوا إنـا عـاملون» اعملوا مـا شـئتم من ظلمنـا فإنـا عـاملون مـا یجب علینا من الصبر و التحمل «و انتظروا إنا منتظرون» انتظروا عواقب أفعالکم و نحن ننتظر عواقب الصبر علی المحن.

ص: ۳۹۶

جواب ابی بکر

فاجابهاابوبکر (عبدالله بن عثمان) و قال:

یا ابنه رسول الله!

لقد کان أبوکِ بالمؤمنین عطوفاً کریماً، رؤوفاً رحیماً.

و علی الکافرین عذاباً ألیماً و عقاباً عظیماً.

إن عزوناه وجدناه أباکِ دون النساءِ (۱) .

و أخا إلفِکِ دون الأخلّاءِ (۲) .

آثره علی کل حمیمِ (۳) .

و ساعده فی کل أمر جسیم.

لا یحبّکم إلاّ کل سعید.

و لا یبغضکم إلاّ کل شقی.

فأنتم عتره رسول الله الطیبون.

و الخیَره المنتجبون.

علی الخیر أدِلّتنا.

و إلی الجنه مسالکنا.

و أنت یا خیره النساء.

و ابنه خیر الأنبیاء.

۱- ۴۳۷. عزوناه: نسبناه.

۲- ۴۳۸. و فی نسخه: و اخا بعلك. و المعنی واحد.

۳- ۴۳۹. حمیم: قریب.

صادقه فی قولک.

سابقه فی وفور عقلکِ.

غیر مردوده عن حقکِ.

و لا مصدوده عن صدقکِ (۱) .

و الله ما عدوتُ رأی رسول الله!!! (۲) .

و لا عملت إلاَّ بإذنه.

و إن الرائد لا یکذب أهلهِ (۳) .

و إنی أُشهد الله و کفی به شهیداً.

أنی سمعت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) یقول:

«نحن معاشر الأنبیاء لا نورِّث ذهباً و لا فضه و لا داراً و لا عقاراً و إنما نورّث الکتاب و الحکمه، و العلم و النبوه، و ما کان لنا من طعمه فلو الی الأمر بعدنا، أن یحکم فیه بحکمه».

و قد جعلنا ما حاولتِه فی الکراع و السلاحِ (۴) .

یقاتل بها المسلمون.

و یجاهدون الکفار.

و یجالدون المرده الفجارِ (۵) .

و ذلک بإجماع من المسلمین!!

لم أنفرد به وحدی.

۱- ۴۴۰. مصدوده: ممنوعه.

۲- ۴۴۱. عدوت: جاوزت.

۳- ۴۴۲. الرائد: الذی یتقدم القوم، یبصرلهم الکلا و مساقط الثمار.

۴- ۴۴۳. الكراع- بضم الكاف -:جماعه الخيل.

۵- ۴۴۴. يجالدون: يضاربون.

و لم أستبد بما كان الرأی فیه عندیِ (۱) .

و هذا حالی و مالی.

هی لکِ، و بین یدیک.

لا تزوی عنکِ (۲) .

و لا تدَّخر دونکِ.

و أنت سیده أُمّه أبیکِ.

و الشجره الطیبه لبنیک.

لا یُدفع مالَکِ من فضلکِ.

و لا یوضع فی فرعک و أصلکِ.

حکمک نافذ فیما ملکت یدای.

فهل ترینّ أن أُخالف فی ذلک أباکِ (صلی الله علیه و آله و سلم)؟

۱- ۴۴۵. استبد: انفرد بالامر من غیر مشارک فیه.

۲- ۴۴۶. تزوی عنک: تقبض عنک.

الاعتراف بفضائل الامام علی

الی هنـا ذکرت السـیده فـاطمه الزهرا (علیه السـلام) مـا کان ینبغی لها ان تـذکر،وادت ما یجب علی اتم و اکمل ما یمکن، و هنا تصدی رئیس الدوله لیجیبها:

فاجابها أبوبکر «عبدالله بن عثمان»: «یا ابنه رسول الله» سبحان الله! یعرفها و مع ذلک یکون موقفه ذلک الموقف.

«لقـد کان أبوک بالمؤمنین عطوفاً کریماً، رؤوفاً رحیماً، علی الکافرین عـذاباً ألیماً و عقاباً عظیماً» هذا کله واضح، و ما المقصود من هذا الکلام؟

«إن عزوناه وجـدناه أباک دون النساء، و أخا إلفکِ دون الإخلّاء» هذا تصدیق لکلامها فی أول الخطبه حیث قالت: «فإن تعزوه و تعرفوه تجدوه أبی دون نسائکم و أخا ابن عمی دون رجالکم».

«آثره علی کل حمیم» أی فضّل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) علیاً علی کل قریب.

«و ساعده فی کل أمر جسیم» إن علیاساعد رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)فی کل امر عظیم.

«لا یحبکم الا کل سعید، و لا یبغضکم الا کل شقی» اعتراف عجیب من قائله، ان صح اسناد هذا الکلام الیه.

«فانتم عتره رسول الله الطیبون، و الخیره المنتجبون» العتره التی لا یقبل کلامها و لا تمضی شهادتها فی قطعه من الارض، و الخیره التی تحملت اشد

ص: ۴۰۰

أنواع الأذى من الناس!!

«على الخير أدلّتنا» جمع دليل و هو الهادى أى أنتم الهداه المرشدون إلى الخير.

«و إلى الجنه مسالكنا» أنتم طرق النجاه و الفوز بالجنه.

«و أنت- يا خيره النساء، وابنه خير الأنبياء- صادقه فى قولك» لو كنتَ تعتبرها صادقه فى قولها فلماذا لم ترد إليها حقها؟ لماذا سلبتها أموالها التى جعلها الله و رسوله لها؟

«سابقه فى وفور عقلك، غير مردوده عن حقك و لا مصدوده عن صدقك» فلماذا رددتها عن حقها أيها الرجل؟ و لماذا صددتها عن صدقها؟ ما هذا التناقض بين القول و الفعل.

«و الله ما عدوتُ رأى رسول الله» نعم، و الله لقد عدوتَ رأى رسول الله.

«و لا عملتُ إلا بإذنه» لا و الله ما عملتَ بإذنه، لم يأذن لك رسول الله أن تغضب النحله التى أنحلها رسول الله ابنته فاطمه، أو تمنعها إرثها من أبيها.

«و إن الرائد لا يكذب أهله» هذا المثل فى غير مورده.

«و إنى أُشهد الله و كفى به شهيداً» عجباً لحلم الله!!

هكذا يستشهد به فى الباطل؟

هكذا يتجرّأ عليه؟

«إنى سمعت رسول الله يقول: نحن معاشر الأنبياء لا نورّث ذهباً و لا فضه و لا داراً و لا عقاراً، و إنما نورّث الكتاب و الحكمه و العلم و النبوه، و ما كان من طعمه فلِوالى الأمر بعدنا أن يحكم فيه ما يحكمه».

الله يقول: الأنبياء يورثون. و رسول الله يقول: الأنبياء لا يورثون؟

أيهما الصحيح؟

و بعد هذا: أنت المدعی و أنت الشاهد و أنت الحاکم؟

و هل یوجد فی العالم حکم هکذا؟ أو قانون کهذا القانون؟!

أنت سمعت رسولَ الله یقول هکذا و ابنته لم تسمع ذلک منه؟!

الرسول أخبرک و ما أخبر ابنته التی کانت أراضی فدک بیدها و تحت تصرّفها؟

و أی کتاب ورَّثه الرسول؟

القرآن؟ القرآن کان ملکاً للرسول حتی یورِّثه؟ و هل النبوه تورث؟!

و هل کان نبی إذا مات تنتقل النبوه إلی أولاده و ورثته؟

و من الذی ورث النبوه من رسول الله؟!

و هل أنت ولی الأمر أم الذی ولیّ الله بقوله: «إنما ولیکم الله و رسوله و الذین آمنوا الذین یقیمون الصلاه و یؤتون الزکاه و هم راکعون» من ولی الأمر بعد الرسول؟!

أنت ولی الأمر أم الذی بایعته أنت یوم غدیر خم بأمر رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و سلّمت علیه بإمره المؤمنین؟ و هو علیّ بن أبی طالب.

أتری أن تعلم هذا الحدیث و علیّ بن أبی طالب لا یعلم؟ و هو أکثر التصاقاً و أشد اتصالاً و التزاماً بالرسول، حسب اعترافاتک، و هو باب مدینه علم الرسول.

و إن کان النبی لا یورّث فلماذا بقیتْ حجراته تحت تصرّف زوجاته؟ و لماذا لم تصادر تلک الحجرات؟

مع العلم أن تلک الحجرات کانت ملکاً لرسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) بصریح قوله تعالی: «لا تدخلوا بیوت النبی» فیتبین أن البیوت کانت للرسول، فبأی قانون شرعی و بأی مبرر دینی سکنت زوجات

الرسول فی تلک الحجرات إلی آخر حیاتهن؟

و لماذا شمل التأمیم السیده فاطمه عزیزه رسول الله و بضعته و لم تشمل زوجاته؟؟

«و قد جعلنا ما حاولتهِ فی الکراع و السلاح یقاتل بها المسلمون، و یجاهدون الکفار، و یجالدون المرده الفجّار» و هل یجوز صرف الأموال المغصوبه، فی سبیل الله لتقویه المسلمین،

و هل کانت جیوش المسلمین بحاجه إلی هذه الأموال التی أُخذت ظلماً؟

«و ذلک بإجماع من المسلمین» ما قیمه هذا الإجماع المناقض لکتاب الله؟

و أی إجماع هذا و آل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و عترته لا یعترفون بهذا الأمر و لا یوافقون بهذه التصرفات؟

و هل ینفع الإجماع علی الظلم و علی مخالفه کتاب الله و سنه النبی؟

و کأن أبابکر أراد بکلامه هذا استماله قلوب المسلمین کی لا یخالفه أحد، و إلا فقد ثبت أن أبابکر هو المدّعی الوحید لحدیث: «نحن معاشر الأنبیاء لا نورّث» و لم یجمع المسلمون علی صحه هذا الحدیث المخالف لصریح کلام الله تعالی.

نعم فی کتاب (کشف الغمه): إنه لما ولّی عثمان قالت عائشه: أعطنی ما کان یعطینی أبی و عمر.

فقال عثمان: لا أجد لها موضعاً فی الکتاب و لا فی السنه، و لکن کان أبوبکر و عمر یعطیانک من حصه أنفسهما، و أنا لا أفعل.

فقالت: فاعطنی میراثی من النبی (ص).

قال: ألیس جئتِ و شهدتِ أنتِ و مالک بن أوس النضری أن رسول

الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: لا یورّث؟ فأبطلتِ حق فاطمه، و جئتِ تطلبینه؟.- الی آخره (۱) .

أقول: العجب أن شهاده عائشه بنت أبی بکر تقبل و شهاده فاطمه بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) لا تقبل؟

و شهاده مالک بن أوس النضری البوّال علی عقبیه تقبل و شهاده أمیرالمؤمنین علیّ بن أبی طالب نفس رسول الله و أعز الخلق إلیه لا تقبل!

اقرأ ثم احکم.

و بهذا اتضح لنا کلامه: «لم انفرد به وحدی، و لم أستبد بما کان الرأی فیه عندی» نعم، لم ینفرد به وحده، بل ساندته و شهدت له ابنته عائشه صاحبه المواقف المشهوره اتجاه فاطمه و زوجها علیّ.

«هذه حالی و مالی، هی لک و بین یدیک، لا تزوی عنک و لا تدَّخر دونک» مجاملات فارغه لا حقیقه لها أصلاً، و ما أکثر هذه المجاملات عند رجال السیاسه.

«أنت سیده أُمّه أبیک، و الشجره الطیبه لبنیک، لا یُدفع مالک من فضلک، و لا یوضع فی فرعک و أصلک، حکمک نافذ فیما ملکت یدای» هذه الکلمات و إن کانت حقائق، إلاّ أنها استعملت للخداع، و التلوّن فی الکلام، و سیأتیک- فی المستقبل- کلام حول آراء السیاسیین، و الأسالیب التی یستعملونها حسب الظروف.«فهل ترین أن أُخالف فی ذلک أباک (صلی الله علیه و آله و سلم)؟».

أیها الناس! إن أبابکر یجتنب مخالفه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و لکن سیده نساء العالمین و بضعه رسول الله التی أذهب الله عنها

۱- ۴۴۷. کشف الغمه ج ۱/ ۴۷۸.

الرجس و طهّرها تطهيراً تخالف رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟

هل يقبل عقلك؟

هل يرضى وجدانک بهذا؟

و أيه مخالفه لرسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) إذا خضع المسلم للقرآن الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه؟

هل العمل بآيات المواريث بين الأنبياء يعتبر مخالفه لرسول الله؟

و هل تصديق كلام بنت رسول الله- المعصومه بصريح القرآن- و تصديق كلام زوجها عليّ الذى كان نفس رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يكون مخالفه لرسول الله؟

ماذا أقول إذا انقلبت المفاهيم، و انعكست الحقائق، و تبدّلت المقاييس و تغيّرت الموازين، و صار المنكر معروفاً و المعروف منكراً؟

الرجل يدّعى على رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) كلاماً مخالفاً للقرآن، مناقضاً للشريعه الإسلاميه، و آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و عترته الطيبه لا- يعترفون بهذا الكلام، بل يكذّبونه على ضوء القرآن، ثم يتورّع الرجل «على زعمه» من مخالفه ذلک الكلام المفترى على الرسول.

و الآن استمع إلى ردّ السيده فاطمه الزهراء لهذه المفتريات و الأ كاذيب:

جواب فاطمه الزهراء

قالت (علیهاالسلام):

سبحان الله.

ما کان رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) عن کتاب الله صادفاً (۱) .

و لا لأحکامه مخالفاً.

بل کان یتَّبع أثره.

و یقفو سُوَرِهِ (۲) .

أفتجمعون إلی الغدر اعتلالاً علیه بالزور.

و هذا بعد وفاته شبیهٌ بما بُغی له من الغوائل فی حیاتهِ الغوائل- جمع غائله:الحادثه المهلکه.

هذا کتاب الله حَکَماً عدلاً.

و ناطقاً فصلاً.

یقول:

«یرثنی ویرث من آل یعقوب».

«و ورث سلیمان داود».

فبیَّن (عز و جل) فیما وزَّع علیه من الأقساط.

۱- ۴۴۸. صادفا: معرضا یقال: صدف عن الحق اذا عرض عنه.

۲- ۴۴۹. یقفو: یتبع.

و شرع من الفرائض و الميراث.

و أباح من حظ الذكران و الإناث.

ما أزاح علّه المبطلين.

و أزال التظنى و الشبهات فى الغابرينِ (۱) .

كلاَّ، «بل سوَّلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون».

۱- ۴۵۰. التظنى: اعمال الظن.الغابرين: الباقين.

مطابقه كلمات الرسول مع القرآن

قالت: «سبحان الله» فی مقام التعجّب، استعظاماً لهذا الافتراء علی رسول الله الصادق المصدق الذی ما ینطق عن الهوی إن هو إلا و حی یوحی (صلی الله علیه و آله و سلم).

«ما كان رسول لله (صلی الله علیه و آله و سلم) عن كتاب الله صادفاً» ما كان الرسول معرضاً عن كتاب الله المجید.

«و لا لأحكامه مخالفاً» بأن یقول شیئاً یخالف القرآن، و حدیث: «نحن معاشر الأنبیاء لا نورِّث» مخالف للآیات التی تصرّح بوراثه الأنبیاء، و إنهم یرثون و یورثون.

حاشا نبی الله أن یخالف كلام الله «بل كان یتبع أثره» یسیر مع القرآن و علی ضوء القرآن و تحت ظلاله.

«و یقفو سوره» أی سور القرآن، و یتبعها سوره بعد سوره فكیف یقول شیئاً یخالف كلام الله، و یناقض أحكام الله؟

«افتجمعون إلی الغدر اعتلالاً علیه بالزور» تقول السیده فاطمه (علیهاالسلام) قد جمعتم بین جریمتین: جریمه الغدر و هی غصب فدك، و جریمه الكذب علی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أی هل تضیفون إلی الغدر اعتذاركم علی العذر بالكذب، و هذا كمن یقتل إنساناً ظلماً ثم یعتذر من عمله بأن المقتول كان سارقاً، فهو قد جمع بین جریمه القتل و جریمه الكذب و الافتراء.

ص: ۴۰۸

«و هـذا بعد وفاته شبيه بما بُغى له من الغوائل فى حياته» تقول (عليهاالسـلام) ليس هذا بشـى ء جديد، فإن القيام ضد آل الرسول بعـد وفاته يشـبه المؤامرات و النشاطات المسـعوره التى كانت ضده فى حياته، فلقد أراد المنافقون أن يقتلوا رسول الله (صـلى الله عليه و آله و سـلم) ليله العقبه، و يُنفروا ناقته على شـفير الوادى لتسـقط ناقه النبى فى الوادى فيهلك رسول الله و التفصيل مذكور فى محلـه، راجع تفسـير قـوله تعـالى: «يحلفـون بـالله مـا قـالوا و لقـد قـالوا كلمـه الكفر، و كفروا بعـد إسـلامهم و همـوا بمـا لم ينالوا...الايه» (۱) .

«هـذا كتـاب الله حكماً عـدلاً و ناطقاً فصـلًا» هـذا القرآن حال كونه حاكماً عادلًا، ناطقاً قاطعاً للخصومات، نجعله مرجعاً نتحاكم إليه، هذا القرآن يقول: «يرثنى و يرث من آل يعقوب» فى قصه زكريا و قد مر الكلام حول الآيه.

«و ورث سليمان داود» قد ذكرنا ما تيسر أيضاً حول وراثه سليمان من داود (عليهماالسلام).

و أنتم تقولون: إن رسول الله قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث» كيف يخالف رسول الله القرآن؟ و كيف يعرض عن حُكم وراثه الأنبياء.

«فبيَّن (عز و جل) فيما وزّع عليه من الأقساط».

«لقد بين الله تعالى فيما قسّم من نصيب كل من الورثه.

«و شـرع من الفرائض و الميراث» الفرائض: هى الحصـص المفروضه المقـدّره للورثه كالنصف و الثُلث و الرُبع و السُدس و الثُمن كما هو مذكور فى الكتب الفقهيه.

ص: ۴۰۹

۱- ۴۵۱. التوبه: ۷۳.

«و أباح من حظ الذكران و الإناث» فى شتى مراتب الورثه من الزوج و الزوجه و الأب و الأم و الأولاد و البنات و المراتب المتأخره عنهم.

«ما أزاح علَه المبطلين» لقد بيَّن الله فى القرآن و شرع و أباح ما فيه الكفايه لإزاله أمراض أهل الباطل، و كل من جاء بالباطل.

«و أزال التظنى و الشبهات فى الغابرين» لم يبق مجال للشك و الشبهه لأحدٍ من الأجيال الموجوده أو الآتيه.

«كلاَّ» ليس الأمر كما تقولون، أو كما تدَّعون، و ليس الأمر ملتبساً عليكم.

«بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً» بل زيّنت لكم أنفسكم حُبُّ الرئاسه و كرسى الحكم، و منصه القدره، فنسبتم إلى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) هذا الحديث حتى يتحقق هدفكم، و تنالوا غايتكم.

«فصبر جميل و الله المستعان على ما تصفون» نصبر و نستعين الله تعالى على تحمّل هذه المآسى و المصائب.

و الآن استمع إلى دفاع أبى بكر عن نفسه، و انتبه إلى تبدّل الكلام، و تذبذب المنطق، و تغيّر الأسلوب، و عدم الاهتمام بالتناقض فى الكلام.

ص: ۴۱۰

جواب أبی بکر

فقال ابوبکر:

صدق الله و صدق رسوله

و صدقت ابنته

أنتِ معدن الحکمه

و موطن الهدی و الرحمه

و رکن الدین

و عین الحجه

لا أُبعدُ صوابکِ

ولا أنکر خطابکِ

هؤلاء المسلمون بینی و بینک

قلَّدونی ما تقلّدت

و باتفاق منهم أخذتُ ما أخذت

غیر مکابر و لا مستبد

و لا مستأثر

و هم بذلک شهود

انهیار الباطل أمام حجه الحق

لما زیّفت السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) الحدیث الذی اختلقه أبوبکر و نسبه إلی الرسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و أبطلت ذلک الادّعاء بالأدله القاطعه و الحجج الساطعه، عجز أبوبکر عن تفنید الحجج و البراهین التی استدلت بها السیده فاطمه. و لهذا دخل من باب آخر، کی لا یتحمل المسؤولیه هو وحده، بل تکون المسؤولیه علی المسلمین الذین وافقوا علی تصرفاته، فقال «صدق الله و صدق رسوله و صدقت ابنته» تصدیق لآیات المواریث بین الأنبیاء، و تصدیق للرسول الذی لا یخالف القرآن و کأنه ینسحب عن الحدیث الذی نسبه إلی النبی «نحن معاشر الأنبیاء لا نورث» و تصدیق لکلام بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)

«أنت معدن الحکمه، و موطن الهدی و الرحمه، و رکن الدین و عین الحجه»اعترافات عجیبه تدل علی التنازل و الانسحاب «لا أُبعدُ صوابک و لا ـ أُنکر خطابکِ» إقرار بصواب قولها، و اعتراف بصدق خطابها و کلامها، و لکن کله صوریّ أی باللسان لا بالعمل فالزهراء صادقه القول فی ادّعائها فدک، لا ـ یشک أحد فی ذلک و لکن السلطه المعترفه بصدق کلامها لا تردّ إلیها حقوقها، لماذا؟ و کیف؟ «هؤلاء المسلمون الحاضرون بینی و بینک هم قلدونی ما تقلدت» و هذا اعتراف صریح منه أنه لم یصل إلی الخلافه بالنص و التعیین من رسول الله (صلی الله علیه

و آله و سلم) و إن رسول الله لم يستخلفه، بل المسلمون قلّدوه الخلافه.

«و باتفاق منهم أخذت ما أخذت» أنظر إلى تبدّل المنطق فقد قال أولاً: إنه استولى على فدك عملاً بقول الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم): «نحن معاشر الأنبياء... الى آخره»، و بعد أن أبطلت السيده فاطمه هذا الكلام تشبث بوسيله أخرى، و هى اتفاق المسلمين على غصب فدك. مَن هم المسلمون الذين اتفقوا على أخذ أبى بكر فدك؟

بنوهاشم؟ أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم)؟ رؤساء الصحابه أمثال: سلمان و المقداد و عمار و أبى ذر و نظرائهم؟

إن كلمه: «و باتفاق منهم أخذت ما أخذت» هى عباره اخرى عن كلمته السابقه: «و ذلك بإجماع المسلمين» و قد ذكرنا قيمه ذلك الإجماع وقس عليها قيمه هذا الاتفاق منهم على أخذ فدك فاطمه.

«غير مكابر و لا مستبد و لا مستأثر و هم بذلك شهود» حينما استشهد أبوبكر بالمسلمين كان لزاماً على السيده فاطمه أن توجّه عتاباً لاذعاً إليهم:

فاطمه الزهراء توجه الخطاب إلى الحاضرين

معاشر الناس.

المُسرعه إلى قيل الباطل.

المُغضيه على الفعل القبيح الخاسرِ (۱) أفلا تتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها؟

كلا، بل ران على قلوبكم ما أسأتم من أعمالكم.

فأخذ بسمعكم و أبصاركم.

ولبئس ما تأوّلتم.

وساء ما به أشرتم.

وشر منه اعتضتُّمِ.

لتجدنَّ- والله- محمله ثقيلاً.

وغبَّه وبيلاً (۲) .

إذا كشف لكم الغطاء و بان ما وراءه الضرّاء.

و بدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، و خسر هنالك المبطلون.

۱- ۴۵۲. المغضيه: الساكته الراضيه.

۲- ۴۵۳. الغب- بكسر الغين-: العاقبه.. الوبيل: الشديد الثقيل.

فاطمه الزهراء فی عتابها مع المتخاذلین

و جهت السیده فاطمه عتابها الاخیر الی تلک الجماهیرالمتجمهره التی کانت تستمع الی ذلک الحوار الحاد و قالت:

«معاشر الناس المسرعه إلی قیل الباطل» أی القول الباطل، أی أسرعتم إلی قول باطل إذ أنکم قلّدتم هذا الرجل ما قلّدتم، و اتفقتم معه- حسب ادعائه- علی غصب حقوقی.

«المغضیه علی الفعل القبیح الخاسر» الإغضاء هو إدناءِ الجفون علی العین، کالذی ینظر إلی الأرض أو ینظر فی حِجره، کنایه عن السکوت و الرضا بالفعل القبیح الخاسر الذی هو سبب خسران صاحبه.

«أفلا تتدبرون القرآن أم علی قلوب أقفالها؟» هل نسیتم الآیات النازله فینا؟ أو لم تفهموا الآیات التی تلوتها فی وراثه الأنبیاء؟ أم قلوبکم مقفله مغلقه فلا تنفتح لکلام الله و أحکامه فی القرآن؟

«کلاًّ» لیس السبب عدم التدبر فی القرآن «بل ران علی قلوبکم ما أسأتم من أعمالکم» أی غلب علی قلوبکم و غطّاها سوء أعمالکم کالحجاب الکثیف، کما تغطّی الخمره عقل شاربها فلا یفهم و لا یشعر، و تختل عنده الأمور.

«فأخذ بسمعکم و أبصارکم» کالغفله المستولیه علی القلب، المؤثّره علی السمع و البصر، فلا یسمع الغافل الصوت و لا یبصر الشی ء بسبب انشغال قلبه و غفلته.

ص: ۴۱۵

«و لبئس ما تأوَّلتم» فی آیات القرآن و أحکام الإسلام و تغییرها عن مجراها الحقیقی «و ساء ما به أشرتم» تقصد التعاون و الاتفاق علی غصب حقوق آل محمد (علیهم السلام).

«و شرّ ما منه اعتضتم» أی ساء ما أخذتم به عوضاً عما ترکتم أی بئس الباطل الذی أخذتموه عوضاً عن الحق، و کلها کنایات و إشارات یفهمها الأذکیاء.

«لتجدَّن- و الله- محمله ثقیلاً و غبّه و بیلاً» إشاره إلی المسؤولیه الکبری یوم القیامه، و الحمل الثقیل و الأمر الشدید الذی یعاقبون علیه أشد العقاب، و یعذّبون علیه أشد العذاب.

«إذا کشف لکم الغطاء» إذ متّم و انتقلتم إلی عالم الجزاء.

«و بان ما وراءه الضرّاء» و ظهر لکم الشی ء الذی وراءه الشدّه.

«و بدا لکم من ربکم ما لم تکونوا تحتسبون، و خسر هنالک المبطلون» و هکذا أدمجت السیده فاطمه حدیثها و خطابها مع الآیات المناسبه للمقام.

لقد أتمت السیده فاطمه الحجه علی الجمیع، و أدّت ما علیها من الواجبات، و سجلت آلامها فی سجل التاریخ و الآن:

شکوی الی رسول الله

ثم عطفت علی قبر أبیها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و قالت:

و قالت

قد کان بعدک أنباء و هنبثهِ (۱)

لو کنت شاهدها لم تکثر الخطبُ (۲) .

ص: ۴۱۶

۱- ۴۵۴. الهنبثه: الامر الشدید المختلف.

۲- ۴۵۵. الخطب- بضم الخاء و الطاء- جمع خطب- بفتح الخاء- و هی المصائب الشدیده.

إنا فقدناک فقدَ الأرض و ابلهاِ (۱)

و اختل قومک فاشهدهم و قد نکبواِ (۲) .

و کل أهل له قُربی و منزله

عند الإله علی الأدنین مقتربُ

أبدَتْ رجال لنا نجوی صدورهمِ (۳)

لما مضیتَ و حالت دونک التُّربُ

تجهّمتنا رجال و استُخفّ بنا

لما فُقدتَ، و کل الإرث مغتصَبُ (۴) .

و کنتَ بدراً و نوراً یُستضاء به

علیک تنزل من ذی العزّه الکتبُ

و کان جبریل بالآیات یؤنسنا

فقد فُقدتَ، فکلّ الخیر مُحتجبُ

فلیتَ قبلکَ کان الموت صادَفَنا

لمّا مضیت و حالت دونک الکُثُبِ (۵) .

إنا رُزینا بما لم یُرزَ ذو شَجَنِ (۶)

مِن البریه لا عجم و لا عربُ

و فی ناسخ التواریخ زیاده هذه الأبیات:

سیعلم المتولی ظلم حامتنا

یوم القیامه أنّی سوف ینقلبُ

و سوف نبکیک ما عشنا و ما بقیت

له العيون بتهمال له سكبُ

و قد رزُينا به محضاً خليقته

صافى الضرائب و الأعراق و النسبُ

فأنت خير عباد الله كلهم

و أصدق الناس حين الصدق و الكذبُ

و كان جبريل روح القدس زائرنا

فغاب عنا فكل الخير محتجبُ

ضاقت عليَّ بلادٌ بعد ما رحبتْ

وسيم سبطاك خسفاً فيه لى نَصَبُ

و فى كشف الغمه: و غيره: ثم عطفت على قبر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فتمثّلت بقول هند بنت أثاثه: قد كان بعدك.. الى آخره.

ص: ۴۱۷

۱- ۴۵۶. الوابل: المطر العزيز الكثير.

۲- ۴۵۷. نكبوا: عدلو عن الطريق.

۳- ۴۵۸. نجوى- هنا-: الاحقاد.

۴- ۴۵۹. مغتصب: مغضوب.

۵- ۴۶۰. الكثب- بضم الكاف و الثاء- جمع كثيب و هو الرمل.

۶- ۴۶۱. رزينا: من الرزيه و هى المصيبه. و الشجن: الحزن.

و قیل: هـذه الأبیات لهند بنت أبان بن عبدالمطلب تمثلت بها السـیده فاطمه، و علی کلٍ فقد ألقت السـیده فاطمه نفسـها علی قبر أبیها و هی تنشد هذه الأبیات. و فی کشف الغمه: فما رأینا أکثر باک و لا باکیه من ذلک الیوم.

و لما ایست السـیده الزهراء (علیهاالسلام) من ابی بکر و استعاده حقوقها المغتصبه منه رجعت الی دارها و هی تقول: «اللهم انهما ظلما بنت نبیک حقها، فاشدد و طاتک علیهما» (۱) .

و فی صحیح البخاری- کتاب الخمس-:... فغضبت فاطمه بنت رسول الله، فهجرت ابابکر، فلم تزل مهاجرته حتی توفیت.

و روی مثله مسـلم فی صـحیحه- کتاب الجهاد و السـیر فی باب قول النبی: لا نورث-و رواه البیهقی فی السـنن ج ۶ ص ۳۰۰، و احمد بن حنبل فی مسنده ج ۱ ص ۶، و ابن سعد فی طبقات الصحابه ج ۱۸، و غیرهم.

۱- ۴۶۲. وفاه الصدیقه الزهراء للمقرم ص ۷۸.

التجاسر علی أهل بیت الرسول

اشاره

قال ابن أبی الحدید فی شرحه علی نهج البلاغه: لما سمع أبوبکر خطبتها المذکوره و ما وقع بین الناس من الاختلاف و الهمهمه فی سوء تلک المقدمه و خاف أن تنعکس القضیه شق علیه ذلک فصعد المبر فقال:

أیها الناس! ما هذه الرعه إلی کل قاله؟ أین کانت هذه الأمانی فی عهد رسول الله؟ ألا! من سمع فلیقل، و من شهد فلیتکلم، إنما هو ثعاله، شهیده ذَنَبه، مربّ لکل فتنه هو الذی یقول: کرّوها جذعه بعد ما هرمت. یستعینون بالضعفه و یستنصرون بالنساء، کأم طحال أحبّ أهلها إلیها البغی ألا: إنی لو أشاء لقلت:و لو قلت لَبُحت، إنی ساکت ما تُرکت.

ثم التفت إلی الأنصار فقال: یا معشر الأنصار قد بلغنی مقاله سفهائکم و أحق من لزم عهد رسول الله أنتم، فقد جاءکم فآویتم و نصرتم، ألا: إنی لست باسطاً یداً و لساناً علی من لم یستحق ذلک منا. ثم نزل.

ثم قال ابن أبی الحدید: قرأت هذا الکلام علی النقیب أبی یحیی جعفر بن یحیی بن أبی زید البصری و قلت له: بمن یعترض؟

فقال: بل یصرّح.

قلت: لو صرّح لم أسئلک.

فضحک فقال: لعلی بن أبی طالب!!

قلت: هذا الکلام کله لعلی یقوله؟

قال: نعم إنه المُلک یا بنی.

ص: ۴۱۹

قلت: فما مقاله الأنصار؟

قال: هتفوا بقول علیّ، فخاف من اضطراب الأمر علیهم، فنهاهم. فسألته عن غریبه (أی شرح الکلمات) فقال:

أما الرعه- بالتخفیف- أی الاستماع و الإصغاء. و القاله: القول. و ثعاله: اسم الثعلب، مثل ذؤاله للذئب. و شهیده ذَنَبه: أی لا شاهد له علی ما یدّعیه إلّا بعضه و جزء منه، وأصله مَثَل: قالوا: إن الثعلب أراد أن یُغری الأسد بالذئب فقال له: إنه قد أکل الشاه التی کنت أعددتها لنفسک، و کنت حاضراً، قال: فمن یشهد لک بذلک؟ فرفع ذَنَبه و علیه دم. و کان الأسد قد افتقد الشاه، فقبل شهادته، و قتل الذئب. و «مربّ»: ملازم، من أربّ بالمکان و (کروها جذعه): أعیدوها إلی الحال الأولی یعنی الفتنه و الهرج و «أم طحال» امرأه بغی فی الجاهلیه یضرب بها المثل، فیقال: أزنی من أم طحال.

اقول: نحن لا نقول شیئاً علی هذه الکلمات التی استعملها أبوبکر فی آل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و عترته الطاهره الذین أذهب الله عنهم الرجس و طهرّهم تطهیراً، و لا نعاتبه علی أدبه فی المنطق و تعبیره فی الکلام!.

و لکن نقول: قرّت عینک- یا رسول الله- فهکذا یقال فی حق ابنتک و عزیزتک و حبیبتک فاطمه الزهراء!! و هکذا یقال فی حق أخیک و خلیفتک و وزیرک و حامل لوائک: أمیرالمؤمنین علیّ بن أبی طالب!!

و کل هذا علی منبرک و فی مسجدک و فی جوار مرقدک.

قرّت عیناک یا أبافاطمه الزهراء و بشراک بل بشریان!! فهذه کرامه أهل بیتک، و عترتک عند أبی بکر و أشباهه!

ص: ۴۲۰

السیده ام سلمه تستنکر

و فی الدر النظیم للشیخ جمال الدین الشامی قال- بعد خطبه فاطمه (علیها السلام) فی المسجد و کلام أبی بکر-: فقالت أم سلمه «رضی الله عنها» حین سمعت ما جری لفاطمه (علیهاالسلام):

ألِمثل فاطمه بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) یقال هذا القول؟!!

هی و الله الحوراء بین الإنس، و النَفَس للنفس، رُبّیت فی حجور الأتقیاء، و تناولتها أیدی الملائکه، و نمت فی حجور الطاهرات، و نشأت خیر نشأه، و ربیت خیر مربی، أتزعمون أن رسول الله حرّم علیها میراثه و لم یُعلمها؟ و قد قال الله تعالی: «و أنذر عشیرتک الأقربین» أفأنذرها و خالفت متطلبه؟!!

و هی خیرَه النسوان و أمّ ساده الشبّان، و عدیله مریم، تمّت بأبیها رسالات ربه، فوالله لقد کان یشفق علیها من الحرّ و القرّ، و یوسدها یمینه و یلحفها بشماله.رویداً و رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) بمرأی منکم، و علی الله تردون واهاً لکم، فسوف تعلمون).

قال: فَحُرمت عطاءها تلک السنه!

ص: ۴۲۱

رجوعها إلی الدار و کلامها مع زوجها

ثم انکفأت (علیهاالسلام) (۱) .

و أمیرالمؤمنین (علیه السلام) یتوقع رجوعها إلیهِ (۲) .

و یتطلع طلوعها علیه.

فلما استقرت بها الدار قالت لأمیرالمؤمنین (علیه السلام):

یا بن أبی طالب.

اشتملتَ شَملَه الجنینِ (۳) .

وقعدتَ حجره الظنینِ (۴) .

نقضتَ قادمهَ الأجدلِ (۵) .

فخانک ریش الأعزلِ (۶) .

هذا ابن قحافه یبتزّنی نحله أبیِ (۷) .

۱- ۴۶۳. انکفات: رجعت.

۲- ۴۶۴. یتوقع: ینتظر.

۳- ۴۶۵. اشتمل الثوب: اذا اداره علی الجسد. و الشمله-بکسرالشین-: ما یشتمل به، و المقصود هنا: مشیمه الجنین، و هی محل الولد فی الرحم.

۴- ۴۶۶. الحجره- بضم الحاء-: البیت. و بضم الحاء و سکون الجیم ثم الزاء: هو المکان الذی یحتجز فیه. و الظنین: لبمتهم.

۵- ۴۶۷. نقضت: ضد ابرمت. و القادمه- واحده القوادم- و هی مقادیم ریش الطائر. و الاجدل: الصقر.

۶- ۴۶۸. خانک من الخیانه. و فی نسخه: خاتک: ای انقض علیک.

۷- ۴۶۹. یبتزنی: یسلبنی بالقهر و الغلبه.و النحله- بکسر النون-: العطیه، و النحلیه تصغیرها.

و بُلغهَ ابنیَّ (۱) .

لقد أجهر فی خصامیِ (۲) .

و ألفیته الألدّ فی کلامیِ (۳) .

حتی حبستنی قیلهُ نصرهاِ (۴) .

و المهاجره و صلهاِ (۵) .

و غضَّت الجماعه دونی طرفها.

خرجت کاظمه، و عدت راغمهِ (۶) .

أضرعتَ خدَّک یوم أضعت حدَّکِ (۷) .

افترستَ الذئاب و افترشت التراب.

ما کففتَ قائلاً و لا أغنیتَ باطلاً (۸) .

و لا خیار لیِ (۹) .

لیتنی متُّ قبل هینتیِ (۱۰) .

ص: ۴۲۳

۱- ۴۷۰. البلغه: ما یتبلغ به من العیش و یکتفی به.

۲- ۴۷۱. اجهر: اعلن بکل وضوح. و فی نسخه: اجهد: ای جد و بالغ.

۳- ۴۷۲. الفیته: وجدته. والالد: شدید الخصومه،و فی نسخه: اجهد فی ظلامی والد فی خصامتی.

۴- ۴۷۳. حبستنی: منعتنی. و قیله: اسم ام الاوس و الخزرج. و هما قبیلتان من الانصار.

۵- ۴۷۴. المهاجره: المهاجرون. و صلها: عونها. ای حبسنی.

۶- ۴۷۵. کاظمه: متجرعه الغیظمع الصبر.

۷- ۴۷۶. اذللت، واضعت حدک: اهملت قدرک و فی نسخه: جدک و هو الحظ.

۸- ۴۷۷. ما کففت: ما منعت.

۹- ۴۷۸. لاخیار لی: لا اختیار لی.

۱۰- ۴۷۹. هینتی- بکسر الهاء- مهانتی.

و دون ذلّتی.

عذیری الله منک عادیاً و منک حامیاً.

ویلای فی کل شارق.

مات العَمَد و وهن العَضُد.

شکوای إلی أبی.

و عدوای إلی ربی.

اللهم أنت أشدُّ قوه و حولاً.

و أحدُّ بأساً و تنکیلاً.

فقال أمیرالمؤمنین (علیه السلام):

لا ویل علیکِ.

بل الویل لشانئکِ.

نهنهی عن وَجدکِ یا بنه الصفوهِ (۱) .

و بقیّه النّبوه.

فما وَنیتُ عن دینی (۲) .

و لا أخطأت مقدوری.

فإن کنتِ تریدین البُلغه فرزقک مضمونِ (۳) .

و کفیلک مأمون.

و ما أُعدَّ لکِ خیرٌ مما قُطع عنکِ.

فاحتسبی الله.

فقالت: حسبی الله. و أمسکت.

۱- ۴۸۰. نهنهی: کفی، وجدک: حزنک.

۲- ۴۸۱. ونیت: عجزت.

۳- ۴۸۲. البلغه- بضم الباء-: الکفایه.

الإمام على فى انتظار فاطمه الزهراء

اشاره

كان الإمام أميرالمؤمنين (عليه السلام) ينتظر السيده فاطمه الزهراء (عليها السلام) زميلته فى الجهاد، و شريكته فى الآلام و الآمال.

ينتظر رجوعها من ساحه الجهاد، من مسجد أبيها.

من المؤتمر الإسلامى الذى انعقد فى أكبر مركز إسلامى يومذاك.

رجعت و هى مرهقه بأتعاب الجهاد المتواصل. و حياتها كلها جهاد.

رجعت و هى منتصره، و إن كانت- فى الوقت نفسه- مغلوبه على أمرها مظلومه مهضومه، منكسره القلب، متعبه الأعصاب، حزينه.

انتصرت لأنها أعلنت للجماهير، للأجيال، للتاريخ أنها مظلومه، مغصوب حقها أنها أدانت السلطه بالخطأ المكشوف، بالاعتداء المقصود.

انتصرت لأنها عرّفت الإسلام كما ينبغى.

تحدثت عن النقاط الرئيسيه فى الإسلام، عن التوحيد عن النبوه و الإمامه، و علل الأحكام، و فلسفه الشريعه الإسلاميه، و بكل ما يدور فى هذا الفلك الواسع الشاسع.

و وصلت إلى بيتها، و قد بقى الشوط الأخير من أشواط الجهاد.

رجعت لتكشف حقيقه أخرى لأهل العالم. للتاريخ.

و اختارت- لكشف الحقيقه- هذه الطريقه و هذا الأسلوب أسلوب الحوار مع زوجها. الحوار الذى يشبه العتاب.

و فی الـوقت نفسه تتحـدث عن الأحـداث، عن موقـف السـلطه یومـذاک. عن موقـف المسـلمین الـذین اسـتولت علیهم الحیره و الدهشه و الذهول. الضمائر تؤنّبهم، و الإحساس بالألم یُجری دموعهم، الخوف من السلطه یخرسهم، فهم فی ذهول.

یرون شیئاً، و یسمعون أشیاء:

یرون رئیس الدوله، و هو یدَّعی أنه یمثّل صاحب الشریعه الإسلامیه.

و یسمعون من ابنه صاحب الشریعه (فاطمه) الآهات، و کلمات التظلّم و السخط علی الحکام.

شکوی من فاطمه الی علی

رجعت إلی الدار لتکشف موقف زوجها العظیم تجاه تلک الأحداث، فقالت: «یا بن أبی طالب».

ربما یتصور بعض أهل العلم- من الخطباء و غیرهم- أن الزهراء تحدّث زوجها العظیم بهذا التحدی الصریح اللاذع.

إذ إنهـا تخـاطبه بکلمه: «یـا بن العم» أو «یا أباالحسن» أو «یا علیّ» أو ما أشـبه ذلک من الکلمات التی تناسب للزوجه أن تخاطب بها زوجها.

فیحملون هذا التحدی علی مدی تأثرها من الأحداث، و تألّمها مما جری.

أقول: سبحان الله! و أی منقصه فی هذا الخطاب؟!

و أی عارٍ فی هذا النسب؟!

أبوطالب:

شیخ الأباطح، سید أهل مکه، حامی الرسول، مفخره التاریخ، عظیم

قریش، کبیر بنی هاشم فی عصره.

أبوطالب:

الشجاع الذی هابه المشرکون، البطل الذی ظلَّ الرسول یدعو إلی الله، تحت حمایه ذلک البطل.

أبوطالب:

رجل الحمیّه، مثال الفتوه و الشهامه، بطل الغیره و العاطفه.

فما المانع أن یقال لشبله البار و نجله العظیم: یا بن أبی طالب؟!!

ألیس معنی: «یا بن أبی طالب» یا بن العظمه و السیاده؟

یا بن الشرف و المجد؟

یا بن البطوله و البساله؟

یا بن الحمیّه و الحفاظ؟

یا بن الفضیله، بل الفضائل کلها؟

ألیس معناه هذا؟؟؟

نعم، إنها قالت: «یا بن أبی طالب» و کأنها تهیّج عزائمه.

و کأنها تستنهضه للنجده، و تذکره بنسبه الشریف الأرفع.

تذکره أنه ابن أبیه.

کأنها تقول له: إن أباک أسعف أبی، و وقف له وقفه المدافع المستمیت فلماذا لا تدافع عنی؟ لا تسعفنی؟

ثم ذکّرته بسوابقه البطولیه، و مواقفه العظیمه، و إقدامه فی جبهات القتال، و تحطیمه الأَسُود، و طحنه الأبطال طحن الرحی. ثم قارنت بین ماضیه و حاضره، و قالت:

«اشتملت شمله الجنین» الجنین المحبوس فی غشاء المشیمه، لا یستطیع أن یعمل شیئاً.

«و قعدت حجره الظنين» المتّهم، الذی یجلس فی بیته فراراً من الناس، و خوفاً أن یلتقی به أحد،و فی نسخه: «حجزه الظنین».

«نقضت قادمه الأجدل» کنت- فیما مضی- تکسّر أجنحه الصقور، و هی بمنزله العمود الفقری فی الطائر.

«و خانک ریش الأعزل» صرت- فی الحال- أعزلاً، لا سلاح لک، ضعیفاً حتی اعتدی علیک أفراد لیسوا فی العیر و لا فی النفیر، و کأنها تتعجب من سکوته فی أول الأمر و عدم قیامه بطلب الحق، و فی نسخه: «خاتک» أی انقضَّ علیک.

ثم وضعت النقاط علی الحروف، و شرحت الموضوع بالتفصیل، فقالت:

«هذا ابن أبی قحافه».

کلمه «ابن أبی قحافه» معاکسه و مغایره تماماً لکلمه «ابن أبی طالب» من حیث المغزی و المفهوم.

أما کان عبدالله بن جذعان صاحب المضیف فی الطائف؟

أما کان أبوقحافه یحمل أوانی الطعام من المطبخ إلی المضیف؟

أما کان یدعو الناس للطعام بأمر عبدالله بن جذعان؟

ابن أبی قحافه «یبزّنی نحله أبی» یسلبنی عطیه والدی.

«و بُلغه ابنیَّ» و هی ما یکتفی به ولدای: الحسن و الحسین لمعیشتهما من غلّات فدک و العوالی، أو من الخمس و الفی ء.

«لقد أجهر فی خصامی» أعلن فی مخاصمتی، و تجاوز الکلام حدّ التفاهم و الاستدلال، و بلغّ حدّ العناد و الخصومه، فالحجه و الدلیل فی المنطق غیر مقبول، و التفاهم غیر ممکن، لأنه أنکر قانون المیراث، و التوارث بین الأب و ابنته.

«و ألفيته الألـدَّ فى كلامى» لأنه افترى على الرسول بحديث ينافى القرآن و هو المدّعى، و هو الشاهد، و هو الحاكم، و جعل ذلك الحديث حجه له و دليلاً على ما يدّعى.

«حتى حبستنى قيله نصرها» إن الأنصار و هم الأوس و الخزرج ابنا قيله، و هى أمهما قد تركوا نصرتى بعد مواقفهم فى نصره المسلمين, تركوا نصرتى لأن الناس على دين ملوكهم.

«و المهاجره و صلها» أى امتنع المهاجرون (و هم أهل مكه) عن و صلى و إسعا فى و هنا نكته لطيفه: فى استعمال الوصل فى مقابل الهجر.

«و غضَّت الجماعه دونى طرفها» يا للرزيه، يا للهضميه! إن بقيه الناس الحاضرين فى المسجد أيضاً أعرضوا عنى و اتّبعوا غيرهم فى التخاذل و كأنهم لا يعرفوننى. «فلا دافع و لا مانع» كى يدافع عنى، و يضمُّ صوته إلى صوتى، أو يدفع عنى اعتداء المعتدين، و يمنعهم عن ذلك، و فى نسخه: «و لا شافع».

«خرجت كاظمه، و عدت راغمه» خرجت من البيت إلى المسجد كاظمه للغيظ متجرعه للألم، و رجعت إلى الدار و قد عجزت عن الانتصار.

«أضرعت خدَّك يوم أضعت حدك» كأنها تعتبر سكوت علىّ (عليه السلام) أمام تلك الأحداث نوعاً من التذلل بسبب كبت النفس، و عدم استعمال القوه، و عدم إظهار القدره.

«افترست الذئاب و افترشت التراب» هذه الجمله تفسير و تفصيل للجمله السابقه، لأن الرجل البطل المقدام الذى يفترس الذئاب أى يجدّل الأبطال و يقتل الشجعان كيف يبلغ به الأمر إلى درجه أنه يفترش التراب للجلوس أو النوم، أى ليس له فراش يجلس عليه سوى التراب، و هو منتهى الفاقه و البؤس، و فى بعض النسخ: «افترست الذئاب و افترستك الذباب» أى

ص: ۴۲۹

صرت فريسه للضعفاء.

«ما كففت قائلاً ـ و لا ـ أغنيت باطلًا» يمكن أن يكون قولها: «ما كففت و لا أغنيت»بصيغه المتكلم أى ما كففت أنا، و يمكن أن يكون بصيغه الخطاب أى ما كففت أنت.و على الوجه الأول فالمعنى: لم أستطع أن أمنع قائلًا عن قوله، و أن أصرف باطلًا، و فى بعض النسخ: «و لا أغنيت طائلًا» أى ما فعلت شيئاً نافعاً، أى ما ينفعك السكوت و القعود.

و على الوجه الثانى: «إنك لم تدفع عنى قائلًا، و لم تصرف عنى باطلًا».

«و لا خيار لى» أى لا قدره لى على الدفاع و استرجاع الحق، أو لا اختيار لى فى المقاومه و المكافحه أكثر من هذا، لأننى امرأه، و المرأه محدوده فى تصرفاتها و إمكانياتها.

«ليتنى متُّ قبل هينتى و دون ذلّتى» حقّ لها أن تتمنى الموت قبل أن ترى ذلك الجفاء من أمه أبيها، من تلك الأفراد الذين كوَّنهم رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و منحهم العز و السياده، و أنقذهم من شفا جرف الهلكات.

قبل أن تشاهد الذل و الهوان من ذلك المجتمع الجاف الذى لا يؤمن بالقيم و لا بالكرامه.

«عذيرى الله منك عادياً و منك محامياً» لهذه الجمله احتمالات:

الأول: الله يعتذر منك بسبب إسائتى إليك أو إيذائك بهذا النوع من الكلام. الثانى: عذرى أنك قصرت فى إعانتى و حمايتى. و هناك احتمالات أخرى بعيده جداً.

ص: ۴۳۰

«ویلای فی کل شارق» ویلای: کلمه تقال عند الشده و المصیبه فهی إذن تدل علی شده حال قائلها من حیث التألّم و التوجّع، تقول (علیهاالسلام): ویلای فی کل صباح تشرق فیه الشمس.

و فی نسخه: «ویلای فی کل شارق ویلای فی کل غارب» أی فی کل صباح و مساء و عند کل شروق و کل غروب، بسبب المصیبه، و هی:

«مات العمد و وهن العضد» أی مات الذی کان یسند به و یعتمد علیه فی الأمور و بموت العماد ضعف العضد، ای: بموت الرسول ضعف الامام امیرالمومنین» (علیهماالسلام) «و فی نسخه: «و ذل العضد».

«شکوای الی ابی» ای: لیس لی احد اشکو الیه ماجری علی سوی ابی (ص).

«و عدوای الی ربی» ای: من الله اطلب النصره و الانتقام

«اللهم انت اشدقوه و حولا» فی الدفع و المنع، و لا حول و لا قوه الا بالله. «واحد باسا و تنکیلا» ای: اشد عذابا و عقوبه.

انتهی کلام الصدیقه فاطمه الزهرا (علیهاالسلام) حول الاحداث و موقف السلطه و الناس منها.

و کان الامام یستمع الی شکواها... الی آلامها... الی کلماتها المنبعثه من قلب ملتهب و نفس متالمه!..

الامام علی یخفف عنها الآلام

و الان: آن للامام ان یجیبها علی کلامها، و یذکر موقفه تجاه تلک القضایا و البوقائع التی المت بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)،

فقال لها:

«لا ويل عليكِ» هـذا جواب من الإمام على كلامها حيث قالت: «ويلاى» فيقول الإمام لها: «لا ويل عليك» أى لا ينبغى أن تقولى «ويلاى».

«بل الويل لشانئك» لمبغضک الذى خسر الدنيا و الآخره، الويل لعدوک الذى ظلمک،و كسر قلبک و آذاک.

«نهنهى عن نفسک يا بنه الصفوه» أى: كُفّى و امنعى نفسک عن الحزن و الغضب يا ابنه الذى اصطفاه الله و اختاره على العالمين.

«و بقيه النبوه» أنت بضعه النبى، و قد أُوذى النبى من أمته، كما قال (صلى الله عليه و آله و سلم): ما أُوذى نبى بمثل ما أُوذيت.

أنت- يا فاطمه- بعض من ذلک الكل، و جزء من سيد الرسل. فاصبرى على ما أصابکِ. ثم أنه (عليه السلام) ذكر موقفه، و بيّن تكليفه الشرعى اتجاه تلک الأحداث فقال: «فما و نيتُ عن دينى» أى: ما عجزت عن القيام بما يجب، و ما ضعف دينى و اعتقادى، أى لم أصنع شيئاً استحق عليه اللوم و العتاب، لأننى مأمور بالصبر و السكوت، لأن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قد أمرنى بالصبر إن لم أجد أعواناً، و ليس غصب فدک و العوالى بأعظم من غصب الخلافه و الاستيلاء على منصه الحكم، و الجلوس على مسند السلطه.

«و لا أخطأْت مقدورى» أى: ما تركت ما دخل تحت قدرتى و إمكانيتى، كأنه (عليه السلام) يعتذر عن سبب تقاعده عن نصرتها.

و المقدور- هنا- ليس المقدور العقلى بل المقدور الشرعى، و لنضرب لذلک مثلًا: المريض الذى يضره استعمال الماء للاغتسال و الوضوء قادر على استعمال الماء عقلاً و عاجزاً شرعاً، و أميرالمؤمنين (عليه السلام) كان يستطيع

أن ینهض و یحمل سیفه و یهاجم المغتصبین، و یقتل منهم أفراداً لا یتجاوزون العشره و یستولی علی فدک و العوالی، و علی الحکم.

أما قتل علیّ (علیه السلام) یوم بدر حوالی خمسه و ثلاثین رجلًا من الشجعان؟ مع العلم أن رجال السلطه یومذاک لم یکونوا بأشجع من الذین حضروا یوم بدر لمحاربه رسول الله.

هذه القدره العقلیه المتوفره للإمام (علیه السلام).

و أما القدره الشرعیه: فإن علیاً إذا نهض لأجل القضاء علی اولئک الأفراد فمعنی ذلک وقوع الفتن و المصائب و الاضطرابات الداخلیه و اتساع نطاق الفتنه و خاصه و أن هناک أفراداً یتربصون بالإسلام و ینتهزون الفرصه للإطاحه بذلک الدین الذی کان غضاً جدیداً لم تستقر أرکانه بعد، و لم یضرب بجرانه الأرض.

أضف إلی ذلک وصیه النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) لعلی (علیه السلام) بالصبر و السکوت.

إذن: فالأفضل التضحیه بفدک و العوالی، و السکوت عن المغتصبین رعایه للإسلام و حفظاً للدین من الضیاع و الانهیار.

«فإن کنتِ تریدین البلغه» أی: إن کان هدفک من مطالبه الأراضی هو البُلغه و هی ما یتبلغ به من العیش بمقدار الکفاف لک و لأولادک.

«فرزقک مضمون» و الضامن هو الله الذی تکفّل رزق کل ذی روح.

«و کفیلک مأمون» و هو الله تعالی لا یخلف و عده فیما تکفّله و ضمنه.

«و ما أُعدَّ لکِ» من الأجر. و تهیأ لک من الثواب فی الآخره و العظمه یوم القیامه و الدرجات العالیه التی أحرزتیها فی مقابل هذه المصائب

و الاضطهاد و المظلومیه.

«أفضل مما قطع عنکِ» من الأراضی، و أفضل مما منعوکِ من حقوقکِ.

«فاحتسبی الله» اصبری طلباً لرضاه.

«فقالت: حسبی الله. و أمسکتْ» امتثلت أمر إمامها، و أطاعت زوجها، و قالت: حسبی الله. أی: الله کافئی، و علیه أعتمد فی أموری. و سکتت و رضیت «سلام الله علیها».

ص: ۴۳۴

خطبه الزهراء فی نساء المهاجرین و الأنصار

قال سوید بن غفله:

لما مرضت فاطمه (علیهاالسلام) المرضه التی توفّیت فیها

اجتمع إلیها نساء المهاجرین و الأنصار یَعُدْنَها

فقلن لها: کیف أصبحتِ من علَّتک یا ابنه رسول الله؟

فحمدت الله، و صلّت علی أبیها، ثم قالت:

أصبحتُ- و الله- عائفهً لدنیا کنَّ (۱) .

قالیهً لرجالکنِ (۲) .

لفظتُهم بعد أن عجمتهِم (۳) و شنئتهم بعد أن سَبَرتهِم (۴) .

فقبحاً لفلول الحدِ (۵) .

و اللعب بعد الجدّ (۶) .

و قرع الصفاه، و صدع القناهِ (۷) .

ص: ۴۳۵

۱- ۴۸۳. عائفه: کارهه.

۲- ۴۸۴. قلیه: مبغضه.

۳- ۴۸۵. لفظتهم: رمیت بهم. عجمتم: مضغتهم.

۴- ۴۸۶. شنئتهم: ابغضتهم. سبرتهم: عرفت عمقهم، ای تاملتهم.

۵- ۴۸۷. فلول الحد: ثلمه حد السیف.

۶- ۴۸۸. الجد- بکسر الجیم- ضد الهزل و اللعب.

۷- ۴۸۹. قرع الصفاه: ضرب الصخره الملساء، و صدع القناه: استرخاء الرمح. و قیل الصدع: الشق.

و خطل الآراء، و زلل الأهواءِ (۱) .

و بئس ما قدَّمت لهم أنفسهم.

أن سخط الله علیهم و فی العذاب هم خالدونِ (۲) .

لا جرَمَ لقد قلّدتهم ربقتهاِ (۳) .

و حمّلتهم أوقتهاِ (۴) .

و شننت علیهم عارهاِ (۵) .

فجدعاً و عَقراً و سُحقاً للقوم الظالمینِ (۶) .

و یحهم!

أنّی زحزحوها عن رواسی الرسالهِ (۷) .

و قواعد النبوه و الدلالهِ (۸) .

و مَهبط الروح الأمینِ (۹) .

و الطبین بأُمور الدنیا و الدینِ (۱۰) إلا: ذلک هو الخسران المبین

۱- ۴۹۰. خطل الاراء: فسادها. و زلل الاهواء:انحراف المیول و الرغبات.

۲- ۴۹۱. المائده: ۸۰.

۳- ۴۹۲. قلدتهم: جعلت فی اعناقهم، ربقتها:حبلها.

۴- ۴۹۳. حملتهم اوقتها: حملتهم الثقل و المسئولیه.

۵- ۴۹۴. شننت ارسلت. و العار: السبه و العیب.

۶- ۴۹۵. الجدع- بفتح الجیم-: قطع العنف. و العقر- بفتح العین-: الجرح. و السحق: البعد و کلها فی مقام الدعاء علیهم.

۷- ۴۹۶. زحزهوها: نحوها. و الرواسی:الثوابت.

۸- ۴۹۷. قواعد البیت: اسسه.

۹- ۴۹۸. مهبط الروح الامین: محل نزول جبرئیل.

۱۰- ۴۹۹. الطبین: الحاذق الفطن العارف.

و ما الذى نقموا من أبى الحسنِ؟ (۱) .

نقموا منه- و الله- نکیر سیفهِ (۲) .

و قلَّه مبالاته بحتفهِ (۳) .

و شدّه و طأته و نکال وقعتهِ (۴) .

و تنمّره فی ذات الله (عز و جلِ) (۵) .

و الله لو تکافّوا عن زمام نَبَذَه رسول الله إلیه لاعتلقهِ (۶) .

و لَسارَ بهم سیراً سُجُحاًلا (۷) .

یکلم خشاشُهِ (۸) .

و لا یتعتع راکبهِ (۹) .

و لأوردهم منهلاً نمیراً، صافیاً روّیاً، فضفاضاً تطفح ضفّتاه، و لا یترنق جانباهِ (۱۰) .

و لأصدرهم بِطاناً (۱۱) .

ص: ۴۳۷

۱- ۵۰۰. نقموا منه: عابو و کرهو.

۲- ۵۰۱. نکیرسیفه: لا یعرف سیفه: لا یعرف و لا یفرق بین الشجاع و غیره.

۳- ۵۰۲. الحتف: الهلاک.

۴- ۵۰۳. و طاته: اخذته. و نکال و قعته: اصابه صدمته.

۵- ۵۰۴. التنمر: الغضب، و المقصود من ذات الله ای لوجه الله.

۶- ۵۰۵. تکافو: صرف بعضهم بعضا. و الزمام: مقود البعیر. او الخلیط الذی یشد فی ثقب انف البعیر.

۷- ۵۰۶. السیر السجح: السهل اللین.

۸- ۵۰۷. لایکلم: لا یجرح. و الخشاش- بکسر الخاء- الخیط الذی یدخل فی عظم انف البعیر.

۹- ۵۰۸. یتبع راکبه: یقلق و یتحرک حرکه عنیفه.

۱۰- ۵۰۹. المنهل: محل ورود الماء العذب السائغ النامی للجسد، و الروی:الکثیر. و الفضفاض: الواسع. تطفح: تمتلی ء حتی تفیض. ضفتاه: جانباه. یترنق:یتکدر.

۱۱- ۵۱۰. بطانا: عظام البطون من کثره الشرب.

و نصح لهم سرّاً و إعلاناً

و لم يكن يحلى من الغنى بطائلٍ (۱) .

و لا يحظى من الدنيا بنائلٍ (۲) .

غير ريِّ الناهلِ (۳) .

و شبعه الكافلِ (۴) .

و لَبَانَ لهم الزاهد من الراغب

و الصادق من الكاذب

«و لو أنَّ أهل القرى آمنوا و اتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء و الأرض و لكن كذّبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون» (۵) .

«و الذين ظلموا من هؤلاء سيصيبهم سيئات ما كسبوا و ما هم بمعجزين (۶) .

إلا: هلمَّ و استمع

و ما عشتَ أراك الدهر عجباً!

و إن تعجب فعجبٌ قولهم!!

ليت شعرى إلى أىّ سِناد استندوا؟ (۷) .

و على أى عماد اعتمدوا؟

۱- ۵۱۱. يحلى: يصيب و يستفيد. و الطائل:كثير الفائده.

۲- ۵۱۲. يحظى: يظفر. و النائل: العطاء.

۳- ۵۱۳. الناهل: العطشان.

۴- ۵۱۴. الكافل هنا: المحتاج الى الطعام.

۵- ۵۱۵. سوره الاعراف: ۹۴.

۶- ۵۱۶. سوره الزمر: ۵۲.

۷- ۵۱۷. ليت شعرى: ليتنى علمت. و السناد- بكسرالسين-: ما استندت اليه من حائطا او غيره.

و بأيَّه عروه تمسَّكوا؟

و على أيَّه ذريَّه أقدموا و احتنكوا؟ (۱) .

لبئس المولى و لبئس العشير

و بئس للظالمين بَدَلاً

استبدلوا- و الله- الذُّنابا بالقوادمِ (۲) .

و العَجُز بالكاهلِ (۳) .

فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يحسنون صُنعاً (۴) .

ألا: إنهم هم المفسدون و لكن لا يشعرون».

ويحهم!!

«أفمن يهدى إلى الحق أحقُّ أن يُتَّبع أم من لا يَهدى إلاّ أن يُهدى فما لكم كيف تحكمون»؟ (۵) .

أما: لعمرى! لقد لقحتْ (۶) .

فَنَظِره ريثما تُنتجِ (۷) .

ثم احتبلوا مل ء القعب دماً عبيطاً (۸) .

و ذعافاً مبيداً (۹) .

۱- ۵۱۸. احتنكو: استولو.

۲- ۵۱۹. الذناب: ذنب الطائر. القوادم: ريشات فى مقدم الجناح.

۳- ۵۲۰. العجز- بفتح العين و ضم الجيم- الموخر من كل شى ء، و الكاهل: ما بين الكتفين.

۴- ۵۲۱. رغما: كنايه عن الذل.و المعاطس: جمع معاطس (مكان العطسه) و هو الانف.

۵- ۵۲۲. سوره يونس: ۳۵.

۶- ۵۲۳. لقحت: حملت.

۷- ۵۲۴. فمهله. ريثما: مقدار ما. و تنتج: تلد.

۸- ۵۲۵. القعب: اناء ضخم. و الدم العبيط:الطری.

۹- ۵۲۶. الذعاف: السم السريع الفناء. و المبيد: المهلک.

هنالک یخسر المبطلون

و یعرف التالون غبّ ما أسَّسه الأولونِ (۱) .

ثم طیبوا عن دنیاکم أنفساً (۲) .

و اطمئنوا للفتنه جاشاِ (۳) .

و أبشروا بسیف صارم

و سطوهِ معتد غاشمِ (۴) .

و هرج شاملِ (۵) .

و استبداد من الظالمینِ (۶) یَدَع فیئکم زهیداً (۷) .

و جمعکم حصیداً (۸) .

فیا حسرهً لکمِ (۹) .

و أنّی بکم؟ (۱۰) .

و قد عمیت علیکمِ (۱۱) .

ص: ۴۴۰

۱- ۵۲۷. التالون: التابعون. و الغب:العاقبه.

۲- ۵۲۸. طابت نفسه عن کذا: رضیت به من غیر کراهه.

۳- ۵۲۹. الجاش: القلب.

۴- ۵۳۰. المعتدی: الجائر. و الغاشم: الظالم.

۵- ۵۳۱. الهرج: الفوضی، و القتل، و اختلاط الامور.

۶- ۵۳۲. الاستبداد: التفرد بالشی ء من غیرمنازع.

۷- ۵۳۳. الفی ء: الخراج و الغنیمه. و زهیدا: قلیلا.

۸- ۵۳۴. جمعکم: زرعکم.

۹- ۵۳۵. الحسره: التهلف علی الشی ء الفائت.

۱۰- ۵۳۶. کیف یصنع بکم.

١١- ٥٣٧. عميت: التبست.

أنُلزِمكموها و أنتم لها كارهون؟؟

قال سويد بن غفله: فأعادت النساء قولها على رجالهن

فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين و الأنصار معتذرين، و قالوا:

يا سيده النساء.

لو كان أبوالحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهدِ (۱) .

و نُحْكِم العقد لما عَدَلنا إلى غيره!!!

فقالت:

إليكم عنى!

فلا عذر بعد تعذيركم (۲) .

۱- ۵۳۸. نبرم العهد: نبايع لابى بكر.

۲- ۵۳۹. التعذير هو التفصير ثم الاعتذار. و التفصير:التوانى عن الشى ء.

عياده النساء لفاطمه الزهراء

لا ـ نعلـم- بالضـبط- السـبب الحقيقى و الـدافع الأصـلى الـذى دعـا بنسـاء المهـاجرين و الأنصـار لعيـاده السـيده فـاطمه الزهراء (عليهاالسـلام)، فهـل كـان هـذا بإيعـاز من رجالهن فما الـذى دعا أولئك الرجال لإرسال نسائهن إلى دار السـيده فاطمه؟ أو هل حصل الوعى عنـد النساء و شـعرن بالتقصير بل الخـذلان لبنت رسول الله، فانتشـر هذا الشـعور بين النساء فأنتج ذلك حضور هن للعياده للمجامله أو إرضاء لضمائر هن المتألمه لما حدث و جرى على سيده النساء؟؟

أو كانت هناك أسباب سياسيه فرضت عليهن ذلك فحضرن لتلطيف الجو و تخفيف توتر العلاقات بين السيده فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و بين السلطه الحاكمه فى ذلك اليوم؟

خاصه و أن الموقف الاعتزالى الـذى اختارته السـيده فاطمه لنفسـها، و انسـحابها عن ذلك المجتمع لم يكن خالياً عن التأثير، بل كـان جالبـاً لانتبـاه النـاس، و بالأـخص حين خرج الإمـام أميرالمؤمنين السـيده فاطمه يطوف بها على بيوت المهاجرين و الأنصار تسـتنجد بهم و تستنهضـهم فلم تجـد منهم الإسـعاف بل وجـدت منهم التخاذل، و قـد مرّت عليك نتيجه الحوار الـذى جرى بين السيده فاطمه الزهراء و بين معاذ بن جبل، و عرفت موقف ابنه من ذلك الرد السئ.

و على كل تقـدير فلا يعلم- أيضاً- عدد النساء اللاتى حضـرن عند السـيده فاطمه الزهراء و هى طريحه الفراش، و لكن المسـتفاد أن العدد لم يكن قليلًا

ص: ۴۴۲

بل كان العدد كثيراً يعبأ به.

فانتهزت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) الفرصه، و استغلّت اجتماع النساء عندها لأن تضع النقاط على الحروف، و تكتب فى سجل التاريخ الأعمال البشعه التى قام بها بعض المسلمين تجاه عتره نبيهم و ذريته الطاهره. و النساء يشكّلن نصف المجتمع أو أكثر من النصف، و كل امرأه مرتبطه برجلٍ من زوج أو أب أو أخ أو ابن، فهى بإمكانها أن تقوم بدورٍ فعّال فى المجتمع و خاصه فى حقل الدعايه و الإعلام و النشر.

فلماذا تسكت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) فى هذا الاجتماع و لماذا لا تذكر استياءها من أولئك المتطرفين؟

«قلن لها: كيف أصبحتِ من علتّكِ يا ابنه رسول الله؟».

هكذا جرت العاده و الآداب أن العائد يسأل المريض عن صحته و عّلته، فيجيبه المريض عما يشعر به من المرض و الألم.

و لكن السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) لم تجبهن عن مرضها و تدهور صحتها،بل أجابتهن عن آلامها النفسيه، و مصائبها الشخصيه فالتحدث عن هذه الأمور أولى و أوجب من التحدث عن أحوالها الصحيه لأن لتلك المصائب هى التى جرَّت العلّه و المرض إلى السيده فاطمه و سلبتها العافيه و الصحه، فالتحدث عن السبب أولى من التحدث عن المسبب و الإخبار عن العله أفضل من الإخبار عن المعلول.

و هنا أجابت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) على أسئله النسوه كما تقتضى الحال.

و لا تتعجب إن كانت السيده فاطمه ما نسيت أصول الفصاحه و البلاغه و الأدب الرفيع و المستوى الأعلى بسبب انحراف صحتها بل قالت:

فاطمه الزهراء تضع النقاط على الحروف

اشاره

«أصبحتُ- و الله- عائفه لدنيا كن» نعم، إنها تبدى تنفرّها عن حياه الدنيا و كراهتها لذلك المجتمع الذى لا يؤمن بالقيم.

«قاليه لرجالكن» و يحقّ لها أن تبدى اشمئزازها و غضبها على رجال المدينه، الذين كان موقفهم تجاه السيده فاطمه الزهراء موقفاً سلبيا للغايه، فلقد مرَّ عليك أنهم أبدوا انزعاجهم من بكاء السيده فاطمه الزهراء على فقد أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) و لم يتجاوبوا معها. فى إسعافها و الوقوف معها.

«لفظتهم بعد أن عجمتهم» أى رميتهم من فمى بعد أن عضضتهم، كما يرمى أحدنا اللقمه من فمه و يشمئز منها.

«و شنئتهم بعد أن سبرتهم» أى أبغضتهم و مللتهم بعد أن اختبرتهم، و كرهتهم بقلبى بسبب سوء تصرفاتهم.

«فقبحاً لفلول الحد» شبّهت السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) رجال أهل المدينه بالسيف الذى انثلم حدّه فلا يقطع، إشاره إلى قعودهم عن نصرتها، و خذلانهم إياها، فكأنها (عليهاالسلام) تستقبح فيهم سكوتهم عما جرى على بنت نبيهم من الظلم و الاضطهاد.

«و اللعب بعد الجد» و المقصود: عدم المبالاه بالحق بعد اهتمامهم بذلك، فإنهم كانوا جادّين فى نصره الإسلام، و لكن الآن صاروا و كأنهم يلعبون ألعاباً سياسيه.

و قرع الصفاه» و المراد: التذلل و الانقياد لكل مَن قادهم:

«و صدع القناه» و فی نسخه: «خور القناه» إشاره إلی استرخاء الرمح بسبب انشقاقه، و ینبغی أن یکون الرمح صلباً حتی یمکن الطعن به. و إذا کان الرمح رخواً لا یمکن أن یُطعن به.

«و خطل الآراء» و فی نسخه: «أفون الرأی» و فی نسخه أخری: «خطل القول» و علی کل تقدیر فهو إشاره إلی انحراف آرائهم و فسادها، و شذوذ مواقفهم السلبیه، و الإیجابیه.

أما مواقفهم السلبیه فهی تجاه أهل بیت نبیهم (علیهم السلام) و عدولهم عن أهل البیت إلی غیرهم، و أما الإیجابیه فاعترافهم بالسلطه المناوئه لآل الرسول.«و زلل الأهواء» ما أقبح تلک الرغبات المنحرفه التی لعبت بمقدرات المسلمین علی مرّ التاریخ و علی مرّ القرون، و تلک العثرات المنبعثه عن اتباع الأهواء الضاله المضله، و من مشتهیات الأنفس.

«و بِئْسَ ما قدَّمت لهم أنفسهم أن سخط الله علیهم و فی العذاب هم خالدون» هذه الآیه من سوره المائده آیه (۸۰) و قبلها: «لُعن الذین کفروا من بنی إسرائیل علی لسان داود و عیسی ابن مریم ذلک بما عصوا و کانوا یعتدون، کانوا لا یتناهون عن منکر فعلوه لبئس ما کانوا یفعلون، تری کثیراً منهم یتولون الذین کفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله علیهم و فی العذاب هم خالدون».

إنها (علیهاالسلام) أدمجت هذه الآیه فی حدیثها للمناسبه بین الموردین، و یظهر وجه المناسبه بالمقارنه بین الآیات و بین موقف أولئک المتخاذلین. «لا جرم لقد قلّدتهم ربقتها» أنها (علیهاالسلام) تلقی المسؤولیه-

مسؤولیه الأجیال کلها- علی أعناق أولئک الأفراد، إذ أنها لما حضرت فی المسجد و خطبت، و أتمت الحجه علی الحاضرین و استنجدت بالمهاجرین و الأنصار فثبت التکلیف الشرعی فی حقهم، و حیث أنهم لم ینصروها فهم مسؤولون عن مضاعفات ذلک الخذلان أمام الله و أمام التاریخ.

«و حمَّلتهم أوقتها» أی حمّلتهم ثقل المسؤولیه و شومها.

«و شننت علیهم عارها» شننت الماء علی التراب: أرسلته و صببته بصوره متفرقه، و فی نسخه: «سننت» أی صببت بصوره متصله غیر متفرقه، و علی کل تقدیر فالمعنی:أن علیهم سبّه التاریخ و عار الأبد بسبب ذلک الجفاء الذی أبدوه تجاه أهل البیت.

«فجدعاً و عقراً و سحقاً للقوم الظالمین» و فی نسخه أخری: «فجدعاً و عقراً و بُعداً» هذه کلمات دعاء علیهم بسبب ظلمهم لآل الرسول، و الظلم: وضع الشی ء فی غیر ما وضُع له، و الظلم علی درجات و مراتب، فهناک الظلم بالنمله، و هناک الظلم بالأمه الإسلامیه عبر التاریخ، و الظلم بأولیاء الله الذین یرضی الله لرضاهم، و یغضب لغضبهم.

و یستحق الظالمون أن یدعی علیهم بالجدع و العقر و البُعد، فیقال: جدعهم الله جدعاً و عقرهم الله عقراً، و معناهما: قطع الله أیدیهم و آذانهم و شفاهم و جرح الله أبدانهم.

«ویحهم» ویح: کلمه تستعمل فی مقام التعجب، و قد یکون معناها الویل.

«أنَّی زحزحوها عن رواسی الرساله؟» و فی نسخه: «زعزعوها» تتعجب (علیهاالسلام) من سوء اختیارهم، أی کیف نحوّا خلافه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) عن مواضعها الثابته التی هی بمنزله الجبال

لحركه الأرض و سيرها بصوره منظمه و حفظها من الاضطراب؟!

«و قواعد النبوه» القواعد: جمع قاعده و هی- هنا- الأساس للبناء، فكما أن البناء إذا بنی علی غير أساس ينهدم فكذلك الخلافه إذا وُضعت فی غير موضعها اللائق بها تنهار معنوياً، و يختل نظامها، و تضطرب أركانها.

«و مهبط الروح الأمين» كان جبرئيل يهبط فی بيت رسول الله (صلی الله عليه و آله و سلم) و بيوت أهل بيته، و بيت فاطمه مهبط الروح الأمين.

«و الطبين بأمر الدنيا و الدين» الفطن الحاذق بأمور الدنيا المتعلقه بالحياه، و كذلك القضايا المتعلقه بالدين فی جميع المجالات و شتی الأحكام، و تقصد بذلك أهل بيت الرسول (عليهم السلام) و تخص زوجها الحكيم العظيم الإِمام أميرالمؤمنين (عليه السلام).

«ألا: ذلك هو الخسران المبين» أی و الله، خسران واضح خسرته الأمه الإِسلاميه فی جميع مجالات حياتها من الحياه الفرديه و الزوجيه و العائليه و الاجتماعيه و الاقتصاديه و الصحيه و السياسيه و العمرانيه و الدينيه و الدنيويه و الأخرويه.

كل ذلك حين سلبت الأمهُ السلطهَ و القدرهَ من أهل بيت الرسول، و تصرّف فی القياده الإِسلاميه أفراد كانوا هم و الإِسلام علی طرفی نقيض، إذ كان الإِسلام شيئاً، و هم كانو شيئا آخر.

فكانت إراقه الدماء البريئه أسهل و أهون عندهم من إراقه الماء.

و التلاعب بالأحكام الإِلهيّه و القوانين الإِسلاميه كالتلاعب بالكره و غيرها من الألاعيب.

إن المآسی التی شملت الأمه الإِسلاميه (عبر التاريخ) مما تقشعرّ منها

الجلود، و تضطرب منها القلوب، كل ذلك من جرّاء القياده غير الرشيده التى تسلّمها أفراد من هذه الأمه.

و ليس فى هذا الكتاب مجال لاستعراض تلك المجازر الجماعيه، و المذابح المؤلمه التى قام بها بعض حكام المسلمين على مر التاريخ الإِسلامى.

فقد ستروا الكره الأرضيه بقشره من المقابر التى ضمّت الآلاف المؤلفه من النفوس البريئه التى كانت ضحايا لأَهواءِ أفراد، و فداءً لكراسيهم و مناصبهم و ملذاتهم و أما الكبت و الاضطهاد و الحرمان و الجوع و البؤس الذى ساد العباد و البلاد فحدّث و لا حرج.

نعم، هذا هو الخسران المبين، و لا يزال الحبل ممدوداً حتى اليوم و بعد اليوم.«و ما الذى نقموا من أبى الحسن؟ أى: أىَ شى ء عابوه من الإمام أميرالمؤمنين على بن أبى طالب حتى نحوّه عن السلطه، و قدّموا غيره عليه؟

نقصاً فى العلم؟

أو جهلًا فى الفتيا؟

أو سوءاً فى الخلق؟

أو عاراً فى الحسب؟

أو ضعفاً فى الدين؟

أو عدم كفاءه فى الأمور؟

أو جبناً فى النفس؟

أو خِسّهً فى النسب؟

أو قلّه فى الشرف؟

أو بخلًا بالمال؟

أو أى عيب فى مؤهلاته و كفاءاته؟

كل ذلك لم يكن، بل كان على (عليه السَّلَام) أعلم هذه الأمه جمعاء، و هو باب مدينه علم الرسول و أقضاهم فى الفتوى.

و أشبه الناس خلقاً بالرسول الذى كان على خلق عظيم.

و ابن شيخ الأَباطح: أبى طالب، مؤمن قريش

و أعبد الناس فى هذه الأمه

و أشجعهم نفساً، و أقواهم قلباً، و أكثرهم جهاداً

و كتله من الفضائل

و فى أوج الشرف و العظمه

و أسخاهم كفاً، و أبذلهم للمال

إذن: فما هو السبب فى صرف الخلافه عنه إلى غيره؟

إن السيده فاطمه (عليهاالسلام) تجيب على هذا السؤال، و تقول:

«نقموا منه– و الله– نكير سيفه» أى عابوا شدّه سيفه، و المقصود أن علياً كان قد قتل فى الحروب و الغزوات رجالات هؤلاء و أسلافهم، و حطّم شخصياتهم، فكانوا يكرهونه بسبب سيفه الخاطف للأرواح.

«و قله مبالاته بحتفه» أى عدم اهتمامه و اكتراثه بالموت، فالمجاهد الذى ينزل إلى جبهه القتال ينبغى أن يكون قليل المبالات بالموت، فكما أنه يَقتل كذلك يُقتل، و كان على (عليه السلام) يقول: و اللَّه لا يبالى ابن أبى طالب أوقَع على الموت أو وقع الموت عليه.

«و شدِّه و طأتهُ و نكال وقعته» يقال: فلان شديد الوطأه أى شديد الأخذ و شديد القبض، و المقصود قوه العضلات و معرفه القتال.

و نكال الوقعه أى كان يصنع صنيعاً يحذِّر غيره و يجعله عبره له، فكانت ضربته و صدمته للأعداء نكالاً أى يورث الحذر و العبره للآخرين.

«و تنمّره فى ذات اللَّه (عز و جل)» النمر شديد الغضب، إذا غضب

لنفسه لم يبال: قلّ الناس أم كثروا، و لا يردّه شی ء، و لا يحول دون هدفه حائل و لا يمنعه مانع، و الرجل الشجاع الذی يجاهد بلا مبالاه و لا خوف، بل بكل غضب و شجاعه يقال فی حقه: تنمّر، أی صار شبيهاً بالنمر فی الاقتحام.

لقد تخلص من كلامها (عليهاالسلام) أن سبب انحراف الناس عن علی (عليه السلام) كان لأغراض شخصيه، و أمراض نفسيه متأصله فی قلوبهم.

فلقد قتل علی (عليه السلام) يوم بدر و أُحد و حنين و الخندق و غيرها عدداً كبيراً لا يستهان به من أقطاب الشرك، و رجالات الكفر، و شخصيات الجاهليه، أمثال: عتبه و شيبه و الوليد و عمرو بن عبدودّ و عقبه بن الوليد و غيرهم، و أكثر قبائل العرب كانت موتوره بسيف علی (عليه السلام).

و حتی، و بعد أن أسلمت تلك القبائل كانت رواسب الحقد و العداء كامنه فی نفوسهم.

و النجاح الكبير الذی أحرزه علی (عليه السلام) فی جميع المجالات من الطبيعی أن يهيّج الحسد فی القلوب، و التقدم الباهر الذی كان من نصيب علی (عليه السلام) فی شتی الميادين كان فی قمّه فضائله.

فالآيات القرآنيه التی نزلت فی حقه

و الأحاديث النبويه التی شملته دون غيره

و الموفّقيه التی حازها علی (عليه السلام) وحده

و خصائصه التی امتاز بها عن غيره من العالمين

كان لها أسوأ الأثر، فی النفوس المريضه

و كانت تلك الرواسب و الآثار كامنه فی الصدور، كأنها نار تحت رماد حتی تو فی رسول الله (صلی الله عليه و آله و سلم) و خلا الجو،

و ارتفع المانع فعند ذلک زال الرماد، و ظهرت النار، و جعلت تلتهب و تشتعل. بالله علیک انظر:

لقد مرّ علیک أن جماعه من الصحابه خطبوا السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) من أبیها الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) فرفضهم النبی، و حینما خطبها علی من الرسول و إذا به جد الترحیب و التجاوب علی أحسن ما یمکن.

ألیس هذا مما یهیج الحسد فی النفوس؟

و یأمر الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) أبابکر أن یذهب إلی مکه بسوره البراءه لیقرأها علی أهل مکه، و یخرج أبوبکر بالسوره متوجهاً نحو مکه، فینزل جبرئیل علی الرسول قائلًا: إن ربک یأمرک أن تبلّغ هذه السوره بنفسک، أو یُبلّغها رجل منک. فیأمر النبی علیاً أن یتوجه نحو مکه، و یتولی قراءه السوره علی أهل مکه، و یأمر أبابکر بالرجوع.

ألیس هذا الأمر یهیج الحسد فی القلوب؟

و هکذا و هلم جرّاً، سِر مع علی (علیه السلام) عبر تاریخ حیاته، تجده المقدَّم علی غیره فی کافه المجالات.

و یمطره جبرئیل بآیات من الذکر الحکیم تقدیراً لبطولاته، و تنویهاً لإنجازاته،و تقبّلًا لصدقاته، و مدحاً لخدماته.

و المسلمون یقرأون تلک الآیات آناء اللیل و أطراف النهار راضین أو مرغمین. و من العجیب: أن علیاً کان یخوض غمار الحروب بأمر الرسول، و لأجل التحفظ علی حیاه الرسول، الرسول الذی کان الإسلام متمثلًا و متجسدّاً فیه و قائماً به، فکیف کان الناس یکرهون علیاً و هو الجندی و لا یکرهون الرسول و هو القائد للجیش؟!

ص: ۴۵۱

فی البحار عن أبی زید النحوی قال: سألت الخلیل بن أحمد العروضی فقلت: لِمَ هجر الناس علیاً (علیه السلام) و قُرباه من رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قرباه، و موضعه من المسلمین موضعه، و عناؤه فی الإسلام عناؤه؟؟

فقال: بَهَر- و الله- نورُه أنوارهم، و غلبهم علی صفو کل منهل، و الناس إلی أشکالهم أمیَل، أما سمعت الأول یقول:

و کل شکلٍ لشکله ألفُ

أما تری الفیل یألف الفیلا

و أنشدنا الریاشی عن العباس بن الأحنف:

و قائل کیف تهاجرتما؟

فقلت قولاً فیه إنصاف:

لم یک من شکلی فهاجرته

و الناس أشکال و أُلّاف

و قال ابن عمر لعلی (علیه السلام): کیف تحبک قریش و قد قتلت فی یوم بدر و أُحد من ساداتهم سبعین سیداً، تشرب أنوفهم الماء قبل شفاههم؟

فقال أمیرالمؤمنین (علیه السلام):

ما ترکت بدر لنت مذیقاً

و لا لنا من خلقنا طریقاً

و من الواضح أن الأمور لیست عیوباً و نقائص حتی یکره الناس علیاً بسببها.

و معنی کلام الزهراء (علیهاالسلام): «نقموا منه و الله نکیر سیفه» من باب قول الشاعر:

و لا عیب فیهم غیر أنَّ سیوفهم

بهنَّ فلول من قراع الکتائب

و المقصود: أنهم عابوا علیاً علی فضائله و مناقبه، و علی انجازاته و خدماته و علی شجاعته و تضحیاته، و جهاده و بطولاته، و لیست هذه عیوباً حتی یُعاب علی علیها.

هذا و من المؤسف أن الموضوع يناسب الشرح و التفصيل أكثر من

ص: ۴۵۲

هذا ولكن رعايه لأسلوب الكتاب نرجئ البحث إلى فرصه أخرى أو كتاب آخر.

«و الله لو تكافوّا عن ذمام نبذه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) إليه لا عتلقه».

شبهت السيده فاطمه (عليهاالسلام) المجتمع الإِسلامى أو الأمه الإسلاميه بالقافله، و شبّهت الخلافه و القياده الإِسلاميه بالزمام و هو المقود، أى الحبل الذى يقاد به البعير، و شبّهت علياً (عليه السلام) بالدليل الذى يتقدم القافله، و يأخذ بزمام البعير ليقود المسيره.

و لم تنس السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) أن تقول: «نبذه رسول الله إليه»أى إن القياده الإِسلاميه إنما صارت لعلى (عليه السلام) بأمر رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) حين قام فى الناس رافعاً صوته: «من كنت مولاه فعلى مولاه». و بعد هذا تقسم بالله قائله: «و الله» فالمسأله مهمه و عظيمه جدّاً جدّاً و تستحق أن يقسم الإِنسان بالله لأجلها.

«لو تكافّوا» أى كفّوا أيديهم، أى منع بعضهم بعضاً، بحيث لو أراد أحدهم تناوله منعه الآخرون «لا عتلقه» أى اعتلق على (عليه السلام) الزمام، أى قام بالواجب كما ينبغى و قاد المسيره على أحسن ما يتصور، و أفضل ما يرام.

ثم و صفت (عليهاالسلام) نتائج تلك القياده الرشيده لو كان يفسح لها المجال، و ذكرت الفوائد و المنافع و الخيرات و البركات التى كانت تعمّ الأمه الإِسلاميه على مرّ القرون و الأجيال فقالت:

«ثم لسارَ بِهم سيراً سجحاً» أى سار القائد بالمسيره سيراً ليناً سهلاً، بكل هدوء و طمأنينه، فإن البعير إذا سار بالراكب سيراً عنيفاً فلا بدَّ و أن

ص: ۴۵۳

الراكب يتأذى من الحركه العنيفه، و تتحطم أعصابه لما فى ذلك من الإزعاج و القلق.

ثم البعير نفسه يتألم حينما يجاذبه الراكب الحبل الذى قد دخل فى ثقب أنفه و ربما يجرح أنفه أيضاً، فيتأذى الراكب و المركوب، و لكن السيده فاطمه تقول: «لاـ يكلم خشاشه، و لاـ يتعتع راكبه» و فى نسخه: «و لا يكل سائره و لا يمل راكبه» أى الحبل أو الخشب الذى جعل فى أنف البعير و يقال له «الخشاش» لا يجرح أنف البعير، و لا ينزعج راكب البعير، و المقصود: سلامه الراكب عن كل مشقه حال السير.

«و لأوردهم منهلاً نميراً فضفاضاً» و فى نسخه: «منهلاً روياً» إن الدليل الذى يتقدم القافله لا بد و أن ينزل بهم منزلاً حسناً، و مكاناً لائقاً للراحه، على شاطئ نهرٍ أو عين ماء، ليأخذوا حاجتهم من الماء، و يسقوا دوابهم و غير ذلك.

تقول السيده فاطمه (عليهاالسلام): كان على (عليه السلام) يقود المسيره إلى منهل نمير و المنهل: المورد أى محل ورود الإِبل. و النمير: العذب، النابع من عين لا ينقطع ماؤها. و الفضفاض: الواسع.

«تطفح ضفتاه، و لا يترنق جانباه» النهر إذا كان ممتلئ يفيض جانباه و إذا كان عذباً لا يتكدر جانباه بالطين كما هو المشاهد من تكدر الماء بالطين على جوانب النهر، بل و حتى البحر.

فالكثره والسعه فى المجرى و العذوبه و النظافه و عدم التلوث بالطين و غيره من صفات ذلك الماء.

و كلها إشارات و كنايات إلى الحياه السعيده التى كان الناس يعيشونها لو كان الأمر بيد الإِمام أميرالمؤمنين، فالخيرات كانت تشمل أهل الأرض،

و العـدل يسود المجتمع، و السـلامه كانت تعمّ الجميع، و الرفاهيه و الاسـتقرار و الطمأنينه و الأمان و الحريه- بمعناها المعقول- و السعاده فی الدنيا، و النعيم فی الآخره كان من نصيب الجميع.

«و لأ صـدرهم بطاناً» و كانت نتيجه ذلك الورود هو الصدور من المنهل، و الخروج من ذلك المورد بالبشع و الارتواء، فلا جوع و لا حرمان، و لا فقر و لا مسـكنه.«و نصح لهم سـراً و إعلاناً» النصح: حُب الخير، و عدم الغش، و المعنی: أن علياً كان يسعی فی إسعادهم و جلب الخير لهم بصوره سريه و علنيه، أی ما كان يطلب من وراء تلك القياده إلاّ الخير للناس لا لنفسه.

«و لم يكن يحلَّی من الغنی بطائل، و لا يحظی من الـدنيا بنائل، غير ریّ الناهل و شـبعه الكافل» و هنا تذكر السـيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) موقف زوجها من تلك القياده و الزعامه العامه.

قبـل كـل شـی ء: ينبغی أن لاـ ننسـی أن فی العـالم أفراداً يحبون القيـاده و الرئـاسه لأنفسـهم، أی يحبون ليحكموا علی النـاس، و يتصـرفوا كما يشاءون و كما يريـدون، و يحبون الرئاسه لأنها وسـيله تحقيق أهـدافهم و أُمنياتهم الشخصـيه فهم يتنعمون من وراء تلك الرئاسه بشتی أنواع النعم، و يختارون لأنفسهم أفضل حياه.

و هنـاک أفراد «و قليل ما هم» يحبون الرئاسه و القياده ليخـدموا الناس، و يصـلحوا المجتمع، و يجلبوا الخير و السـعاده للشـعوب، ليعيش الناس آمنين مطمئنين، و لتكون لهم حياه مشفوعه بالراحه و الخير و النعيم.

إن هـذه الطائفه من أولياء الله لا يشـعرون بالنقص فی أنفسـهم كی يكملوا أو يستروا ذلك النقص بالفخفخه و الجبروت بل إنهم يشعرون بالكمال فی أنفسهم، فهم فی غنی عن الناس، و الناس بحاجه إليهم، إن

هؤلاء لو حكموا لنفعوا الناس و أصلحوهم، و أمّنوا حياتهم من جميع نواحيها.

و فى الوقت نفسه لا يستفيدون و لا ينتفعون من حطام الدنيا، و لا تطيب نفوسهم أن يتنعموا بأموال الفقراء، و يبنوا قصورهم على عظام الضعفاء، إنهم يحملون نفوساً أبيّه و أنوفاً حميّه، و أرواحاً طيبه تستنكف التنازل إلى هذا المستوى السافل.

بعد هذا يتضح لنا كلام السيده فاطمه (عليهاالسلام) حول موقف زوجها تجاه القياده لو كان يفسح له المجال، و لا يغلق عليه الطريق.

تقول: «و لم لم يكن يحلى من الغنى بطائل» أى لو كان على (عليه السلام) يتسلم زمام الحكم ما كان يستفيد من اموال الناس لنفسه فائده كثيره، و ما كان يصيب من بيوت الاموال و كنوز الثروه لنفسه خيراً.

«و لا يحظى من الدنيا بنائل» ما كان ينال من ثروات الدنيا بالعطاء سوى مقدار إرواء نفسه من العطش، و إشباع عائلته من الجوع.

احفظ هذه الجمله و انظر إلى حياه الحكام و السلاطين فى العالم، تجدهم يسكنون أفخم المساكن، و يلبسون أفخر الملابس، و يأكلون ألذَّ المآكل، و يركبون أحسن المراكب و يؤثثون بيوتهم بأغلى الأثاث، و يعيشون أفضل المعيشه. و لا تسأل عن الذخائر التى يدّخرونها ليوم ما!؟؟

كل ذلك من بيت المال، و كل ذلك من أموال الدوله و أموال الشعب!!

نعم، إن السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) هكذا تعرّف زوجها، و التاريخ الصحيح يصدّق كلامها و الواقع يؤيد ادعائها.

فلقد حكم الإِمام أميرالمؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) أربع

سنوات و شهوراً، فكانت حياته هكذا مائه بالمائه.

فلقد كتب (عليه السلام) إلى عثمان بن حنيف كتاباً يقول فيه: «ألا- و إن إمامكم قد اكتفى من دنيا بطمريه، و من طعمه بِقُرصيه... فو الله ما كنزت من دنياكم تبراً، و لا ادّخرت من غنائمها و فراً، و لا أعددت لبالى ثوبى طمراً، و لا حزت من أرضكم شبراً بلى، كانت فى أيدينا فدك من كل ما أظلّتها الخضراء، فشحّت عليها نفوس قوم و سخت عنها نفوس قوم آخرين... الى آخر كلامه (عليه السلام).

و هنا سوال لابد من الاجابه عليه و هو: اذ كان الامام على (عليه السلام) بهذه الا و صاف التى ذكرتها الزهراء (عليهاالسلام) و وصفته بها.. فُلماذا- حينما حكم على الناس، و تسلّم القياده و جلس على منصه الخلافه- حدثت الاضطرابات الداخليه، و الحروب الأهليه الداميه، و المشاكل و المصائب و المذابح التى شملت الأمه الإِسلاميه فى عهده؟؟

نجيب على هذا بما يلى:

لا- شك أن المجتمع الإسلامى فى عهد الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) كان مجتمعاً صالحاً من جميع النواحى، و لكن الذين حكموا المجتمع بعد وفاه الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) خلال ربع قرن قد غيّروا و بدّلوا و تصرّفوا تصرفات غير مرضيه.

و لو ألقيت نظره إمعان على تاريخ الحكام الذين تسلّموا السلطه بعد الرسول مباشره خلال خمسه و عشرين عاماً لرأيت كميه وافره من الأوامر و الفتاوى و الأحكام المضادّه للشريعه الإِسلاميه من الكتاب و السنه، من تغيير الوضوء و الأذان و كيفيه الصلاه و عدد ركعاتها إلى الحج إلى الجهاد إلى النكاح و إلى الطلاق و هكذا و هلّم جرًا.

و لو أردنا أن نذكر الشواهد و الأمثله لهذه المواضيع لطال بنا الكلام،

و لكننا نكتفى- هنا- بمثال واحد كنموذج، و لك ان تقبس من هذا المثال بقيه الامثله:

مجزره خالد بن الوليد

خرج خالد بن والوليد بجيشه الى قبيله من قبائل المسلمين تسمى: بنى جذيمه. و كان فى تلك القبيله رجل من المسلمين اسمه: مالك بن نويره، قد اسلم على يد النبى و شهد له رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) بالجنه و شهد عمر بن الخطاب بإسلامه فقتله خالد بن الوليد بغير ذنب، سوى ذنب واحد، و هو أن زوجته كانت من أجمل نساء قومها و قد رآها خالد بن الوليد و طمع فيها، و لم يجد طريقه للاستيلاء عليها سوى قتل زوجها البريى ء فقتله خالد، و فى نفس الليله زنى بزوجته.

و حينما رجع خالد إلى المدينه لم يجد أى عقاب أو عتاب من رئيس الدوله يومذاك.

هذا هو المتفق عليه بين المؤرخين بلا استثناء، مع العلم أن الإِسلام لم يسمح بنكاح المعتده ما دامت فى العده، و الرجل لم يتزوج بها.

هذه المأساه التى تجدها فى أكثر التواريخ، ترى كم تشتمل هذه الفاجعه من إهدار الدماء البريئه و هتك الأعراض، و ارتكاب الجرائم، و التلاعب بكرامات الناس و مقدراتهم؟

و كم تتبدل نظره الناس إلى الدين و إلى الدوله الإِسلاميه؟

و قد مرَّ عليك موقف هؤلاء تجاه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) الوحيده العزيزه و اتجاه زوجها العظيم، و ولديها الحسن و الحسين (عليهم السلام)؟

القياده الاسلاميه المفككه

إن الإسلام و القياده الإسلاميه و صلت إلى يد على (عليه السلام) و هى مفككه العرى، محطمه الجوانب، مشوهه السمعه.

و أراد الإِمام على (عليه السـلام) أن يصلح تلك المفاسد، و أن يعيد الإِسلام إلى طريقه السوى و يلبسه حلّه القداسه و الجمال، و إذا به يجد أصحاب المطامع يقومون ضدّه، و يشهرون سيوفهم فى وجهه، فتكوّنت الحروب الداخليه و قامت المجازر على قدم و ساق.

و اعلم ان الذين اقاموا الحروب الداخليه و وضعو نواتها الاساسيه هم اربعه فقط: طلحه و الزبير و عائشه و معاويه.

و كان زبير و طلحه يهدفان الوصول الى الحكم من خلال اثاره الاضطراب فى حكومه خليفه رسول الله، و قد اتخذا عائشه ذريعه لذلك.

اما معاويه فكان يهدف المحافظه على كرسيه فى الشام، كما صرخ هو بذالك فيما بعد.

و قد ذكرنا الشى ء اليسير من تلك المآسى فى الجزء الأول و الثانى و الثالث من شرح نهج البلاغه.

و أنت إذا راجعت و قارنت فسوف تنكشف لك أمور، و تتضح لك أسرار.

نحن لا زلنا فى شرح الخطبه:

«و لبـان لهم الزاهـد من الراغب» إن السـيده فـاطمه (عليهاالسـلام) لاـ تزال تـوالى حـديثها عن زوجهـا الإمـام أمير المؤمنين (عليه السلام) وإنه لو كان يستلم القياده كان يقنع من الدنيا بالشى ء اليسير اليسير، و ذلك بمقدار

إرواء عطشه و إشباع عائلته، و عند ذلک کان یظهر للناس الزاهد الحقیقی الذی لا یطمع فی أموال الناس، یظهر الراغب الطامع الذی کان یخضم مال الله خضم الإِبل نبته الربیع و أمثاله.

«و الصادق من الکاذب» و ظهر لهم الصادق الذی یصدق فی أقواله و أفعاله من الکاذب الذی یکذب فی ادعاءاته و تصرفاته،وتکذب افعاله اقواله و شعارته.

ثم إنها (علیهاالسلام) ختمت هذه المقطوعه من حدیثها بالآیه الکریمه، و طبّقتها علی هذه الأمه، فقالت: «و لو أن أهل القری آمنوا و اتقوا لفتحنا علیهم برکات من السماء و الأرض و لکن کذَّبوا فأخذناهم بما کانوا یکسبون» (۱) .

ما أنسب هذه الآیه بهذا المقام و ما أجمل هذا التشبیه فی هذا الکلام؟ و تقصد السیده فاطمه أن الناس لو کانوا یقبلون کلام الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) فی تعیین علی بالخلافه و کانوا ینقادون له، لکانت الدنیا لهم روحاً و ریحاناً و جنه نعیم، و لکنهم خالفوه و اختاروا غیره، و بعملهم هذا کذَّبوا رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) تکذیباً عملیاً، فسوف یشاهدون الویلات تنصبُّ علیهم.

و أردفت هذه الآیه بمثلها، فقالت: «و الذین ظلموا من هؤلاء سیصیبهم سیئات ما کسبوا و ما هم بمعجزینِ» (۲) .

و سیأتیک القول بالتفصیل عن الویلات و المآسی التی انصبَّت علی الأمه الإِسلامیه من جرّاء تلک القیاده الشاذه و مضاعفاتها.

«ألا هلم و استمع» و فی نسخه: «هلممن و استمعن» فعلی النسخه

۱- ۵۴۰. الاعراف: ۹۶.

۲- ۵۴۱. الزمر: ۵۱.

الأولی یکون الخطاب عاماً للجمیع، و علی النسخه الثانیه یکون الخطاب خاصاً بالنساء اللاتی حضرن عیادتها.

«و ما عشت أراک الدهر عجباً» أی کلما عشتَ أو مده عیشک فی الدنیا رأیت العجائب التی لا بالبال و لا بالخاطر.

«و إن تعجب فعجب قولهم» هذه الجمله من آیه فی سوره الرعد و هی: «و إن تعجب فعجب قولهم أاذا کنا تراباً أإنا لفی خلق جدید» اقتبست السیده فاطمه (علیها السلام) هذه الجمله من الآیه و أدمجتها فی حدیثها، و المقصود أن الناس یتعجبون من بعض الأمور و لیست بعجیبه، و لا تستحق التعجب، و هناک أمور و قضایا عجیبه ینبغی أن یتعجب منها، لأنها أمور لا تنسجم مع الشرع و لا مع العقل و لا الوجدان و لا الضمیر، و لا تدخل تحت أی مقیاس من المقاییس الصحیحه.

و الأمر العجیب هو ما یلی:

«لیت شعری إلی أی سناد استندوا؟

و علی أی عماد اعتمدوا؟

و بأیه عروه تمسکوا؟

و علی أیه ذریّه أقدموا و احتنکوا؟

إن الناس کانوا یستندون علی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و ینقادون له، و یعتمدون علی أقواله، و یطیعون أوامره، لأنه مرسل من عند الله،و متصل بالعالم الأعلی، قد توفرت فیه الأهلیه بجمیع معنی الکلمه، فلا عجب فی ذلک إذا خضع له الناس، و قدَّموه علی کل شی ء، و لکن العجب کل العجب أن بعض الناس بعد وفاه الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) تنازلوا إلی مستوی نازل جداً فسلّموا القیاده إلی أفراد لا توجد فیهم المؤهلات.

ص: ۴۶۱

فالذی کان یستند و یعتمد علی الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) و یتمسک به کیف تطیب نفسه أو یرضی ضمیره أن یعترف بالقیاده الإسلامیه لأفراد لیسوا فی تلک المرتبه و تلک الدرجه؟!

تتعجب السیده فاطمه (علیهاالسلام) و یتعجب معها عقلاء العالم و أصحاب الضمائر الحیه و النفوس المعتدله و القلوب السلمیه من تلک الانتخابات المخالفه لجمیع المقاییس و النوامیس و الموازین.

«و بأیه عروه تمسکوا» لقد ثبت عند المسلمین کلام رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) «إنی تارک فیکم الثقلین: کتاب الله و عترتی أهل بیتی، و إنکم لن تضلوا ما أن تمسکتم بهما» و معنی الحدیث: أن الرسول أمر المسلمین أن یتمسکوا بالقرآن و العتره معاً، و لکن هؤلاء بأیه عروه تمسکوا و تعلقوا و اعتصموا؟!

«و علی أیه ذریه أقدموا و احتنکوا؟» أیعلم هؤلاء مَن هی فاطمه الزهراء؟!

أیعلم هؤلاء ما منزله هذه الذریه الطاهره الشریفه التی هم أشرف أسره علی وجه الأرض؟!

أیعلم هؤلاء ما صنعوا اتجاه أهل البیت:

الذین أمرهم الله بمودتهم بقوله: «قل لا أسألکم علیه أجراً إلاّ الموده فی القربی»؟!

الذین فرض الله طاعتهم علی کل مسلم بقوله: «أطیعوا الله و أطیعوا الرسول و أُولی الأمر منکم»؟!

الذین مَثَلهم کمثل سفینه نوح، من رکبها نجی، و من تخلّف عنها هوی و غوی و هلک؟! الذین مَن أحبّهم فقد أحب الله، و من آذاهم فقد آذی الله و من

أبغضهم فقد أبغض الله؟!

فوالله الذی لا إله إلا هو إنهم آذوا ذریه رسول الله و عترته و أهل بیته، و ظلموهم و أغضبوهم و اعتدوا علیهم، و هتکوا حرمتهم، و جرّئوا الناس علی إیذائهم.

بأی دین؟!

و بأیه شریعه؟!

و بأی مجوّز شرعی صنعوا ذلک الصنیع تجاه آل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)؟!

أنا لا أدری، و لعل القوم ینحتون الأعذار التی تبیح لهم هتک تلک الحرمات، و إهدار تلک الکرامات.

«و لبئس المولی و لبئس العشیر».

اقتبست السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) هذه الجمله من قوله تعالی «یدعو لمن ضرّه أقرب من نفعه لبئس المولی و لبئس العشیر» (۱) أی أن الذی اختاروه للولایه بئس المولی و بئس العشیر، و العشیر هو الصدیق الذی ینتخب للمعاشره.

«و بئس للظالمین بدلاً» هذه الجمله من قوله تعالی «و إذ قلنا للملائکه اسجدوا لآدم فسجدوا إلاّ إبلیس کان من الجن ففسق عن أمر ربّه أفتتخذونه و ذریته أولیاء من دونی و هم لکم عدو، بئس للظالمین بدلاً» (۲) .

«استبدلوا– و الله– الذنابا بالقوادم و العجز بالکاهل».

من جمله العلوم التی لها الصداره علی بقیه العلوم هو علم الاجتماع، و هو علم یبحث عن تقدم الأمم أو تأخرها، أسباب ضعفها أو

۱– ۵۴۲. الحج: ۱۳.

۲– ۵۴۳. الکهف:۵۰.

قوتها، و صلاحها و فسادها، و نتائج الصلاح و مضاعفات الفساد.

و من الوسائل التی کان لها التأثیر فی توعیه المجتمع نحو الخیر و الشر، و نحو الصلاح أو الفساد، و تقریر مصیر الشعوب: هو جهاز الدوله و جهاز الدین،و قد قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): «طائفتان من أُمتی إذا صلحتا صلح الناس، و إذا فسدتا فسد الناس: العلماء و الأمراء».

و فی ذلک الیوم کان جهاز الدوله و جهاز الدین جهازا واحداً، فالخلیفه یُعتبر رئیس الدوله و رئیس الدین، و یدیر دفه الحکم علی الصعیدین: الدولی و الدینی.و إننا نجد الشعوب المتحضره، المثقفه المتقدمه إنما و صلوا إلی القمه و حازوا التقدم فی کافه المجالات بسبب الأسره الحاکمه التی مهّدت لهم السبل، و هیأت لهم الوسائل و زوّدتهم بالتعلیمات، و شجعتهم علی العمل.

و هکذا نجد الشعوب المتأخره و المتفسخه- التی استولی علیهم الجهل و الفقر و المرض و الذل و الهوان و الخلاعه و المجون- هم ضحایا إهمال الحکام و أصحاب القیاده، و قد قیل: «الناس علی دین ملوکهم».

و هنا تنتقل السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) إلی حدیثها عن علم الاجتماع، فتقول:

«استبدلوا- و الله- الذنابا بالقوادم».

إن التشبیه فی الکلام له تأثیر عجیب فی النفس، و تقریب المعنی إلی الذهن بصوره واضحه.

لقد شبّهت السیده فاطمه (علیهاالسلام) الأمه الإسلامیه بالطائر، و شبهت القائد أو القیاده بأجنحه الطائر، لأن الطائر لا یستطیع أن یطیر إلاّ بجناحیه، و الجناح مرکب من عشر ریشات کبار، و یقال لها «القوادم» و تحت تلک الریشات الکبار عشر ریشات صغار یقال لها «الخوافی» و علی موضع

ذنب الطائر ریشات یقال لها: «الذنابا».

فـالقوادم هی قوام الطیران، و لاـ یمکن الطیران بغیر القوادم، لأنهـا بمنزله المحرکـات القویه فی جنـاح الطائره التی تقلع الطائره و ترتفع بها عن الأرض و تحلق فی الفضاء.

فالطائر إذا قطعت قوادمه لا یستطیع الطیران بالخوافی و هی الریشات الصغار، و لا بالذنابا، لأن الذنابا لا تستطیع حمل جسد الطائر و إقلاعه عن الأرض لعجز الذنابا و ضعفها.

«و العجز بالکاهـل» العجز- بفتـح العین و ضم الجیم-: من کـل شـی ء مؤخره، و من الإنسـان مـا بین الورکین، و الکاهـل مـا بین الکتفین، و الکاهل أقوی موضع فی البدن لحمل الأثقال.

و المقصود من هـذین المثـالین أو التشبیهین هو: أن القوم سـلّموا الأمور العظیمه، و المناصب الخطیره- و هی القیاده- إلی من لا یلیق بها، و لا یستطیع القیام بأمورها، لعدم توفر الإمکانیات فیه، و عجزه عما یتطلبه الأمر من العلم و العقل و التدبیر، و ذلک بعد أن سلبوا تلک الإمکانیات من أصحابها الأکفاء ذوی اللیاقه و الخبره و البصیره.

«إنهم باعوا علیاً (علیه السلام) یوم الغدیر بأمر من الله تعالی و رسوله (صلی الله علیه و آله و سلم) و باختیار منهما، و لکنهم نکثوا عهـدهم، و نقضـوا ببیعتهم، و بـایعوا غیره الـذی لاـ یقـاس بعلیّ (علیـه السـلام) علمـاً و شـرفاً و فضـلاً و سـابقه و غیر ذلـک من المرجِّحات.

«فرغماً لمعاطس قوم یحسبون أنهم یحسنون انهم یحسنون صنعا».

ان الزهرا (علیه السلام) تدعو علی هولاء بالذل و الهوان، و هو

إرغام أنوفهم، و هم الذين يظنون أنهم مهتدون فی أعمالهم، و مصلحون فی تصرفاتهم.

و الحال: «ألا إنهم هم المفسدون و لکن لا یشعرون» و هل یشعر المنحرف أنه منحرف شاذ؟

بـل بالعکس، یتصور أنه هو المهتـدی المعتـدل المسـتقیم، و أنه علی الحق و أن غیره علی الباطل، و لا یؤثر فیه المنطق و لا ینفع فیه الدلیل و البرهان. و هاتان الجملتان مقتبستان من قوله تعالی:

«قل هل نُنَبِّئُکُمْ بالأخسـرین أعمالاً الذین ضل سـعیهم فی الحیاه الدنیا و هم یحسـبون أنهم یحسنون صنعاًِ» (۱) و من قوله تعالی: «و إذا قیل لهم لا تفسدوا فی الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا إنهم هم المفسدون و لکن لا یشعرون» (۲) .

ثم أدمجت آیه أخری فی کلامها بالمناسبه فقالت:

«ویحهم! «أفمن یهدی إلی الحق أحق أن یُتَّبع أم لا یهدّی إلا أن یُهدی فما لکم کیف تحکمونِ» (۳) .

هذه الآیه الشریفه تشیر إلی بحث الهدایه، و المقارنه بین الذی یهدی إلی الحق، و یرشد الناس إلی الطریق و بین الذی لا یهتدی و لا یعرف الطریق إلاَّ أن یُهدی، أی یهدیه غیره، أیهما أحق بالإتّباع؟ و أیّهما یستحق أن یکون قائداً للأمه؟

و هنا تقصد السـیده فاطمه الزهراء (علیهاالسـلام) من هذه المقارنه أن علیاً هو الرجل الکامل علماً و فضلاً و عقلاً، و مواهب، فهو أولی بالقیاده، و أحری بالاتباع من أفراد لیسوا فی المستوی المطلوب فی

۱- ۵۴۴. الکهف ۱۰۴.

۲- ۵۴۵. البقره: ۱۱، ۱۲.

۳- ۵۴۶. یونس: ۳۵.

العلم و العقل و التدبير و ما شابه ذلك من لوازم القياده.

و التاريخ يثبت كلا الجانبين: جانب الكمال فى الامام علىّ (عليه السلام)، و جانب النقص فى غيره.

«أما: لعمرى! لقد لقحتْ» إن الميكروبات- التى تتكون فى البدن، و تنتج أمراضاً صعبه العلاج- إنما تبدأ من الجرثومه التى تدخل فى الدم، و هناك تتلاقح، و بمرور الزمان تنتشر الميكروبات فى الدم، و تؤثر على الكريات البيض و الحمر، و هناك الويلات، و هناك، الملاريا و الكوليرا، و هناك السرطان، و هناك المرض الذى يعمّ البدن و يشمل الجسد كله.

تقول السيده فاطمه الزهراء: «أما لعمرى! لقد لقحت» لقحت جرثومه الفتنه فى الأمه الإسلاميه، و الفتنه فى طريقها إلى التوسع و الانتشار.

«فنظره ريثما تنتج» أى انتظروا حتى تنتشر الميكروبات فى هيكل المجتمع الإسلامى، فبعد أن كانت القياده الصالحه اللائقه تقود المسلمين و إذا بقياده معاكسه و مغايره لها تماماً تزاحمها و تحل محلها.

و بعد أن كانت الأحكام الإسلاميه الطريه المعتدله تسود المجتمع الإسلامى إذ بأحكام منبعثه عن الهوى و عن آراء شخصيه متطرفه تقوم مقام تلك الأحكام.

و هكذا تتبدل المفاهيم، و تتغير المقاييس.

«ثم احتبلوا مل ء القعب دماً عبيطاً».

ان الناقه إذا ولدت يُحلب منها اللبن، و لكن الفتنه إذا لقحت و أنتجت يحلب منها الدم لا اللبن، أى تتكون المجازر و المذابح، فبعد أن كان الدين الإسلامى دين الأمن و الحياه و السلام فى الواقع و إذا به ينقلب مفهومه لدى هؤلاء فيصبح دين الإباده و الهلاك، و الدمار و الفناء.

انظر إلى التاريخ الإسلامى الذى شوّهه هؤلاء.

تجد أنهاراً من الدماء التى جرت من أجساد المسلمين!

و تجد التلال التى تكونت من جثثهم!

فمثلاُـ ذكر المؤرخون أن عثمـان بن عفان قام بأعمال منافيه للقرآن و السـنه، فعاتبه المسـلمون على ذلك، و لكنه لم يرتـدع بل استعمل العنف و القوه معهم ضرباً و سباً و تبعيداً و تهديداً.

و أخيراً اثارت أعماله فى المسلمين هياجاً عاماً، و كانت عائشه تهيّج الناس ضدّه و هكذا طلحه و ابن العاص.

و أخيراً اثارت قتلوا عثمان.

و إذا بالـذين كانوا يحرّضون الناس ضـده خرجوا يطلبون بـدمه!! و قد قُتل عثمان فى المدينه، و ذهب هؤلاء إلى البصـره يطلبون بدمه، و بين المدينه و البصـره أكثر من ألف كيلومتر، فأجّجوا نيران الحرب هناك، فقتل فى حرب البصره خمسه و عشرون ألف إنسان!

ثم نهض معـاويه زاعماً أنه يطلب بـدم عثمان، فقامت الحرب فى منطقه سوريه بالقرب من مـدينه حلب يقال لها «صـفين» و هـدأ القتال و على الأرض تسعون ألف قتيل!

ثم صارت واقعه النهروان فقتل فيها أربعه آلاف إنسان.

ثم خرج بسـر بن أرطـاه– من الشـام و قصـد المـدينه و مكه و اليمن و فى طريقه كان يقتل الناس، حتى قتل من شـيعه علىّ (عليه السلام) فى اليمن و غيره ثلاثين ألف انسان!.

خذ القلم بيدك و احسب مجموع القتلى:

۰۰۰/ ۲۵ ۰۰۰/ ۹۰ ۰۰۰/ ۴ ۰۰۰/ ۳۰ = ۰۰۰/ ۱۴۹.

هؤلاء القتلى، و لا تسأل عن الجرحى، و لا تسأل عن أرامل هؤلاء،

ص: ۴۶۸

و أيتامهم، و مضاعفات تلك المآسی، و لا تسأل عن الدموع الجاريه، و العيون الباكيه، والقلوب الملتهبه، و الآهات و الأحزان التی جعلت تلک الحياه جحيماً علی ذلک المجتمع بکافه جوانبه و نواحيه، کل ذلک فی خلال أربع سنوات!! و هل انتهت المأساه هنا؟

لا، بل هناک مآسی و مجازر و مذابح تقشعر منها الجلود، و سوف نذکر بعضها فی هذا الکتاب.

نعم، لا- تزال السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) تخبر عن الفجائع و الفظائع التی هی فی طريق الأمه الإسلاميه، و کامنه لها بالمرصاد.

ليس هذا التنبؤ إخباراً عن الغيب، بل إخبار عن نتائج الأعمال و مضاعفاتها، فالطبيب الحاذق إذا نظر إلی إنسان لا يراعی أصول الصحه فی مأکله و مشربه و تنفسّه و يستعمل الأشياء الضاره فإن الطبيب يخبره بمصيره المظلم، و الأمراض الفتاکه التی تقضی علی حياته من جرّاء تلک الأعمال المنافيه لأصول الصحه العامه.

و کذلک السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) تنظر إلی ذلک المجتمع و سوء اختيار الأمه للقياده غير الصالحه، فتنکشف لها العواقب السيئه التی يؤول إليها أمر الأمه الإسلاميه ببرکات تلک القياده!!

تقول: «ثم احتلبوا مل ء القعب دماً عبيطاً» و فی نسخه: «طلاع القعب» أی القدح الکبير الضخم الذی يتفايض بالدم حتی يسيل منه، و المقصود کثره الدماء التی تُراق.

«و ذعافاً ممقراً مبيداً» أی احتلبوا الدم، و احتلبوا السمّ المرّ المهلک، و المقصود منها: النتائج السيئه التی عمَّ شؤمها الإسلام و المسلمين من الويلات و المصائب التی انصبّت علی المسلمين.

«هنالک يخسر المبطلون» أی عند ذلک يظهر خسران المبطلين.

«و يعرف التالون غبَّ ما أسَّسه الأولون» يعرف الآخرون عاقبه الأعمال التی أسّسها الأوّلون.

«ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً» يقال: طب نفساً: أی أسكن و اهدأ عن القلق و هذا كما يقال للظالم: قرَّت عينک، أو بشراک و أمثالها من الكلمات التی يراد بها العكس فی الكلام لا الحقيقه.

«و اطمأنوا للفتنه جاشاً» أی فلتسكن للفتنه قلوبكم، و هذا أيضاً يراد به العكس، فإن القلب لا يسكن للفتنه و إنما يسكن للأمان و السلامه.

«و ابشروا بسيف صارم و سطوه معتد غاشم» هذه الكلمه علی غرار قوله تعالی: «فبشّرهم بعذاب أليم» و هذه الكلمه أو الجمله أيضاً علی العكس.

«و هرج شامل» و فی نسخه: «و هرج دائم شامل» الهرج: الفتنه و الفوضی و اختلال الأمور.

«و استبداد من الظالمين» الاستبداد: الدكتاتوريه، و العمل علی خلاف المقاييس و الموازين، لا تحت أی نظام أو قانون أو شريعه أو دين.

«يَدَع فيئكم زهيداً و جمعكم حصيداً» أی ذلک الاستبداد أو المقصود من ذلک جميع ما تقدم من قولها: سيف صارم و سطوه معتد غاشم و هرج و استبداد و مجموع هذه الأشياء يدع فيئكم زهيداً أی يجعل الغنائم و الخراج حقوقكم الماليه زهيداً ای قليلاً «و جمعكم حصيداً» و فی نسخه: «و زرعكم حصيداً» أی محصوداً، و المقصود أن السلطه التی تحكم عليكم يتصرفون فی غنائمكم حسب مشتهياتهم و يجرّونها إلی أنفسهم فلا ترون منها إلاّ القليل، و يحصدون جمعكم أی جماعتكم بسيوفهم.

ص: ۴۷۰

و كلها إخبارات بالمستقبل المظلم الذى كان بالمرصاد للمسلمين، و المآسى و الكوارث التى تنزل بهم، و الويلات التى تنصبّ عليهم!

و لقد تحقّق كل هذا: و هذا كله، لقد ابتلى المسلمون بفجائع و مذابح و مآسى لا يستطيع أحد أن يتصوّرها، فوالله أنّهم سوّدوا تاريخ الإسلام، و شوّهوا سمعه هذا الدين، و إليك بعض تلك الحوادث شاهداً على ما نقول:

لقد ذكرنا- فيما مضى- بعض المجازر التى قام بها أصحاب الجمل و معاويه و الخوارج و بعض عملاء معاويه، و الآن استمع إلى غيرها:

لو أردنا أن نذكر- هنا ما جرى على الأمه الإسلاميه من الظلم و الجور و الضغط و الكبت و العنف و القسوه، و الاستبداد بالأموال و إراقه الدماء البريئه على أيدى حكام الجور لطال بنا الكلام جداً جداً، فإن التحدّث عن هذه المصائب و الفجائع يحتاج إلى موسوعه و موسوعه.

و لكننا رعايه لأسلوب الكتاب و بمناسبه التحدث عما أخبرت به السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) من الويلات التى كانت بالمرصاد على طريق المسلمين الذين اختاروا تلك القياده التى ما أنزل الله بها من سلطان، و نبذوا وراءهم ولايه آل رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و سلبوهم القدره و الإمكانيه-.

نختار من بين المئات من الفجائع التى انصبت على أهل المدينه فجيعه واحده تقشعرّ منها الجلود، و تشمئز منها النفوس.

و قبل أن أذكر الواقعه لا بأس بذكر مقدمه تمهيديه كى تظهر نتائج تغيير القياده الإسلاميه عن مجراها و أُسُسها:

من الصحيح أن نقول: إن حكام الجور الذين جلسوا على كراسى الحكم، و قبضوا بأيديهم أزمّه الأمور و استولوا على رقاب البشر عن طريق السيف قد رفضوا العمل بالإسلام الذى جاء به محمد (صلى الله عليه و آله و سلم)

فکـانت تصـرّفاتهم لاـ تتفق مع القرآن الکریم و لا السّـنّه النبویه و لا منطق العقل و لا قانون الإنسانیه و لا نظام العـدل و لا تعالیم الإسلام.

بل کانوا یحکمون علی أموال الناس و دمائهم حسب رغباتهم الشخصـیه و شهواتهم النفسیه، و إجابه للحرص و الجشع، و إطاعه لأهوائهم.

فالنـاس لاـ کرامه لهم و لاـ قیمه لحیـاتهم عنـد هؤلاء، و لیس المهم عنـد أولئک الحکام أن یعیش الناس برخاء و رفاه أو یموتوا جوعاً و فقراً و إنما المهم المحافظه علی عرش الحاکم و إبقاء جبروته و إشـباع شهواته و رغباته و ترفه و بذخه و لو کان مستلزماً لإراقه دماء الشعب المسلم البری ء المسکین، و ما قیمه المسلم و ما حرمه الإسلام أمام أهواء الحاکم الدکتاتوری الظالم السفّاک الذی لو کان یؤمن بالله و الیوم الآخر لکان سلوکه علی خلاف تلک الأعمال المناقضه للدین الإسلامی.

و لعلک- أیها القارئ- تتصور و تظن أنّ فی کلامی هذا شیئاً من المبالغه و الإسراف، و لکنک لو اطلعت علی تاریخ الأمویین و العباسـیین و المجازر و المذابـح الجماعیه التی قاموا بها لصدّقت کلامی بل و اعتبرت کلامی هذا أقل من القلیل عن الواقع الذی مرّت به الأمه الإسلامیه عبر القرون!

إنهم جعلوا الحیاه جحیماً و عذاباً ألیماً علی المجتمع الإسلامی الذی کان یعیش تحت سیاطهم و سیوفهم!

و هاک مثالاً واحداً علی بعض ما نقول:

واقعه الحره

بعث یزید بن معاویه مسلم بن عقبه و کان أحد جبابره العرب

و شیاطینهم- بعثه إلی المدینه و معه ثلاثون ألف رجلِ (۱) ، و أوصـی یزیدُ بن معاویه مسلم بن عقبه فقال: إذا ظهرتَ علی أهل المدینه فأبحْها ثلاثاً، و کل ما فیها من مال أو دابه أو سلاح أو طعام فهو للجند.

خرج الجیش نحو مدینه الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) و تصدی خرج أهل المدینه لمقابله الجیش خارج المدینه، و التقی العسـکران خارج البلده فی منطقه یقال لها: «الحَرّه» و هناک وقعت الحرب، و قُتل من أهل المدینه المئات من أبناء المهاجرین و الأنصار و غیرهم من أهل المـدینه، وانهزم الباقون متجهین نحو المـدینه، الا ان جیش الشام یطاردهم حتی و صـلوا المدینه و لاذ المسـلمون بالحرم النبوی فجعل جیش الشام یقتل أهل المدینه عند قبر الرسول (صـلی الله علیه و آله و سلم) حتی ساوی الدم قبر رسول الله!!

و بعد ذلک نادی المنادی فی جیش الشام بأمر قائدهم مسلم بن عقبه: هذه المدینه قد أبحتُها لکم!!!

فما تظن بالجیش الفاتـح الـذی یُعطی له الحریه الکامله، و یرفع عنه کل مسؤولیه؟؟ لقـد عمـد الجیش إلی نهب الأموال و هتک الأعراض، و افتضوّا أکثر من ثلاثمائه عذراء، و وُلد فی تلک السنه ألف مولود لم یُعرف لهم أب.

و أستأذن القارئ لأقول له: حتی أن الرجل منهم کان یزنی بالمرأه المسلمه فی مسجد رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلمٍ) (۲)
.

و کان أفراد الجیش یـدخلون بیوت أهل المـدینه و ینهبون کل ما وجـدوا فیها، و هجم أفراد منهم علی دار أبی سـعید الخدری- الذی کان من مشاهیر أصحاب رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و کان شیخاً کبیراً

۱- ۵۴۷. الامامه و السیاسه ج ۲ ص ۷.

۲- ۵۴۸. کتاب تتمه المنتهی للقمی.

قـد كفّ بصـره- فوجـدوه جالساً على التراب، لأن طائفه من الجيش كانت قد نهبت داره قبل ذاك، و لما فتش الأفراد داره و لم يجدوا شـيئاً ما أحبّوا أن يخرجوا من داره بلا فائده فعمدوا إلى الشـيخ الأعمى المسكين و نتفوا لحيته و شعر حاجبيه و هو يصرح و يقول لهم: أنا أبوسعيد الخدرى!! أنا صاحب رسول الله.

و لكنهم لم يعبأوا بهذه الأسماء، و وجدوا فى بيته عدداً من الحمام فذبحوها و طرحوها فى البئر و خرجوا من داره.

و دخـل أحـدهم دار امرأه قـد نُهب كـلّ ما فيها، فوجـد الرجل تلك المرأه جالسه على الأرض و فى حجرها طفلها يرتضع، فمدّ الرجل يـده و أخـذ برجل الطفل و جذبه من حجر أمه و الثدى فى فمه و ضـرب برأس الطفل الجدار فسال دماغه على الأرض و أمه تنظر إليه.

ثم جمع مسلم بن عقبه أهل المدينه و أخذ منهم الإقرار و الاعتراف بأنهم عبيد مملوكون ليزيد بن معاويه.

و بعد ذلك خرج الجيش من المدينه تاركاً وراءه الجثث و آلاف اليتامى و الأرامل، طعامهم البكاء و شـرابهم الدموع، و فراشهم التراب، و متاعهم الآلام و الآهات و الذعر و العويل.

و تـوجه الجيش نحـو مكه ليحرقوا الكعبه و يقتلوا النـاس فى المسـجد الحرام لأجـل القضـاء على عبـدالله بن الزبير المتحصن فى المسجد الحرام الذى من دخله كان آمناً.

و لا تسأل عن الفجائع التى انصبت على أهل المدينه، فجيعه بعد فجيعه و مصيبه تلو الأخرى.

و أما ما قام به الحجاج بن يوسف الثقفى فى العراق فإنه يشيّب الطفل و هو فى المهد، و يورث الدهشه و الذعر فى القارئ الذى يقرأ تلك

الإضباره السوداء الشوهاء، و تستولی علیه حاله التهوّع و التقیّؤ.

حتی قال عمر بن عبد العزیز: لو جاءت کل أمه بخبیثها و جئنا بالحجاج لغلبناهم.

و قال عاصم: ما بقیتْ لله (عز و جل) حُرمه إلاّ و قد ارتکبها الحجاج!

تَطبیق الخبر مع الواقع

هذه نماذج قلیله و ضئیله بالنسبه لما جری و حدث، و بعد استعراض تلک الفجائع التی یملّ الإنسان الحیاه حین قراءتها- تتضح لنا صحه ما أنذرت به السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) الجماعه التی استبدلت تلک القیاده بقیاده آل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

و یظهر لنا صدق کلامها حین المطابقه و المقارنه بین کلامها: «و ابشروا بسیف صارم، و سطوه معتد غاشم، و هرج شامل، و استبداد من الظالمین یَدَع فیئکم زهیداً، و جمعکم حصیداً» و بین الحوادث و المآسی التی مرّت بها الأمه الإسلامیه.

و أخیراً ختمت السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) خطابها للنساء بهذه الجملات: «فیا حسره لکم» هذه الکلمه مأخوذه من قوله تعالی: «یا حسره علی العباد ما یأتیهم من رسول إلاّ کانوا به یستهزئون» فالمعنی: یا لکم من حسره و ندامه علی ما فاتکم من الخیر و الهدایه، و الأمن و الأمان و الأجر و الثواب فی الدنیا و فی الآخره.

«و أنّی بکم؟» أی ما أدری إلی ما یصیر أمرکم و قد انحرتم عن طریق الهدایه، و وقعتم فی موارد الهلکه و الخسران.

«و قد عمیت علیکم» خفیت علیکم الحقائق بسبب قلّه تدبّرکم فیها

«أنلزمكموها و أنتم لها كارهون» هذه الجمله من قوله تعالى: «قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بيّنه من ربّى و آتانى رحمه من عنده فعميت عليكم أنلزمكموها و أنتم لها كارهون» أى أتريدون منى أن أُكرهكم على المعرفه و أُلجأكم إليها على كره منكم؟

هذا غير مقدور لى و إنّما الواجب علىّ أن أدلّكم بالبيّنه و الطريق و ليس علىّ أن أضطركم على معرفتها.

قطعت السيده فاطمه شريط كلامها مع النساء- هنا- و قامت النساء و خرجن.

قال سويد بن غفله: «فأعادت النساء قولها على رجالهن، فجاء إليها قوم من وجوه المهاجرين و الأنصار معتذرين».

من المؤسف أن القضيه مجمله مبهمه، فليس هنا تصريح بأسماء النساء و لا بأسماء الرجال الذين هم من وجوه المهاجرين و الأنصار.

و إنما المستفاد من مجموع الأحداث أن النساء ما كنّ يعرفن الألعاب السياسيه و ما كنّ يعرفن اتجاه رجالهن فى تلك الفتره العاصفه، فحضرن عند السيده فاطمه الزهراء لعيادتها، فخطبت فيهن السيده الزهراء الخطبه التى مرت عليك، و صبّت جام غضبها على رجالهن، و بعد انتهاء الخطبه قامت كل امرأه و كأنها نائمه فاستيقظت، أو كانت غافله فانتبهت و حصل عندهن شى ء من الوعى و الانتباه. و يعلم الله ما جرى بين تلك النساء و رجالهن من الصياح و النزاع بعد رجوعهن من عياده السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) بحيث جاء رجالهن إلى دار فاطمه معتذرين.

معتذرين عن أى شى ء؟!

ص: ۴۷۶

معتذرین عن تخاذلهم وتقاعدهم عن نصره آل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم)؟!

کأنهم لا یعلمون شیئاً، کأنهم لا یعرفون عن الأحداث شیئاً.

کأنهم لم یبایعوا علیاً (علیه السلام) یوم الغدیر، و ذلک قبل وفاه النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) بسبعین یوماً.

کأنهم لم یسمعوا خطبه الزهراء فی المسجد و احتجاجها مع رئیس الدوله و مع المهاجرین و الأنصار!!

کأنهم لم یسمعوا صرختها عند باب البیت.

و کأنهم ما کانوا بالمدینه و لم یعلموا شیئاً أبداً.

و کأنهم الآن عرفوا الحق فجاءوا معتذرین بأعذار تافهه تائهه بارده:

«و قالوا: یا سیده النساء لو کان أبوالحسن ذکر لنا هذا الأمر من قبل أن نُبرم العهد و نُحکم العقد لما عدلنا عنه إلی غیره».

استمع إلی هذا الاعتذار البعید عن المنطق البعید عن کل مقیاس.

ما أدری أی شی ء کان مفروضاً علی أبی الحسن أن یذکره لهؤلاء؟

أما ذکر لهم الله تعالی قوله: «إنما ولیکم الله و رسوله و الذین آمنوا الذین یقیمون الصلاه و یؤتون الزکاه و هم راکعون»؟

أما سمعوا رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) رافعاً صوته یوم الغدیر: «من کنت مولاه فعلی مولاه، اللهم و ال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر مَن نصره، و اخذلْ من خذله؟

إلی غیرهما من الآیات نزلت فی حق علیّ (علیه السلام) و کلمات الثناء و النصوص الصریحه التی سمعوها من فم رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) الداله علی خلافه علیّ بعده (صلی الله علیه و آله و سلم).

أى شى ء يذكره علىّ لهم؟

فهل كان هناك شى ء مستور أو غير معلوم عند أولئك الشخصيات فيحتاجوا إلى مَنْ يذكر لهم ذلك؟ أو يخبرهم به؟

و بعد هذا كله، أما احتج الإمام أميرالمؤمنين عليهم- بأنواع الاحتجاج- يوم أخذوه من بيته إلى المسجد ليبايع أبابكر؟

أما سمعوا؟!

أما علموا؟!

أما فهموا؟!

ثم انظر إلى كيفيه الاعتذار و سخافه القول: «لو كان أبوالحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نبرم العهد و نحكم العقد لما عدلنا عنه إلى غيره».

سبحان الله! أما أبرمتم العهد؟!

أما أحكمتم العقد يوم الغدير؟ و بايعتم علياً بالخلافه بأمر الله و أمر رسوله؟

فهل كنتم تلعبون يومذاک او تستهزئون بالله و رسوله؟

فالعجب أنه جاز لكم أن تنقضوا ذلك العهد و تنكثوا ذلك العقد و لكن اليوم لا يجوز لكم النكث و النقض لتلك البيعه التى كانت هى نقضاً و نكثاً للبيعه السابقه التى بايعتم علياً يوم الغدير!!

نعم، هكذا اعتذروا، اعتذروا بهذه الأعذار المزيفه، و لهذا طردتم السيده فاطمه من بيتها، و قالت لهم:

«إليكم عنى» تباعدوا عنى، أمسكوا كلامكم عنى.

«فلا عذر بعد تعذيركم» التعذير: التقصير فى الاعتذار، و المعذّر: المقصّر الذى يريک إنه معذور و لا عذر له، قال تعالى: «و جاء المعذرون

من الأعراب ليؤذن لهم» (۱) .

لعل المقصود ليس لكم عذر صحيح بعد تعذيركم و تقصيركم.

«و لا أمر بعد تقصيركم» أى ليس لنا أمر معكم بعد هذه المواقف التى كانت لكم.و هكذا طردتهم السيده فاطمه من بيتها بعد أن زيّفت أعذارهم.

۱- ۵۴۹. سوره التوبه: ۹۰.

مصادر الخطبه فی النساء

أيها القارئ الكريمّ! لقد قضينا معک برهه من الزمان فی رحاب کلمات السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) التی خطبت بها فی المسجد و فی بيتها و فی فراش العله و المرض، و قد تبين لک الکثير من الحقائق التی اشتملت عليها خُطب السيده الزهراء.

و قد ذکرنا لک بعض المصادر لخطبتها التی خطبت بها فی المسجد، و لا بأس أن نذكر- هنا- بعض مصادر خطبتها التی خطبت بها للنساء:

١- معانی الأخبار للشيخ ابن بابويه المتوقی سنه (٣٨١) ينتهی سند الخطبه إلی فاطمه بنت الحسين (عليهماالسلام).

٢- و يروی أيضاً بإسناده عن عمر بن علی بن أبی طالب (عليه السلام) يروی عن أبيه أميرالمؤمنين علی بن أبی طالب (عليهماالسلام).

٣- الطبرسی فی الاحتجاج عن سويد بن غفله کما تقدم الکلام فی أول الخطبه.

۴- أمالی الشيخ الطوسی يروی بإسناده عن ابن عباس.

۵- دلائل الإمامه للطبری يروی بإسناده عن الإمام علیّ بن الحسين زين العابدين (عليهماالسلام).

۶- بلاغات النساء لأبی الفضل بن أبی طاهر يروی بإسناده عن عطيه العوفی.

٧- کشف الغمه للاربلی ص ١۴٧ يروی عن کتاب السقيفه لأحمد بن عبد العزيز الجوهری.

٨- ابن أبی الحديد فی شرح نهج البلاغه يروی أيضاً عن الجوهری.

٩- أعلام النساء تأليف عمر رضا کحّاله ج ۴ ص ١٢٣.

١٠- الشيخ المجلسی فی العاشر من کتابه بحارالأنوار ج ۴٣.

ص: ۴٨٠

اتمام الحجه علی المهاجرین و الانصار

کان الانسب ان یکون هذاالبحث قبل خطبها التی خطبت بها للنساء، و لکن رعایه لتوالی خطبها ذکرنا کما سلف.

کان الإمام أمیرالمؤمنین (علیه السلام) یسیر علی خطه حکیمه تتفقْ مع العقل و المنطق و الدین، و ینتهز الفرص لإحقاق حقه و إثبات مظلومیته و إتمام الحجه علی ذلک المجتمع، بل و تسجیلها فی سجل التاریخ، کی یعلم ذلک الشعوب التی جاءت بعد ذلک الیوم و إلی یومنا هذا و إلی ما شاءالله.

من الصحیح أن نقول: إن الإمام علیاً (علیه السلام) کان یری لزاماً علیه أن یتم الحجه علی الناس، و یبیّن لهم أن الخلافه من حقه الذی جعله الله و رسوله له، حتی إذا کان عالماً أن الناس لا یتجاوبون معه، و هکذا یبین لهم أن فدک من حق السیده فاطمه الزهراء.

فهو- شرعاً خلیفه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) سواءً أذعن له الناس أو لم یذعنوا، و سواء خضع له المجتمع أو لم یخضع و هکذا إن فدک مِلکٌ للسیده فاطمه الزهراء سواءً أعطوها حقها أو لا.

و السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) لها المکانه المرموقه و الشخصیه المشهوره فی ذلک المجتمع، فلا بأس لو أن السیده الزهراء تتکلف و تتجشم تأیید زوجها فی إثبات الحق و الحقیقه و المطالبه بحقها، فلا عجب إذا کانت ترافق زوجها العظیم، و ولدیها سیدی شباب أهل الجنه، و تستنجد بالصحابه لئلا یکون للناس علی الله حجه، لئلا یقولوا: کنا غافلین ناسین أو

جاهلين. و لماذا ما جاءنا عليٌّ ليذكِّرنا، ليخبرنا، ليعرّفنا الحق و الحقيقه؟ و لهذا كان عليّ (عليه السلام) يحمل السيده فاطمه الزهراء على أتانٍ، فيدور بها أربعين صباحاً على بيوت المهاجرين و الأنصار، و الحسن و الحسين معها، و هى تقول:

يا معشر المهاجرين و الأنصار، انصروا الله و ابنه نبيكم، و قد بايعتم رسول الله يوم بايعتموه أن تمنعوه و ذريته مما تمنعون منه أنفسكم و ذراريكم.فَفوا لرسول الله ببيعتكم»!

فما أعانها أحد، و لا أجابها و لا نصرها.

فانتهت إلى معاذ بن جبل فقالت: يا معاذ بن جبل! إنى قد جئتك مستنصره، و قد بايعتَ رسولَ الله على أن تنصره و ذريته، و تمنعه مما تمنع منه نفسك و ذريتك، وإن أبابكر قد غصبنى على فدك و أخرج وكيلى منها.

قال: فَمعى غيرى؟

قالت: لا، ما أجابنى أحد.

قال: فأين أبلغ أنا من نصرك؟

خرجت السيده من دار معاذ و هى تقول له: و الله لا أُناز عنّك الفصيح من رأسى حتى أرِدَ على الرسول الله.

و دخل ابن معاذ فقال لأبيه: ما جاء بابنه محمد إليك؟

قال: جاءت تطلب نصرتى على أبى بكر، فإنه أخذ منها فدكاً.

قال: فما أجبتها؟

قال: قلت: و ما يبلغ نصرتى أنا وحدى؟

قال: فأبيت أن تنصرها؟

قال: نعم!!

قال: فأى شى ء قالت لک؟

قال: قالت لی: و الله لا أُنازعنّک الفصیح من رأسی حتی أرِدَ علی رسول الله.

فقال: أنا و الله لا أُنازعنّک الفصیح من رأسی حتی أرد علی رسول الله.

و ذکر ابن قتیبه الدینوری فی (الإمامه و السیاسه) ص ۱۹: قال: و خرج علی (کرم الله وجهه) یحمل فاطمه بنت رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) علی دابه لیلاً فی مجالس الأنصار تسألهم النصره، فکانوا یقولون یا بنت رسول الله قد مضت بیعتنا لهذا الرجل، و لو أن زوجک و ابن عمک سبق إلینا قبل أبی بکر ما عدلنا به.

فیقول علیّ (کرم الله وجهه) أفکنت أدَع رسولَ الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فی بیته لم أدفنه، و أخرج أُنازع الناس سلطانه؟

فقالت فاطمه: ما صنع أبوالحسن إلاّ ما کان ینبغی له، و لقد صنعوا ما الله حسیبهم و طالبهم.

فاطمه الزهراء فی بیت الأحزان

لا أعلم ماذا کان تأثیر بکاء السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) فی النفوس المریضه حتی شعروا بالانزعاج؟!

و هل بکاء امرأه جالسه فی بیتها یسلب الراحه من تلک الشخصیات الفذه!!؟

لقد اجتمع شیوخ أهل المدینه و أقبلوا إلی أمیرالمؤمنین (علیه السلام) و و قالوا له: یا أباالحسن إن فاطمه تبکی اللیل و النهار فلا أحد منا یتهنأ بالنوم فی اللیل علی فُرشنا، و لا بالنهار لنا قرار علی أشغالنا و طلب معایشنا، و إنا نخبرک أن تسألها إما أن تبکی لیلًا أو نهاراً.

فاقبل امام علی حتی دخل علی فاطمه الزهرا و هی لاتفیق من البکاء، و لا ینفع فیها العزاء فلما راته سکنت هنیه فقال لها: یا بنت رسول الله ان شیوخ المدینه یسالوننی ان اسالک اما ان تبکی لیلا او نهارا.

فقالت: یا أباالحسن ما أقلّ مکثی بینهم! و ما أقرب مغیبی من بین أظهرهم فوالله لا أسکت لیلًا و لا نهاراً أو أُلحق بأبی رسول الله (و صلی الله علیه و آله و سلم).

فقال (علیه السلام): افعلی یا بنت رسول الله ما بدا لکِ! (۱) .

نعم، إن شیوخ المدینه لا یعرفون حق رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و قدره و منزلته، فلو کانوا یعرفون ذلک لکانوا یشارکون ابنته

۱- ۵۵۰. بحارالانوار ج ۴۳.

الوحيده فی البکاء و یساعدونها فی ذرف الدموع علی أشرف میت و أعز فقید.

و یا لیتهم- حین لم یشارکوها و لم یساعدوها- کانوا یسکتون و لا یمنعونها عن البکاء علی مصائبها العظیمه.

و لکنهم معذورون، لأن السیاسه فرضت علیهم أن یمنعوا حبیبه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) عن البکاء علی سید الأنبیاء.

یحق للسیده فاطمه أن تواصل البکاء علی تلک الفاجعه العظمی و الکارثه الکبری لأجل أُناس لهم غایات و أهداف یعلمها الله تعالی.

فبنی لها الإمام أمیرالمؤمنین (علیه السلام) بیتاً نازحاً عن المدینه سُمّی «بیت الأحزان» (۱) و کانت إذا أصبحت قدّمت الحسن و الحسین أمامها، و خرجت إلی البقیع باکیه فلا تزال بین القبور باکیه، فإذا جاء اللیل أقبل أمیرالمؤمنین إلیها و ساقها بین یدیه إلی منزلها.

فلیهنأ أُولئک المنزعجون عن بکاء فاطمه!! و لترتاح ضمائرهم، و لیناموا علی فُرشهم لیلًا نومه عمیقه هنیئه بدون أن یشعروا بالأذی من بکاء فاطمه العزیزه. و نری- هنا- الشعراء یشیرون إلی هذه المأساه التی یظهر فیها الجفاء بأسوأ منظر.

یقول أحدهم:

منعوا البتول عن النیاحه إذ غدت

تبکی أباها لیلها و نهارها

قالوا لها: قَرّی فقد آذیتنا

أنّی؟ و قد سلب المصاب قرارها

ص: ۴۸۵

۱- ۵۵۱. قل السمهودی فی تاریخ المدینه ج ۲ ص ۹۵: ان الغزالی ذکر استحباب الصلاه فی مسجد فاطمه (علیه السلام) بالبقیع، و قال غیره: انه المعروف «بیت الاحزان» لان فاطمه (علیه السلام) اقامت فیه ایام حزنها علی ابیها.

و يقول الآخر:

و القائلين لفاطم: آذيتنا

من طول نَوح دائم و حنين

و قد رأى أحد علمائنا- و هو السيد باقر الهندى- فى المنام الإمام المهدى المنتظر (عليه السلام) فقال له الإمام مشيراً إلى هذه المأساه:

أترانى اتخذتُ لا و علاها

بعد بيت الأحزان سرور؟

ص: ۴۸۶

فاطمه الزهرا طريحه الفراش

أسفى عليها.

أسفى على شبابها.

أسفى على آلامها.

أسفى على قلبها المتوقد الملتهب.

أسفى على خاطرها المنكسر.

صارت طريحه الفراش، أخذ المرض و الهزال منها كل مأْخذ.

و استولى الذبول على تلك الزهره الزهراء.

إنها لا ترجو العلاج و الدواء، و لا تأمل فى البقاء.

إنها تنتظر الموت، تنتظر التخلص من هذه الحياه.

تتمنى أن تلتحق بأبيها الرسول.

لقد اقتربت شمسها نحو الغروب.

لقد كادت شمعه الرسول أن تنطفئ ء.

لقد ضاقت الدنيا و ضيقت عليها.

تنظر إلى زوجها العظيم، جليس الدار، مسلوب الإمكانيات، مغصوباً حقه.

تنظر إلى أملاكها قد صودرت، و إلى أموالها قد غصبت.

استغاثت فلم يغثها أحد، و استنصرت فلم ينصرها أحد.

منعوها عن البكاء على أبيها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) أشرف الآباء.

و عن الامـام البـاقر (عليه السـلام) انه كان من دعائها فى شـكواها: «يا حى يا قيوم برحمتك أسـتغيث فأغثنى، اللهم زحزحنى عن النار و أدخلنى الجنه و ألحقنى بأبى محمد.

فإذا قال لها أميرالمؤمنين: عافاكِ الله و أبقاكِ. تقول: يا أباالحسن ما أسرع اللحاق برسول اللهِ (۱) .

و عن الإمام زين العابـدين عن أبيه الحسـين (عليهماالسـلام) قال: لما مرضت فاطمه بنت رسول الله (صـلى الله عليه و آله و سـلم) وصَّت إلى عليّ بن أبى طـالب (عليه السـلام) أن يكتم أمرهـا و يخفى خبرهـا، و لا يؤذن أحـداً بمرضـها، ففعـل ذلـك، و كـان يمرّضها بنفسه و تعينه على ذلك أسماء بنت عميس على استسرار بذلك.... الى آخرالحديث (۲) .

يستفاد من هـذا الحـديث مدى تألُّم السـيده فاطمه الزهراء من ذلك المجتمع الذى عرفت موقفه اتجاه بنت رسول الله (صـلى الله عليه و آله و سلم) فقد يكون الاستياء عميقاً، فى النفس كالجرح الغائر فى البدن الذى يطول بُرؤُه أو لا يبرأ على مرّ الزمان.

و هكـذا يزهـد الإنسـان المتـألِّم فى المجتمع، و يختـار الاـعتزال عنهم، و بعـد أن كـان يسـتأنس بهم صار لا يحب الالتقاء بهم و التحدث معهم.

و إنما يـدرك هـذه الحاله كل من رأى الجفاء و القساوه من أقاربه أو أصـدقائه أو مجتمعه، فإنه ينزعـج حتى من رؤيتهم فكيف بالتحـدث و المجالسه معهم، و قد يبلغ الأمر بالإنسان أن يملّ الحياه و يفضّل الموت كى يستريح من الحياه التى يعيشـها مع أهل الجفاء و القسوه.

۱- ۵۵۲. دلائل الامامه لابن جرير ص ۴۳ ص ۲۱۷.

۲- ۵۵۳. بحارالانوار ج ۴۳ عن مجالس المفيد.

اختارت السیده فاطمه زوجها العظیم لیقوم بتمریضـها، و لا أعلم کیفیه تمریض الإمام إیاها، فهل کان الإمام یصنع لها طعاماً یلیق بالمرضی، أو یتولی هو أُمور بیته بنفسه؟

و علی کل تقدیر، فقد کانت أسـماء بنت عمیس شرف التعاون فی تمریض السیده فاطمه، و لعل السبب فی انتخابها لهذه المهمه هو أنّه کانت العلاقات بین السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) و بین أسماء بنت عمیس وُدیّه و طیبه للغایه، إلی درجه أنها کانت تعتبر نفسها من أُسره بنی هاشم، و خاصه و أن جعفر بن أبی طالب.

و کانت هی بالذات امرأه عاطفیه، تؤمن بالوفاء و الإنسانیه، و تقدر الحقوق لأهلها. و تلتزم بالقیم و المفاهیم العلیا.

و یستفاد من مطـاوی التاریـخ أنهـا کـانت- بالإضافه إلی ذکائها الوافر و عقلها الوقاد- حسـنه الأخلاق، طیبه المعاشـره، و کانت السیده فاطمه الزهراء تبادلها الحب و الموده و الشعور.

و لما قُتل جعفر بن أبی طالب فی غزوه مؤته و بلغ رسول الله الخبر بکی (صـلی الله علیه و آله و سـلم) و بکت الصـحابه، و وصل الخبر إلی حجرات الرسـول فبکـت الهاشـمیات، و أقبـل الرسـول و دخـل علی أسـماء فـدعی بأولاـد جعفر و جعـل یمسـح علی رؤُوسهم، و یشمهم و یضمهم إلی صدره، فأحست أسماء بالشر و قالت: یا رسول الله هل بلغک شی ء عن جعفر؟

فبکی الرسول و قـال لهـا: احتسبی جعفر فقـد قُتـل. فبکت و صاحت. و أقبل الرسول إلی دار ابنته فاطمه و قال لها: اصـنعی طعاماً لآل جعفر فإنهم مشغولون بالعزاء.

فعمدت السیده فاطمه إلی الدقیق و عجنته و خبزت خبزاً کثیراً، و عمدت

إلى مقدار من التمر و أرسلت بالخبز و التمر إلى دار آل جعفر.

و الجدير بالذكر أن الرسول لم يأمر إحدى زوجاته و لا سائر الهاشميات بذلك فلعل السبب فى ذلك أن الرسول أراد أن يكون هذا الثواب الجزيل من نصيب ابنته فاطمه.

أو أن الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم) اختار لها هذا العمل نظراً للعلاقات الطيبه و السوابق الحسنه و الخدمات الجمه التى أسدتها أسماء بنت عميس إلى أهل بيت الرسول.

فلقد مرّ عليك أن أسماء حضرت عند السيده خديجه ساعه وفاتها، و أنها ساهمت فى التدابير التى اتخذت فى زواج السيده فاطمه الزهراء، بل و حضرت أسماء عند السيده فاطمه ساعه ولاده الإمام الحسين، و قامت بدور القابله المولِّده و ساعدْنها بعض النساء أيضاً.

و بالرغم من أنها تزوجت بأبى بكر بعد مقتل زوجها جعفر فإنها استمرّت على و لائها، و لم تتغير قيد شعره، و حتى بعد وفاه الرسول، و موقف أبى بكر اتجاه أهل البيت كان موقفاً معروفاً.

و بالرغم من الحرب البارده بين أهل البيت و بين السلطه المتمثله فى أبى بكر فإن أسماء بنت عميس لم تتأثر بعواطف زوجها، و تحدّت السلطه تحدّياً لا تنقضى عجائبه.

فكيف كان أبوبكر يسمح لها بالذهاب إلى دار علىّ (عليه السلام) لخدمه الزهراء و خدمه أولادها؟

و كيف لم يأمرها بقطع علاقاتها مع أهل البيت فى تلك الظروف الخاصه؟

و على كل حال، فقد كانت السيده فاطمه الزهراء تستأنس بأسماء و تنسجم معها و تسكن إليها، و تبثُّ إليها آلامها، و كأنها أختها، و كأنها

أحب الناس إليها، و أقربهن إلى قلبها.

قالت لها السيده فاطمه فى أواخر أيام حياتها: كيف أصنع و قد صرت عظماً و قد يبس الجلد على العظم؟

و فى روايه التهذيب عن أبى عبدالله الصادق (عليه السلام) قال...... و قالت فاطمه لأسماء: إنى نحلت و ذهب لحمى، ألا تجعلين لى شيئاً يسترنى؟

قالت أسماء: إنى كنت بأرض الحبشه رأيتهم يصنعون شيئاً أفلا أصنع لكِ، فإن أعجبك أصنع لكِ؟

قالت: نعم.

فدعت (أسماء) بِسرير فأكبته لوجهه، ثم دعت بجرائد فشددته على قوائمه ثم جلَّلته ثوباً فقالت: هكذا رأيتهم يصنعون.

فقالت: اصنعى لى مثله، استرينى سترك الله من النار.

و فى روايه الاستيعاب: فقالت فاطمه: ما أحسن هذا و أجمله لا تعرف به المرأه من الرجل.

و روى انها (عليهاالسلام)- لمارات ما صورته اسماء- تبسمت، و ما رويت مبتسمه-بعد ابيها- الا يومئذ.

اسباب انحراف صحتها

انتشر خبر مرض السيده فاطمه الزهراء فی المدینه، و سمع الناس بانحراف صحتها،و لم تکن تشکو السیده فاطمه الزهراء من داء عضال، بل الهموم و المصائب و الآلام هی التی ادت الی استیلاء الهزال و الذبول علیها.

و کثره البکاء علی أبیها و علی حیاتها ساعدت علی زوال الطراوه و النضاره عن وجهها.

و الجفاء و الخشونه و المواقف غیر المشرفه التی شاهدتها من بعض المسلمین، و انقلاب الأمور، و تبدّل الأحوال و تغیّر الأوضاع السیاسه و الاجتماعیه لان لها اکبر الاثر علیها.

و لقد حدث لها بین حائط دارها و الباب حوادث أدّت إلی سقوط جنینها.

و السیاط التی أدمت جسمها الطاهر، و ترکت فی بدنها آثاراً عمیقه. و الضرب المبرّح الذی ألَّم جسمها و نفسها و روحها.

کل هذه الأمور ساهمت فی انحراف صحتها، و قعودها عن ممارسه أعمالها المنزلیه.

عياده الشيخين للسيده الزهرا

اشاره

انتشر خبر استياء السيده فاطمه (عليه السلام) من السلطه، و نقمتها على الذين آزروا تلك السلطه، و نبذوا وراءهم جميع المفاهيم و القيم، و تناسوا كل آيه من القرآن نزلت فى آل الرسول.

و أعرضوا عن كل حديث سمعوه من شفتى الرسول فى حق السيده فاطمه الزهراء و زوجها و ولديها.

و أخيراً تولَّد شـى ء من الوعى عنـد الناس، و عرفوا أنهم مخطئون فى تدعيم السـلطه الحاكمه التى لا تعترف بها أسـره رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

تلك السلطه التى كان موقفها تجاه بنت الرسول موقفاً غير حسن.

و أخيراً انتبه أفراد السلطه للاستياء العام المستولى على القلوب من سوء تصرفاتهم.

فـأرادو تغطيه أعمالهم و اسـتدراك ما فات، لـذلك قرروا أن يعودوا السـيده فاطمه الزهراء لاسترضائها، و عنـد ذلك ينتهى كل شى ء، و تكون المأساه نسياً منسياً. هكذا تفكروا و تدبروا.

و قـد رأينـا فى زماننـا هـذا الكـثير من المجرمين الـذين يعتـدون على الأبريـاء بالإهـانه و التحقير و الاسـتخفاف و أنـواع الظلم و التعذيب، ثم يأتون إلى المظلوم و يعتذرون منه سرّاً، و هم يحسبون أنهم يغسلون أعمالهم بالاعتذار.

و لكن السيده الزهراء كانت تعرف هذه الأساليب و تعلم كل هذه الأمور.

و إليك الواقعه- كما ذكرها ابن قتيبه فى (الإمامه و السياسه ج ١ (ص ۴) و عمر كحاله فى (أعلام النساء) ٣ ص ٣١۴:

إن عمر قال لأبى بكر (رضـى الله عنه): انطلق بنا إلى فاطمه فإنّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعاً، فاستأذنا على فاطمه فلم تأذن لهما، فأتيا علياً فكلّماه فأدخلهما عليها فلما قعدا عندها حوّلت وجهها إلى الحائط، فسلّما عليها، فلم ترد عليهما- السلام.

فتكلم أبوبكر فقال: يا حبيبه رسول الله! و الله إن قرابه رسول الله أحبُّ إلىَّ من قرابتى و إنك لأحبّ إلى من عائشه ابنتى، و لوَددت يوم مات أبوكِ أنى متُّ و لا أبقى بعده، أترانى أعرفكِ و أعرف فضلك و شرفك، و أمنعك حقك و ميراثك من رسول الله؟

إلاّ أنى سمعت أباك رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يقول: لا نورّث، ما تركناه فهو صدقه.

فقالت: أرأيتكما أن حدّثكتما حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) تعرفانه و تفعلان به؟

فقالا: نعم.

فقالت: نشدتكما الله: ألم تسمعاً رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) يقول:رضا فاطمه من رضاى، و سخط فاطمه من سخطى، فمن أحب فاطمه ابنتى فقد أحبنى، و من أرضى فاطمه فقد أرضانى، و من أسخط فاطمه فقد أسخطنى؟

قالا: نعم، سمعناه من رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم).

قالت: فإنى أُشهد الله و ملائكته أنكما أسخطتمانى و ما أرضيتمانى،

و لئن لقيت النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) لأشكونكما إليه.

فقال أبوبكر: أنا عائذ بالله تعالى من سخطه و من سخطك يا فاطمه. ثم انتحب أبوبكر يبكى، حتى كادت نفسه أن تزهق، و هى (فاطمه) تقول: و الله لأدعونَّ عليك فى كل صلاه أصليها.

ثم خرج باكياً، فاجتمع الناس إليه فقال لهم: يبيت كل رجل معانقاً حليلته، مسروراً بأهله و تركتمونى و ما أنا فيه، لا حاجه لى فى بيعتكم، أقيلونى بيعتى».

العياده بصوره أخرى

فى علل الشرائع: لما مرضت فاطمه (عليهاالسلام) مرضها الذى ماتت فيه أتاها أبوبكر و عمر عائدين، و استأذنا عليها فأبت أن تأذن لهما، فلما رأى ذلك أبوبكر أعطى الله عهداً أن لا يظلّه سقف بيت حتى يدخل على فاطمه و يترضّاها، فبات فى الصقيع، ما أظلّه شىء، ثم إن عمر أتى عليّاً (عليه السلام) فقال له: قد أتيناها (فاطمه) غير هذه المره مراراً نريد الإذن عليها و هى تأبى أن تأذن لنا حتى ندخل عليها فنترضّى، فإن رأيت أن تستأذن لنا عليها فافعل.

قال: نعم، فدخل على (عليه السلام) على فاطمه فقال: يا بنت رسول الله قد كان من هذين الرجلين ما قد رأيت، و قد تردّدا مراراً كثيره و رددتهما و لم تأذنى لهما، و قد سألانى أن أستأذن لهما عليك.

فقالت: و الله لا آذن لهما، و لا أُكلمهما كلمه من رأسى حتى ألقى أبى فأشكوهما إليه بما صنعاه و ارتكباه منى؛

قال على: فإنى ضمنت لهما ذلك.

قالت: إن كنت ضمنت لهما شيئاً فالبيت بيتك، و النساء تتبع

الرجال، لا أَخالف عليک بشی ءٍ، فأْذن لمن أحببت.

فخرج علیّ فأذن لهما، فلما وقع بصرهما علی فاطمه سلّما علیها، فلم تردّ علیهما،و حوَّلت وجهها عنهما، فتحوّلا و استقبلا وجهها حتی فعلت مراراً و قالت: یا علیّ جافِ الثوب و قالت- لنسوه حولها-: حّوّلن وجهی!! فلما حوّلن وجهها حوّلا إلیها فقال أبوبکر: یا بنت رسول الله إنما آتیناک ابتغاء مرضاتک و اجتناب سخطک، نسألک أن تغفری لنا و تصفحی عما کان منا إلیک.

قالت: لا أُکلّمکما من رأسی کلمه واحده حتی ألقی أبی و أشکو کما إلیه، و أشکو صنیعکما و فعالکما و ما ارتکبتما منی.

ثم التفتت إلی علیّ و قالت: إنی لا أُکلمهما من رأسی حتی أسألهما عن شی ء سمعاه من رسول الله، فإن صدقا رأیت رأیی.

قالا: اللهم ذلک لها، و إنا لا نقول إلّا حقاً و لا نشهد إلّا صدقاً.

فقالت: أنشدکما بالله: أتذکران أن رسول الله استخرجکما فی جوف اللیل بشی ء کان حدث من أمر علیّ؟

قالا: اللهم نعم.

فقالت: أُنشدکما بالله هل سمعتما النبی یقول: فاطمه بضعه منی و أنا منها، من آذاها فقد آذانی، و من آذانی فقد آذی الله، و من آذاها بعد موتی کان کمن آذاها فی حیاتی، و من آذاها فی حیاتی کان کمن آذاها بعد موتی؟

قالا: اللهم نعم.

فقالت: الْحمد لله. ثم قالت:

اللهم إنی أُشهدک فاشهدوا یا من حضرنی: أنهما قد آذیانی فی حیاتی و عند موتی.و الله لا أُکلِّمکما من رأسی کلمه حتی ألقی ربی فأشکو کما

إليه بما صنعتما به و بی، و ارتکبتما منی.

فدعا أبوبکر بالویل و الثبور و قال: لیت أمی لم تلدنی!!

فقال: عمر: عجباً للناس کیف ولّوک أُمورهم و أنت شیخ قد خرفت!! تجزع لغضب امرأه و تفرح برضاها؟ و ما لمن أغضب امرأه؟ و قاما و خرجا.

قال: نعم.

قالت: فهل انت صانع ماآمرک؟

قال: نعم.

قالت: فانی انشدک الله ان لا یصلیها علی و لا یقوماعلی قبری (۱) .

أقول: لا حاجه إلی هذا البکاء المرّ الذی أو شک علی إزهاق الروح- علی حد تعبیر روایه ابن قتیبه- و لا داعی بأن ینادی أبوبکر بالویل و الثبور و بإمکانه أن یُرضی السیده فاطمه بأن یردّ إلیها حقوقها، و یرفع یده عن أراضیها،و یعتذر عن أعماله.

و لکن الخلیفه یرید أن یبقی علی اعتدائه و علی موقفه- الذی عرفته- بدون أی تنازل، و فی نفس الوقت یرید أن ترضی عنه فاطمه الزهراء!؟.

لا أظن أن أیَّ إنسان أو مسلم أو قانون أو شعب یرضی بهذا، و لا أظن أن شریعه أو دیناً أو ضمیراً أو وجداناً أو منطقاً یقول بهذا، سوی منطق العنف و الضغط، و منطق القوه و القدره.

و لکن السیده فاطمه أقوی نفساً و روحاً من أن تخضع لهذا المنطق أو بالأحری: أن تنخدع بهذه المظاهر!؟

۱- ۵۵۴. بیت الاحزان ص ۱۴۵.

و هنا سئوال قد يتبادر إلى ذهن القارئ و هو: ما الذى دعا أبابكر أن يلين و يخضع هكذا؟

و ما دعا الزهراء أن تثبت على رأيها، و لا تتضعضع عن موقفها؟ لقد أجاب الجاحظ على هذا السؤال، و كفانا مؤونه الجواب قال فى رسائله ص ۳۰۰ «... فإن قالوا: كيف تظن به ظلمها و التعدى عليها، و كلما ازدادت عليه غلظه ازداد لها ليناً و رقّه حيث تقول له: و الله لا ـ أُكلمك أبداً، فيقول: و الله لا ـ أهجرك أبداً، ثم يتحمل منها هذا الكلام الغليظ و القول الشديد فى دار الخلافه و بحضره قريش و الصحابه مع حاجه الخلافه إلى البهاء و التنزيه، و ما يجب لها من الرفعه و الهيبه، ثم لم يمنعه ذلك عن أن قال معتذراً متقرباً كلام المعظَّم لحقها، المكبِّر لمقامها، الصائن لوجهها، المتحنِّن عليها: «ما أحد أعز علىَّ منك فقراً و لا أحب إلىّ منك غنى، و لكن سمعت رسول الله يقول: إنا معاشر الأنبياء لا نورِّث ما تركناه صدقه»؟؟

قيل لهم: ليس ذلك بدليل على البراءه من الظلم، و السلامه من الجور. و قد يبلغ من مكر الظالم و دهاء الماكر إذا كان أريباً و للخصومه معتاداً أن يظهر كلام المظلوم و ذلَّه المنتصف، و حدب الوامق و مقت المحقّ... الى آخر كلامه».

ص: ۴۹۸

عیاده ام سلمه للسیده فاطمه الزهراء

تعتبر السیده ام سلمه من خیره زوجات رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فی حیاته و بعد مماته.. فلم توذ النبی بکلامها او تصرفاتها، و لم تتامر علیه مع ضراتها- کما حدث من بعضهن فی قصه المغافیر و نزول قوله تعالی: «یا ایها النبی لم تحرم ما احل الله لک تبتغی مرضات ازواجک»-.

بل احسنت صحبته و معاشرته فی حیاته.

و بعد وفاته (صلی الله علیه و آله و سلم) کانت لها مواقف مشرفه و مشکوره تجاه آل رسول الله، و لم تنحرف عنهم فی خضم الاحداث التی عصفت بهذه الذریه الطاهره، بل وقفت موقف المدافع و المحامی و الناصر، و شارکتهم فی الآلام و الاحزان.

و لما مرضت السیده فاطمه (علیهاالسلام) دخلت علیها ام سلمه عائده لها فقالت: کیف اصبحت عن لیتک (۱) یا بنت رسول الله؟

قالت (علیهاالسلام): اصبحت بین کمد و کرب، فقد النبی و ظلم الوصی.

هتک- و الله- حجاب من اصبحت امامته مقتضیه، علی غیر ما شرع الله فی التنزیل،و سنها النبی فی التاویل، و لکنها احقاد بدریه، و ترات احدیه (۲) کانت علیها قلوب النفاق متمکنه...» الی آخر کلامها (علیهاالسلام) (۳) .

۱- ۵۵۵. و فی نسخه: علتک

۲- ۵۵۶. ترات: جمه تره- کعده-: الانتقام.

۳- ۵۵۷. المناقب لابن شهر آشوب ج ۲ ص ۲۰۵.

و الجـدير بالـذكر: ان السـيده ام سـلمه هى الوحيـده- من بين زوجـات النبى- التى جـاءت لزياره فاطمه الزهراء (عليهاالسـلام) و عيادتها و السوال عن صحتها.

فاين كانت غيرها من الزوجات؟!

و لماذا لم يشاركنها فى الآلام- و هى البنت الوحيده لرسول الله-؟!

هذا... و سوف تقرا ان السيده فاطمه اوصت الى اميرالمومنين (عليهماالسلام) ان يخبر ام سلمه بوفاتها.

ص: ۵۰۰

عیاده عائشه بنت طلحه للسیده فاطمه الزهراء

و دخلت علیها عائشه بنت طلحه فقالت: بابی انت و امی: ماالذی یبکیک؟

فقالت (علیهاالسلام) لها: اسائلتی عن هنه حلق بها الطائر و حفی بها السائر، و رفع الی السماء امرا، و رزئت فی الارض خبرا؟!

ان قحیف تیم، و احیول عدی (۱) جازیا اباالحسن فی السباق، حتی اذا تفریا بالخناق اسرا له الشنان (۲) و طویاه الاعلان.

فلما خبا نور الدین، و قبض النبی الامین، نطقا بفورهما، و نفثا بسورهما (۳) و ادالا بفدک (۴) فیالها لمن ملک.

انها عطیه الرب الاعلی للنجی الا و فی، و لقد نحلنیها (صلی الله علیه و آله و سلم) للصبیه السواغب من نجله و نسلی، و انها لبعلم الله و شهاده امینه.

فان انتزعا منی البلغه، و منعانی اللمظه، احتسبها یوم الحشر زلفه، و لیجدنها آکلوها ساعره حمیم فی لظی جحیم (۵) .

---

۱ – ۵۵۸. قحیف تصغیر قحف، باعتبار ان ابابکر هو ابی قحافه، و قحافه مشتق من القحف و هو جرف ما فی الاناء من ثرید و غیره، فهو کنایه عن الجشع و الاکل و الشرب بنهم شدید/ لسان العرب- حرف الفاء. احیول: تصغیر احول، و هو الذی فی عینه حول ای: تغییر.

۲- ۵۵۹. الشنان: البغضاء.

۳- ۵۶۰. الفور: الغلیان و الاضطراب. نفث: تکلم، و منه: نفثث الشیطان علی لسانه. السور- بفتح السین و الواو- حده الشی و شدته.

۴- ۵۶۱. ادالا: غلبا.

۵- ۵۶۲. کتاب الامالی للشیخ الطوسی ج ۱ ص ۲۰۷.

العباس يحاول عياده السيده فاطمه

اشتد المرض بسيده نساء العالمين، و ثقلت، فجاءها العباس بن عبدالمطلب عائداً، فقيل له، إنها ثقيله، و ليس يدخل عليها أحد، فانصرف إلى داره و أرسل إلى على (عليه السلام) فقال لرسوله: قل له: يا ابن أخ! عمُّك يقرئك السلام و يقول لك: لله قد فاجأنى من الغم بشكاه حبيبه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و قره عينه و عينى فاطمه ما هدّنى، و إنى لأظنها أولنا لحوقاً برسول الله (صلّى الله عليه و آله و سلم) يختار لها و يحبوها و يزلفها لربه.

فإن كان من أمرها ما لا بدَّ منه فاجمع- أنا لك الفداء- المهاجرين و الأنصار حتى يصيبوا الأجر فى حضورها و الصلاه عليها، و فى ذلك جمال للدين.

فقال على (عليه السلام) لرسوله- و هو عمار:- أبلغ عمى السلام و قل: لا عدمتُ إشفاقك و تحيتك، و قد عرفت مشورتك، و لرأيك فضله، إن فاطمه بنت رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لم تزل مظلومه، من حقها ممنوعه، و عن ميراثها مدفوعه، و لم تُحفظ فيها وصيه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و لا رُعى فيها حقه و لا حق الله (عز و جل)، و كفى بالله حاكماً و من الظالمين منتقماً و أنا أسألك يا عم أن تسمح لى بترك ما أشرت به، فإنها و صّتنى بستر أمرها.

فلما بلّغ الرسول كلام على إلى العباس قال: يغفر الله لابن أخى فإنه

لمغفور له، إنَّ رأى ابن أخى لا يُطعن فيه، إنه لم يولـد لعبـد المطلب مولود أعظم بركه من على إلاَّ النبى (صـلى الله علیه و آله و سلم).

إن علياً لم یزل أسـبقهم إلى كـل مكرمه، و أعلمهم بكـل فضـيله، و أشـجعهم فى الكريهه، و أشـدَّهم جهاداً للأعـداء فى نصـره الحنيفيه، و أول من آمن بالله و رسولِهِ (١) .

ص: ۵۰۳

۱- ۵۶۳. بحارالانوار ج ۴۳.

فاطمه الزهرا على اعتاب الاخره

كانت السيده فاطمه الزهراء فى ذلك اليوم- اليوم الأخير من حياتها- طريحه على فراشها المتواضع، و قد أخذ الهزال منها كل مأخذ، و ما بقى منها سوى الهيكل العظمى فقط.

نامت السيده فاطمه فى ساعه من ساعات ذلك اليوم، و إذا بها ترى أباها رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) فى المنام، و لعل تلك المرَّه هى الأُولى و الأخيره التى رأت الزهراء أباها الرسول فى المنام.

رأت أباها فى قصر من الدر الأبيض، فلما رآها قال (صلى الله عليه و آله و سلم): هلمِّى إلىَّ يا بُنَيَّه، فإنِّى إليكِ مشتاق!!

فقالت: و الله إنى لأشد شوقاً منك إلى لقائك.

فقال لها: أنت الليله عندى!!

انتبهت من غفوتها، واسْتِعدَت لِلرّحيل إلى الآخره، فقد سمعت من أبيها الصادق المصدَّق الذى قال: «من رآنى فقد رآنى» سمعت منه نبأ ارتحالها فلا مجال للشك و التردد فى صدق الخبر.

فتحت عينها، و استعادت نشاطها، و لعلها كانت فى صحوه الموت و قامت لاتخاذ التدابير اللازمه، و اغتنمت تلك السويعات الأخيره من حياتها.

و يعلم الله مدى انشغال قلبها و تشتّت فكرها فى تلك اللحظات، فهى مسروره بالموت الذى سوف يُحلُّ بها، فإنها تستريح من هموم الدنيا

ص: ۵۰۴

و غمومها، و تلتحق بأبيها الرسول الأعظم (صلی الله علیه و آله و سلم) حیث الرفیع الأعلی و الدرجات العلا فی مقعد صدق عند ملیک مقتدر، و تتحقق فی حقها البُشری التی زفّها إلیها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) یوم قال لها: أنت أوّل أهل بیتی لحوقاً بی.

و لکنها من ناحیه أخری: یضطرم قلبها لأنها سوف تترک زوجها العظیم و کفؤها الکریم وحیداً غریباً فی هذه الحیاه القاسیه، بلا ناصر و لا معین سوی الله تعالی، فلقد کانت الزهراء خیر محامیه و مدافعه و ناصره لزوجها فی تلک الأحداث، فمن الذی یقوم مقامها إذا هی فارقت الحیاه؟

و مما کان یؤلمها فی تلک السویعات أکثر و أکثر و کان یضغط علی قلبها- أنها تفارق أطفالها الصغار، و کأنهم أفراخ لم تنبت أجنحتهم بعد، و قد ذکرنا (فیما مضی) أن من جمله أسمائها: الحانیه، لأنها ضربت الرقم القیاسی فی الحنان و العطف علی أولادها، و کانت أکثر أُمهات العالم حباً و شفقه علی أطفالها الأعزاء.

إنها ستترک أفلاذ کبدها أهدافاً لسهام هذا الدهر الخؤون الذی لا یرحم کبیراً و لا صغیراً، و لا وضیعاً و لا شریفاً، و خاصه و أنها قد سمعت من أبیها الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) مرات عدیده: أن آل رسول الله هم المستضعفون وأنهم سوف یرون أنواع الاضطهاد و ألوان المصائب و الذل و الهوان، کما شاهدت هی ذلک بعد وفاه أبیها الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم).

و یعلم الله کیف کانت هذه الهواجس و الأفکار تهاجم قلبها المنکسر المتألم. و علی کل حال: فالحزن هنا لا یجدی و لا ینفع، و لا بد من الاستسلام للواقع المر، و التسلیم لأمر الله و قضائه و لا بدّ من انتهاز هذه الفرصه القصیره

التی تمر مرّ السحاب.

أقبلت الزهراء تزحف أو تمشی مُتكاه علی الجدار نحو الموضع الذی یوجد فیه الماء من بیتها، و شرعت تغسل أطفالها بیدیها المرتعشتین، ثم دعت أطفالها و طفقت تغسل رُؤوسهم بالماء و الطین، لأنها لم تجد غسیلاً غیر الطین.

قف بنا لحظه!! لنبكی علی هذه السیده التی قد اقترب أجلها، و هی تلمس رُؤوس أطفالها و أبدانهم النحیفه، و كأنها تودعهم، و ما یدریک أنها- حینذاک- كانت تبكی بصوت خافت، و تتقاطر الدموع من جوانب عینیها الغائرتین، و تسیل علی وجهها المنكسف لتغسل الذبول المستولی علیه.

و دخل الإمام علی (علیه السلام) البیت، و إذا به یری عزیزته قد غادرت فراش العله و هی تمارس أعمالها المنزلیه.

رقَّ لها قلب الإِمام حین نظر إلیها و قد عادت إلی أعمالها المتعبه التی كانت تجهدها أیام صحتها، فلا عجب إذا سألها من سبب قیامها بتلک الأعمال بالرغم من انحراف صحتها؟

أجابته بكل صراحه: لأن هذا الیوم آخر یوم من أیام حیاتی، قمت لأغسل رُؤوس أطفالی و ثیابهم لأنهم سیصبحون یتامی بلا أم!!

سألها الإِمام عن مصدر هذا النبأْ فأخبرته بالرؤْیا، فهی بذلک قد نعت نفسها إلی زوجها بما لا یقبل الشک.

وصایا فاطمه الزهراء

إذن، فالسیده فاطمه فی أواخر ساعات الحیاه، و قد حان لها أن تكاشف زوجها بما أضمرته فی صدرها (طیله هذه المده) من الوصایا التی یجب

تنفیـذها و لو بأغلی الأثمان و لا یمکن التسامـح فیها أبداً، لأنَّ بها غایه الأهمیه. کأنها قد فرغت من أعمالها المنزلیه و عادت إلی فراشـها و قالت: یا ابن عم!! إنه قد نُعیت إلیَّ نفسی، و إننی لا أری ما بی إلاَّ أننی لاحقه بأبی بعد ساعه، و أنا أُوصیک بأشیاء فی قلبی.

قال لها علی (علیه السلام): أوصینی بما أحببت یا بنت رسول الله، فجلس عند رأسها، و أخرج من کان فی البیت، ثم قالت:

یا بن عم!! ما عهدتنی کاذبه و لا خائنه.

و ما خالفتک منذ عاشرتنی.

قال علی (علیه السلام): معاذ الله!! أنتِ أعلم باللهِ، و أَبرُّ و أتقی و أکرم، و أشدُّ خوفاً من الله من أن أُوبِّخک بمخالفتی.

و قد عزَّ علیَّ مفارقتک و فقدکِ.

إلاَّ أنَّه أمر لا بدَّ منه.

و الله لقد جددتِ علیَّ مصیبه رسول الله، و قد عظمت وفاتک و فقدک فإنا لله و إنا إلیه راجعون.

من مصیبه ما أفجعها و آلمها، و أمضَّها و أحزنها.

هذه مصیبه لا عزاء منها، ورزیه لا خلف لها.

ثم بکیا جمیعاً ساعه، و أخذ الإِمام رأْسها و ضمه إلی صدره ثم قال:

أوصینی بما شئت، فإنک تجدیننی و فیاً أُمضی کل ما أمرتنی به، و أختار أمرک علی أمری.

فقالت: جزاک الله عنی خیر الجزاء.

یا بن عم! أوُصیک أولاً:

أن تتزوج بعدی بابنه أُختی أُمامه، فإنها تکون لُولدی مثلی، فإن الرجال لا بدَّ لهم من النساء.

ثم قالت: أَوصيک أن لا يشهد أحد جنازتی من هؤلاء الذين ظلمونی، فإنهم عدوی و عدو رسول الله، و لا تترک أن يصلی علیَّ أحد منهم و لا من أتباعهم، و ادفنی فی الليل إذا هدأت العيون ونامت الأبصارِ (۱) .

الوصيه بصوره أُخری:

قالت: يا بن العم! إذا قضيت نحبی فغسِّلنی و لا تکشف عنی، فإنی طاهره مطهره، و حنِّطنی بفاضل حنوط أبی رسول الله (صلی الله عليه و آله و سلم).

و صَلِّ علیِّ، و ليصلِّ معک الأدنی فالأدنی من أهل بيتی و ادفنی ليلًا لا نهاراً، و سراً لا جهاراً، و عَفِّ موضع قبری، و لا تُشهد جنازتی أحداً ممن ظلمنی.

يا بن العم! أنا أعلم أنک لا تقدر علی عدم التزويج من بعدی فإن أنت تزوَّجت امرأه اجعل لها يوماً و ليله، و اجعل لأولادی يوماً و ليله.

يا أباالحسن! و لا تُصح فی وجههما فيصبحْان يتيمين غريبين منکسرين، فإنهما بالأمس فقدا جدَّهما و اليوم يفقدان أُمَّهما، فالويل لأُمَّه تقتلهما و تبغضهما، ثم أنشأتْ تقول:

ابکنی إن بکيت يا خير هادی

و أسبل الدمع فهو يوم الفراق

يا قرين البتول أوصيک با

لنسل فقد أصبح حليف اشتياق

ابکنی و ابک لليتامی، و لا تنس

قتيل العدی بطَف العراق

و عن الامام الباقر (عليه السلام) ان فاطمه (عليهاالسلام)- لما ارادت الوصيه-قالت لاميرالمومنين (عليه السلام):

يا اباالحسن: ان رسول الله عهد الی و حدثنی انی اول اهله لحوقا به،

۱- ۵۶۴. روضه الواعظين /بحارالانوار ج ۴۳.

و لابد مما لابد منه، فاصبر لامر الله و ارض بقضائه (۱) .

و روى عن الامام الصادق (عليه السلام) قال: لما حضرت فاطمه الوفاه، بكت، فقال لها اميرالمومنين: يا سيدى ما يبكيك؟

قالت: ابكى لما تلقى بعدى.

قال لها: لا تبكى، فو الله ان ذالك لصغير عندى فى ذات الله (۲) .

و فى روايه: قالت لاميرالمومنين (عليه السلام): ان لى اليك حاجه يا اباالحسن؟قال: تقضى يا بنت رسول الله.

قالت: نشدتك بالله و بحق محمد رسول الله ان لا يصلى على ابوبكر و عمر (۳) .

و فى روايه عن على (عليه السلام) قال: «ان فاطمه (عليهاالسلام) اوصت الى و قالت:

ان هما صليا على، شكوتك الى ابى، بمثل الذى اشكوهما (۴) هذه بعض وصايا السيده فاطمه الزهراء (عليهاالسلام) التى يتجلى فيها مدى تألمها من ذلك المجتمع، و مدى تذمُّرها من الجفاه القساه.

إنها اختارت أن تسجِّل اسمها فى طليعه أسماء المضطهدين المحرومين و أن تدوِّن اسمها فى سجلِّ المظلومين، حتى، اسمها رمزاً للمظلوميه

۱- ۵۶۵. بيت الاحزان للقمى ص ۱۴۲.
۲- ۵۶۶. بحار الانوار ج ۴۳.
۳- ۵۶۷. بيت الاحزان للقمى ص ۱۴۲.
۴- ۵۶۸. كتاب كامل البهائى لعماد الدين طبرى ص ۳۱۳ هو من علما القرن السابع الهجرى و له مولفات كثيره فى اصول الدين و فروعه و فضائل الائمه الطاهرين (عليهم السلام) و كان معاصرا للعلامه الحللى و المحقق الحلى (رضوان الله عليهم اجمعين).

و الحرمان، و ليكون تشييع جثمانها تعبيراً عن سخطها على السلطه و على كل من أيَّد تلك السلطه و اعترف بها و تعاون معها.

و إعلاناً عن غضبها على كل مَن وقف من الزهراء موقفاً سلبياً.

أوصَت أن يُشيَّع جثمانها ليلاً و تجرى مراسيم التشييع- من التغسيل و التكفين و الصلاه و الدفن- فى جوٍّ من الكتمان.

و أن لا يشترك فى تشييع جنازتها إلاّ أفراد لم تتلوَّث ضمائرهم بالانحراف و لم تسوّد صفحاتهم بالانجراف.

أفراد كان موقفهم تجاه السيده فاطمه- خلال فتره الانقلاب- موقفاً إيجابياً مشرفاً.

ص: ۵۱۰

حنوط الجنه

و لهـا وصايـا أُخرى لزوجهـا بـأن يتعهـد قبرهـا، و يقرأ القرآن عنـد مرقـدها و غير ذلك مما ليست لها أهميه كالبنود السابقه من وصاياها.

ثم طلبت السيده فاطمه من أسماء بنت عميس الحنوط الذى جاء به جبرائيل من الجنه و قالت: يا أسماء ائتنى ببقيه حنوط والدى من موضع كذا و كذا، فضعيه عند رأْسِي (١) .

و أمـا الحنوط و هو السـدر و الكافور فقـد روى عن على (عليه السـلام) أنه قال: كان فى الوصـيه أن يـدفع إلىَّ الحنوط فـدعانى رسول الله (صـلى الله عليه و آله و سـلم) قبـل وفـاته بقليل: فقال: يا على و يا فاطمه هـذا حنوطى من الجنه دفعه الى جبرئيل و هو يقرو كما السلام و يقول لكما: اقسماه، و اعزلا منه لى و لكما.

فقالت فاطمه (عليه السلام): ياابتاه لك ثلثه. و ليكن الناظر فى الباقى على بن ابى طالب.

فبكى رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) و ضمها اليه و قال: موفقه، رشيده، مهديه، ملهمه.

ياعلى قل فى الباقى.

قال: نصف ما بقى، لها؛ و النصف الاخر لمن ترى يا رسول الله!!

قال (صلى الله عليه و آله و سلم): هو لك (٢) .

١- ۵۶۹. بحارالانوار ج ۴۳.

٢- ۵۷۰. مستدرك الوسائل فى احكام الكفن.

ثم دعت السیده فاطمه سلمی امرأه أبی رافع و قالت لها: هیئی لی ماءً.

و فی روایه: «اسکبی لی غسلًا» ثم دعت بثیابها الجدد فاغتسلت أحسن ما یکون، ثم قالت: افرشی فراشی وسط البیتِ (۱) .

أقول: لا أعرف السبب فی اغتسال السیده فاطمه و تبدیل ثیابها و هی فی أواخر ساعات الحیاه، بل علی أعتاب المنیه.

و لعل السبب فی ذلک (و الله العالم) أنها (علیهاالسلام) أرادت أن تغسل آثار الجروح الموجوده علی عضدها و علی ضلعها، تلک الجروح التی حدثت لها عند باب بیتها من الضرب، کما تقدم الکلام عنه.

و هکذا نزعت الثیاب الملطخه بالدماء و القیح، و لعلها (علیهاالسلام) أرادت أن تخفی ذلک عن ذویها الذین یحضرون ساعه تغسیلها.

و زعم البعض أنها اغتسلت عوضاً عن غسل المیت، بعد الموت، و أنها أوصت لأن لا تغسل بعد الموت.

و هذا عجیب من المحدِّثین کیف یذکرون هذه الأُسطوره أو الأُکذوبه؟ مع العلم أن غسل المیت إنما یجب بعد الموت لا قبل الموت.

نعم، بالنسبه للمحکوم علیهم بالقتل یغتسلون قبل تنفیذ حکم الإعدام علیهم، و لیس هذا المورد من تلک الموارد.

ثم أن الفقهاء إنما استدلوا علی جواز تغسیل الزوج زوجته بعد الموت بتغسیل الإِمام أمیرالمؤمنین زوجته السیده فاطمه (علیهاالسلام) بعد وفاتها بحیث صار هذا الأمر أوضح من الشمس، و أشهر من أمس، فما فائده ذکر هذا القول الشاذ الذی لا یعبأْ به أحد؟

۱- ۵۷۱. بحارالانوار ج ۴۳.

فاطمه الزهراء تفارق الحياه

انتقلت السيده فاطمه (عليهاالسلام) إلى فراشها المفروش فى وسط البيت، و اضطجعت مستقبله القبله، واضعه يدها تحت خدِّها بعد أن هيأت طعاماً لأطفالها. و قيل: أنها أرسلت بنتيها: زينب و أُم كلثوم إلى بيوت بعض الهاشميات لئلا تشاهدا موت أُمهما، كل ذلك من باب الشفقه و الرأْفه، و التحفّظ عليهما من صدمه مشاهده المصيبه.

و يستفاد من بعض الأحاديث أن الإِمام علياً و الحسن و الحسين (عليهم السلام) كانوا خارج البيت فى تلك الساعه، و لعل خروجهم كان لأسباب قاهره و ظروف معيّنه.

و على كلٍّ حال... فانهم لم يحضروا تلك الدقائق الأخيره من حياه أُمِّهم، و إنما كانت أسماء حاضره و ملازمه لها، و يُستفاد من بعض الأحاديث أن خادمتها فضه أيضاً حاضره.

حانت ساعه الاحتضار، و حاله النزع، و انكشف الغطاء، و نظرت السيده فاطمه نظراً حاداً ثم قالت:

السلام على جبرائيل.

السلام على رسول الله.

اللهم مع رسولك.

اللهم فى رضوانك و جوارك و دارك دار السلام.

ثم قالت: أترون ما أرى؟

فقيل لها: ما ترين؟

قالت: هذه مواکب أهل السماوات و هذا جبرئيل، و هذا رسول الله يقول: يا بنيه اقدمی، فما أمامک خير لک.

و فتحت عينيها.... ثم قالت: و عليک السلام يا قابضْ الأرواح عجِّل بی و لا تعذبنی.

ثم قالت: إليک ربی لا إلی النار.

ثم غمضت عينيها، و مدت يديها و رجليها و فارقت الحياه.

فشقّت أسماء جيبها، و وقعت عليها تقبِّلها و هی تقول: يا فاطمه إذا أقدمت علی أبيک رسول الله فأقرئيه عن أسماء بنت عميس السلام.

و دخل الحسن و الحسين فوجدوا أُمهما مسجّاه فقالا: يا أسماء ما يُنيم أُمَّنا فی هذه الساعه؟

قالت: يا بنی رسول الله ليست أُمُّكما نائمه، قد فارقت الدنيا.

فألقی الحسن نفسه عليها يقبِّل رجلها و يقول: يا أُماه کلّمينی قبل تفارق روحی بدنی.

و هکذا الحسين کان يقبل رجلها و يقول: يا أُماه! انا ابنک الحسين!! کلِّمينی قبل أن يتصدَّع قلبی فأموت.

قالت لهما أسماء: يا بنَی رسول الله انطلقا إلی أبيکما فأخبراه بموت أُمکما. فخرجا يناديان: يامحمداه!

اليوم جدد لنا موتک اذماتت امنا.

حتی إذا کانا قرب المسجد رفعا أصواتهما بالبکاء.

ص: ۵۱۴

فابتدر إليهما جمع من الصحابه و سألو هما عن سبب بكائهما؟

فقالا: أو ليس قد ماتت أُمنا فاطمه!

فوقع الإِمام على (عليه السلام) على وجهه يقول: بمن العزاء يا بنت محمد؟ كنت بك اتعزى ففيم العزاء من بعدك؟

قال الراوى: ثم حمل على (عليه السلام) الحسنين، حتى ادخلهما بيت فاطمه (عليه السلام) و عند راسها اسماء تبكى و تقول: و ايتامى محمدا!

فلما نظر (عليه السلام) الى سيده النساء ميته، مديده ورمى العمامه من على راسه، و الرداء من على منكبيه، و بكى بكاءا شديدا.

ثم كشف (عليه السلام) عن وجهها، فاذا برقعه عند راسها، جاء فيها:

«.... يا على انا فاطمه بنت محمد، زوجنى الله منك، لاكون لك فى الدنيا و الاخره.

انت اولى بى من غيرى.

حنطنى و غسلنى و كفنى بالليل، و صل على، وادفنى بالليل، و لا تعلم احدا.

و استودعك الله و اقرا على ولدى السلام الى يوم القيامه» (۱) .

۱- ۵۷۲. بيت الاحزان ص ۱۵۲ عن بحارالانوار ج ۴۳.

ما بعد الوفاه

اشاره

ارتجت المـدينه بالبكاء من الرجال و النساء، و دهش الناس كيوم قُبض فيه رسول الله (صـلى الله عليه و آله و سـلم) و صاح أهل المـدينه صـيحه واحـده، و اجتمعت نساء أهل المدينه في دار السـيده فاطمه، فرأينها مسـجّاه في حجرتها، و حولها أيتامها يبكون على أُمهم الـتى فقـدوها في عنفوان شـبابها، صـرخت النسـاء صـرخه كـادت المـدينه أن تتزعزع من صـراخهن و هن يصـحن: يا سيدتاه، يا بنت رسول اللهِ (۱) .

و أقبـل النـاس مسـرعين و ازدحموا- مثـل عُرف الفرس- على باب البيت، و على جالس، و الحسن و الحسـين بين يـديه يبكيان، فبكى الناس لبكائهما.

و جاءت عائشه لتـدخل فقالت أسـماء: لا تدخلى. فكلَّمت عائشه أبابكر فقالت: إن الخثعميه تحول بيننا و بين ابنه رسول الله و قد جعلت لها هودج العروس.

فجاء أبوبكر فوقف على الباب فقال: يا أسـماء ما حملك على إن منعت ازواج النبى ان يدخلن على بنت رسول الله؟ و جعلت لها مثل

۱- ۵۷۳. المجالس السنيه ج ۵.

هودج العروس؟

فقالت اسماء: ان فاطمه أمرتنى أن لا يدخل عليها أحد، و أريتُها هذا الذى صنعت و هى حيه، فأمرتنى أن أصنع لها ذلک.

قال أبوبکر: فاصنعى ما أَمَرَتْکِ. ثم انصرف.

و أقبل ابوبکر و عمرالى على (عليه السلام) يعزّيانه، و يقولان له: يا أباالحسن لا تسبقنا بالصلاه على ابنه رسول الله.

فلم يجبهما على (عليه السلام).

فقال عمر لابى بکر: ان عليا لا يجيبنا لشده حزنه (۱) .

کان الناس ينتظرون خروج الجنازه فأمر على (عليه السلام) أباذر- و قيل سلمان- فنادى: انصرفوا، فإن ابنه رسول الله قد أُخِّر إخراجها فى هذه العشيه (۲) .

فقال عمر لابى بکر: انهم يريدون دفنها سرا، حتى لانشهد جنازتها (۳) .

و هکذا تفرّق الناس، و هم يظنون أن تشيّع الجنازه سيکون صباح غدٍ، إذ أنّ السيده فاطمه الزهراء فارقت الحياه بعد صلاه العصر، أو أوائل الليلِ (۴) .

مراسم التغسيل و التکفين

مضى من الليل شطره، و هدأت الأصوات، و نامت العيون، ثم قام

۱- ۵۷۴. کامل البهائى لعماد الدين الطبرى ج ۱ ص ۳۱۱.

۲ - ۵۷۵. اى: ان تشيع الجنازه سيتم فى وقت متاخر من الليل، و لهذا قال: قد اخر اخرجها فى هذه العيشه، و لم يقل: عن هذه العيشه. الا ان الناس فهمو من کلامه غير ما قصده.

۳- ۵۷۶. کامل البهائى لعماد الدين الطبرى ج ۱ ص ۳۱۱.

۴- ۵۷۷. بحارالانوار ج ۴۳.

الإِمام لینفِّذ وصایا السیده فاطمه.

حمل ذاک الجسد النحیف الذی أذابته المصائب حتی صار کالهلال.

حمل ذلک البدن الطاهر کی یُجری علیه مراسم السُّنه الإِسلامیه.

وضع ذلک الجثمان المطهّر علی المغتسل، و لم یجرّد فاطمه من ثیابها تلبیهً لطلبها، إذ لا حاجه إلی نزع الثوب عن ذلک البدن الذی طهره الله تطهیراً، و یکفی صب الماء علی البدن، کما صنع ذلک فی تغسیل النبی الطاهر.

و هناک أسماء بنت عمیس، تلک السیده الوفیه الطیبه التی استقامت علی علاقاتها الحسنه مع أهل البیت- فهی تناول علیّاً الماء لتغسیل السیده فاطمه.

یقول الإِمام الحسین (علیه السلام): غسَّلها ثلاثاً و خمساً، و جعل فی الغسله الأخیره شیئاً من الکافور، و أشعرها مئزراً سابغاً دون الکفن (۱) و هو یقول:

اللهم إنها أَمَتک، و ابنه رسولک و صفیک، و خیرتک من خلقک اللهم لقِّنها حجّتها، و أعظم برهانها، و أعل درجتها، و اجمع بینها و بین أبیها محمد (صلی الله علیه و آله و سلم) (۲) .

و بعد الفراغ من التغسیل حملها و وضعها علی أکفانها، ثم نشّفها بالبرده التی نشف بها رسول اللهِ (۳) و حنَّطها بحنوط السماء الذی یمتاز عن حنوط الدنیا.

ثم لفَّها فی أکفانها، و کفَّنها فی سبعه أثوابِ (۴) .

۱- ۵۷۸. الشعار: ماولی شعر جسد الانسان دون ماسواه/ لسان العرب ج ۴ ص ۴۱۲.

۲- ۵۷۹. مستدرک الوسائل باب تغسیل المیت ج ۲ ص ۱۹۹ الطبعه الحدیثه.

۳- ۵۸۰. مستدرک الوسائل، باب تغسیل المیت ج ۲ ص ۱۹۹ الطبعه الحدیثه.

۴- ۵۸۱. مستدرک الوسائل، باب تغسیل المیت.

و إنما قام على (عليه السلام) بتغسيلها، و لم يكلف أحداً من النساء بذلك لأسباب:

١- تلبيه لطلبها، و تنفيذاً لوصيتها.

٢- إثباتاً لعصمتها و طهارتها، فإن تغسيل الميت يعتبر تطهيراً له، و أما بالنسبه للمعصومين فلا يسمح للأيدى الخاطئه أن تمدّ لتغسيلهم، و إنما هو من واجبات المعصوم الخاصه أن يقوم بعمليه التطهير، و قد مرّ عليك الحديث عن الإمام الصادق (عليه السلام) حول كونها صدّيقه، و أن الصدّيقه لا يغسلها إلاّ صدّيق.

فكان الغرض من تلك الوصيه و تنفيذها إثبات عصمتها، و التنويه بذلك فى شتى المجالات و كافه المناسبات.

و يصرّح الإمام (عليه السلام) بذلك حيث يقول: فغسّلتها فى قميصها و لم أكشفه عنها فو الله لقد كانت ميمونه طاهره مطهره... الى آخر كلامه (عليه السلام) (١) .

و هناك أحاديث شاذه بلغت القمه فى الشذوذ، فمنها الحديث الذى يذكره الدولابى و غيره أن الزهراء (عليهاالسلام) اغتسلت قبل وفاتها، و أوصت أن لا يغسلها أحد بعد موتها، و أنها دفنت بلا تغسيل!!

و يأْتى بعض علمائنا القدامى ليصحح هذا الخطأْ، فيقول: فلعل ذلك كان من خصائصها (عليهاالسلام).

أقول: و هل تثبت أمثال هذه الأمور ب (لعل) و (ليت) و خاصه مع تصريح الروايات المعتبره و تواتر الأحاديث الصحيحه: أن عليّاً هو الذى تولّى تغسيلها؟

١- ۵۸۲. بحارالانوار ج ۴۳.

أضف إلى ذلك: إن تغسيل الميت المسلم واجب شرعاً.

وداعا يا اماه

رأى الإِمام أن يتامى فاطمه ينظرون إلى أُمّهم البارّه الحانيه، و هى تلفّ فى أثواب الكفن.

إنها لحظه فريده فى الحياه، لا يستطيع القلم وصفها.

إنها لحظه يهيج فيها الشوق الممزوج بالحزن.

إنه الوداع الأخير الأخير!!

هاجت عواطف الأب العطوف على أطفاله المنكسره قلوبهم، فلم يعقد الخيوط على الكفن، بل نادى- بصوت مختنق بالبكاء-: يا حسن يا حسين يا زينب يا أُم كلثوم هلمّوا و تزوّدوا من أُمّكم، فهذا الفراق، و اللقاء فى الجنه!!

كان الأطفال ينتظرون هذه الفرصه و هذا السماح لهم لكى يودّعوا تلك الحوراء، و يعبّروا عن آلامهم و أصواتهم و دموعهم المكبوته المحبوسه، فأقبلوا مسرعين، و جعلوا يتساقطون على ذلك الجثمان الطاهر كما يتساقط الفَراش على السراج. و نادى الحسان: واحسره لا تنطفى ء ابدا، من فقد جدنا محمد المصطفى و امنا فاطمه الزهراء، يا ام الحسن يا ام الحسين اذا لقيت جدنا محمد المصطفى فاقرايه منا السلام و قولى له: انا بقينا بعدك يتيمين فى دار الدنيا.

كانوا يبكون بأصوات خافته، و يغسلون كفن أُمّهم الحانيه بالدموع، فتجففها الآهات و الزفرات.

كان المنظر مشجياً مثيراً للحزن، فالقلوب ملتهبه، و الأحاسيس مشتعله و العواطف هائجه، و الأحزان ثائره.

و هنا حدث شی ء يعجز القلم عن تحليله و شرحه، و ينهار أمامه قانون الطبيعه، و يأْتی دور ما وراء الطبيعه، فالقضيه عجيبه فی حد ذاتها، لأنها تحدّت الطبيعه و العاده:

يقول علی (عليه السلام)- و هو إذ ذاک يشاطر أيتام فاطمه فی بکائهم و آلامهم- يقول: «أُشهد الله أنها حنَّت و أنَّت و أخرجت يديها من الکفن، و ضمَّتهما إلی صدرها مليّاً».

إن کانت حياه السيده فاطمه الزهراء قد تعطّلت فإن أحاسيسها و إدراکها لم تتعطل، و إن کانت روحها الطاهره قد فارقت جسدها المطهر فإن علاقه الروح لم تنقطع عن البدن بعد، فلروحها القويه أن تتصرف فی جسمها فی ظروف خاصه و موارد معينه.

کان ذلک المنظر العجيب مثيراً لأهل السماوات الذين کانت أبصارهم شاخصه نحو تلک النقطه من بيت علی (عليه السلام) فلا عجب إذا ضجت الملائکه و شارکت أهل البيت فی بکائهم.

فلا غرو إذا سمع الإِمام علی صوت أحدهم يهتف قائلًا: يا علی! ارفعهما فلقد أبکيا ملائکه السموات و قد اشتاق الحبيب إلی حبيبه.

يتقدم الإِمام ليرفع طفليه عن صدر أُمهما، و عيناه تذرفان بالدموع.

الصلاه علی الجنازه

و انتهت مراسيم التکفين و التحنيط، و جاء دور الصلاه عليها ثم الدفن. لقد حضر الأفراد الذين تقرر أن يشترکوا فی تشييع الجثمان و مراسم

الصلاه و غيرها، و هم الذين لم يظلموا فاطمه، و لم يسكتوا أمام تلك الأحداث،و لم يكن موقفهم موقف المتفرج الذى لم يتأثر بالحوادث.

لقد حضروا فى تلك الساعه المتأخره من تلك الليله خائفين مترقبين، إذ قد تقرر إجراء تلك المراسم ليلاً و سرّاً، و استغلال ظلمه الليل مع رعايه الهدوء و السكوت، كل ذلك لأجل تنفيذ وصايا السيده فاطمه الحكيمه.

لقد حضروا، و هم: سلمان، عمار بن ياسر، أبوذر الغفارى، المقداد، حذيفه، عبدالله بن مسعود، العباس بن عبدالمطلب، الفضل بن العباس، عقيل، الزبير، بريده، و نفر من بنى هاشم، و شيّعوا جثمان فاطمه الزهراء- البنت الوحيده التى تركها الرسول الأقدس بين أُمته- و كأنها امرأه غريبه خامله فقيره فى المدينه،لا يعرفها أحد.

و كأنها لم تكن المنزله الرفيعه و الشخصيه المثاليه.

هؤلاء هم المشتركون فى تشييع جنازه سيده نساء العالمين.

و تقدم الإِمام على (عليه السلام) و صلَّى بهم على حبيبه رسول الله، قائلًا: اللهم إنى راضٍ عن ابنه نبيك، اللهم إنها قد أوحشت فآنسها، اللهم إنها قد هُجِرت فَصِلها، اللهم إنها قد ظُلِمت فاحكم لها و أنت خير الحاكمينِ (۱) .

ثم صلَّى ركعتين و رفع يديه إلى السماء فنادى: هذه بنت نبيّك فاطمه أخرجتها من الظلمات إلى النور. فأضاءت الأرض ميلًا فى ميل.

صلى الإِمام على (عليه السلام) عليها، إذ أنها كانت معصومه، فيجب أن يصلى عليها المعصوم، فالصلاه على الميت دعاء له بالرحمه. و أما بالنسبه للمعصوم فالدعاء له- أى الصلاه على جثمانه- من واجب المعصوم.

۱- ۵۸۳. الخصال للصدوق، عن الامام الباقر(عليه السلام).

هذا من الناحيه الشرعيه، و أما من ناحيه العقل و الحكمه فإن السيده فاطمه الزهراء مع جلاله قدرها، و عظم شأنها ذهبت إلى دار رئيس الدوله يومذاک مطالبه بحقها، فکان موقف الرئيس معها کما عرفت.

ثم حضرت فی المسجد و خطبت تلک الخطبه فلم تجد الإسعاف لا من الحاضرين فی المسجد، و لا من رئيس الدوله، و قد مرّ عليک أن عليّاً (عليه السلام) کان يحملها إلى بيوت المهاجرين و الأنصار يستنجدهم لنصره الزهراء فلم يجد منهم إلّا الجفاء.

و الکارثه التی حدثت عند باب بيتها ترکت فی جسمها آثاراً تدوم و تدوم و لا تزول. و مواقف المسلمين اتجاه ابنه الرسول کان لها أثر عميق فی نفس السيده فاطمه لکونها إهانه صريحه لها، و ظلماً مکشوفاً و اعتداءً مقصوداً، و إهداراً لکرامتها، و تضييعاً لمقامها الأسمى.

و ليست هذه الأمور من القضايا التی تنسى أو تضيع، فلا بد من تنبيه المعتدين على فظاعه عملهم و تسجيل ذلک فی سجل التاريخ، و ذلک عن طريق الاستنکار وا لتعبير عن الاستياء العميق عن تلک الأعمال.

و إن بنود الوصيه ترمز إلى أن الزهراء عاشت بعد أبيها ناقمه و غاضبه على أولئک الأفراد، و استمرت النقمه و الغضب حتى الموت و بعد الموت و إلى يوم يبعثون.

فلا ترضى السيده فاطمه أن يشيعها تلک العصابه، و لا أن يصلُّوا على جنازتها و لا يشهدوا دفنها، و لا يعرفوا قبرها.

فاطمه الزهراء فی مثواها الاخیر

اشاره

لقد قرات ان السیده (علیهاالسلام) اوصت الامام امیرالمومنین (علیه السلام) بان یدفنها لیلا، و ان لا یعلم احدا بموضع قبرها، بل یبقی قبرها مخفیاً من یوم وفاتها إلی یوم الفصل الذی کان میقاتاً لیجلب هذا العمل انتباه المسلمین و علی الأخص الحجاج و المعتمرون الذین یزورون قبر الرسول (صلی الله علیه و آله و سلم) فی المدینه المنوره، و مراقد الأئمه (علیهم السلام) فی البقیع، و یتساءلون عن قبرها فلا یجدون لذلک أثراً و لا خبراً.

فالقبر کان و لا زال مجهولاً عند المسلمین، بسبب اختلاف المؤرخین و المحدثین،فهناک أحادیث تصرّح بدفنها فی البقیع، و هناک روایات أنها دفنت فی حجرتها و عند توسیع المسجد النبوی الشریف صار قبرها فی المسجد.

فإن صح هذا القول فإن صُوَر القبور التی صوَّرها الإِمام فی البقیع کان لغرض المغالطه، و صرف الأنظار عن مدفنها الحقیقی.

و إن کان الإِمام قد دفنها فی البقیع فالقبر کان و لا یزال مجهولاً.

و علی کل تقدیر: لقد حفروا القبر للسیده فاطمه،

حفروا مرقداً لتلک الزهره الزهراء، و اللؤلؤه النوراء، و تقدّم أربعه رجال- و هم علی و العباس و الفضل بن العباس و رابع (۱) - یحملون ذلک الجسد النحیفِ (۲) .

ص: ۵۲۴

۱- ۵۸۴. مستدرک الوسائل باب الدفن.

۲- ۵۸۵. مستدرک الوسائل باب الدفن.

و نزل علی (علیه السلام) إلی القبر لأنه ولیّ أمرها، و أولی الناس بأمورها، و استلم بضعه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و أضجعها فی لحدها، و وضع ذلک الخد الذی طالما تعفَّر بین یدی الله تعالی فی حال السجود ذلک الخد الذی کان یقبّله رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) فی کل لیله قبل أن ینام.

وضع ذلک الخد علی تراب القبر و قال: یا أرض أستودعکِ و دیعتی، هذه بنت رسول الله.

و عن الامام الصادق (علیه السلام) قال: ان امیرالمومنین (علیه السلام) لما وضع فاطمه بنت رسول الله فی القبرقال: بسم الله الرحمن الرحیم، بسم الله و بالله و علی مله رسول الله محمد بن عبدالله (صلی الله علیه و آله و سلم).

سلَّمتک أیتها الصّدّیقه إلی من هو أولی بک منی، و رضیت لک بما رضی الله تعالی لک.

ثم قرأ: (منها خلقناکم و فیها نعیدکم و منها نخرجکم تاره أخری) (۱) .

۱- ۵۸۶. مصباح الانوار/ بیت الاحزان ص ۱۵۶.

دفنوا اول شهیده من آل محمد.

لقد دفنو کتله من المواهب و الفضائل.

لقد اخفوا فی بطون التراب الحوراء الانسیه.

و سوّی علی (علیه السلام) قبرها، و کأنه فی تلک المراحل کان جرحه حاراً، فلا یشعر بالألم، و الإنسان قد یصاب بجراح أو کسر فلا یشعر بالألم فی وقته، و بعد مضی لحظات یشتد به الوجع، و یترکه یصرخ و یصیح.

کان جثمان السیده فاطمه نصب عین علی فی تغسیلها وتکفینها و الصلاه علیها و دفنها، و الآن قد غابت الزهراء عن الأبصار، و اختفت عن الأعین.

لقد حان أن یشعر الإمام علی بألم المصاب، و یشتد به الوجع أشد ما یمکن. کانت تلک اللحظات الحرجه من تلک اللیله مؤلمه و مشجیه، فلقد کان قلب الإِمام مضغوطاً علیه بسبب المصیبه.

لقد ماتت فاطمه الزهراء شهیده الاضطهاد، قتیله الظلم و الاعتداء.

و فَقَدَ الإِمام بفقدها شریکه حیاته، و أحبّ الناس إلیه و إلی رسول الله.

فَقَدَ سیدهً فی ریعان شبابها، و مقتبل عمرها، و نضاره حیاتها.

فَقَدَ سیدهً انسجمت معه دیناً و دنیا و آخره.

فَقَدَ زوجهً شارکته فی مصائب حیاته و مرارتها بکل صبر.

فَقَدَ حوراء لیست من مستویات نساء الدنیا.

سوف لا یجد الإِمام علی وجه الأرض مثلها عصمه و نزاهه و تقوی و علماً و کمالاً و شرفاً، و فضائل و مکارم و غیرها.

فلا یمکن له أن یتسلی بامرأه أُخری.

و مما زاد فی المصیبه، و ضاعف فی أبعاد الکارثه أن السیده أوصت إلی زوجها أن یکون تشییع جثمانها لیلًا و سرّاً، و بإخفاء قبرها بحیث لا یکون لقبرها أثر و لا علامه.

شکوی الی رسول الله

و لهذا هاجت به الأحزان لمّا نفض یده من تراب القبر فأرسل دموعه علی خدیه و حوّل وجهه إلی قبر رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) ثم قال:

السلام علیک یا رسول الله عنیِ (۱) .

السلام علیک عن ابنتک و زائرتکِ (۲) .

و البائته فی الثری ببقعتک

و المختار الله لها سرعه اللحاق بک

قلّ یا رسول الله عن صفیّتک صبری

و عفی عن سیده نساء العالمین تجلّدیِ (۳) .

إلاَّ أن فی التأسی لی بسُنَّتک فی فرقتک موضع تعزِ (۴) .

فلقد وسّدتک فی ملحوده قبرک

بعد أن فاضت نفسکِ بین نحری و صدری

و غمّضتک بیدی

ص: ۵۲۷

۱- ۵۸۷. و فی نسخه: السلام علیک یارسول الله عنی و عن ابنتک.

۲- ۵۸۸. و فی نسخه: السلام علیک من ابنتک و حبیبتک و قره عینک و زائرتک.

۳- ۵۸۹. و فی نسخه: و ضعف عن سیده النساء.

۴- ۵۹۰. و فی نسخه: بسنتک، و الحزن الذی حل بی لفراقک موضع التعزی.

و تولَّیت أمرک بنفسی

بلیِ و فی کتاب الله لی أنعم القبول

إنا لله و إنا إلیه راجعون

قد استُرجعتِ الودیعه و أخُذت الرهینه

و اختلست الزهراءِ (۱) .

فما أقبح الخضراء و الغبراء

یا رسول الله!!

أمّا حزنی فَسَرمد

و أمّا لیلی فمسهَّد

و همٌّ لا یبرح من قلبیِ (۲) .

أوِ (۳) یختار الله لی دارک التی أنت فیهاِ (۴) مقیم

کمدٌ مقیّح، و همٌّ مهیّج

سرعان ما فَرَّق الله بیننا

و إلی الله أشکو

و ستنبوک ابنتک بتضافرِ (۵) أُمّتک علیَّ

و علی هضمها حقها

فأحفها السؤال

ص: ۵۲۸

۱- ۵۹۱. و فی نسخه: اختلصت و اخلست.

۲- ۵۹۲. و فی نسخه: لا یبرح الحزن من قلبی.

۳- ۵۹۳. و فی نسخه: الی ان یختار.

۴- ۵۹۴. و فی نسخه: بها.

۵- ۵۹۵. و فی نسخه: بتظاهر.

واستخبرها الحال

فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثّه سبيلاً

و ستقول و يحكم الله و هو خير الحاكمين

و السلام عليكماِ (۱) يا رسول الله

سلام مودّع

لا سئم و لا قالٍ (۲) .

فإن أنصرف فلا عن ملاله

و إن أُقم فلا عن سوء ظنِ (۳) بما وعد الله الصابرين. واهاً واها!!

و الصبر أيمن و أجمل

و لو لا غلبه المستولين علينا

لجعلتُ المقام عند قبرك لزاماً

و التلبث عنده عكوفاً (۴) .

و لأعولت إعوال الثكلى على جليل الرزيه

فبعين الله تدفن ابنتک سرّاً؟!!

و يهتضم حقها قهراً؟!!

و يُمنع إرثها جهراً؟!!

و لم يَطُل منک العهدِ (۵) .

۱- ۵۹۶. و فی نسخه: سلام علیک.

۲- ۵۹۷. و فی نسخه: لا قال و لاسئم.

۳- ۵۹۸. و فی نسخه: ظنی.

۴- ۵۹۹. و فی نسخه: لجعلت المقام و اللبث لزاما معکوفا.

۵- ۶۰۰. و فی نسخه: و لم یتباعد العهد.

و لم يخلِق منک الذکر

فإلى الله- يا رسول الله- المشتکى

و فيک- يا رسول الله- أجمل العزاء

فصلوات الله عليها و عليک و رحمه الله و برکاتهِ (۱) .

و روى ان عليا (عليه السلام)- لماماتت فاطمه کان (عليهاالسلام) و فرغ من جهازها و دفنها- رجع الى البيت فاستوحش فيه و جزع جزعا شديدا، ثم انشا يقول:

ارى علل الدنيا على کثيره

و صاحبهاحتى الممات عليل

لکل اجتماع من خليلين فرقه

و کل الذى دون الفراق قليل

و ان افتقادى فاطما بعد احمد

دليل على ان لايدوم خليل (۲) .

و روى عن الامام جعفر بن محمد (عليهماالسلام) قال: لما ماتت فاطمه کان على يزور قبرها کل يوم، و اقبل ذات يوم فانکب على القبر و انشا يقول:

مالى مروت على القبور مسلما

قبر الحبيب فلم يرد جوابى (۳) .

۱- ۶۰۱. الکافى للکلينى و المجالس للمفيد و الامالى للشيخ و نهج البلاغه للرضى.

۲- ۶۰۲. الفصول المهمه لابن الصباغ المالکى ص ۱۴۸.

۳- ۶۰۳. الفصول المهمه لابن الصباغ المالکى ص ۱۴۸.

محاولات فاشله

و أصبح الصباح من تلك الليله فأقبل الناس ليشيعوا جنازه السيده فاطمه فبلغهم الخبر أن عزيزه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) قد دفنت ليلًا و سراً.

و كان على (عليه السلام) قد سوّى فى البقيع صُوَر قبور سبعه أو أكثر، و حيث أن البقيع كان فى ذلك اليوم و إلى يومنا هذا مقبره أهل المدينه، لهذا أقبل الناس إلى البقيع يبحثون عن قبر السيده فاطمه، فأشكل عليهم الأمر، و لم يعرفوا القبر الحقيقى لسيده نساء العالمين، فضج الناس، و لام بعضهم بعضاً، و قالوا: لن يخلف نبيكم إلاَّ بنتاً واحده، تموت و تُدفن و لم تحضروا وفاتها و الصلاه عليها، و لا تعرفوا قبرها؟!!

فلقى المقداد ابابكر و قال له: انا قد دفنا فاطمه البارحه.

فقل عمر المقداد: يا ابابكر الم اقل لك انهم يريدون دفنها سرا؟

فقال المقداد: ان فاطمه اوصت هكذا، حتى لا تصليا عليها (۱) .

فجعل عمر يضرب المقداد على راسه و وجهه، و اجتمع الناس و انقذوه منه.

فوقف المقداد امامهم و قال:

«ان ابنه رسول الله ماتت والدم يجرى من ضلعها و ظهرها، بسبب الضرب و السوط الذى ضربتموها، و قد رايت ما صنعتم بعلى، فلا عجب

۱- ۶۰۴. بحارالانوار ج ۴۳ ص ۱۹۹.

اذا ضربتونی» (۱) .

فقال العباس: انها اوصت ان لا تصليا عليها.

فقال عمر: لا تترکون- يا بنی هاشم- حسدکم القديم علينا ابدا!!

فقال عقيل: و انتم و الله لاشد الناس حسدا، و اقدم عداوه لرسول الله و اهل بيته.

ثم قال رجال السلطه: هاتوا من نساء المسلمين من ينبش هذه القبور حتی نجدها فنصلِّی عليها، و نزور قبرها.

أرادوا تنفيذ هذه الخطه کی يزيّفوا الخطه التی خططتها السيده فاطمه فی وصاياها، و أن يحبطوا المساعی التی بذلها الإِمام علی (عليه السلام) فی إخفاء القبر، و حرمان بعض الناس عن درک ثواب الصلاه علی جنازه السيده فاطمه.

و إلّاَ فما معنی نبش القبر لأجل الصلاه علی الميت؟

أکانوا يظنون أن عليّاً دفن فاطمه بلا صلاه؟

هل من المعقول أن يظن أحد ذلک؟

و أی إسلام و أی دين و شريعه يبيح نبش قبر ميت قد صلّی عليه وليّه بأحسن وجه و أکمل صوره، صلَّی عليه بتصريح و وصيه منه؟؟!

إننی أعتقد أن جرّأهم علی هذه المجازفه و خرق الآداب و تحطيم المعنويات هو استضعافهم لأميرالمؤمنين (عليه السلام) فکأنهم قد نسوا أو

۱- ۶۰۵. کامل البهائی لعماد الدين الطبری ج ۱ ص ۳۱۲.

تناسوا سيف الإمام على و بطولاته فى جبهات القتال، و شجاعته التى شهد بها أهل السماء و الأرض.

إن كان الإمام أميرالمؤمنين لم يجرّد سيفه فى تلك الأحداث و المآسى التى حدثت من بعد وفاه رسول الله (صلى الله عليه و آله و سلم) لأجل توحيد كلمه المسلمين، و عدم تفرّقهم عن الدين، فليس معنى ذلك أن يسكت عن كل شى ء و أن يصبر على كل عظيمه و رزيه.

و بعباره أُخرى: إن كان على (عليه السلام) مأْموراً بالصبر فى موارد معينه و مواطن محدوده فلا يعنى ذلك أن يتحمّل كل إهانه و يسكت عليها.

و صل إلى الإمام خبر المؤامره التى يوشك أن تُنفّذ، و كان للإمام (عليه السلام)قباء أصفر يلبسه فى الحروب، لأن الملابس الفضفاضه الطويله العريضه لا- تناسب القتال و إنما تتطلب الحرب ملابس تساعد على سرعه الحركه و الأعمال الحربيه، و كان ذلك القباء من ملابس على (عليه السلام) الخاصه للحروب.

لبس الإمام القباء الأصفر، وحمل سيفه ذا الفقار وقد احمرّت عيناه ودرّت أوداجه من شده الغضب، وقصد نحو البقيع.

سبقت الأخبار عليّاً إلى البقيع، و نادى مناديهم: هذا على بن أبى طالب قد أقبل كما ترونه، يقسم بالله: لئن حُوِّل من هذه القبور حجر ليضعن السيف على غابر الآخر.

تلقى الناس هذا التهديد بالقبول و التصديق، لأنهم عرفوا أن عليّاً صادق القول،قادر على ما يقول.

و لكن عمر استخف بهذا التهديد و الإنذار و قال: ما لك يا أباالحسن! و الله لننبشنّ قبرها و لنصلِّين عليها!!

ص: ۵۳۳

فضرب على بيده إلى جوامع ثوب الرجل و هزّه، ثم ضرب به الأرض، و قال له: يا بن السوداء! أما حقى فقد تركته مخافه أن يرتدّ الناس عن دينهم، و أما قبر فاطمه فوالذى نفس على بيده: لئن رُمتَ و أصحابك شيئاً من ذلك لأسقينّ الأرض من دمائكم!!

فقال أبوبكر: يا أباالحسن بحق رسول الله و بحق من فوق العرش إلاّ خلّيت عنه، فإنا غير فاعلين شيئاً تكرهه.

فخلّى عنه و تفرّق الناس، و لم يعودوا إلى ذلك (۱) .

و بقيت وصايا السيده فاطمه باقيه و نافذه المفعول حتى اليوم و بعد اليوم.

۱- ۶۰۶. بحارالانوار ج ۴۳. باب ما وقع عليها من الظلم.

الامام علی فی تأبین الزهراء

إن کانت العاده و الإنسانیه قد قضت برثاء المیت، فإن السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) تستحق الرثاء بعد وفاتها کما تستحق الثناء فی حیاتها و بعد مماتها.

و الرثاء تعبیر عن الشعور، و إظهار التوجُّع و التأسُّف علی الفقید، و بیان تأثیر مصیبه فقده علی الراثی.

و انطلاقاً من هذا المفهوم فإنه یجدر بالإمام علیّ (علیه السلام) أن یرثی السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) و یبث آلامه النفسیه من تلک الفاجعه المؤلمه، فالإمام یشعر بألم المصائب أکثر من غیره، لأنه یقدّر فقیدته حق قدرها، و تأثیر الصدمه فی نفسه أقوی و أکثر، فلا عجب إذا هاجت أحزانه فقال مخاطباً لسیده النساء فاطمه العزیزه بعد وفاتها قائلًا:

نفسی علی زفراتها محبوسه

یا لیتها خرجت مع الزفرات

لا خیر بعدکِ فی الحیاه و إنما

أبکی مخافه أن تطول حیاتی

و قال:

أری علل الدنیا علیَّ کثیره

و صاحبها حتی الممات علیل

ذکرت أبا ودِّی فبتُّ کأننی

بردِّ الهموم الماضیات وکیل

لکل اجتماع من خلیلین فرقه

و کلُّ الذی دون الفراق قلیل

و إن افتقادی فاطماً بعد أحمد

دلیل علی أن لا یدوم خلیل

و قال:

فراقكِ أعظم الأشياء عندی

و فقدک فاطم أدهی الثکول

ص: ۵۳۵

سأبکی حسره و أنوح شجواً

علی خِلّ مضی أسنی سبیل

ألا یا عین جودی و أسعدینی

فحزنی دائم أبکی خلیلی

و قال:

حبیب لیس یعدله حبیبُ

و ما لسواه فی قلبی نصیب

حبیب غاب عن عینی و جسمی

و عن قلبی حبیبی لا یغیب

و قال مخاطباً للسیده فاطمه بعد وفاتها:

مالی وقفت علی القبور مسلِّماً

قبر الحبیب فلم یردّ جوابی

أحبیب ما لک لا تردّ جوابنا

أنسیت بعدی خلَّه الأحباب (۱) .

و فی کتاب الانوار العلویه (۲) ما ملخصه:

لما ماتت فاطمه (علیهاالسـلام) احتجب الامام امیرالمومنین (علیه السلام) فی منزله عن الناس، و صار لا یخرج الا للصلاه و زیاره قبر رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

قال عمار: فمضیعت الی دار سیدی و مولای امیرالمومنین، فاستاذنت علیه، فاذن لی، فلما دخلت علیه وجدته جالسا جلسه الحزین الکئیب و الحسن عن یمینه، و الحسین عن شماله، و هو ینظرالی الحسین و یبکی.

فلم املک نفسی دون ان اخذتنی العبره، و بکیت بکاءا شدیدا، فلما سکن نشیجی قلت:

سیدی اتاذن لی بالکلام؟

قال: تكلم يا اباالیقظان.

قلت: سیدی انتم تامرون الناس باصبر علی المصیبه، فما هذا الحزن الطویل...؟

ص: ۵۳۶

۱- ۶۰۷. بحارالانوار ج ۴۳ ص ۲۱۶.

۲- ۶۰۸. بحارالانوار ج ۴۳ ص ۲۱۶.

فالتفت الی و قال: «یا عمار ان العزاء عن مثل من فقدته لعزیز، انی فقدت رسول الله بفقد فاطمه.

انها کانت لی عزاء و سلوه.

کانت اذا نطقت ملات مسامعی بصوت رسول الله.

و اذا مشت لم تخرم مشیته.

و انی ما احسست بفراق رسول الله الا بفراقها.

و ان اعظم ما لقیت من مصـیبتها: انی لما وضعتها علی المغتصل. وجدت ضلعا من اضلاعها مکسورا، و جنبها قد اسود من ضرب السیاط، و کانت تخفی ذلک علی مخافه ان یشتد حزنی، و ما نظرت عینای الی الحسن و الحسین الا و خنقتنی العبره،و ما نظرت الی زینب باکیه الا و اخذتنی الرقه علیها....».

ص: ۵۳۷

تاريخ وفاتها

ليس من العجيب أن يختلف المؤرِّخون في تاريخ وفاتها و مقدار عمرها كما اختلفوا في تاريخ ولادتها قبل البعثه أو بعدها، و هكذا الاختلاف في مقدار مكثها في الحياه بعد وفاه أبيها الرسول (صلى الله عليه و آله و سلم).

فاليعقوبي يروى أنها عاشت بعد أبيها ثلاثين أو خمسه و ثلاثين يوماً، و هذا أقلّ ما قيل في مده بقائها بعد الرسول.

و قول آخر: أربعون يوماً.

و قول ثالث: خمسه و سبعون و هو الأشهر.

و رابع: خمسه و تسعون يوماً و هو الأقوى، و هناك أقوال لا يعبأ بها كالقول بأنها عاشت بعد أبيها سته أشهر أو ثمانيه أشهر و هذا أكثر ما قيل في مكثها بعد أبيها (صلى الله عليه و آله و سلم).

و هناك أحاديث وارده عن أئمه أهل البيت (عليهم السلام) كانت و لا تزال مورد الاعتبار و الاعتماد.

ففي كتاب (دلائل الإمامه) للطبري الإمامي بإسناده عن الأمام الصادق (عليه السلام): أنها قُبضت في جمادى الآخره يوم الثلاثاء لثلاث خلون منه، سنه إحدى عشره من الهجره.

و في البحار ج ۴۳ عن جابر بن عبدالله: و قبض النبي و لها يومئذ ثماني عشره سنه و سبعه أشهر.

أیضاً عن الإمام محمد بن علیّ الباقر (علیه السلام): و توفیت و لها ثمانیه عشره سنه و خمسه و سبعون یوماً.

و روی الکلینی هذا القول فی الکافی.

و علی کل تقدیر فإن عشرات الآلاف من المجالس و المآتم تقام فی البلاد الشیعیه بمناسبه وفاه السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) فی المساجد و البیوت و المجامع، و یطعمون الطعام فی یوم وفاتها بکل سخاء، و تسمّی تلک الأیام ب (الفاطمیه) فیرقی الخطباء المنابر و یتحدثون عن السیده فاطمه الزهراء (علیها السلام) و عن حیاتها الزاخره بالفضائل و المناقب و المواقف المشرِّفه، و یختمون کلامهم بذکر بعض مصائبها و آلامها.

ص: ۵۳۹

اوقافها و صدقاتها

کـان لها سـبعه بساتین وقفتها علی بنی هاشم و بنی المطلب، و جعلت النظر فیها و الولایه لعلیّ (علیه السـلام) مـده حیاته و بعـده للحسن و بعـده للحسـین (علیهما السـلام) و بعـده للأکبر من ولدها، و کان کتاب الوقف موجوداً عند الإمام الباقر (علیه السـلام) کما فی کتاب الکافی للکلینی- و صوره الکتاب هکذا:

«بسم الله الرحمن الرحیم هذا ما أوصت به فاطمه بنت محمد رسول الله (صـلی الله علیه و آله و سـلم) بحوائطها السبعه: العواف و الـذلال و البرقه و المبیت و الحسـنی و الصـافیه و ما لأُمّ إبراهیم إلی علیّ بن أبی طالب، فإن مضـی فإلی الحسن فإن مضـی فإلی الحسن فإن مضی الحسین فإلی الأکبر من وُلدی.

شهد الله علی ذلک و المقداد بن الأسود و الزبیر بن العوام و کتب علیّ بن أبی طالب».

و تسال: وصـلت هذه البساتین السـبع إلی السـیده فاطمه الزهراء (علیهاالسـلام)؟ لقد ذکر للسمهودی (۱) ان مخیرق الیهـودی- و کان من أحبار یهود بنی النضـیر- أسـلم و قُتل یوم أحد، و أوصـی ببساتینه السـبع إلی النبی (صـلی الله علیه و آله و سلم) فأوقفها النبی سنه سبع من الهجره علی خصوص فاطمه (علیهاالسلام) و کان یأخذ منها لأضیافه و حوائجه.

و أوصت لأزواج النبی لکل واحده منهن اثنتا عشر أوقیه، و لنساء بنی هاشم مثل ذلک، و لأُمامه بنت أبی العاص بشیء (۲) .

ص: ۵۴۰

۱- ۶۰۹. تاریخ المدینه ج ۲ ص ۱۵۲.

۲- ۶۱۰. دلائل الامامه.

فاطمه الزهرا یوم المحشر

إن كـان بعض المسـلمین لم یراعوا حرمه سـیده نساء العالمین فی حیاتها، و أذاقوها أنواع الـذل و الهوان، و قابلوها بالكبت، و لم یرقبوا فیها كرامتها و لا كرامه أبیها رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم).

و لم یحفظوا فیها كلام الله تعالی حیث أنزل آیات بینات فی حقها و حق زوجها و ولدیها سیدی شباب أهل الجنه كآیات التطهیر و المباهله و سوره هل أتی و آیه الموده فی القربی.

و كأنَّهم لم یسـمعوا وصـیه أبیها فی حقها حیث قال: «المرء یُحفظ فی وُلـده» و قوله: «فاطمه بضـعه منی، من آذاها فقد آذانی» و أمثال ذلک من الكلمات التی أوصی بها الرسول أمَّتُه بحق ابنته الوحیده فاطمه الزهراء.

و استنصـرتهم فلم ینصـروها، واسـتنجدت بهم فلم یسـعفوها، و لم یتكلم منهم متكلم.فـإن الله تعـالی قـد حفـظ و یحفـظ لفاطمه الزهراء (علیهاالسـلام) مقامهـا، و لم یبخس من حقها شـیئاً، فلقـد ذكرها فی كتابه المجیـد، و أحلَّها محلاًّ لم تـدركه أیه أنثی فی العالم، و قد جعلها الله سیده نساء العالمین.

و بعد هذا كله فإن الله تعالی سیُظهر عظمتها لأهل العالم كلهم فی یوم القیامه.

فی ذلک الیوم الذی یحشر فیه الظالمون و وجوههم مسودّه.

فی ذلک الیوم الذی یعضّ الظالم علی یدیه.

ص: ۵۴۱

فی ذلک الیوم یجمع الله تعالی فراعنه الأمم، وهم أذلّاء حقراء قد أذهلهم الفزع الأکبر، و قد تذکر کل منهم أعماله و مخازیه و موبقاته.

و قرأ اضبارته الملیئه بهتک حرمات الله، و ظلم أولیائه و إهدار دماء الأبریاء، و إذلال الصالحین.

فی ذلک الیوم تتبخّر الشخصیات الجبّاره، و تنعدم إمکانیات الطواغیت و تسلب قدره الفراعنه.

فی ذلک الیوم تظهر عظمه الصدیقه الطاهره، و منزلتها السامیه عند ربها و جلاله قدرها و عظم شأنها.

إنه یوم عظیم، و عجیب و مدهش و مذهل.

فأنبیاء الله یحشرون من قبورهم، و یتجهون نحو المحشر.

و جمیع الخلائق علی اختلاف أدیانهم و ألوانهم و أعمالهم.

و جمیع الأمم علی اختلاف شرائعهم.

و جمیع العالمین «و حشرناهم فلم نغادر منهم أحداً».

و حتی الجنین الذی سقط عن بطن أمه قد استوی إنساناً کاملاً.

أکثرهم عراه و کلهم حفاه.

یجتمعون علی صعید المحشر، و یصطفون صفوفاً تبلغ سبعین ألف صف، تبدأ الصفوف من أقصی المشرق و تنتهی إلی أقصی المغرب.

فی ذلک الیوم تتجلی شخصیه الزهراء عند أهل المحشر.

و إلیک بعض الأحادیث التی تشیر إلی هذا المعنی، و قد ذکرها جمع غفیر من علماء العامه أضف إلیها طائفه کبیره من تلک الأحادیث التی رویت عن أئمه أهل البیت (علیهم السلام) و ها هی بعض تلک الأحادیث: ۱- روی الحاکم النیسابوری فی المستدرک ج ۳ ص ۱۵۳ بإسناده عن علیّ (علیه السلام) قال: سمعت النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) یقول:

«إذا كـان يوم القيـامه نادى منادٍ من وراء الحجاب: يا أهل الجمع غضّوا أبصاركم عن فاطمه بنت محمـد (صـلى الله عليه و آله و سلم) حتّى تمرّ».

و رواه ابن الأثير فى (أُسد الغابه) ج ۵ ص ۵۲۳ و الكنجى الشافعى فى كفايه الطالب ص ۲۱۲(، و الذهبى فى (ميزان الاعتدال ج ۲ ص ۱۸) و الهمذانى فى (موده القربى) ص ۱۰۴ مع زياده قال:

۲- عن علىّ (عليه السلام) عن النبى (صلى الله عليه و آله و سلم) قال:

«إذا كان يوم القيامه نادى منادٍ من بطنان العرش: يا أهل القيامه أغمضوا أبصاركم، لتجوز فاطمه بنت محمد مع قميص مخضوب بـدم الحسـين. فتحتوى على سـاق العرش فتقول: أنت الجبـار العـدل، اقض بيننـا و بين مَن قتل ولَـدى. فيقضـى الله بسُـنَّتى و ربّ الكعبه.

ثم تقول: اللهم أشـفعنى فيمن بكى على مصـيبته، فيشـفّعها الله فيهم». و منهم الزرندى فى (نظم درر السـمطين) و المتقى فى كنز العمال ج ۱۳ ص ۹۳ و الهيثمى فى مجمع الزوائـد ج ۶ ص ۲۱۲ و ابن الصـباغ المالكى فى (الفصول المهمه) ص ۱۲۷ وابن أبى الحديـد فى شـرح النهج و ابن حجر العسـقلانى فى (لسان الميزان) ج ۳ ص ۲۳۷. و السـيوطى فى (الخصائص) ج ۲ ص ۲۶۵ و (الجامع الصـغير) و (التعقيبات). و الكنانى المصرى فى (تنزيه الشريعه المرفوعه) و النبهانى فى (الفتح الكبير) و (جواهر البحار) و الشـافعى فى (المنـاقب) و الملاـ علىّ القارى فى (جمع الوسائل) و القنـدوزى فى (ينابيع الموده) و الشبراوى فى (الإتحاف بحب الأشراف) و الشبلنجى فى (نور الأبصار).

۳- و يروى هذا الحديث عن أبى هريره كلٌّ من:

ابی نعیم فی (دلائل النبوه) و ابن حجرالهیثمی فی (الصوائق المحرقه) و غیرهما.

یروی هذا الحدیث ایضاعن ابی ایوب الانصاری کل من: من: الخوارزمی فی (مقتل الحسین) قال: قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) «ینادی مناد من بطنان العرض: یا أهل الجمع نکّسوا رؤوسکم و غضّوا أبصارکم حتی تجوز فاطمه بنت محمد علی الصراط.

قال: فتمرّ و معها سبعون ألف جاریه من الحور العین کالبرق اللامع». و رواه القرمانی فی (أخبار الدول) و الطبری فی (ذخائر العقبی) و ابن الصباغ فی (الفصول المهمه) و الصفوری فی (نزهه المجالس) و غیرهم.

و یروی هذا الحدیث عن ابن عمر و أبی سعید الخدری، و غیرهما.

۴- و قد روی جمع کثیر من علماء العامه عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) أن السیده فاطمه الزهراء ترد المحشر علی ناقه رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) الغضباء أو ناقته القصوی.

ص: ۵۴۴

فاطمه الزهراء و الشفاعه

هناک احادیث کثیره- مذکوره فی کتب الشیعه و اهل سنه- تصرح بشفاعه السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) یوم القیامه.

و الیک بعضها فیما یلی:

۱- و عن جابر بن عبدالله الأنصاری قال: قلت لأبی جعفر الباقر (علیه السلام): جعلت فداک یا بن رسول الله حدثنی بحدیث فی فضل جدتک فاطمه، إذا أنا حدثت به الشیعه فرحوا بذلک؟

فقال أبوجعفر (علیه السلام) حدثنی أبی عن جدی عن رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) قال: «إذا کان یوم القیامه تُنصب للأنبیاء و الرسل منابر من نور، فیکون منبری أعلی منابرهم یوم القیامه.

ثم یقول الله: اخطب، فأخطب بخطبه لم یسمع أحد من الأنبیاء و الرسل بمثلها. ثم یُنصب للأوصیاء منابر من نور، و یُنصب لوصیی علیّ بن أبی طالب فی أوساطهم منبر، فیکون منبره أعلی من منابرهم.

ثم یقول الله: یا علیّ أُخطب، فیخطب بخطبه لم یسمع أحد من الأوصیاء بمثلها، ثم ینصب لأولاد الأنبیاء و المرسلین منابر من نور، فیکون لابنیّ و سبطیّ و ریحانتی أیام حیاتی منبر من نور، ثم یقال لهما اخطبا، فیخطبان بخطبتین لم یسمع أحد من أولاد الأنبیاء و المرسلین بمثلها!

ص: ۵۴۵

ثم ینادی المنادی- و هو جبرائیل (علیه السلام)-: أین فاطمه بنت محمد؟

....- فتقوم (علیهاالسلام).

إلی أن قال:- فیقول الله تبارک و تعالی: یا أهل الجمع لمن الکرم الیوم؟

فیقول محمد و علیّ و الحسن و الحسین- (علیهم السلام): لله الواحد القهار.

فیقول الله تعالی: یا أهل الجمع إنی قد جعلتُ الکرم لمحمد و علیّ و فاطمه و الحسن و الحسین!

یـا أهـل الجمع، طـأطئوا الرؤوس، و غضّوا الأبصـار، فإن هـذه فاطمه تسـیر إلی الجنه، فیأتیها جبرئیل بناقه من نوق الجنه، مـدّبحه الجنین، خطامهـا من اللؤلؤ الرطب، علیهـا رحـل من المرجـان، فتُنـاخ بین یـدیها، فترکبها، فیبعث الله مائه ألف ملک لیسـیروا عن یمینها، و یبعث إلیها مائه ألف ملک لیسـیروا عن یسارها، و یبعث إلیها مائه ألف ملک، یحملونها علی أجنحتهم، حتّی یصـیّروها علی باب الجنه، فإذا صارت عند باب الجنه تلتفت، فیقول الله: یا بنت حبیبی ما التفاتک و قد أمرتُ بک إلی جنتی؟

فتقول: یا رب أحببتُ أن یُعرف قدری فی مثل هذا الیوم!

فیقول الله: یا بنت حبیبی! ارجعی فانظری من کان فی قلبه حبّ لکِ أو لأحد من ذریّتک، خُذی بیده فأدخلیه الجنه!

قـال أبوجعفر- (علیه السـلام)-: و الله یـا جابر، إنها ذلک الیوم لتلتقط شـیعتها و محبّیها، کما یلتقط الطیر الحب الجیّـد من الحبّ الردی ء، فإذا صار شیعتها معها عند باب الجنه، یُلقی الله فی قلوبهم أن یلتفتوا.

فإذا التفتوا یقول الله- تعالی-:

یا أحبائی ما التفاتکم، و قد شفّعت فیکم فاطمه بنت حبیبی؟

فیقولون: یا رب أحببنا أن یُعرف قدرنا فی مثل هذا الیوم؟!

فیقول الله: یا أحبائی ارجعوا و انظروا:

من أحبّکم لحبّ فاطمه.

انظروا: من أطعمکم لحب فاطمه.

انظروا: من کساکم لحب فاطمه.

انظروا: من سقاکم شربه فی حب فاطمه.

انظروا: من ردّ عنکم غیبه فی حب فاطمه.

فخذوا بیده، و أدخلوه الجنهِ...... (۱) .

۲- و ورد عن ابن عباس قال: سمعت أمیرالمؤمنین- علیاً- (علیه السلام) یقول: دخل رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) ذات یوم علی فاطمه و هی حزینه، فقال لها: ما حزنکِ یا بنیّه؟

قالت: یا أبه ذکرت المحشر، و وقوف الناس عراه یوم القیامه!

فقال: یا بنیّه إنه لیوم عظیم، و لکن قد أخبرنی جبرئیل عن الله (عز و جل) أنه قال: «أول من ینشق عنه الأرض یوم القیامه، أنا، ثم بعلک علیّ بن أبی طالب (علیه السلام)، ثم یبعث الله إلیک جبرائیل فی سبعین ألف ملک فیضرب علی قبرک سبع قباب من نور، ثم یأتیک إسرافیل بثلاث حلل من نور، فیقف عند رأسک، فینادیک: یا فاطمه بنت محمد قومی إلی محشرک.

فتقومین آمنه روعتک، مستوره عورتک، فیُناوِلُک إسرافیل الحُلل فتلبسینها، و یأتیک روفائیل بنجیبه من نور، زمامها من لؤلؤ رطب، علیها محفّهِ (۲) من ذهب، فترکبینها، و یقود روفائیل بزمامها، و بین یدیک سبعون

۱- ۶۱۱. بحارالانوار ج ۸ ص ۵۱، تفسیر فرات بن ابراهیم ص ۱۱۳.

۲- ۶۱۲. محفه بکسر المیم-: مرکب للنساء کالهود ج.

ألف ملك بأيـديهم ألويه التسبيـح، فإذا جدّبك السـير اسـتقبلتك سـبعون ألف حوراء، يستبشـرون بالنظر إليک، بيد کل واحده منهن مجمره من نور، يسطع منها ريح العود من غير نار، و عليهن أکاليل الجوهر، مرصّعه بالزبرجد الأخضر (۱) .

۳- و عن الإمام الباقر (عليه السـلام) قال: سمعت جابر بن عبدالله الأنصاری يقول: قال رسول الله (صلی الله عليه و آله و سلم): إذا کان يوم القيامه تُقبِل ابنتی فاطمه علی ناقه من نوق الجنه..... و عن يمينها سبعون ألف ملک، و عن شمالها سبعون ألف ملک، و جبرئيل آخذ بخطام الناقه ينادی بأعلی صوته:

«غضّوا أبصارکم حتی تجوز فاطمه بنت محمـد» فلا يبقی يومئـذ نبی و لا رسول و لا صدّيق و لا شـهيد إلاَّ غضّوا أبصارهم حتی تجوز فاطمه.....

و تقول: الهی و سيدی: احکم بينی و بين ظلمنی، اللهم احکم بينی و بين من قتل ولدی.

فإذا النداء من قِبَل الله جل جلاله: يا حبيبتی و ابنه حبيبی سلينی تُعطی، و اشفعی تُشَفَّعی، فوعزتی و جلالی لا جازنی ظلم ظالم.

فتقول: إلهی و سيدی: ذريّتی و شيعتی و شيعه ذريّتی، و محبيّ، و محبیّ ذريتی.

فإذا النداء من قِبَل الله جل جلاله: أين ذريه فاطمه و شيعتها و محبّوها و محبّو ذريّتها؟

فيُقبلون و قد أحاط بهم ملائکه الرحمه، فتتقدمهم فاطمه (عليهاالسلام) حتی تدخلهم الجنه (۲) .

۴- و روی عن النبی (صلی الله عليه و آله و سلم)- فی قوله تعالی:

ص: ۵۴۸

۱- ۶۱۳. بحارالانوار ج ۴۳.

۲- ۶۱۴. بحارالانوار ج ۴۳.

«لا یحزنهم الفزع الاکبر و هم اشتهت انفسهم خالدون»- قال:

«... فتدخل فاطمه ابنتی الجنه و ذریتها و شیعتها، و من اولاهم معروفا ممن لیس هومن شیعتها.

«و هم فیما اشتهت انفسهم خالدون» هی- و الله- فاطمه و ذریتها و شیعتها، و من اولاهم معروفا ممن لیس هو من شیعتها» (۱) .
أیها القارئ الکریم:

بعد ما مرّ علیک من الأحادیث الصحیحه الصریحه بشفاعه السیده فاطمه(علیهاالسلام) یوم القیامه، تعال وقف معی موقف المتعجب من آراء مستحدثه، و أقوال مبتدعه تتحدی جمیع الآیات القرآنیه و الأحادیث النبویه التی تتحدث عن الشفاعه لأولیاء الله، فتراهم ینکرون الشفاعه و ینفونها حتی من سید الأنبیاء محمد رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و هم یحسبون أنهم یدافعون عن توحید الله تعالی فکأن الشفاعه تناقض التوحید، أو تدعو إلی الشرک بالله (عز و جل).

اقرا هذه الآیات المبارکه ثم أحکم:

«من ذا الذی یشفع عنده إلا بإذنه (۲) .

و لا یشفعون إلاَّ لمن ارتضی (۳) .

ما من شفیع إلاَّ من بعد بإذنه (۴) .

لا یملکون الشفاعه إلاَّ من اتخذ عند الرحمن عهداً (۵) .

یومئذ لا تنفع الشفاعه إلاَّ من أذن له الرحمن (۶) .

۱- ۶۱۵. تفسیر فرات الکوفی.

۲- ۶۱۶. لبقره: ۲۵۵.

۳- ۶۱۷. الانبیاء ۲۸.

۴- ۶۱۸. یونس: ۳.

۵- ۶۱۹. مریم: ۸۷.

۶- ۶۲۰. طه ۱۰۹.

و لا تنفع الشفاعه عنده إلاّ لمن أذن له (۱) .

و لا تغنی شفاعتهم شیئاً إلاّ من بعد أن یأذن الله لمن یشاء» (۲) هذه الآیات کما تراها تصرح بالشفاعه بإذن الله، و تثبت الشفاعه للشافعین.

أما تکفی هذه الآیات لإثبات الشفاعه لأولیاء الله أیها المسلمون؟

هذه الآیات کما تراها تصرّح بشفاعه أولیاء الله فی یوم القیامه.

و أما الشفاعه لهم فی الدنیا فإلیک هذه الآیه المبارکه الصریحه فی تخویل أولیاء الله الشفاعه و الدعاء و الاستغفار للناس، قال تعالی:

۱- «ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوُک فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحیماً» فإن الآیه دلّت علی أن العاصین إذا جاءوا إلی الرسول تائبین، و جعلوا یتوسلون به فی طلب المغفره من الله، و استغفر عند ذلک لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحیماً، فلو کان الاستشفاع من النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) شرکاً بالله لما وجدوا الله تواباً رحیماً، لأن الله لا یغفر أن یشرک به.

۲- قوله تعالی حکایه من أولاد یعقوب: «یا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا کنا خاطئین» و قول یعقوب «سوف استغفر بکم ربی» فإنه صریح فی سؤالهم و توسلهم بأبیهم إلی الله فی الاستغفار و طلب العفو.

۳- قوله تعالی: «و استغفر لذنبک و للمؤمنین».

۴- «و صلّ علیهم إن صلاتک سکن لهم».

۵- «من یشفع شفاعه حسنه یکن له نصیب منها».

هذا و البحث یحتاج إلی مزید من التفصیل و لکن الکتاب لا یسع لذلک، بل یحتاج إلی مجال أوسع و الله ولی التوفیق.

۱- ۶۲۱. سبا: ۲۳.

۲- ۶۲۲. النجم: ۲۶.

التوسل الى الله بفاطمه الزهراء

قال تعالى: «اولئک الذین یدعون یبتغون الی ربهم الوسیله» (۱) .

روی الحاکم الحسکانی الحنفی (۲) - فی هذه الآیه-: عن عکرمه قال: هم النبی و علی و فاطمه و الحسن و الحسین.

و روی عن النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) ان الله تعالی حین خلق آدم، اراه انوار محمد و علی و فاطمه و الحسن و الحسین، ثم اوحی الیه: «هولاء خمسه شققت لهم خمسه اسماء من اسمائی... فانا المحمود و هذا محمد، و انا العالی و هذا علی، و انا الفاطر و هذه فاطمه و انا الاحسان و هذا الحسن و انا المحسن و هذا الحسین... فاذا کانت لک الی حاجه فبهولاء توسل».

ثم قال النبی (صلی الله علیه و آله و سلم) «نحن سفینه النجاه، و من حاد عنا هلک، فمن کانت له الی الله حاجه فلیسال بنا اهل البیت...» (۳) .

و روی ان السیده فاطمه (علیهاالسلام) قالت: «... و احمدوا الذی لعظمته و نوره یبتغی من فی السماوات و الارض الیه الوسیله، و نحن وسیله فی خلقه، و نحن خاصته و محل قدسه، و نحن حجته فی غیبه، و نحن ورثه انبیائه...» (۴) .

۱- ۶۲۳. الاسراء: ۵۷.

۲- ۶۲۴. فی شواهد التنزیل ج ۱ ص ۳۴۲.

۳- ۶۲۵. فرائد السمطین للجوینی الشافعی ج ۱ ص ۳۶.

۴- ۶۲۶. شرح نهج البلاغه ج ۱۶ ص ۲۱۱.

و عن الامام العسکری (علیه السلام) قال: «نحن حجه الله علی الخلق، و فاطمه حجه، و فاطمه حجه علینا» (۱) .

و روی ان الامام الباقر (علیه السلام) اصابته الحمی، فکان یتوسل الی الله تعالی- الشفاعه- بالسیده الزهراء (علیهاالسلام) و ینادی- باعلی صوته، و هو علی فراش المرض-: لشفائه- بالسیده الزهراء (علیهاالسلام) و ینادی- باعلی صوته، و هو علی فراش المرض-: یا فاطمه بنت محمد. حتی یسمع صوته عند باب الدار (۲) .

و من الامور المجربه لقضاء الحوائج هو ان تقولا:

«اللهم صل علی فاطمه و ابیها و بعلها و بنیها عدد ما احاط به علمک».

تقولها خمسمائه و ثلاثین مره.

۱- ۶۲۷. کتاب اطیب البیان.

۲- ۶۲۸. بحارالانوار ح ۴۶.

زیاره فاطمه الزهراء

۱- روی عن جابر بن عبدالله الانصاری قال: قال رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): «... و من زار فاطمه فکانما زارنی...» (۱) .

۲- و عن یزید بن عبدالملک (۲) عن ابیه عن جده قال: دخلت علی فاطمه فبداتنی بالسلام ثم قالت: ما غدا بک؟

قلت: طلب البرکه.

قالت: اخبرنی ابی- و هو: ذا- انه من سلم علیه و علی ثلاثه ایام، اوجب الله له الجنه.

قلت لها: فی حیاته و حیاتک؟

قالت: نعم و بعد موتنا (۳) .

۳- و روی عن الامام علی (علیه السلام) عن فاطمه (علیهاالسلام) قالت: قال لی رسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم): یا فاطمه من صلی علیک غفر الله له، و الحقه بی حیث کنت من الجنه (۴) .

ص: ۵۵۳

۱- ۶۲۹. بشاره المصطفی.

۲ - ۶۳۰. الظاهر انه النوفلی، من اصحاب الامام الباقر (علیه السلام) ذکره المامقانی فی رجاله، و لیس المقصود یزید بن عبدالملک المروانی، لان اباه و جده کانا منفیین من المدینه المنوره الی الطائف، لبغضهما لرسول الله (صلی الله علیه و آله و سلم) و لم یعودا الی المدینه الا فی عهد عثمان.

۳- ۶۳۱. التهذیب.

۴- ۶۳۲. کشف الغمه.

و قد روی السید ابن طاووس هذه الزیاره للسیده الزهراء (علیهاالسلام) و قال: روی ان من زارها بهذه الزیاره، و استغفر الله غفر الله له و ادخله الجنه.

و الزیاره هی:

«السلام علیک یا سیده نساء العالمین، السلام علیک یا والده الحجج علی الناس اجمعین، السلام علیک ایتها المظلومه الممنوعه حقها».

ثم قل: «اللهم صلی علی امتک و ابنه نبیک و زوجه وصی نبیک، صلاه تزلفها فوق زلفی عبادک المکرمین من اهل السماوات و الارضین» (۱) .

و هناک زیاره اخری مرویه عن الامام محمد الجواد (علیه السلام) و لها (علیها السلام) زیارات اخری ایضا مذکوره فی کتب الدعاء و الزیارات.

ص: ۵۵۴

۱- ۶۳۳. الاقبال للسید ابن طاووس.

مواکب الشعراء فی رثَاء السیده الزهراء

إن عظمه السیده فاطمه الزهراء (علیهاالسلام) و فضائلها و مزایاها و مصائبها و ما رأت من الضغط و الکبت و الاضطهاد کانت کافیه لتهییج العواطف الجیّاشه تجاهها، فلا عجب إذا طفق الشعراء ینثرون مدائحهم للسیده فاطمه- بمختلف اللغات- و یعبّرون عن شعورهم و حبهم و مودتهم ایاها.

و ذلک حینما اهتزت ضمائرهم، فتفتحت قرائحهم، و فاضت أحاسیسهم فطفقوا یثنون علی السیده فاطمه الزهراء أحسن الثناء، و یرثونها بأوجع الرثاء.

و أی شاعر یشعر بآلام السیده فاطمه الزهراء و لا یهیج شعوره؟

و أی إنسان یدرک مواهب السیده فاطمه الزهراء و مزایاها و لا یعبّر عن مشاعره؟إلّا أن یکون شعوره متحجراً، أو إدراکه معطلاّ أو أحاسیسه راکده و جامده.

إن جمال حیاه السیده فاطمه الزهراء یأخذ بمجامع قلب کل حرٍ، و کل قلبٍ حرٍ سلیم. و لقد کان للشعراء مواقف مشکوره مذکوره تجاه سیدتنا فاطمه الزهراء و أخص منهم شعراء القرون الأخیره فلقد سجلوا أروع آیات الولاء بأجمل تعبیر، و صبّوها فی قالب النظم و القریض مدحاً و رثاءً، و کفاهم بذلک ثمناً للجنه التی وُعد المتّقون.

ص: ۵۵۵

فإنَّک تجد الأدب الرفیع و المستوی الأعلی و التعبیر الأجمل الأرقی فی کل بیت من کل قصیده، و کأن کل بیت منها هو بیت القصید.

و إلیک طائفه من باقات الولاء التی سجلّها الشعراء فی دیوان التاریخ الخالد: ۱- لقد أجاد المرحوم الشیخ کاظم الأزری (تغمده الله برحمته) حیث قال:

نقضوا عهد أحمد فی أخیه

و أذاقوا البتول ما أشجاها

یوم جاءت إلی عدیٍّ و تیمٍ

و من الوجد ما أطال بکاها

فدنت و اشتکت إلی الله شکویً

و الرواسی تهتزّ من شکواها

لست أدری إذروّعت و هی حسری

عاند القوم بعلها و أباها

تعظ القوم فی أتم خطاب

حکت المصطفی به و حکاها

هذه الکتب فاسألوها تروها

بالمواریث ناطقاً فحواها

و بمعنی (یوصیکم الله) أمر

شامل للأنام فی قرباها

فاطمأنَّت لها القلوب و کادت

أن تزول الأحقاد ممن طواها

: أیها القوم راقبوا الله فینا

نحن من روضه الجلیل جناها

و اعلموا أننا مشاعر دین الله

فیکم فأکرموا مثواها

و لنا من خزائن الغیبِ فیض

ترد المهتدون منه هداها

أیها الناس أیّ بنت نبیٍّ

عن مواریثه أبوها زواها؟

کیف یزوی عنی تراثی عتیقٌ

بأحادیث من لدنه افتراها

کیف لم یوصنا بذلک مولانا؟

وتیماً من دوننا أوصاها؟

هل رآنا لا نستحق اهتداءً

و استحقت تیم الهدی فهداها؟

أم تراه أضلنا فی البرایا

بعد علم لکی نصیب خَطاها؟

انصفونی من جائرین أضاعا

حرمه المصطفی و ما رعیاها

ص: ۵۵۶

۲- و لشیخ الفقهاء و الفلاسفه آیه الله الشیخ محمد حسین الأصفهانی (رحمه الله) فی مدح الزهراء (علیهاالسلام) و رثائها:

جوهره القدس من الکنز الخفی

بدت فأبدت عالیات الأحرف

و قد تجلی من سماء العظمه

فی عالم الأسماء أسمی کلمه

بل هی أُمّ الکلمات المحکمه

فی غیب ذاتها، فکانت مبهمه

أم أئمه العقول الغرّ، بل

(أم أبیها) و هو علّه العلل

روح النبی فی عظیم المنزله

و فی الکفاء کفوء من لا کفوله له

تمثّلت رقیقه الوجود

لطیفه جلَّت عن الشهود

تطوّرت فی أفضل الأطوار

نتیجه الأدوار و الأکوار

تصوّرت حقیقه الکمال

بصوره بدیعه الجمال

فإنها الحوراء فی النزول

و فی الصعود محور العقول

یمثّل الوجوب فی الإمکان

عيانها بأحسن العيان

فإنّها قطب رحى الوجود

فى قوسى النزول و الصعود

و ليس فى محيط تلك الدائره

مدارها الأعظم إلاَّ (الطاهره)

مصونه عن كل رسم و سمه

مرموزه فى الصحف المطهّره

(صدّيقه) لا مثلها صدّيقه

تفرغ بالصدق عن الحقيقه

بدا بذلك الوجود الزاهر

سرّ ظهوره الحقّ فى المظاهر

هى (البتول) الطهر و (العذراء)

كمريم الطهر، و لا سواء

فإنَّها سيده النساء

و مريم الكبرى بلا خفاء

بُشراک يا أبا (العقول العشره)

بالبضعه الطاهره المطهره

مهجه قلب عالَم الإمكان

و بهجه الفردوس فى الجنان

غُرّتها الغرّاء مصباح الهدى

يُعرف حسن المنتهى بالمبتدأ

ص: ٥٥٧

و فی محیّاها بعین الأولیاء

عینان من ماء الحیاه و الحیاء

بُشراک یا خلاصه الإیجاد

بصفوه الأنجاد و الأمجاد

أم الکتاب و ابنه التنزیل

ربّه بیت العلم بالتأویل

بحر الندی و مجمع البحرین

قلب الهدی و مهجه الکونین

واحده النبی أوّل العدد

ثانیه الوصی نسخه الأحد

و مرکز الخمسه من أهل العبا

و محور السبع علوّاً و إبا

لک الهنا یا سیّد البریه

بأعظم المواهب السّنیّه

أتاک طاووس ریاض الأنس

بنفحه من نفحات القدس

من جُنّه الأسماء و الصفاء

جلّت عن المدیح و الثناء

فارتاحت الأرواح من شمیمها

و اهتزت النفوس من نسیمها

بها انتشى فى الكون كل صاح

و طابت الأشباح بالأرواح

تحيى بها الأرض و مَن عليها

و مرجع الأمر غداً إليها

لهفى لها لقد أضيع قدرها

حتى توارى بالحجاب بدرها

تجرّعت من غصص الزمان

ما جاوز الحدّ من البيان

و حبّها من الصفات العاليه

عليه دارت القرون الخاليه

تبتّلت عن دنس الطبيعه

فيا لها من رتبه رفيعه

مرفوعه الهمه و العزيمه

عن نشأه الزخارف الذميمه

فى أفق المجد هى الزهراء

للشمس من زهرتها الضياء

بل هى نور عالَم الأنوار

و مطلع الشموس و الأقمار

رضيعه الوحى من الجليل

حليفه لمحكم التنزيل

مفطومه عن زلل الأهواء

معصومه عن وصمه الخطاء

معربه بالستر و الحياء

عن غيب ذات بارئ الأشياء

(راضيه) بكل ما قضى القضا

بما يضيق عنه واسع الفضاء

ص: ۵۵۸

(زكيه) عن و صمه القيود

فهى غنيّه عن الحدود

يا قِبله الأرواح والعقول

و كعبه الشهود و الوصولِ

مَن بقدومها تشرفت (منى)

و من بها تدرك غايه المنى

و بابها الرفيع باب الرحمه

و مستجار كلّ ذى ملمّه

و ما الحطيم عند باب فاطمه

بنورها تطفأ نار الحاطمه

و بيتها المعمور كعبه السما

أضحى ثراه للثريا مَلثما

و خدرها السامى رواق العظمه

و هو- مطاف الكعبه المعظمه

حجابها مثل حجاب البارى

بارقه تذهب بالأبصار

تمثل الواجب فى حجابها

فكيف بالإشراق من قبابها

يا دره العصمه وا لولايه

من صدف الحكمه و العنايه

فالكوكب الدرّى فى السماء

من ضوء تلك الدره البيضاء

و النيّر الأعظم منها كالسّها

كيف و لا حدّ لها و منتهى

أشرقت العوالم العلويه

بنور تلك الدره البهيه

يا دوحه حازت سنام الفلك

بل جاوز السدره فرعها الزكى

يا دوحه أغصانها تدلّت

بموضع فيه العقول ضلّت

دنت إلى مقام (أو أدنى) فلا

تبتغ من ذلك أعلى مثلا

يا شجره الطور و أين الشجره

من دوحه المجد الأثيل المثمره؟

و إنما السدره و الزيتونه

عنوان تلك الدوحه الميمونه

أثمارها الغرّ مجالى الذات

مظاهر الأسماء و الصفات

مبادئ الحياه فى البدايه

و منتهى الغايات للنهايه

أثمارها عزائم القرآن

فی صفحات مصحف الإمکان

أثمارها منابت للمعرفه

من جنه الذات غدت مقتطفه

لك الهنا يا (سيد الوجود)

فى نشآت الغيب و الشهود

من تعالى شأنها عن مثل

كيف و لا تكرار فى التجلّى

و لا يثنى هيكل التوحيد

فكيف بالنظير و النديد

و ملتقى القوسين نقطه، فلا

ترى لها ثانيه أو بدلا

وحيده فى مجدها القديم

فريده فى أحسن التقويم

و ما أصابها من المصاب

مفتاح بابه (حديث الباب)

إن حديث الباب ذو شجون

مما به جنت يد الخؤون

أيهجم العدى على بيت الهدى

و مهبط الوحى و منتدى الندى؟

أيضرم النار بباب دارها

و آيه النور علا منارها

و بابها باب نبى الرحمه

و باب أبواب نجاه الأمه

بل بابها باب العلى الأعلى

فثمّ وجه الله قد تجلىَّ

ما اكتسبوا بالنار غير العار

و من ورائه عذاب النار

ما أجهل القوم فإن النار لا

تطفئ نور الله جل و علا

و إن كسر الضلع ليس ينجبر

إلاَّ بصمصام عزيز مقتدر

إذ رضّ تلك الأضلع الزكيه

رزيه لا مثلها رزيه

و من نبوع الدم من ثدييها

يُعرف عُظم ما جرى عليها

و جاوز الحد بلطم الخدّ

شلّت يد الطغيان و التعدىّ

فاحمرت العين، و عين المعرفه

تذرف بالدمع على تلك الصفه

و لا تزيل حمره العين سوى

بيض السيوف يوم ينشر اللوى

و للسياط رنه، صداها

فی مسمع الدهر، فما أشجاها

و الأثر الباقی کمثل الدملج

فی عضد الزهراء أقوی الحجج

و من سواد متنها أسودّ الفضا

یا ساعد الله العلی المرتضی

ص: ۵۶۰

وو كز نعل السيف فى جنبيها

أتى بكل ما أتى عليها

و لست أدرى خبر المسمار

سل صدرَها خزانه الأسرار

و فى جنين المجد ما يُدمى الحشا

و هل لهم إخفاء أمر قد فشا

و البابُ و الجدار و الدماءُ

شهود صدق ما به خفاء

لقد جنى الجانى على جنينها

فاندكت الجبال من حنينها

اهكذا يُصنع بابنه النبى

حرصاً على الملك فيا للعجب؟

أتُمنع المكروبه المقروحه

عن البكاء خوفاً من الفضيحه

تالله ينبغى لها تبكى دماً

ما دامت الأرض و دارت السما

لفقد عزها: أبيها السامى

و لاهتضامها و ذُلّ الحامى

أتستباح نحله الصدّيقه

و إرثها من أشرف الخليفه؟

كيف يُردّ قولها بالزور

إذ هو ردّ آيه التطهير؟

أيؤْخذ الدين من الأعرابى

و ينبذ المنصوص بالكتاب؟

فاستلبوا ما ملكت يداها

و ارتكبوا الجريمه مُنتهاها

يا ويلهم قد سألوها البيّنه

على خلاف السنّه المبيّنه

و ردّهم شهاده الشهود

أكبر شاهد على المقصود

و لم يكن سدّ الثغور غرَضاً

بل سدّ بابها و باب المرتضى

صدّوا عن الحق و سدّوا بابه

كأنّهم قد أمنوا عقابه

أبضعه الطهر، العظيم قدرها

تدفن ليلًا و يعفّى قبرها

ما دُفنت ليلًا بستر و خفا

إلاَّ لوجدها على أهل الجفا

ما سمع السامع فيما سمعا

مجهوله بالقدر و القبر معاً

يا ويلهم من غضب الجبّار

بظلمهم ريحانه المختار

ص: ۵۶۱

۳- لبعض الشعراء المتاخرين:

إن قيل حوّاء قلت: فاطم فخرها

أو قيل مريم قلت: فاطم أفضل

أفهل لحوّا والد كمحمد؟

أم هل لمريم مثل فاطم أشبُلُ

كلٌّ لها حين الولاده حاله

منها عقول ذوى البصائر تذهل

هذى لنخلتها التجت فتساقطت

رطباً جنياً فهى منه تأكل

وضعت بعيسى و هى غير مروعه

أنّى و حارسها السرّى الأبسل

و إلى الجدار و صفحه الباب التجت

بنت النبى فأسقطت ما تحمل

سقطت و أسقطت الجنين و حولها

من كل ذى حسب لئيم جحفل

هذا يعنّفها و ذاك يدعّها

و يردها هذا و هذا يركل

و أمامها أسد الأسود، يقوده

بالحبل قنفذ هل كهذا معضل

و لسوف تأْتى فى القيامه فاطم

تشکو إلی رب السماء و تعول

و لترفعنًّ جنینها و حنینها

بشکایه منها السماء تتزلزل

ربّاه! میراثی و بعلی حقَّه

غصبوا، و أبنائی جمیعاً قُتّلوا

فرخای: ذا بالسُمّ أمسی قلبه

قطعاً، و هذا بالدماء مغسّل

۴- و من قصیده لبعض أشراف مکه نقتطف منها بعضها:

و أتت فاطم تطالب بالإر

ث من المصطفی فما و رّثاها

لیت شعری لِمَ خولفت سنن

القرآن فیها؟ و الله قد أعلاها

نُسخت آیه المواریث منها

أم هُما بعد فرضها بدّلاها؟

أم تری آیه الموده لم تأْتِ

بوُدّ الزهراء فی قرباها

ثم قالا: أبوكِ جاء بهذا

حجه من عنادهم نصباها

قال: للأنبیاء حکم بأن لا

یُورثوا فی القدیم و انتهراها

أَفَبِنتُ النبی لم تدر إن کان

نبی الهدی بذلک فاها؟

ص: ۵۶۲

بضعه من محمد خالفت ما

قال؟ حاشا مولاتنا حاشاها

سمعته يقول ذاك و جاءت

تطلب الإرث ضلّةً و سفاها؟

هی کانت لله أتقی و کانت

أفضل الخلق عفّةً و نزاها

أو تقول: النبی قد خالف القرآن؟

ویح الأخبار ممن رواها

سل بإبطال قولهم سوره النمل،

و سَل مریم التی قبل طه

فهُما ینبئان عن إرث یحیی

و سلیمان من أراد انتباها

فدعت و اشتکت إلی الله من ذاك

و فاضت بدمعها مقلتاها

ثم قالت: فنَحله لی من والدی

المصطفی فلم ینحلاها

فأقامت بها شهوداً فقالوا:

بعلها شاهد لها و ابناها

لم یجیزوا شهاده أبنیْ رسول

الله هادی الأنام إذ ناصباها

لم يكن صادقاً عليّ و لا فاطمه

عندهم و لا ولداها

جرّعاها من بعد والدها

الغيظ مراراً فبئس ما جرّعاها

ليت شعرى ما كان ضرّهما الحفظ

لعهد النبى لو حفظاها؟

كان إكرام خاتم الرسل الها

دى البشير النذير لو أكرماها

و لكان الجميل أن يقطعاها

فدكاً، لا الجميل أن يقطعاها

أترى المسلمين كانوا يلومو

نهما فى العطاء لو أعطياها؟

كانت تحت الخضراء بنت نبيٍ

صادقٍ ناطقٍ أمينٍ سواها؟

بنت مَن؟ أُمّ مَن؟ حليله مَن؟

ويل لمن سنّ ظلمها و أذاها

شيّعت نفسَها فى أجرها أم عناداً

لأبيها النبى لم يتبعاها؟

أم لأن البتول أوصت بأن لا

يشهدا دفنها فما شهداها

لا نبی الهدی أَطیع، و لا فاطمه

أُکرمت و لا حسناها

.... إلی آخر القصیده.

ص: ۵۶۳

ختام و اعتذار

أيها القارى ء الكريم

لقد قضينا معك فتره من الزمان فی رحاب السيده فاطمه الزهراء عليهاالسَّلَام و ذكرنا الشی ء اليسير مما يتعلق بحياه سيده نساء العالمين.

و اعلم أننا- لم نذكر إلاـ بعض المقتطفات من ترجمه السيده الزهراء، فلو أردنا أن نذكر- هنا- ما سجلته التواريخ و احتوته موسوعات الأحاديث لكان هذا الكتاب أضعاف هذا الحجم من حيث غزاره المواد، و لكننا اكتفينا هنا بما يسهل قبوله و لا يعسر على العقول هضمه و لا يصعب على النفوس تحمّله، و لئلا يتهمنا المتهمون بالغلو و الإفراط.

و بعد هذا كله فإننی أقبل كل نقدٍ علمی أو أدبی أو تاريخی بكل ترحيب و تقدير،و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد كاظم القزوينی

كربلاء المقدسه- العراق

۱۳۹۳ ه

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ۱۴۲۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن یتحمل المؤلف مسؤولیهٔ العمل.

نشاطات المؤسسهٔ:

طبع الکتب والملزمات والدوریات

إقامهٔ المسابقات فی مطالعهٔ الکتب

إقامهٔ المعارض الالکترونیهٔ: المعارض الثلاثیهٔ الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمکنهٔ الدینیهٔ والسیاحیهٔ

إنتاج الأفلام الکرتونیهٔ والألعاب الکمبیوتریهٔ

افتتاح موقع القائمیهٔ الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافیهٔ وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلهٔ والاستفسارات الدینیهٔ والأخلاقیهٔ والاعتقادیهٔ والردّ علیها

تصمیم الأجهزهٔ الخاصهٔ بالمحاسبهٔ، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ویب کیوسک kiosk، الرسالهٔ القصیرهٔ ((sms

إقامهٔ الدورات التعلیمیهٔ الالکترونیهٔ لعموم الناس

إقامهٔ الدورات الالکترونیهٔ لتدریب المعلمین

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسهٔ وتطبیقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ویمکن تحمیلها علی ۸ أنظمهٔ؛

JAVA.۱

ANDROID.۲

EPUB.۳

CHM.۴

PDF.۵

HTML.۶

CHM.۷

GHB.۸

إعداد ۴ الأسواق الإلکترونیهٔ للکتاب علی موقع القائمیهٔ ویمکن تحمیلها علی الأنظمهٔ التالیهٔ

ANDROID.۱

IOS.۲

WINDOWS PHONE.۳

WINDOWS.۴

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربیهٔ والانجلیزیهٔ والفارسیهٔ

الکلمهٔ الأخیرهٔ

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فی طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

